وردة

صنع الله ابراهيم



رواية

وردة

صنع الله ابراهيم

عندما أزمعت السفر، كفت عن المجيء إلى أحلامي. وكانت تتردد عليّ بصفة مستمرة في الآونة الأخيرة. ويوما ألقاها وسط حشد من الناس، مضطجعين فوق الأرائك، كما في الصور الرومانية، أو الجنة. أحيانا في قاعة ممتدة وأحيانا أخرى فوق ظهر سفينة. وفي كل مرة تلتفت نحوي وفي عينيها نظرة غامضة، تجمع بين التساؤل والتواطؤ والإغواء. أقترب منها مندهشا من استجابتها حتى أصبح إلى جوارها. وتشجعني بابتسامة خفيفة من شفتيها. فأزداد اقترابا حتى ألمسها. ويصبح ساقي لصق ساقها. عندئذ تواجهني بكل جسمها. ودون أن تعبأ بمن حولنا تجذبني إليها. حتى أشعر فوق جسمي المتوتر، بالتفاصيل الدقيقة لثنايا جسدها وطياته الدفينة. وبينما أتلصص النظر للآخرين خشية أن يتبين أحدهم مايجرى، تتصاعد نشوتي حتى تبدأ في الفوران. وقبل أن تصل إلى مداها، يتغير المشهد على نحو مفاجئ. مرات معدودة فحسب، كانت فيها عاطفتي من الحدة بحيث اجتاحت كل السدود وخلفتني عند اليقظة، بعدها مباشرة، مبللا، متوهجا، راضيا.

● ●

بانوراما مثيرة ورحلة عاصفة دموية أحيانا كثيرة، امتدت من القاهرة الى بيروت ومسقط وصنعاء وصلالة وعدن وصحراء الربع الخالي، شارك فيها ملوك وثوار وسلاطين وشيوخ قبائل وعبيد، قوميون وبعثيون وشيوعيون وناصريون، عبر ثلاثة عقود من الآمال والأحلام والبطولات والهزائم والخيانات والخيارات الصعبة !

وردة

صنع الله ابراهيم

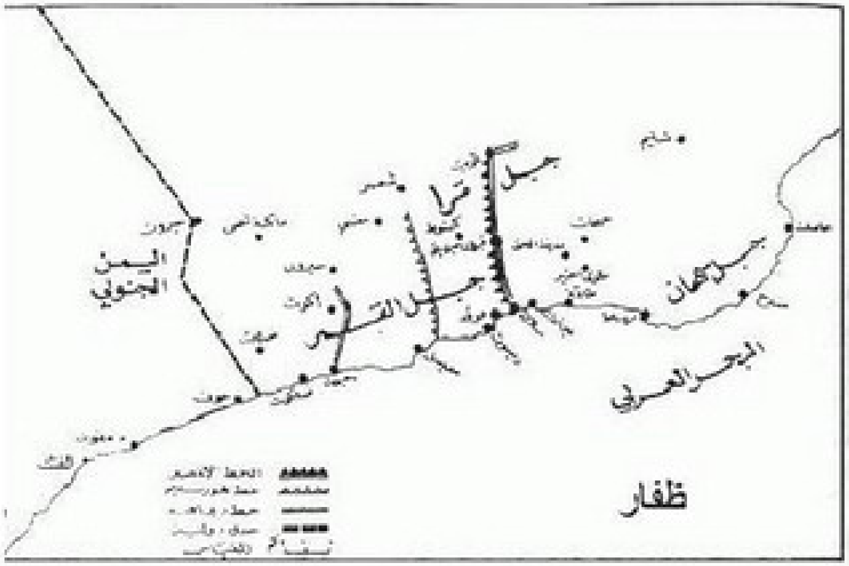
دار المستقبل العربي

وردة
صنع الله ابراهيم
الطبعة الأولى ٢٠٠٠

الغلاف: عمر جهان

الناشر: دار المستقبل العربي
٤١ شارع بيروت • مصر الجديدة • القاهرة
ج. م. ع • تليفون ٢٩٠٤٧٢٧

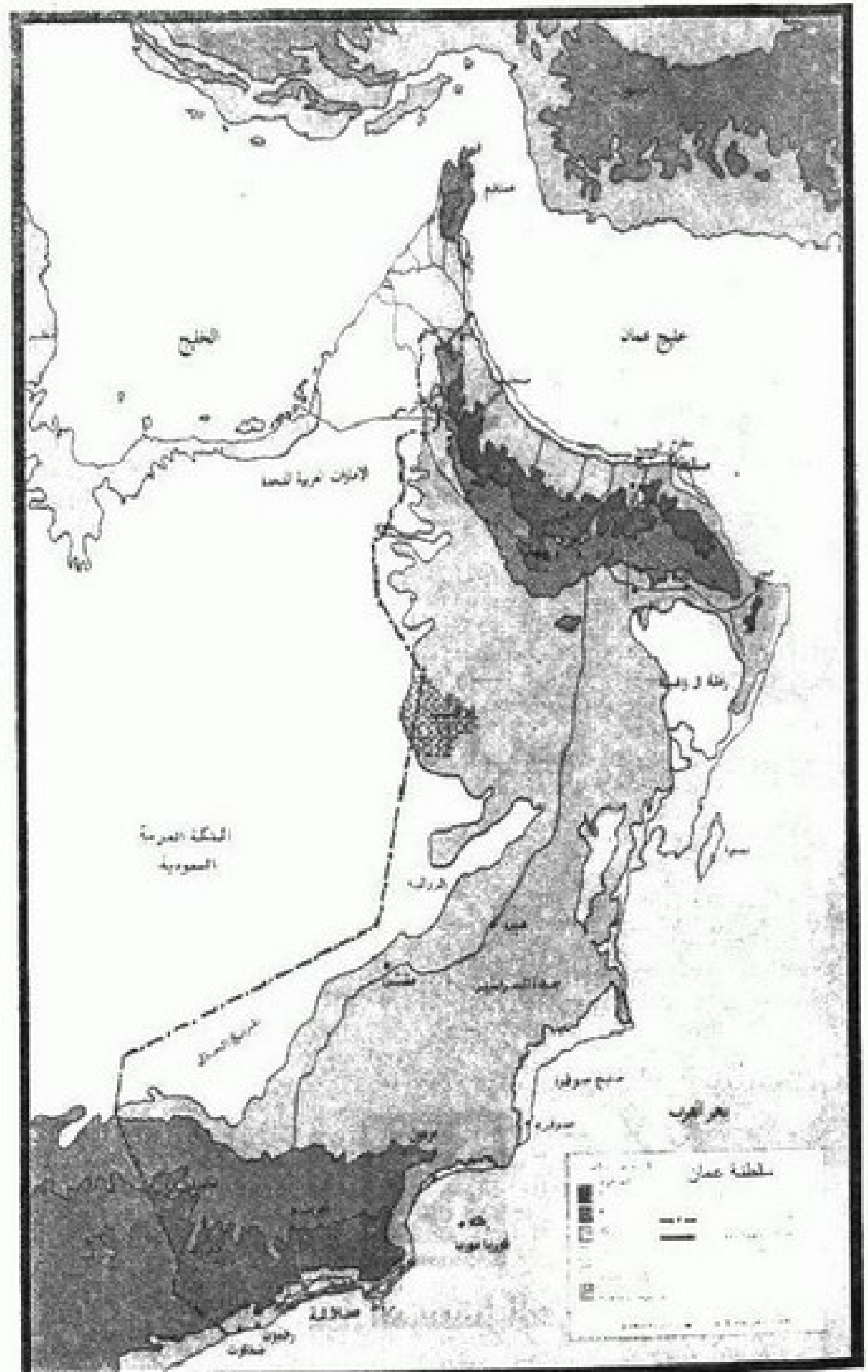
رقم الإيداع بدار الكتب القومية : ٢٠٠٠/٩٣٠٥
الترقيم الدولي : ISBN 977 - 239 - 167 - 8



ظفار
اليمن الجنوبي
البحر العربي



صلالة
البحر العربي



سلطنة عمان
خليج عمان
الخليج
المملكة العربية السعودية
بحر العرب
صلالة

«بعض الأشخاص والوقائع فى الصفحات التالية من صميم الواقع. والبعض الآخر من نسج الخيال ..لهذا من الأفضل أن تقرأ على أنها ...رواية!».

ص.ا.

1

القـــاهرة

سبتمبر ١٩٩٢

عندما أزمعت السفر، كفت عن المجيء إلى أحلامى . وكانت تتردد علي بصفة مستمرة في الأونة الأخيرة . ودوما ألقاها وسط حشد من الناس، مضطجعي فوق الأرائك، كما في الصور الرومانية، أو الجنة. أحيانا فى قاعة ممتدة وأحيا أخرى فوق ظهر سفينة. وفى كل مرة تلتفت نحوى وفى عينيها نظرة غامضة، تجمع بين التساؤل والتواطؤ، والإغواء . أقترب منها مندهشا من استجابتها حتى أصبح إلى جوارها، وتشجعنى بابتسامة خفيفة من شفتيها. فأزداد اقترابا حتى ألمسها. ويصبح ساقي لصق ساقها . عندئذ تواجهنى بكل جسمها . ودون أ تعبأ بمن حولنا تجذبني إليها، حتي أنعرفوق جسمي المتوتر، بالتفاصيل الدقيق لثنايا جسدها وطياته الدفينة . وبينا أتلصص النظر للآخرين خشية أن يتبين أحده ما يجرى، تتصاعد نشوتى حتى تبدأ فى الفوران . وقبل أن تصل إلى مداها، يتغي المشهد على نحو مفاجئ. مرات معدودة فحسب، كانت فيها عاطفتى مر الحدة بحيث اجتاحت كل السدود وخلفتني عند اليقظة، بعدها مباشرة، مبللا متوهجا، راضيا .

كان تجليها دائما قويا، فائق الوضوح، بالغ التأثير، يلاحقنى بعد اليقظة فأظل تحت تأثير حضورها الفعال، وأفقد كل حس بالواقع، فلا أعود قادرا علي التمييز بينهما ، وأظل لبعض الوقت تحت وهم انى كنت استرجع ذكرى وقعت بالفعل فى الماضى. وأعجب للملابسات التى جعلتها هى بالذات، تطفو فوق سطح ما مر بى من أحداث ونساء منذ آخر مرة رأيتها فيها، فعلا، قبل أكثر من ثلاثين سنة، على الرغم من أن معرفتى بها لم تكن وثيقة بل عابرة، لم تتوطد أبد بالصورة التى تراءت لى فى الحلم . ولماذا اختارت، أو اخترت أنا فى حقيقة الأمر أن تتجلى فجأة وبقوة فى هذا الوقت بالذات، الذى أخطو فيه حثيثا إلى العقد السادس من عمرى، الذى ربما سيكون الأخير ؟

2

مسقط

ديسمبر ١٩٩٢

** ١

قال فتحي وهو يشد حزام الأمان حول صدره :

– ضع الحزام يا بني وإلا ضعنا . المروروهنا صارم وليس كما في بلدكم

أردت أن أقول بأنها لم تعد بلدنا لكني لم أشأ أن أكون البادئ بنقاش عقي . انصعت لطلبه بينما كان ينطلق من ساحة المطار. وتعثرت في محاولة تثبيت الحزام فأعطيته فرصة للسخرية مني.

كان أكبر مني في السن قليلا ، وأكثر بدانة، وأكثر مرحا بالتأكيد ، يتوقف عن الدندنة بجمل موسيقية متنوعة من الموسيقى العربية أوالكلاسيكية الغربية والأوبرات وبعضها من تأليفه ، فقد كانت هذه صناعته . وكان يرتد قميصا بأكمام قصيرة فبدوت غريبا إلى جواره بملابسي الكاملة. هممت بخلع سترتي فاستوقفني قائلا :

– خليها. السيارة مكيفة.

قلت إني لم أتوقع هذا الطقس ولهذا فكل ملابسي شتوية .

قال : ليست مشكلة . غدا نشترى لك كل ما تحتاج اليه .

قاد السيارة اليابانية فوق طريق ممهدة مرصوفة جيدا مثل الحرير تضيئو المصابيح العالية، تخلو من أي أثر للحياة وتعترضها مطبات بارزة واضحة كـ يتمهل عندها ثم يلوى السيارة قليلا ليعبرها بزاوية كما تنص القواعد تماما. وبـ عدة ميادين بدأت المنازل الحديثة تظهر على الجانبين وأغلبها لا يتجاوز ارتفا طابقا واحدا.

قال : تذكر هذا الطريق دائما . فهوالرئيسي . إسمه شارع قابوس. وهو أطو شارع هنا وينتهي بالميناء . ميناء قابوس .

أضاف بعد برهة : ستمر حالا بمدينة قابوس الجديدة على اليمين .

قلت : كل حاجة باسمه ؟

قال : زينا بالضبط . على أى حال حقه . فهذه البلد لم تكن شيئا قبل أن يتولى الحكم .

لحظت أنه يقود السيارة بحرص رغم أن السيارات المارة كانت معدودة. وكنت أعرفه فى القاهرة سائقا متهورا . توقف أمام إشارة حمراء رغم أن سيارتنا كانت الوحيدة عند جانبى التقاطع، ولم يكن هناك أثر لعابر. ثم أدركت السر عندما ظهرت سيارة شرطة الى جوارنا.

قال وهو يستأنف السير : اذا أردت القيادة هنا لابد أن تستخرج رخصة جديدة بامتحان جدى. هم لا يعترفون بالرخصة المصرية .

قلت : معى رخصة دولية .

قال : ولو. لا بد من رخصة عُمانية . إنهم يعرفون طريقة استخراج الرخص عندنا.

بدأ يدندن أحدث أغانى المطرب الفرنسى الجزائرى الشاب خالد وتوقف لحظة ليقول:

– لم أستغرب أن يستغرق إعطاؤك التأشيرة عدة شهور . فهذا عادى هنا. لكن الغريب أنهم أعطوها لك فى النهاية .

لم يكن الأمر غريبا لهذه الدرجة . فقد جرت مياه كثيرة فى الأنهارمنذ وقت طويل .

تأملت كتل الظلام المحيطة بنا ولم نلبث أن أشرفنا على منطقة سكنية حديثة ، مضاءة ومنظمة ، يرتفع فى مدخلها فندق شيراتون عتيد .

– وصلنا.

كانت الشوارع هادئة تصطف على جانبيها السيارات المركونة ، وتطل عليها الواجهات الزجاجية المضاءة لحوانيت عامرة بالأجهزة الكهربية والملابس والنظارات ولعب الأطفال . تنقلنا بينها طويلا الى أن وجدنا مكانا لسيارتنا .

تحررت من حزام المقعد وعاونني فى إخراج حقيبتى من الشنطة الخلفية. لم استمهلنى حتى قام بتشغيل جهاز الإنذار المثبت داخلها .

سألته : الحرامية كتير ؟

قال : نادرا ما يجرؤ أحد على السرقة فالشرطة حازمة . مجرد شبهة ال... تؤدى إلى ترحيل السارق فورا .

استغربت : ترحيله إلى أين ؟

أجاب : إلى بلده . السارق لايمكن أن يكون عُمانيا لأنهم لا يحتاج... هو إذن لا بد أن يكون من العمالة الأجنبية . هندى أو باكستانى أوفيلبينى . الذين يتولون الأعمال ذات الأجر المنخفض .

كانت حقيبتى من النوع المزود بمقبضين على الجانبين فأمسك كل... بمقبض وحملناها بيننا عبرعدة شوارع .ولجنا عمارة حديثة من أربعة طوابق ... الطابق الأرضى منها مكتب للسفريات والشحن .وأقلنا المصعد إلى الطابق الثال...

أخرج مفتاحا من جيبه وهويقول: شقيقة نامت من ساعتين .

فتح الباب فى هدوء وولجنا صالة صغيرة تتوسطها مائدة طعام. ا... يمينا إلى قاعة مضاءة تتصدرها خزانة تضم بعض الكتب والأوانى الخ... وجهاز تليفزيون ضخم .

ارتميت فى مقعد بينما أدار جهاز التليفزيون بواسطة المفتاح المتنق... وطالعتنا صورة السلطان المعلقة خلف ظهر مذيع يقرأ نشرة الأخبارالأخيرة . يتحدث عن معرض للزهور فى مكان ما من أوروبا عرضت فيه واحدة ... تحمل اسمه . أراد فتحى أن يحول القناة فاستمهلته .

تحدث المذيع عن تاريخ الزهرة وكيف أن جمعية الزهور الهولندية هى استنبتتها بعد سنتين من الجهد والتجارب، وأنهاتتميز ببهاء لونها وزكاء را... وطول ساقها. وقد أطلقت اسم قابوس عليها تقديرا لإسهامه الشخصى فى ت... العلاقات الدولية . وتسلم السلطان المعظم الزهرة التى ستحمل اسمه الى الأبد احتفالات العيد العشرين للسلطنة.

انتقل المذيع إلى أخبار الرياضة، فأغلق فتحى الجهاز وهو يدندن ا... الالحان الأمريكية محركا جسمه البدين مع الايقاع فى رشاقة حسدته عليها:

– تعال أريك حجرتك.

حملت حقيبتى وتبعته إلى غرفة فى نهاية طرقة طويلة، تضم كنبة تكو...

الأغطية والوسائد فوقها، ومكتبا صغيرا يحمل كومبيوتر وجهاز ستريو ضخم . وفي الصدر، أسفل نافذة عريضة، استقر بيانو الى جوار مقعد بمسندين.

قال : للأسف ليست هناك خزانة للملابس .

قلت : لا يهم . سأترك كل شئ فى الحقيبة .

قال : تصبح على خير.

قلت : وانت من أهله .

وضعت حقيبة يدى فوق المكتب . واستخرجت من حقيبة السفر بيجامة وخفا و منشفة وأدوات التواليت . اكتشفت انى أضعت شالا من الصوف أحضرته معى تحرزا من تيارات الهواء وخوفا من تقلبات الجو. وتذكرت انى كنت أضعه حول رقبتى فى الطائرة . ولم أخلعه عندما توقفنا فى مطار الدوحة الكوزموبيليتانى لنستبدل الطائرة. وكنت أحمله فى يدى عندما دخلت صالة الترانزيت واستخدمت حمامها الفخم. لكنى لا أتذكره بعد ذلك. فهل نسيته فى الحمام؟

استعرضت شريط الرحلة من لحظة صعودى الى الطائرة فى مطار القاهرة. كررت ذلك عدة مرات. وفى كل مرة كان الشريط يتمهل عند حمام مطار الدوحة عندما وقفت أغسل يدى الى جوار شاب ممتلئ القامة ذى ملامح بدوية سمراء ورأس حليقة، فى قميص حريرى وبنطلون واسع على الموضة . كان منهمكا فى حلاقة ذقنه وقد تناثرت أمامه فوق حافة الحوض العريضة، فى فوضى تامة، مجموعة من أنابيب المعاجين والقنانى والرشاشات المختلفة الأحجام والألوان فبدا الحوض كمائدة زينة لإحدى الغوانى . وكان لا يفتأ ينحنى فوق حقيبة يد مفتوحة بجوار قدميه ليستخرج منها دهانا أو رشاشا معطرا أو مرطبا أو مزيلا للرائحة.

أدركت فجأة لماذا التصقت صورة الشاب فى ذاكرتى . فقد ذكرتنى حركاته الهوجاء بـ «يعرب» الذى كان فى نفس السن عندما تعرفت عليه منذ أكثر من ثلاثين عاما . وكان يشغل دائما مساحة كبيرة من حوله تتناثر فيها، لا المعاجين وأدوات الزينة، وإنما الكتب والسجائر والفواكه، بينما لايكف عن التلويح بيديه وهو يردد بانفعال : تصوروا !

استبدلت ملابسى وحملت حافظة أدوات التواليت الصغيرة الى الحمام فاغتسلت و دعكت أسنانى . ثم عدت الى الغرفة وارتميت فى المقعد المجاور

للبيانو وأنا أتثاءب . تناولت الصحف الخليجية التى جمعتها خلال الرحلة ولم أقرأ منها غير العناوين . قرأت افتتاحية تشكو من ان الكويت خرجت من كارثة الاحتلال العراقى إلى براثن حرب استنزاف أشق وأدهى ، تمتص دماءها قطرة قطرة. فهى تدفع مليارات الدولارات باسم الأمن والتنسيق والتسليح والتدريب. ونقلت الصحيفة عن الايكونومست البريطانية مساعى بريطانيا لأن تبيع للسعودية ٤٨ قاذفة مقاتلة من طراز تورنادو قيمتها حوالى ٧ ملياردولار وهى ثانى أكبر صفقة للأسلحة من نوعها. وبلغت قيمة الصفقة الأولى ١٥ مليار دولار أى ٣٣ ألف وظيفة للبريطانيين فى البلدين . أما الصفقة الجديدة فتتيح الحفاظ على وظائف ١٩ ألف بريطانى فى المصانع التى تخلصت من آلاف العمال فى بداية العام .

تثاءبت مرة أخرى فوضعت الصحيفة جانبا. وقمت الى النافذة ففتحت مصراعها الزجاجى. شعرت على الفور بسخونة الهواء فى الخارج . تأملت الشوارع الهادئة الخالية من كل حركة أو صوت فيما عدا طنين أجهزة التكييف. وكانت أضواء المصابيح تتلاشى بعد مسافة قريبة وتبدو خلفها كتلة من الظلام الكثيف . وعندما ألفت عيناى الظلام تبينت فيها سلسة من الجبال السامقة الموحشة.

* * ٢

بدت المدينة فى ضوء النهار مجموعة من الطرق السريعة والكبارى العلوية والمنازل الحديثة التى تشترك فى طراز موحد، تتخللها الخضرة وتحيط بها الجبال الجرداء .

قال فتحى وهو يقود السيارة فى اتجاه الميناء : هذا المشوار الذى نقطعه فى دقائق كان يستغرق نصف يوم فى الماضى. كانت الجبال تفصل بين مناطق العاصمة فصلا تاما . ثم شق قابوس هذا الطريق الذى ربط بينها.

ما ان اقتربنا من البحر حتى ضاقت الطرقات وظهرالبشر .اتجهنا يسارا على الكورنيش فتزايد الزحام الذى طغى عليه العنصر الهندى . أتتنا رائحة السمك قوية نفاذة، ومررنا من أمام مبنى صغير على البحر تجمع أمامه الناس.

– سآتى بك مرة إلى هنا لترى أنواع الاسماك العجيبة وتسمع الأهازيج

التي يرددها الباعة أثناء تنظيفها. ستجد بينهم من عاصر الاستعمار الانجليزي في أفريقيا وربما من شهد حملة جوردون باشا في السودان .

أومأ الى بوابة ضخمة بجوارسوبر ماركت على الناحية المقابلة تبدو من خلالها أزقة ضيقة مظلمة وقال : هذا حي اللواتية .

علق عندما رأى التعبير الذى ظهر على وجهي : لا تتسرع . هؤلاء من الشيعة الذين جاءوا من حيدر أباد في قديم الزمان .أغلقوا عليهم الحي زمنا طويلا ولم يكونوا يسمحون لأحد غيرهم بدخوله .

أراد أن يريني يخت السلطان الفاخر الرابض في الميناء ، لكن بصري تعلق بمشهد أكثر سحرا . ففيما يشبه الميدان الصغير، وقفت امرأة في جوبة داكنة طويلة تبلغ القدمين تعلوها بلوزة سماوية اللون بنصف كم تزين الأشرطة السوداء كتفيها . كانت تضع على رأسها، الملفوف بطرحة بيضاء ، قبعة صغيرة زرقاء ، وتحمل في خاصرتها مسدسا، بينما تنظم المرور بحركات رياضية من ساعديها.

دخلنا باحة مخصصة للانتظار، وانطلقنا سيرا على الأقدام فوق رصيف أعدت حوافه بدقة متناهية كما هو الأمرفي أرقى العواصم الاوروبية .

كنا في شبه خليج تشرف عليه قمم الجبال ، وأسفلها دائرة من المنازل الصغيرة ذات الطابع القديم رغم حداثة طلائها. لم يكن أغلبها يزيد عن طابقين تتألف واجهاتها البيضاء من عدة نوافذ طويلة متجاورة، زرقاء اللون ، يعلو كل منها قوس مزخرف تتجه فتحته إلى أسفل.

اجتزنا فرجة ضيقة بين منزلين فأصبحنا كأننا في سوق الحميدية بدمشق أوخان الخليلي في القاهرة .

قال: أنت طبعا لن تشترى قميصا بمائة جنيه أو مائتين ! لهذا لم آخذك إلى حوانيت بنيتون ولا كوست وجوفيال. هنا ستجد لك قميصا بريال أو ريالين .

ضاعفت الريال ثمانية مرات لاتبين الثمن بالجنيه المصري وهززت رأسي موافقا.

مضينا في حواري نظيفة مسقوفة على جانبيها دكاكين متلاصقة مرتفعة عن الأرض بدرجة أواثنتين. كانت لبعضها واجهات زجاجية بينما احتفظ البعض

الآخر بطابعه القديم فاتخذ أصحابه حشيات وثيرة فوق مصاطب ملتصقة بالجدران الى جوار السلع المرصوصة.

تصاعدت أرواح العطور والتوابل ونحن ننتقل من حارة الى أخرى متجنبين المنعطفات الدائمة التي يمكن أن تعود بنا الى نقطة البداية . مررنا بدكاكين للعصي والخيزران والخناجر وأواني القهوة ومشغولات الذهب والفضة ومجامر البخور والآنية الخزفية والنحاسية والملابس المستوردة والأجهزة الكهربائية والحلوى العمانية . ولاحظت انتشار حوانيت الحياكة الهندية.

قال فتحي ونحن نتأمل البدلات الرجالية الأوروبية المعروضة في واجهة إحداها :

— لا تظن أنها للبيع . إنها مجرد كتالوج . تختار منها النموذج الذى يعجبك بعد أن تشترى القماش . ويفصلها لك الهندى في أيام قليلة تفصيلا متقنا. أبدلت بضع دولارات بسعرالبنك من صراف يمارس عمله في الطريق أمام مائدة صغيرة واشتريت عدة قمصان صيفية بأكمام قصيرة ، بينما ولج ابن عمي حانوتا للمشغولات الفضية .

وقفت في الخارج أتأمل أصحاب الحوانيت الذين تكاد وجوههم تختفي وراء لحاهم بينما تبرق عيونهم دهاء . سهمت متخيلا حالهم في الماضي السحيق: الواحد منهم يقضي اليوم كله في ركنه المعهود بالدكان جالسا فوق وسادة مريحة، رافعا ساقه اليمنى ومستندا إليها بساعده ، متأملا الزبائن والمارة وجيرانه من أصحاب الدكاكين وباعتها ، مسجلا ملاحظاته في أرشيف رأسه لتسعفه عند الحاجة في منازلات المهنة وصراعاتها ، متوقفا ببصره عند إحدى المارات، مطلقا العنان لمخيلته كي يتصور جسمها تحت العباءة التي تسربلت بها، جاذبا أنفاس النرجيلة، محتسيا أكواب الشاي والقهوة التي يعدها أحد الصبية، مشتريا بعض الفواكه أوالأسماك أو ماشاء من أغراض يأتيه بها باعتها خصيصا، لا يغادرمكانه إلا للصلاة في المسجد القريب أولقضاء بعض الأمور، عائدا إلى منزله في نهاية اليوم والصبي يحمل له مشترياته، ينتظره عشاء ساخن وحريمه (من زوجات وجوار) وأولاده . صورة توحي بالاستقرار والطمأنينة أم هي لا تعدو أن تكون طمأنينة القلة من الشبعانين بينما يعشش حولهم الوسخ والذباب والكلاب الجوعى والمرض والفقر؟

اشترى فتحى إبريقا صغيرا من الفضة ، فى حجم الإصبع ، اشتغله صانعه بمهارة ودقة . وعدنا أدراجنا فأخذنا السيارة وانطلقنا فى الطريق الذي جئنا منه. وبدلا من أن ننحنى فى طريق قابوس المؤدى إلى المنزل ، واصلناالسير بحذاء الكورنيش ثم تركناه الى طريق شق بين الجبال . وسرعان ما صرنا وسط شوارع صغيرة ضيقة تطل عليها مبان حديثة. أشارإلى صف من البيوت القديمة ، المؤلفة من طابق واحد ، ويبدوكأنها بنيت من اللبن أو الحجارة وقال : هكذا كانوا يسكنون زمان .

ليس كلهم . ففيما يمكن اعتباره مركز المدينة القديمة كانت البيوت الباقية تنطق بالثراء والفخامة .

تركنا السيارة ومضينا على أقدامنا ونحن نتأمل البيوت التى بدت أشبه بالقلاع : واجهات لا تكشف عن شيء فليست بها شرفات وإنما نوافذ ضيقة طويلة، يشرف عليها القوس العربى التقليدى، تعلوه كوات دائرية صغيرة مثل فتحات المدافع . أما الباب الخارجى فثقيل يعلوه بروزمزخرف على شكل قوس متدرج وتغطى سطحه الخشبى نقوش دقيقة بعضها يوحى بالطابع الهندى تتخلله كتل حديدية مدببة الرؤوس .

قال وهو يشير إلى عمودين من الحجر يعترضان الشارع :

– هذا الحى الصغير كان يمثل العاصمة قبل عشرين عاما فقط ويغلق من هنا عند الغروب فتنقطع صلته بالعالم حتى الصباح التالى . ولا تفتح البوابة لأى سبب من الأسباب. وكثيرا ما مات المرضى القادمون من أقصى الشمال لزيارة المستشفى الوحيد بالمنطقة لأنهم وصلوا بعد الغروب .

تذكرت يعرب وقصصه التى كانت تبدأ دائما بهذه الكلمة : تصوروا ! تصوروا أن ارتداء النظارات الطبية ممنوع عندنا ! والتدخين أيضا ! تصوروا أن من يدخل مسقط عليه أن يخلع حذاءه ويتركه عند البوابة . تصوروا أنه فى الوقت الذى يتعلم فيه أبناء الشعوب الأخرى فى المدارس يعمل أبناؤنا فى الخليج خدما فى المنازل!

عقبت على النظافة الشديدة حولنا : حتى الآن لم أر ورقة صغيرة أوكوم زبالة كما هو الحال لدينا.

قال : لاحظ أولا أن عدد السكان ليس كبيرا . عُمان بمساحتها التى تبلغ ٣٠٠ ألف كيلومتر لا يتجاوز عدد سكانها المليونين . أى أقل من نصف حى من أحياء القاهرة . ثانيا الهنود هم الذين يتولون النظافة .

– ماذا تعنى ؟

ضحك ساخرا ونحن نقترب من مبنى حديث من طابقين :

– إياك أن تكون ظننت أن العمانى ينظف بنفسه . الهنود متوفرون على قفا من يشيل وهم الذين يقومون بكل الأعمال الوضيعة.

لمحت هنديا فى أوفرول أصفر يجرعربة صغيرة لجمع القمامة فتساءلت :

– ولماذا لا يجلبون عمالا من العرب ؟ العاطلون عندنا بالكوم.

– الهنود ينامون فى العراء ، واذا فصل الهندى لا يشكو وانما يبحث فى هدوء عن عمل آخر . أما العربى فانه يحب الشكوى ويثير المشاكل .

– أى نوع من المشاكل ؟

– كأن يطالب مثلا بحقوقه !

ولجنا فيلا صغيرة. وتقدمنى وهو يدندن إحدى التواشيح الدينية. التقينا شابا فى الملابس التقليدية يرتدى نظارة طبية ويغطى رأسه بالعمة التى يدعونها بـ«المصرة» ، فحيانا فى تحفظ . قدمه فتحى لى على أنه من أبناء أول دفعة من خريجى الجامعة التى تأسست منذ ست سنوات .

قلت : الظاهر أن الزى موحد.

قال : الخنجر هو الذى يميز الناس .فالجميع يرتدون الجلباب والعمامة أو الطاقية ويضيف أصحاب المناصب الهامة الخنجر. وبالمناسبة هناك قرارمن قابوس يحظر على الموظفين خلع العمامة أثناء ساعات العمل . والظاهرأنه فعل ذلك لإنقاذ فئة واسعة من التجار والحرفيين الذين يعيشون على صنع الطاقية أوالكمة.

قلت: قرار ديموقراطى . فلا يمكن بذلك التمييز بين الغنى والفقير .

قال : الخبير يتبين على الفورمكانة الشخص من ملابسه. نوع القماش مثلا. فالعمامة تصنع من الأقطان الرخيصة أوالصوف أوالحريرالثمين وقد يصل ثمن الواحدة إلى عدة الاف من الجنيهات ثم هناك العباءة التى لا يرتديها غيركبار

الشخصيات وهي تصنع من أرقى أنواع وبر الجمال فينسج حتى يصير شفافا ثم تطرز حوافه بخيوط الفضة أوالذهب .

أطل على غرفة ضمت رفوفا من الأشرطة الموسيقية والتليفزيونية ووجه التحية الى شاب بالملابس التقليدية أمام جهازكمبيوتر. وفي الغرفة المجاورة انهمك شاب آخر في الكتابة وقد وضع فوق أذنيه سماعات كبيرة متصلة بجهازتسجيل ضخم . نزع السماعات وانضم الينا مع زميل له يرتدى نظارة طبية ذات عدستين داكنتين. وقفا يتطلعان اليّ في فضول فقال فتحي وهويشيرإلى صورة السلطان المعلقة: نحن الآن أربعة. وقعتنا سوداء .

أوضح لى ونحن نصعد الدرج الى الطابق الثانى أن هناك قانونا من أيام الثورة الشيوعية في الجنوب يحرم أى تجمع يزيد عن ثلاثة أشخاص .

– ألم تنته هذه الثورة من زمان ؟

– لكن القانون بقى .

لمحت عُمانيا بلحية سوداء كثة تكاد تغطي وجهه فقلت : يبدو أن عندكم نصيبكم من الأخوة .

قال : لكنهم قلة.

ولجنا غرفة امتلأت بالالات الموسيقية . فبالإضافة إلى بيانو عادى، كان ثمة عدة طبول مختلفة الاحجام ، بعضها من خشب والبعض الآخرمن صفيح أو بلاستيك، بالإضافة إلى أبواق من قرون الحيوانات والأصداف البحرية الضخمة وآلات أخرى صغيرة من نحاس وفضة أوصفيح مثل الصنوج .

جلست في مقعد بجوار المكتب . ومضى هو يجمع عددا من شرائط الفيديو من خزانة تكدست الأشرطة فوق رفوفها .

أحضر لى شاب هندى طبقا من مادة بيضاء أشبه بالمهلبية وملعقة صغيرة . ولحظت أن شفتيه مصبوغتان باللون الأحمر .

علق فتحى على تعجبى فقال :

– إنه لبان أحمر يمضغه الهنود طول الوقت فيلون شفاههم وأسنانهم وهم يبصقون لعابهم الملون في أى مكان .

انصرف الهندى ثم عاد بفناجين القهوة . استفسر منه فتحي عن المدير واذا كان موجودا فبدرت منه حركة غريبة لم أدرك مغزاها على الفور . فقد هبط برأسه قليلا إلى أسفل ثم حركها إلى اليسار ثم أعلى .كانت حركة تعطى معنى الإيجاب ثم لا تلبث أن تشفعه بالنفى .

ضحكت وقلت : هل لحظت هذه الحركة ؟

قال : معناها أن المدير لم يحضر بعد .

– عندنا في مصر شئ مماثل . عندما يجيب أحد على سؤال لك بكلمة تقريبا.

تناولت جانبا من الحلوى بالملعقة فتبينت طعم الهيل والسمن . جذبت صحيفة محلية من فوق مكتبه . كان إطار الصحيفة يحمل اسم وزير الإعلام بصفته رئيسا لها. وتصدرتها صورة ملونة للسلطان وهو يستعرض القوات العمانية التى اشتركت في تحرير الكويت : مدرعات السلطان وكتيبة مظلات السلطان وسلاح الجو السلطاني. وظهر الى جواره يوسف بن علوى وزير الخارجية .ثم صورة أخرى للسلطان وهو يستقبل وفود القبائل . وأسفلها أُفردت الصفحة الأولى مكانا بارزا لأنباء العنف الطائفى في الهند . وبجواره نبأ الفلسطينيين الذين صادرت السلطات الاسرائيلية بيوتهم وأراضيهم ثم طردتهم الى الحدود اللبنانية ولم تسمح لهم السلطات اللبنانية بالدخول فأقاموا في مخيمات على الحدود .

كانت أغلب الصفحات ملونة وتزدحم بإعلانات عن السيارات وعن عطور أرماني وباكو رابان وفهرنهيت للرجال . و لفت نظرى عدة إعلانات بصيغة واحدة: توفر الشغالات الفلبينيات بسعر ٢٥٠ ريالا والسيرلانكيات بسعر١٢٥ ريالا.

هممت بوضع الصحيفة جانبا عندما لمحت بصفحتها الأخيرة إعلانا عن عرض مسرحى في الجامعة باسم «باغى اتزوج». وأبرز الإعلان أن جل ممثلى المسرحية من الرجال وأنها ستقدم في عرضين يقتصر الأول على الطلبة ويخصص الثاني للطالبات .

ظهرفى فرجة الباب شاب نحيف ذو عينين دامعتين . حياني فدعاه فتحي للدخول . احتل المقعد الذى يواجهنى ونظر إلى باسما.

خاطبني فتحى وهو يكوم الأشرطة على مكتبه :

– قابوس مهووس بالموسيقى الكلاسيكية. كون فرقة للأوركستر السيمفوني من الشباب العماني ليعزفوا له السيمفونيات التي يعشقها. وبعد أن انتهينا تقريبا في هذا المركز من جمع آلاف الشرائط الصوتية والتليفزيونية للأغاني والرقصات الشعبية، طلب أن نضع له سيمفونية.

تساءلت وأنا أرتشف القهوة المرة : له؟

ضحك : هل تظن ان أحدا غيره هنا يعبأ بهذا النوع من الموسيقى ؟

– وهل أنجزت السيمفونية؟

تجهم وجهه: ليس بعد . تظن المسألة سهلة ؟

هززت كتفي : لا أعرف .

– الموسيقى العربية موسيقى لحنية تعتمد على الصوت الواحد الذي يؤديه المطرب بمصاحبة الآلات. أما الموسيقى السيمفونية فتقوم على تضارب النغمات وتنافرها . كيف نحقق هذا بالألحان والإيقاعات التقليدية ؟ هذه كانت الصعوبة، خصوصا في بلد كهذه غنية بالتراث الموسيقي من رقصات وأغان . لحسن الحظ أن قابوس فكر في جمع وتسجيل هذا التراث قبل أن يندثرأمام زحف الفيديو والتليفزيون . وهي عملية ليست سهلة بسبب اختلاف لهجات القبائل. إنها الشئ الوحيد الذي أخذه من الدول الشيوعية .

نهض الشاب ذو العينين الدامعتين فجأة واقفا واستأذن منصرفا وهو يبتسم ابتسامة ملتوية. تطلعت الي فتحي وأشرت بيدي متسائلا.

قال باقتضاب : سأشرح لك فيما بعد .

حمل الأشرطة التي انتقاها إلى سطح المكتب و جلس خلفه.

سألته : هل وجدت الألحان المناسبة ؟

قال وهو يعبث بالأشرطة :

– مازلت أبحث . أنا أريد ألحانا جميلة وبسيطة وفي نفس الوقت قادرة على توليد ألحان أخرى يمكن تطويعها للتأليف الموسيقي. سأعطيك مثلا .آلات النقر مثل الطبل والدف أساسية في الموسيقى الشعبية العمانية ولهذا تجدأنواعا وأحجاما مختلفة من الطبول . لابد إذن أن أعطيها فرصة تسيد الآلات الأخرى في الأوركستر. ومن ناحية أخرى الإسراف فيها قد يحجب شاعرية بعض الجمل اللحنية الجميلة .

نهض واقفا وحمل الأشرطة تحت ساعده .

قال : سنقوم بعملية تسجيل قريبا في قرية بالداخل . تأتي معنا؟

قلت : طبعا . فليس لدى ما أعمله.غادرنا المبنى فصرنا فورا أسفل الشمس الحارقة . قال ونحن نركب السيارة :

– زكريا الذي دخل علينا يريد الزواج من هية. رآها عندما كانت هنا في الصيف. لم يعجبها بالطبع .

قلت : بسبب عينيه الدامعتين ؟

– لأ . بسبب أفكاره العتيقة . وهو يظن أني قادر على إرغامها فلا يكف عن ملاحقتي .

ضحكت . فلم يخلق بعد من يستطيع إرغام هية –ابنته– على شيء.

تردد لحظة ثم أضاف:

– أنا لا أستريح له . فهو يجاهر بعدائه لكل مظاهر التحديث التي حققها قابوس. وهذا يجعلنا نخاف منه. فربما يفعل هذاعن قصد .

– تقصد أنه ...

أومأ برأسه ونحن ننطلق في الطريق المؤدى الى الميناء. انحرفنا في شارع قابوس حتى دوار الفلج واتجهنا يسارا وسط المنازل الحديثة لحي روى .

سألني : ألم تلحظ شيئا على هذه المنازل ؟

أدرت البصر بينها دون أن أتبين ما يقصده .

قال : هناك محافظة على الطابع العربي التقليدي من ناحية المبدأ مع مراعاة الخطوط الحديثة . والمزيج لا يحدث التنافر ولا يثيرالغربة . درس للشعوب العربية في حل مشكلة الأصالة والمعاصرة . هو نفس ما أحاول عمله في الموسيقى . لحسن الحظ أن قابوس يدرك هذه المسألة جيدا . مرة أقام أحد الناس عمارة عالية من ذلك النوع الذي تراه في أبوظبي أو الكويت أوحتى مصر: الزجاج الفيميه والألوميتال . وعندما شاهدها أمر بهدمها وبألا يبني أحد منزلا إلا في إطار القواعد التي حددتها البلدية . والنتيجة ذلك التناسق الذي يريح العين ولا يصدم الوجدان ... نفس ما كان أصحابك يدعون إليه.

٣ * *

استقبلتنا روائح المطبخ . ومدت شفيقة يدها إلي بالطريقة المتحفظة التي انتشرت بين نساء الطبقات المتوسطة في مصر ، إذ تضع الواحدة منهن في يدك أطراف أصابعها مضمومة متخشبة وعلى أهبة سحبها في الحال كأنما تخشى أن تقبض على كفها وتقودها منه إلى الفراش.

قبضت على يدها براحتي وضغطت عليها محتفظا بها رغم محاولتها الفكاك . وبابتسامة متكلفة فاهت بالكلمات التي توقعتها منها بالضبط :

- حمد الله على السلامة . تذكرتنا أخيرا .

قلت بنفس لهجتها المفعمة باللوم : أنتم بخلتم طويلا ببطاقة الطائرة.

كانت بدينة مثل زوجها ، وأصغرمنه بعدة أعوام . وكان وجهها يخلو من كل أثر للزينة ونحيط به لفاعة بيضاء غطت رأسها، تطل منه عينان كعيون الصقور.

هناك في العلاقات العائلية عداوات غيرمفهومة السبب أو ربما بلا أسباب كافية. وعلاقتي بشفيقة من هذا النوع. فطالما أجهدت نفسي في محاولة تبين السبب بلا جدوى. ظننت فترة انه احساس بالتفوق مبعثه بشرتها البيضاء في حين أننا ننتمي الى الجنس الأسمر. ثم أرجعت الأمر الى إحساس بالنقص لأنها فشلت في إنجاب الولد بينما لدي منه اثنان. وأخيرا اعتبرت عداوتنا من حقائق الوجود التي يستحيل تفسيرها.

كانت قد أعدت مائدة عامرة بالمأكولات المصرية التقليدية : البامية المسقعة ومحشي ورق العنب وكباب الحلة .

قلت لها مشاكسا : كنت أتوقع أكلة عمانية .

قالت : ليس عندهم غير البرياني بالدجاج أو السمك أو اللحم .

كنت أشعر بالعطش فتطلعت الى إبريق من المياه المثلجة ثم تجاوزته ببصري .

سألتني :

- عاوز حاجة ؟ أجيب لك عصير ؟

نظرت إلى فتحي فابتسم بخبث وظل صامتا.

قلت أخيرا : لا أظن عندكم ...

سارعت ترد بحسم : لا . مطلقا.

تبرع ابن عمي بإضافة : بعدين نحل المشكلة .

قالت بنفس الحسم : لا بعدين ولا قبلين .

أردت المهادنة فأطريت طعامها قائلا إنها صارت تجيد الأكلات الصعبة .

قالت في تواضع مصطنع : أعمل ايه ؟ ليس هنا من تسلية غير الطهي والأكل.

سألتها : كيف ؟ ألا توجد سينما مثلا ؟

- توجد عدة دور لا تعرض غير الأفلام الهندية.

تذكرت أنني أطريت طهيها فأرادت أن تتخلص من الدين في الحال. قالت:

- كيف حال الكتابة ؟

قلت مغلقا باب الحديث في هذا الموضوع : متفكرنيش . أنا هنا في عطلة. انت عاملة ايه في الإذاعة؟

- ماشي الحال .

انهمكت في الأكل وأنا أرد على أسئلتها عن الأحوال في مصر وأعيد عليها ما تعرفه جيدا من أخبارابنتها التي تدرس في الولايات المتحدة . وتجنبت الإشارة إلى الموضوع الذي يهمها إلى أن اضطرت أن تسألني مباشرة:

ـ أليس هناك جديد بالنسبة للشركات ؟

غالبت الابتسام . كانت قد وقعت في براثن شركة لتوظيف الأموال أسسها أحد القادة السابقين لجماعة الإخوان المسلمين، وأودعت لديه كل مدخراتها. ثم وقع ما وقع وطارت المدخرات.

قلت : لا جديد سوى أنه زوج ابنته في ليلة من ليالي ألف ليلة بالهيلتون.

تنهدت ثم غيرت الموضوع : وما قصة استقالة رئيس الوزراء أم هو أقيل ؟

قلت: الإشاعات كثيرة . إحدى الروايات تقول أن الأمر مدبر لابعاده لأنه تحدث في أحد مجالسه عن اقتسامه عمولات السلاح مع شخصية هامة . وتقول رواية أخرى إن له صلة وثيقة بكبارضباط الشرطة الذين افتضحت علاقتهم بتجارة المخدرات.

تركز الحديث على رئيس الوزراء والنكت الرائجة عنه . ورويت لهما نكتة الميزانية التى تبدأ بكيفية توزيعها فى السعودية وسوريا ثم يأتى دور رئيس الوزراء المصرى فيقف فى ميدان التحرير ويقذف بها الى أعلى فما يقع منها على الأرض يأخذه لنفسه والباقى يذهب الى الشعب. ثم رويت لهما حادثة واقعية سمعتها من بطلها وهو مترجم فورى فى الأمم المتحدة . فقد التقى به رئيس الوزراء فى نيويورك وسأله عما إذا كان مستريحا فقال الشاب أنه يشتاق للعودة إلى مصر فصاح فيه رئيس الوزراء : إوعى ! . انت تجوع لو رجعت. ده أنا أتمنى ألاقى عقد هنا.

عبس وجه شفيقة فظننت أن مشاعرها الوطنية جُرحت لكنها وضعت يدها على رأسها متألمة.

قال فتحى : الصداع لا يفارقها أبدا .

تأملتها فى صمت وقارنت بين ملابس الحجاب التى تتلفع بها وبين صورتها منذ سنوات قليلة أوفى بداية السبعينيات عندما كانت هى وغيرها يزهون بالجوبة القصيرة التى تكشف عن الركبتين دون أن يثير ذلك امتعاض أحد . ولم تلبث عدوى الصداع ان انتقلت إلى أنا الآخر.

ساعدتها فى إخلاء المائدة وفى وضع الآنية فى غسالة الأطباق . سألتها عما إذا كانت تستعين بشغالة فأبدت استهجانها :

– أدفع نصف راتبى لواحدة فيليبينية أوهندية ؟ أبدا. ثم أننا اثنان فقط . أنا كما تعرف لا أحب إشراك يد غريبة .

أضافت وهى تضع إبريق المياه على النار :

– لا تتصور الثراء هنا . الأسرة قد يكون لديها خادمة لكل واحد من ثمانية أطفال . الفليبينيات بالذات يتفانين فى الخدمة. واحدة أمريكية أعرفها تصر خادمتها على أن تخلع لها حذاءها. الجوع كافر.

شربنا الشاى أمام التليفزيون .ورأتنى مهتما بمتابعة إحدى الأغانى الغربية المصورة التى تتمايل فيها فتيات على إيقاع جيتار فسألتنى :

– ألم تفكر فى الزواج بعد ؟

قلت : مرة واحدة تكفى .

قالت : لكن حياتك هكذا غير مريحة .

– وهل اشتكيت لك ؟

اكتشفت أن الفتيات المتمايلات روسيات وعلقت شفيقة على الفور :

– إنهن يملأن الأسواق والأرصفة فى دبى ويتاجرن فى أى شئ حتى أجسامهن.

تدخل فتحى : الروس يشترون أى شئ . وخصوصا الأجهزة الكهربائية ليبيعوها بعد عودتهم .

قالت فى شماتة : بلدهم فى مجاعة ..هذه هى نتيجة الشيوعية.

تظاهرت بأنى لم أسمع . وخف فتحى إلى نجدتى قائلا:

– ألا تريد أن تتمشى قليلا ؟ هيا بنا أفرجك على البلد .

رافقتنا زوجته حتى الباب وظلت واقفة الى أن دخلنا المصعد واستدرنا ناحيتها فهتفت :

– لا إله إلا الله.

سارع فتحى بالرد قبل أن ينغلق الباب تماما :

– محمد رسول الله .

نظرت اليه مدهوشا فلم يكن هذا الإشهار من عادة أسرتنا.

قال : الغربة لها أفعالها .

تأملته بإمعان : وأنت ؟

شرع فى الدندنة مترنما بأغنية فايزة أحمد : انا زى ما أنا ..

قلت : الظاهر انك مبسوط هنا.

تجاهل أن يجيب بالإيجاب أو النفى أو حتى بتقريبا . قال ونحن نخطو الى الطريق :

– الحياة هنا لا تطاق ابتداء من مايو حتى منتصف سبتمبر . وقتها تصبح الرطوبة خانقة .

أخذنا السيارة ووضعنا الأحزمة وقادها فى الطريق الى الكورنيش .

– المصرية هنا تعانى الأمرين . فهى بسبب تعليمها وتحررها موضع إعجاب الرجال وغيرة وحسد النساء . لهذا لا بد أن تبالغ فى إظهار تدينها . شفيقة تتعرض

لمكائد يومية من جانب زملائها العُمانيين . تكفي كلمة واحدة من رئيسها كي تجد نفسها في القاهرة .

- هكذا ببساطة ؟

- لي صديق مصري يعمل في أحد البنوك . شاء سوء حظه أن يكتشف خطأ لرئيسه فأبلغه لمدير البنك دون أن يعلم بصلة القرابة التي تربط الاثنين . وفي اليوم التالي أبلغوه أن مقعده محجوز على طائرة الغد . هكذا دون إنذار .. كانت له بالطبع شقة وعفش ومعاملات ومصالح وقمنا نحن بانجازها له بعد ذلك بصعوبة شديدة .

وجه السيارة الى ساحة انتظار ملاصقة لفندق يطل على الميناء . وتناهى الى سمعي صوت عواء مألوف .التفت خلفي لأرى مرسيدس سوداء تقترب منا ويحيط بها موتوسيكلان. تمهل الموكب عندما مر أمامنا فتطلعت الى ركاب السيارة متوقعا أن أجد الستائر مسدلة على نوافذها كما هي عادة هذه المواكب في مصر. لكن هذا الراكب كان حريصا على الشفافية. اتجهت عيناى الى المقعد الخلفي فلمحت شخصا كأنما خرج من ألف ليلة وليلة . كانت رقبة دشداشته موشاة بالقصب وفوق رأسه لفافة بيضاء معقدة التكوين وحول وسطه حزام عريض يتدلى منه خنجر ذو مقبض فضي في غمد موشى بالزخارف.

انطلقنا على أقدامنا فوق الكورنيش وسط مارة من الأسيويين في القمصان والبنطلونات يسهل التعرف على الهنود بينهم من رائحتهم النفاذة المميزة. مرت بنا شاحنات محملة بالأسمنت تبعتها سيارة لاندروفر وبيك أب تويوتا ثم باص مكدس بركاب أسيويين . سألته عن المصريين فقال ان هناك كثيرا منهم : أطباء ومدرسون ومهندسون.وأنه على علاقة طيبة بعدد منهم .

أضاف : كثيرا ما أستقل السيارة مع احدهم وننطلق إلى المطار ثم نعود أو نذهب إلى منطقة جديدة اسمها القرم لنجلس في كافيتريا أو في محل واحد سوري على الشاطئ .

- والنساء ؟
- زي ما انت شايف .
- هو أنا شفت حاجة ؟

- خذها قاعدة . الحلاق الفلبيني هنا قواد ويستخدم فيلبينيات ممن يعملن في الحوانيت أو من العاطلات . الواحدة تتقاضى بين عشرين وخمسين ريالا .

كان الظلام قد حل فقفلنا عائدين . أخذنا السيارة وعدنا الي رُوى حيث تركها بالقرب من منزله قائلا إن الشرطة حازمة مع السائق الذى تفوح منه رائحة الخمر.

استوقف سيارة أجرة يغلب عليها اللون البرتقالي فذكرتني بالاسكندرية. كان السائق عمانيا ولم يفه بكلمة الى أن أنزلنا أمام فندق الفلج . وأعطاه فتحي ورقتين ماليتين بقيمة مائتي بيسة.

تقدمني إلى بارفسيح تألف من أركان وزوايا متجاورة على مستويات متعددة وتقوم بالخدمة فيه فتيات فيليبينيات عاديات الملامح . أحضرت لنا إحداهن كوبين من البيرة وطبقا صغيرا من الزيتون الأخضر. ولمست أن أغلب الجالسين من العمانيين، فيما عدا اثنين من الأوروبيين بادلهما فتحي التحية.

قال وهو يرتشف بيرته : الجالس ناحية اليمين من الـ «بي دى أو» . شركة النفط . والثاني هو المستشار الأنجليزى لوزارة البيئة وهو يجيد الحديث بالعربية وباللهجات المحلية أيضا .

كان الشاربون يرتشفون كؤوسهم في هدوء وعيونهم تسقط بين الحين والآخرعلى ظهور الفتيات الفليبينيات وسيقانهن ثم تنداح بعيدا . بينما الفتيات يتحركن في توتر مكتوم . وخالجني شعور بأنه هدوء مضلل وان هناك انفعالات صاخبة يموج بها المكان دون أن تظهرعلى السطح .

سألته : هل تعرف أحدا من أعضاء الجبهة ؟

تغيرت ملامحه وبدت عليه الصرامة : اسمع . كل ما له علاقة بالسياسة له حساسية شديدة هنا. السلطان وأعوانه يحتكرون العمل السياسي والتفكير والتجارة والنفط وكل شيء. والمخابرات قوية وبها خبراء انجليز وامريكان .

قلت : أنا سألتك سؤالا بسيطا.

مضى يرتشف بيرته ثم أضاف بصوت فقد حدته وبلهجة من يسوس طفلا عنيدا :

- لم تعد هناك جبهة أو يحزنون .الاشتراكية ليست غير حلم لأن المال هو كل شئ فى الحياة . المال والبنون زينة الحياة الدنيا.

قلت : موافق معك . ولهذا السبب بالتحديد يتعين توزيعهما بالعدل كى يتمتع الجميع بزينة الحياة.

أنقذنا من نقاش مرير ومألوف شاب فى دشداشة بيضاء حريرية تخلو من الشرشابة العمانية ، يغطى رأسه بالغترة السعودية، اقترب منا وخاطبنا قائلا:

- الأخوان من مصر ؟

أومأنا بالإيجاب . قدم نفسه على أساس أنه صحفى من الرياض فدعاه فتحى للجلوس معنا .

سألته : تقيم فى عُمان ؟

قال : لا . جئت منذ أسبوع لتغطية الاكتشافات الأثرية الأخيرة .

شرح لى فتحى أن البعثات الأجنبية اكتشفت مائة هيكل عظمى بشرى على بعد كيلومترين من الفندق يعود زمنها إلى أربعة الاف سنة قبل الميلاد .

أضاف السعودى : وجدوا أيضا فى ولاية هيما شجرة صنوبر متحجرة من ست وعشرين مليون سنة .

طلب كأسا من الويسكي واستطرد : أنا الآن مهتم بالسياسة الخارجية للسلطنة .

تساءلت: وما علاقة السياسة الخارجية بالاكتشافات الأثرية ؟

قال : لى أصدقاء كثيرون هنا واقترح على رئيس التحرير هذا الموضوع . المطلوب معرفة رأى الناس .

تدخل فتحى : وما هو رأيهم ؟

قال : لم أتبينه بعد . إنهم فريقان : واحد لا ينبس بشئ والثانى يؤيد سياسة السلطان على طول الخط .

ضحكت : مثلما هو الأمر عندكم .

شاركنى الضحك : بالضبط .

قلت : هل تنوى البقاء طويلا ؟

قال : أنا فى الانتظار . طلبت مقابلة وزير الإعلام ووزير الخارجية . لم يرد على أحد حتى الآن . العلاقات متوترة قليلا .

تساءلت : بين السعودية وعمان ؟

قال : السلطنة تحاول انتهاج خط سياسى محايد بين كل الأطراف .

قال فتحى: وجهة نظرهم أن لكل بلد عربى الحق فى اتخاذ السياسة التى يراها وبالتالى فهم لا يتدخلون فى اختيارات الآخرين كما يفضلون عدم التورط فى المغامرات والتشنجات .

قال السعودى : أو قل إنها سياسة اللعب على الحبال . فى حرب الخليج رفضوا اتخاذ سياسة متشنجة ضد العراق ، واكتفوا بإرسال قوات رمزية إلى حفر الباطن.

قاطعته : رمزية ؟ القاذفات الأمريكية كانت تقوم من قواعدها هنا.

قال فتحى : هذه سياسة تاريخية فى عمان . من أيام الخلاف بين سيدنا على ومعاوية . فهم يدينون بالمذهب الأباضى . وهو مذهب المعتدلين الذين رفضوا الانضمام إلى أى جانب.

قلت : ربما هو الموقع الجغرافى .. ايران من ناحية وأنتم واليمن فى الناحية الأخرى . ثم مضيق هرمز الذى يتحكم فى مرور النفط .

وجه حديثه الى : هل رأيت الخرائط العمانية ؟ لن تجد أى إشارة للحدود مع الامارات .

هز فتحى كتفيه وقال : كل هذه الإمارات كانت جزءا من عُمان.

قال السعودى : المشكلة أن أحدا لا يعرف ماذا يريد قابوس بالضبط .

قال فتحى : ربما لا أكثر من أن يترك فى سلام لإنجاز مشروعات التحديث.

رفعت عينى الى صورة السلطان المعلقة فوق البار. والى عينيه السوداوين اللامعتين ولحيته المشذبة البيضاء . فى هذه المرة كان يضع على رأسه غطاء أزرق اللون.

جاءتنا النادلة الفليبينية تسأل إذا كنا نريد شيئا آخر لأن موعد الإغلاق يقترب. طلبنا كوبين من البيرة وطلب السعودى كأسا مزدوجة من الويسكى.

* * ٤

قررت في الصباح استكشاف المنطقة المحيطة بالمنزل على قدمي. فغادرت المبنى ومشيت حتى الطريق الرئيسي الذى يمتد حتى مطرح . مررت فى الاتجاه العكسى المؤدى الى الشيراتون . وبلغت الناصية التى تحتلها وزارة الدفاع فدرت الى اليسار وقطعت شارع سعيد بن سلطان حتى ناصية الشارع المؤدى الى المنزل.

مررت من أمام مطعم هندى رخيص وآخر لبنانى يبيع ساندوتش الفلافل بمائتى بيسة. أشرفت على سوبرماركت كبيرفاتجهت الى مدخله . كدت أصطدم بفتاتين حدست من لهجة حديثهما أنهما عمانيتان. وكانت إحداهما سوداء البشرة، سافرة الوجه عارية الرأس وترتدى بلوزة وبنطلون من الجينز.

وجدت السوق السوبر عامرة بالسلع المستوردة من كافة الأنحاء. اشتريت علبة من الفول المدمس وأخرى من الجبن الأبيض الذى صنع فى هولندة على الطريقة المصرية وبضع معلبات أخرى. ثم عدت من حيث جئت.

التقيت بالبواب الباكستانى فى مدخل المنزل .سألته عن ابن عمى وزوجته فعرفت ان أحدا منهما لم يعد بعد . ووقفت أثرثر معه بلغة هى خليط من العربية والأوردية وإيماءات الأيدى .

كان فتحى قد ذكر لى أن هناك حوانيت خاصة في منطقة القرم تبيع الخمورللأجانب المزودين بتصاريح وهم فى العادة من الأوروبيين أو الهنود والفليبيين ذوى الأجور المعقولة مثل سائقى البلدوزرات . وأن هؤلاء كثيرا ما يبيعونها بعد ذلك فى السوق السوداء لمن يرغب من العمانين ويكسبون جيدا من وراء ذلك . فزجاجة الجن مثلا يشترونها بثلاثة ريالات ثم يبيعونها بخمسة .

كان عم جوهر ضخم الجثة بلحية كثة وملامح طيبة . وسرعان ما كنت أشاركه دكته الخشبية وأقود الحديث فى الاتجاه الذى أسعى وراءه . علمت منه أن الشقة المغلقة المجاورة لشقة ابن عمى مؤجرة لعمانى يعيش فى المنطقة الداخلية ويتردد عليها بين الحين والآخر. وبعبارة أخرى كما نقول فى مصر: يستخدمها لمزاجه .

لم يكن من الصعب وقد وصل حديثنا إلى المزاج أن أطلب منه حلا

لمشكلتى . وأبدى الرجل تفهما وتعاطفا فوعد بأن يأتينى بعلب البيرة. كان ثمنها لا يزيد عن سبعمائة بيسة لكنى قبلت عن طيب خاطرأن أدفع فى الواحدة ريالا كاملا مقابل خدمة إضافية : أن يضعها فى براده ويزودنى بها عندما أطلب ويخفى الأمر عن زوجة ابن عمى .

تركته سعيدا بدهائى وصعدت إلى المسكن . فتحت الباب وذهبت إلى المطبخ فوضعت مشترياتى في مكان ظاهر لتكتشفها شفيقة بسهولة عند عودتها من المدرسة وتطمئن على أن وجودى لن يؤثر فى عدد الريالات التى تجمعها واحدا فوق الآخر فى حرص شديد .

لم أكد أعود إلى الصالة وأهم بتشغيل التليفزيون حتى دق جرس الباب ففتحت لأجد جوهر أمامى . ظننت للوهلة الأولى انه أحضر لى طلبى لكنه مد يده إلى بمظروف سميك يحمل اسمى قائلا أن شخصا أحضره فى التو.

تناولت المظروف ومزقت طرفه بعد أن أغلقت الباب خلفه .استخرجت كراسة محفوظة بين دفتى غلاف سميك من الورق المصقول الملون . جذبت الغلاف فاستجاب لى وانفصل عن الكراسة.بسطت جانبيه فطالعني طبق محاط بالشوكة والسكين والملعقة وكأس نبيذ يعلوه رمز الموسيقى و بيانو مائل.

عدت الى الصالة فوضعت الورقة جانبا ثم بسطت الكراسة. وجدتها مجلة صغيرة الحجم، متواضعة الإخراج، طبعتها السّرية بطابعها ، يحمل غلافها السميك اسم «صوت الثورة» وتاريخ يونيو ١٩٩٢ . قلبت صفحاتها ثم عدت إلى الصفحة الأولى التى حملت عنوانا غريبا يعلن أن المجلة قررت التوقف عن الصدور نهائيا، بعد «مسيرة نضالية» عمرها عشرون سنة ، كى تفسح المجال لصوت آخر غيرها يعبر عن «المرحلة الجديدة» من النضال. كان قسم كبيرمن المجلة مخصصا لما أسمته «المؤتمر الرابع للجبهة الشعبية لتحرير «عمان» الذى عقد فى أوائل شهر يونيو أى منذ ما يربو على نصف العام، فى أعقاب ما أسمته بـ «الصعوبات والخلافات التى شهدتها السنوات الأربع الأخيرة» ، وافتتحه الأمين العام الرفيق عبد العزيز القاضى . وقالت إنه انتهي بإقراربرنامج سياسى جديد وانتحال اسم جديد هو «الجبهة الشعبية الديموقراطية العمانية» .

استعرضت المجلة أعمال المؤتمر وقراراته مستهلة بتحليل عوامل

الخلافات التي شهدتها «الجبهة» وهي : الإخفاقات العسكرية، انهيار المعسكر الاشتراكي، سياسة التحديث الواسعة التي قام بها قابوس وسحبت كثيرا من الكوادر، والسياسة الواقعية التي سارعليها في السنوات الأخيرة على الصعيدين الداخلي والخارجي، مرونة التعامل مع الجمهورية الإسلامية الايرانية ، ومع الدول العربية التي رفضت الغزو الأميركي في أزمة الخليج كاليمن والأردن. وأخيرا السياسة التدريجية في مجال المشاركة الشعبية وتمثلت في تحويل المجلس الاستشاري العماني إلى مجلس للشورى لا يختار السلطان أعضاءه مباشرة وانما يقوم «وجهاء» كل منطقة باقتراح ثلاثة مرشحين يختار منهم السلطان واحدا.

استخلص العرض من ذلك أن المهمة المركزية لم تعد هي إسقاط النظام لأن ذلك لم يعد ممكنا بالنسبة لإمكانيات الجبهة ورؤيتها ولا مرغوبا من جانب الشعب . وبالتالي فهي تدعو النظام إلى المصالحة على أرضية الاستجابة للمطالب الشعبية بأن يتخلى هو الآخر عن العنف . وشدد العرض على أن قضية السيادة الوطنية تتصدر المطالب الشعبية ودعا الى الغاء الاتفاقية المبرمة مع الولايات المتحدة في سنة ١٩٨٠ والتي وفرت للولايات المتحدة تسهيلات عسكرية واسعة وجددت لمدة عشر سنوات أخرى في عام ١٩٩٠ ، كما دعا إلى العمل بالوسائل السلمية على تحقيق وحدة عمان الطبيعية المقسمة حاليا إلى دولتين هما سلطنة عمان ودولة الإمارات العربية المتحدة.

هذه اللهجة المسالمة لم تمنع المجلة من التنديد في إطار مستقل بما أسمته «استمرار الحكم العشائري والفردي» و«استمرار انتهاك حقوق الانسان العماني» . قالت إن المعارضة تتعرض للملاحقات والاعتقالات ويتعرض المعتقلون للتعذيب الجسدي والنفسي ويحرمون من الضمانات القانونية لعدم وجود محاكم عصرية . و هاجمت استمرار الحصارالمفروض على قرى ومدن الجبل الأخضر ومدينتي رخيوت وضلكوت في ظفار. إذ يطلب من سكان هذه المناطق تقديم ما يثبت أنهم من أبنائها ليحصلوا على ترخيص بالدخول والخروج .

وضعت المجلة جانبا وأنا أفكر. كنت معتادا على أمثال هذه النشرات التي تصلني في القاهرة. بعضها علني بالبريد والبعض الآخر سري باليد. لكن السؤال الذي عرض لي هو كيف عرف المرسل بعنواني بل بوجودي أصلا ولم تمض عليه سوى ثلاثة أيام؟

عدت إلى الغلاف الملون وقرأت السطورالقليلة التي حملها باللغتين العربية والانجليزية: انشراح الصدر تدعوكم لكي تنسوا همومكم كل يوم سبت وذلك عندما تقدم لكم التشكيلة الرائعة من المأكولات وأفضل أنواع النبيذ والألحان المألوفة من عهد جلين ميلر في مطعم القرم بفندق انتر كونتيننتال .

لم أكن سمعت عن هذا الجلين ميلر من قبل . لا بأس. لكن ما العلاقة بينه وبين الجبهة؟ هل هي مجرد ورقة أراد المرسل ان يغلف بها المجلة وحسب أم هي رسالة أخرى؟ ثم كيف عرف أني سأكون موجودا في هذا الوقت بالذات بمفردي ؟ أم لا يهمه إن وقعت في يد أصحاب المسكن الأصليين؟ وقادني السؤال الأخير الى سؤال آخر: ماذا أفعل بها؟ هل أتخلص منها أم أحتفظ بها؟ لم أكن لأنسى المرة التي التجأت فيها الى منزل فتحي في القاهرة هربا من الاعتقال وكيف كانت شفيقة تفتش كل شعرة من حاجياتي ثم دفعت ابنتها لتمزيق زراير قمصاني لتجبرني على الرحيل.

مضيت الى غرفتي فدسست المجلة بين طيات ملابسي في حقيبة السفر. انتقلت الى المطبخ وأشعلت الفرن ثم استخرجت بقايا طعام الأمس من البراد.

* * *

كانت في انتظارنا سيارة فان أمريكية تحمل أجهزة التسجيل والتصوير واثنين من الفنيين . وخلفها سيارة جيب يابانية بها شابان بالملابس التقليدية أحدهما صاحب النظارة الطبية الداكنة الذي التقيته من قبل .

صعدت إلى جوار فتحي في السيارة الأولى ومررنا بمسجد قابوس الفخم ثم خرجنا إلى شارع قابوس قرب مقرقيادة شرطة عمان السلطانية. أشارفتحي إلى مساحة خضراء كثيفة خلفها فقلت :

– حديقة قابوس .

ضحك : فعلا . لكنها مشروع رائع يرمي إلى تكوين محمية طبيعية للنباتات والحيوانات .

لزمنا شارع قابوس ثم تركنا مدينة قابوس على يسارنا وواصلنا السير مرورا بمعرض سيارات قرأت لقب أحد الوزراء فوق لافتته .علق فتحى على استفسارى قائلا :

– هنا لا يجدون عيبا فى أن تكون وزيرا وتاجرا فى نفس الوقت .

أوشكت أن أعلق مستنكرا ثم تذكرت وزراءنا الذين يتاجرون سرا.

أشرفنا على الدوار المؤدى إلى المطار وتوقفنا لنتزود بالوقود من محطة تابعة لشركة النفط الانجليزية ثم اتجهنا يسارا فى طريق مرصوف ظهرت مداخن بعض المصانع على يساره .

مررنا بمجموعة من المنازل الحجرية الصغيرة ذات طراز موحد يتألف من طابق واحد مستقل بحديقة صغيرة وسور يفصله عن المنزل المجاور. ومن الجدران برزت أجهزة التكييف كما ظهرت خزانات المياه فوق الأسطح .

قال فتحى إنها مساكن شعبية تبنيها الدولة ويختار المواطن بينها وبين هبة مقدارها ٦٠٠٠ ريال إذا فضل أن يقوم بترميم مسكنه القديم .

بلغنا مدينة سمائل بعد حوالى مائة كيلومتر فتوقفنا للراحة . ترجلنا وخرجنا من الطريق الأسفلتي إلي ميدان مترب ، أقيمت به سوق صاخبة تمتد معروضاتها من قلوب النخيل وعسل النحل وشمعه والجبن والزبد الى أغنام وأبقار بعضها حديث الولادة . لحظت غلبة العنصر النسائي بين الباعة وكان البعض منهن يغطين وجوههن بأقنعة جلدية حادة الزوايا مثل الأقنعة الحديدية التي كان يضعها فرسان العصور الوسطى تبدو منها عيون واسعة عسلية قوية وأحيانا تبدو أيضا الشفاه . والبعض الآخركن سافرات تماما.

استأنفنا السير بعد قليل ووصلنا مدينة نزوى بعد ساعة . أخذنى فتحى إلى سوقها المسقوف الذى خصص له مبنى حديث مسوريشرف عليه السجن والقلعة الدائرية الضخمة. ولجنا من أحد المداخل ومررنا بحوانيت حديثة متلاصقة تضم كل شئ من الملابس والسجاد والصناديق الخشبية الى الحلوى المسقطية والعطورالواردة من الهند وآسيا.

توقف فتحى كعادته أمام المشغولات المعدنية : أساور وخواتم وحلقان وخلاخيل ذات زخارف دقيقة من أشكال الزهور وأوراق الشجر. لم تكن بعض

الأساوركاملة التدوير وزخرف أكثرها بكريات بارزة مثل التى رأيتها فوق الأبواب الخشبية العتيقة . أما العقود الفضية والذهبية فتنتهي بميداليات مرصعة بالآيات القرآنية أوبريال ماريا تريزا الفضى الذى كان العملة السائدة في بداية القرن.

علق على الأشكال السائدة التي تتميز بفجاجتها :

– كل هذه الحلى التى تراها جديدة فى الصياغة وفى النقش . فالناس يحضرون ما لديهم من قطع قديمة ليعاد صهرها وصياغتها . تأثير الخليج .

تطلع فى ساعته وغادرنا السوق . وفى هذه المرة ركبنا السيارة الجيب وتولى الشاب ذوالعوينات الطبية قيادتها فى طرقات متعرجة بين بيوت تطل الأشجار من فوق أسوارها الحجرية . وتبعتنا السيارة الأخرى الى الطريق الرئيسى .

قال فتحى : سالم درس التصوير التليفزيونى عند أصحابك .

التفت الى صاحب النظارة الداكنة مستفسرا . ظل وجهه خاليا من أى تعبير مستغرقا فى القيادة . نقلت البصر الى فتحى فقال لى : تعلم في بلغاريا. ولهذا السبب لم يعين فى التليفزيون وجاء من نصيبنا .

كنا نسير فى منطقة صخرية تحف بنا الجبال شاهقة الارتفاع تكسوها الخضرة الكثيفة فى بعض المناطق. انحنى الطريق قليلا الى اليسار ومررنا بطريق جانبى مرصوف.

أشار فتحى بالتوقف قائلا : تعال نريك تنوف .

عدنا الي الوراء ثم انحرفنا فى الطريق الجانبى ومضينا فيه ما يقرب من ربع الساعة إلى أن أشرفنا على بضعة مبان قديمة .

غادرنا السيارة وقادنا سالم وسط منطقة مهجورة تناثرت فيها الأحجاروالأعشاب حتى اقتربنا من جدران قائمة بلا سقوف أو بأجزاء من سقوف .

أشارسالم الى الثقوب المنتشرة فوقها وقال :

– الانجليز قصفوا القرية بالطائرات سنة ٥٦ ودمروها عن آخرها وقضوا على كل أهلها . هذا هو كل ما تبقى منها .

تطلعت حولى فى حيرة :

– أليس المفروض أن تذكر هذه المعلومات فى لافتة . ليس هناك ما يشير حتى إلى اسم المكان .

أطرق برأسه إلى الأرض وقال : السلطات لا تحب نبش الماضي .

قلت : نحن اذن قرب الجبل الأخضر .

– هو فوقنا تماما.

لم يكن هناك ما نفعله سوى أن نعود أدراجنا . ولحقنا بالسيارة الأخرى عند مشارف مدينة بهلا . ثم واصلنا السير مسافة مماثلة لنزور حصن جبرين.

أشرفنا على جدران صخرية عالية تتوسطها بوابة ضخمة موصدة .ترجلنا في باحة ضيقة واقتربنا من بوابة في أسفلها فتحة صغيرة تشكل بابا خشبيا وقف أمامه حارس بالزى المألوف يمسك بندقية قديمة . أفسح لنا فولجنا ممرا مسقوفا قادنا الى باحة داخلية .

كان ثمة صف من المباني الواطئة الي اليسارضمت في الماضي اصطبلات الخيل ومخازن المؤن ومساكن العبيد و ثكنات الجنود وأجنحة الخدم . ارتقيناسلما طويلا عموديا الى سطح تتخلل سياجه فتحات ضيقة تبرز منهافوهات مدافع قديمة صدئة والي جوارها القذائف المعدنية المستديرة .

أشار سالم الى فتحة عند حافة السطح وقال :

– هذه الفتحة تطل مباشرة على مقدمة المدخل . وهناك سبع فتحات عند كل مستوى من مستويات الحصن تطل من خلال بئر كهذه على فتحة المدخل وعلى الفتحات التي تسبقها . وبهذا فكل من يقتحم المدخل معرض للقتل عدة مرات فان نجا عند باب لن ينجو عند الأبواب الأخرى التي تحرسها الفتحات الموجودة عند الأبواب التالية لها.

قادنا الى فتحة أخرى لها غطاء خشبي. رفعه فظهرت شبكة من القضبان الحديدية الأفقية وأسفلها غرفة عميقة الغورملساء الجوانب .

قال : من يحكم عليهم بالاعدام يرمى بهم هنا بعد تعذيبهم ولا ينفذ فيهم الحكم إلا بعد أن يعترفوا .

أعاد الغطاء الثقيل إلى مكانه في صعوبة ثم دفع المزلاج بقوة. وقال كأنما يفسر الأمر أو يعتذر عنه:

– تاريخ عمان ملئ بالقلاقل والأطماع والغزوات . كل قبيلة تريد الإمامة التي تتم بالانتخاب . وكل أسرة من كل قبيلة تريد أن تسود هي باقي الأسر.

هبطنا الى الباحة وولجنا القصر. ألفينا أنفسنا في غرف واسعة رحبة جيدة الاضاءة والتهوية رغم سمك الجدران الصخرية خصص بعضها للسلطان والبعض الأخر لجلسات الحكم والقضاء . وكانت السقوف محلاة بزخارف مستوحاة من الزهور والنباتات ، ظهر فيها تأثيرالفنين الفارسي والأفريقي. وفي السقف الخشبي المزخرف علقت المروحة : قضيب نحاسي تتدلى منه شرائط من القماش . وكان ثمة حجرات صغيرة بين كل طابق أعدت لتكون بمثابة حمامات فزودت بفتحات يرفع الماء خلالها من بئر القلعة . وفي زاوية السلم العريض لكل طابق حجرة ضيقة ذات باب قصير سميك من الخشب مخصصة لسجن الرجال تقابلها في الطابق التالي حجرة مماثلة مخصصة لسجن النساء .

تخيلت الحياة تدب في المكان . الرجال المشغولون بأسلحتهم ونزاعاتهم والنساء اللاتي لا يرين العالم الخارجي الا فيما ندر ويمثل القصر كل شئ في حياتهن .يتنقلن بين أرجائه ويتبادلن الزيارات والشجارات الصغيرة . ويتوافد الخدم والعبيد من المساكن المخصصة لهم أومن خارج الحصن . يتولي بعضهم تحريك قضبان المراوح بالساعات .فاذا تهاون أو أخطأ تعرض للعقاب.

هبطنا السلم الى ما تحت مستوى الأرض . وقفنا في مدخل حجرة معتمة في قاعها قبر السلطان بلعرب الذى حكى سالم قصته : أبوه هو الذى بنى القصرفي التى عشرة سنة منذ ثلاثة قرون ونصف وترك لابنه دولة مزدهرة . لكن الابن كان كريما طيب القلب ، فالتف حوله الرعاع وخرج عليه أخوه سيف الذى انحازله الفقهاء والمشايخ. دارت معارك متعددة بين الأخوين راح ضحيتها الكثيرون . وجرت آخر هذه المعارك في الشمال من نزوى هزم فيها بلعرب فارتد محتميا بمدينته لكن أعيانها منعوه من دخولها فالتجأ إلى هذا الحصن وانزوى فيه. حاصره أخوه وظل يهاجمه محاولا اقتحامه ودافع بلعرب مع حاشيته وزوجاته وحرسه عن الحصن حتى يئس فالتجأ إلى هذه الغرفة وحفر قبره ورقد فيه ثم ودع أهله وابتهل إلى الله أن يموت فاجابه الله إلى طلبه .

علقت قائلا : قصة مأساوية .

قال بوجه خلا من كل تعبير: المأساة الحقيقية ان القاتل وهوسيف دخل تاريخ عمان بل التاريخ العربي كله من أوسع الأبواب . فقد تمكن من توحيد البلد

كلها تحت سلطانه وحقق السلام والعدالة فى ربوعها وانتزع من البرتغاليين ممباسا وزنجبار، وكون اسطولا قويا مزودا بأقوى المدافع فرض به سيطرته على البحار من حوله . التاريخ لا يهتم إلا بالنتائج .

فكرت فى عبارة سالم الأخيرة ونحن نغادر الحصن ونستقل السيارة . انتظرت حتى دار بالسيارة لنعود من حيث جئنا ثم سألته : كيف ذهبت الى بلغاريا ؟

ظل صامتا برهة ثم قال : بعثة .

أبديت دهشتى : هل كان قابوس يرسل بعثات الى الدول الشيوعية ؟

قطب جبينه وقال : الجبهة هي التى أرسلتنى .

قلت وما زلت مدهوشا : جبهة ظفار ؟

قال بلهجة المدافع عن نفسه :

– كان لى ابن عم بها فساعدنى على الذهاب الى عدن وهناك حصلت سنة ٧٤ على منحة دراسية فى بلغاريا.

سألته : ومتى عدت الى عمان ؟

قال : منذ ثمانية أعوام تقريبا.

حسبت المدة وقلت : يعنى بقيت هناك عشر سنوات . ولم تواجه أية مشاكل عند عودتك ؟

قال : أبدا . الثورة كانت انتهت وأصدر السلطان عفوا عاما.

قلت : وماذاحدث للجبهة ؟ هل انتهت هى الأخرى ؟

قال : لم يعد أحد يسمع بها.

– ألا تعرف أحد من أعضائها ..هل يمكن مقابلة أحدهم؟

هز رأسه نفيا.

غيرت مجرى الحديث وسألته اذا كان متزوجا فأجاب بالإيجاب وأن لديه ثلاثة أطفال، ولدين وبنتا.

توقفت السيارة فى سهل فسيح منبسط تناثرت فيه الأشجار شديدة الخضرة. نزلنا نحرك سيقاننا. وأشار سالم إلى مجرى مائى يمتد مسافة طويلة وتلمع مياهه الصافية تحت أشعة الشمس .

– الفَلج . إحدى العجائب العُمانية أو قل إحدى عجائب التاريخ والحضارات . مثل الأهرامات عندكم .

– ما وجه العجائبية ؟

– ليست مجرد قناة للمياه الجوفية . انها نظام متكامل من قنوات معقدة التكوين.

انضم الينا سائق الفان ووقف يتأمل المياه . كان قصير القامة ضامر الجسد تكاد رأسه تختفى أسفل مصرّته .

سألت : من الذى بناها ؟

تطوع السائق للاجابة : القديمة بناها النبى سليمان . وبعد ذلك قلده الناس .

– النبى سليمان جاء إلى هنا ؟

– الله يسلّمك . جاء فى موكب على أجنحة الريح .

– لكن من الذى قام بالبناء ؟

– الجان . أقام سليمان عشرة أيام وفى كل يوم كان الجان يحفرون ألف قناة .

– معقول . ألم يكلم النمل . والجديدة حفرها الجان أيضا ؟

ضحك سالم وقال : لا. هناك الآن متخصصون فى حفرالآبار والأفلاج. بل قبيلة كاملة اسمها العوامر. لديهم خبراء بمواقع الماء تحت الأرض . يلقب الواحد منهم بالباصر ، وهو يتفحص التربة ويحدد وجود الماء وعمقه . بعد ذلك يحفرون مجرى الفلج ويمدونه تحت الأرض فى نفق ، و لمسافة تمتد عدة كيلومترات .

علق فتحى : هناك فلج حديث بالإمارات استغرق حفره بطول كيلومتر ونصف كيلومتر حوالى ثمانية عشر عاما من العمل المستمر.

قال سالم : الفرس هم الذين ابتدعو الأفلاج عندما كانوا يحتلون المنطقة فى عهد الساسانيين . وكلمة فلج مستمدة من جذور سامية تعنى تقسيم الملكية إلى أنصبة والمقصود عملية تنظيم وتوزيع المياه بين من ساهموا فى بنائها وصيانتها.

- عين العدل.
- ليس تماما . فالأغنياء هم الذين استفادوا منها إذ تولى كبار الإقطاعيين بنائها وادارتها واحتكروا مياهها. المفروض أن تكون سقاية الماء من الأفلاج حرة مشاعة للجميع.

لم يعلق أحد ومشينا فى صمت إلى السيارتين . توقف سائقنا ليحدق فى سيارة شيروكي بألوان مبهرجة وكشافات إضافية وهوائيات متعددة . تابعها ببصره مدة طويلة إلى أن اختفت ثم قال : سأشترى واحدة لى .

سألته عما إذا كان راتبه من الوزارة يمكنه من ذلك فقال :
- سأترك العمل بالوزارة قريبا وأعود إلى التجارة .
- وبماذا ستتاجر ؟
- العمال.
- لم أفهم .
- أحضرهم من الخارج وأؤجرهم لمن يشاء مقابل عشرين ريال فى الشهر عن كل رأس.
- كفيل يعنى ؟
- نعم.

واصلنا السير حتى بهلا فتوقفنا عند الفندق الذى سنقضى به الليلة ، واجتمعنا لتناول طعام الغذاء حول مائدة كبيرة قرب مسبح مستدير . وتولى خدمتنا طاقم من الهنود .

جاء مكان السائق إلى جوارى. سألته عن عمره فضحك وقال إنه لم يتجاوز بعد الخامسة والثلاثين. أمعنت النظر فى الغضون التى تملأ وجهه و فمه الذى أوشك أن يخلو من الأسنان ثم سألته عما إذا كان متزوجا.

قال : اثنتين ، واحدة عمانية والثانية هندية .

علق على دهشتى : الرجال عندكم فى مصر يتزوجون أيضا اثنتين . أليس كذلك؟

قلت : أربعة .

أضفت : هذا كان فيما مضى . فمن يقدر الآن على واحدة ؟

أمن على حديثى مبتسما وقال : خصوصا المصرية .

قلت : لكن لماذا هندية ؟

قال : إرادة ربنا . كنت أتردد على الهند كل سنة . أنا فى الأصل تاجر أقمشة قبل أن التحق بالوزارة . وفى الهند أقيم شهرا . وهناك يمكن تقريبا أن تشترى الهندية .
- والعمانية تعرف أنك متزوج فى الهند ؟
- طبعا تعرف . لأننا نعيش سويا الآن .
- هنا فى عمان ؟
- أجل. فالسلطان أصدر قانونا يحرم الزواج من أجنبيات . لأن الرجال انصرفوا عن البنت العمانية وصاروا يتطلعون إلى الزواج من بنات متعلمات أومتحررات. وأعطى السلطان مهلة اشترط خلالها إجراءات معينة لتقنين الزيجات القائمة فعلا. كان لا بد من إحضار الهندية . فلم أرد التخلى عنها بعد أن صارت أما لأولادى .
- الاثنتان فى بيت واحد ؟
- طبعا . العلاقات بينهما على أحسن ما تكون .

قلت وأنا ألتقط حبات الجمبرى : لا بد أنك تعدل بينهما .

قال بثقة مطلقة : لا أترك لهما فرصة للشكوى .
- ألا تفكر فى واحدة ثالثة ؟ مصرية مثلا ؟

قال بجدية شديدة : ليس الآن . ربما فى المستقبل .
- بس خلي بالك . المصرية صعبة للغاية . لن تقبل الحياة مع ضرتين .

لم تهتز ثقته بنفسه.

أجلت النظر حولى وعلقت على فخامة الفندق فقال فتحى : انتظر حتى ترى قصرالبستان .

سألت : أهو فندق ؟

قال السائق : تكلف ٢٨٠ مليون ريال واستغرق بناؤه سنتين .

ضربت الرقم كعادتى فى ٨ وأطلقت صفيرا : ٢٢٤٠ مليون جنيه. ملياران وربع مليارجنيه أو ٧٥٠ مليون دولار !

قال فتحي كأنما يلتمس تبريرا لهذا السفه :

– أقيم لتعقد به قمة مجلس التعاون الخليجي .

قال السائق بصوت محايد :

– بعد افتتاح الفندق بمدة لاحظ جلالة السلطان أن شعار الفندق قريب الشبه من شعار السلطنة فأمر بتغييره . وتكلف ذلك فقط ٣ مليون ريال .

صفرت مرة أخرى : ٢٤ مليون جنيه لتغيير الشعار !

استطرد بنفس الصوت المحايد : تطلب الأمر تغيير كل الأطباق والشوك والسكاكين والأكواب والمفارش والملاءات والستائر إلخ .

صببت لنفسي كوبا من المياه المعدنية . وتبينت أن الزجاجة تحمل اسم القرية التي دمرها الانجليز وزرناها منذ قليل .

قلت لسالم وأنا أعيد الزجاجة الى مكانها بحيث تواجهه اللوحة الملونة التي تحمل اسمها باللغتين العربية والانجليزية :

– التاريخ أيضا لا ينسى.

تأمل الزجاجة باستغراق ثم التفت الي قائلا :

– ألا تحب الصعود إلى الجبل ؟

نهضت على الفور واستمهلته حتي غسلت يدي ثم أخذنا السيارة الجيب وخرجنا مرة أخرى الى الطريق الرئيسي وانطلقنا في اتجاه نزوى .

قلت : كان لي صديق عماني من هذه النواحي . كان يتحدث عن الجبل الأخضر ونزوى . اسمع .. أتذكرانه تحدث عن قرية لها اسم له علاقة باليسار. وكنا نتندر بذلك .. يعني مثلا اليسرى أوالتقدم أو نجمة .. حاجة زى كده..

– توجد هنا قرية مشهورة اسمها الحمرا .. ربما تكون هي.

– هل يمكن أن نسأل عنه ؟

قال : سنرى.

انعطفنا بعد مسافة قصيرة في طريق جانبي الى اليسار يميل الي أعلى.

واصلنا الصعود مسافة تربو على عشرة كيلومترات. ولحظت أن التربة تكتسب لونا أحمر بالتدريج .

توقفنا أمام تليفون عمومي على الطريق، ثم عبرنا الطريق وولجنا القرية.

سألني : ما لقب صديقك ؟

قلت : لا أذكر ..

التفت الي مستغربا فأضفت : هذا كان من زمن بعيد . من أكثر من ثلاثين سنة.

– بالكاد كنت ولدت .

– أي سنة ؟

– سنة ٥٧

– هذا هو تقريبا الوقت الذى تعرفت فيه بيعرب .

– هذا اسمه ؟

– لست متأكدا .

– كيف ؟

اخترت كلماتي بعناية :

– تعرفت عليه في ظروف خاصة بالقاهرة . كان مضطرا لاخفاء اسمه الحقيقي . ربما كان هويعرب . لا أذكر.

– ولم تره من وقتها ؟

– ولا مرة .

قال : كيف سنستدل عليه اذا كنت لا تعرف لقبه ؟ الناس هنا عائلات وقبائل .

اخترقنا طرقات نظيفة يلعب بها الأطفال إلى ساحة مركزية تحيط بها عدة مبان حديثة البناء متواضعة الشكل تتألف من بقالة ومدرسة وعيادة طبية ومقر إداري.

تركنا السيارة في الساحة وانطلقنا في طرقات ضيقة حتى بلغنا مسجدا صغيرا. اقترب سالم من المدخل وأطل داخله دون أن يجتاز عتبته بقدميه . ثم هز رأسه وكر راجعا.

اتجه إلى منزل صغير ملاصق للمسجد ومكون من طابق واحد وطرق بابا خشبيا حديث الدهان بألوان فاقعة .

كانت واجهة المنزل مؤلفة من نوافذ خشبية مغلقة خلف قضبان أفقية من

الحديد . كرر الطرق ، فانفرج مصراع نافذة عن رجل أصلع فى حوالى الأربعين من عمره . ألقى عليه سالم السلام ثم سأله عن أبيه .

ظل الرجل يتطلع إلينا صامتا ثم اختفى فى الداخل وأغلق مصراعى النافذة خلفه . مضت دقائق . وكنت سأقترح عليه أن يطرق الباب مرة أخرى عندما انفتح فجأة وظهر فى فتحته عجوز ضئيل الحجم ذو عينين يقظتين ولحية بيضاء كثة تسدل فوق صدره . تأملنى بامعان ثم تحول إلى سالم وصافحه فى تحفظ قائلا : كيف الحال ؟

قال سالم : الحمد لله .

قال الشيخ : كيف الجماعة ؟

قال سالم : بخير والحمد لله .

قال الشيخ : كيف الأهل والأولاد؟

قال سالم : الحمدلله . طيبين . بخير .

صمت الشيخ . وانتظرنا إلى أن قال بعد فترة :

– من هين الأخ ؟

أجاب سالم : من العاصمة .

قال الشيخ : تفضلوا عندنا .

قال سالم : أحسنت . مشكور .

قال الشيخ : كيف الأحوال فى العاصمة ؟

قال سالم : بخير. الأخ من مصر، وهو يسأل عن صديق .

رفع الشيخ حاجبيه وتأملنى من جديد فى إمعان .

استطرد سالم : كان له صديق عُمانى فى القاهرة. من ثلاثين سنة. وليس متأكدا من اسمه .

قلت معتذرا : الذاكرة أصبحت ضعيفة . ربما كان اسمه يعرب .

قال الشيخ : من هنا ؟ من الحمرا؟

قلت : نعم .

فكر الشيخ قليلا ثم قال : هناك كثيرون بهذا الاسم .

قلت فى لهفة : عمره الآن لا بد يقترب من الستين . كان يتعلم فى الجامعة فى مصر .

هز الشيخ رأسه ببطء : من أى عائلة ؟

تدخل سالم : للأسف لا نعرف .

قلت فجأة : كانت معه اخته . وكانت تدرس أيضا فى الجامعة.

سألنى الشيخ : هل تذكر اسمها ؟

هل أذكره؟ قلت : أظن أنه سهلا.

التفت سالم فى حدة نحوى وفتح فمه ثم أغلقه دون أن ينبس بحرف .

أطرق الشيخ برأسه إلى الأرض وقال فى حسم : ليسا من هنا . لا أعرف أحدا بهذين الاسمين . تفضلوا عندنا .

قال سالم : أحسنت . لا بد أن نذهب .

استدار الشيخ ودخل المنزل قائلا : مع السلامة .

وقبل أن نتحرك كان قد أغلق الباب فى وجهينا .

سألت ونحن نخطو بعيدا عن المنزل : تعرفه من قبل ؟

قال : أبدا . هو شيخ المسجد . واذا كان لا يعرف فلن يوجد من يعرف غيره .

– والمجلس البلدى ؟

– لن نحصل على شئ منهم . فكلهم شبان يعملون فى النظافة ورش المنازل بالمبيدات والتفتيش على المتاجر.

سألت : ألا يوجد هنا أو فى مسقط ناس من الذين شاركوا فى الثورة ؟

توقف عن السير واستدار نحوى : أى ثورة ؟

قلت : ثورة ١٩٥٧ التى قادها إمام لا أذكر اسمه .

قال : الأمام غالب .يوجد بالطبع لكنى لا أعرف أحدا منهم .

استأنف السير وعدنا إلى السيارة وهو يسبقنى بخطوة كأنما يضع حاجزا غير مرئى بيننا .

قال : سنبذل محاولة أخيرة فى القرية التالية .

انطلقت السيارة صاعدة إلى الجبل . ولم يعد الطريق مرصوفا وإنما ممهدا

تتخلله مناطق وعرة . ودار بنا عدة دورات وضعتنا على حافة هاوية سحيقة أو واد. وانتشرت أمامنا خضرة كثيفة ومسطحات خضراء . تعلقت بباب السيارة ونحن ندور فى طريق ضيق يطل على هوتين. وأخيرا توقفنا فى ساحة صغيرة بين عدة منازل إلى جوار شاحنة بيك أب. وغادرنا السيارة .

كان ثمة عدة رجال متجمعين فيما بدا أنه مدخل القرية . وجلس بعضهم فوق سور حجرى بينما ظل الآخرون وقوفا . ومن أول نظرة استوقفتني وجوههم . كان يبدو عليها القدم والمتحفية رغم ان أغلبهم كان فى أواسط العمر. القدم وشئ ما من التشويه أو الخلل. كأن يكون الوجه أكثر طولا من المألوف أو مائلا إلى إحدى الجهتين أو نحيلا بشكل غير عادى أو تكون الجبهة ضيقة للغاية أو عريضة للغاية . كانوا يرتدون الجلاليب المألوفة وارتدى احدهم فوقها سترة أوروبية قصيرة .

واصلوا حديثهم فى لهجة لم أستطع تبينها بينما كانوا يلاحظوننا خلسة.

اقتربنا منهم ووجهنا إليهم التحية فاستقام الجالسون وقوفا وتصافحنا. وجرت طقوس التحية المألوف : كيف الحال وكيف الجماعة والأهل والأولاد ثم الدعوة التقليدية : تفضلوا عندنا.

ورد سالم بالطريقة المنتظرة : أحسنت، متمشيين .

عندئذ أطرقوا برؤوسهم كأنما يدركون ما يدفع الأغراب لزيارة قريتهم النائية.

سألت سالم ونحن نخطو فى طرقة ضيقة بين منازل مغلقة الأبواب :

– هل يعرفونك ؟

– أبدا.

مررنا بخزان مياه كبير الحجم طبعت عليه عبارة وزارة الكهرباء والمياه تمتد منه أنابيب رفيعة بحذاء الجدران الى حوض أسمنتى به حنفية عمومية. وعبرنا نفقا مظلما أسفل أحد المنازل ، وأوشكت أن أفقد توازنى فوق درجات حجرية ضيقة نحتتها الأقدام عبرالأعوام .

بدت القرية كأنها أقيمت بصورة عمودية على سطح الجبل بعدة مستويات وبصورة عشوائية فتراكمت البيوت الصغيرة فوق بعضها دون نظام، وتخللتها حقول صغيرة منحدرة. وقفت أمام بيت أقيم فوق صخرة مائلة، فبدا موشكا على السقوط

واعتمد عليه منزل آخر يتألف من مستويين علقت في نوافذه قلل الماء الفخارية لتبرد .

مر بنا صبى وفتاة على أعتاب المراهقة . كانا يجريان ضاحكين ولاحظت شحوب وجهيهما وهزال جسديهما . ولمحت فى نهاية الدرجات وبين الأوراق الخضراء العريضة لأشجار الموز، ركنا وارف الظلال يتردد فيه صوت انسياب المياه من مكان ما وزقزقة العصافير. وكان ثمة عجوزان يتبادلان الحديث دون أن يأبها لنا.

اتجه سالم اليهما وبقيت مكاني. ترامت الى سمعى التحيات المتبادلة ثم مرت لحظة من الصمت هز الاثنان بعدها رأسيهما بالنفى . وتردد أذان المغرب فى قوة بين الأشجار والنخيل .

انضم سالم الىّ فقلت وأنا أفكرفى المنحنيات الضيقة التى تشرف على الهاوية :

– الأفضل أن نعود قبل أن يسود الظلام .

وأخذنا خطواتنا عائدين إلى السيارة .

٦ * *

غادرنا الفندق بعد الإفطار وخرجنا إلى ساحة واسعة فى ظاهرالبلدة تجمع بها حشد من الرجال فى الملابس التقليدية يحملون السيوف اليمنية المقوسة والبنادق والأعلام العمانية ذات الألوان الحمراء والبيضاء والخضراء.

كانوا يشكلون صفوفا مستعرضة يضم كل صف منها عددا صغيرا من الأفراد، وبينه وبين الصف الآخر مسافة تسمح لأفراده بأن يحمل كل منهم بندقيته أو سيفه مشرعا فى الهواء وفى وضع مائل إلى الأمام . وتتصدر الصفوف طبالان يحمل كل منهما نوعا مختلفا من الطبول وإلى جوارهما نافخ البوق .

نصب سالم ومساعداه آلات التصوير وشرع يقيس المسافات ثم انفرد بالنين

من حاملي السيوف وتحدث اليهما بصوت منخفض وهو يلتفت ناحيتي بين الحين والآخر.

اتخذ مكانه أخيراخلف الكاميرا. وبدأ صاحب البوق في النفخ وهو يطلق صيحات متقطعة تنبه أهل العشيرة وتدعوهم للأنضمام إلى المسيرة . وتحرك الحشد والطبالان يدقان في إيقاع ثنائي نشط .

تقدمت المسيرة فى خطى سريعة ثابتة تتوافق وسرعة الايقاع وتوحى بالشجاعة والاقدام . وترددت أهازيج لم أفهمها فى البداية إلى أن تكررت فميزت بعض الكلمات وإن غاب عنى معناها فى أكثر الأحيان .

وصلوا إلى الساحة فانقسموا إلى صفين متقابلين . وأخذ الطبالان يتنقلان بين الصفين وهما يدقان بإيقاع سريع بينما تبادل الصفان الغناء بأبيات واحدة :

أول سلامي علي الدَّبرة

وانتو عليكو سلام الله

الحصن ناشل بناديره

خسران لي يخون عهد الله

غير سالم موضع آلات التصوير وأدركت السبب عندما نزل الساحة رجلان شاهرا سيفيهما وفى اليد اليسرى لكل منهما قطعة معدنية مخروطية الشكل أشبه بدرع صغير . وبدأت المبارزة بينهما.

أخذا يدوران حول بعضهما وأبديا مهارة فائقة فى توجيه الطعنات وتفاديها . وبعد أن ظلا يتحركان فى حذروكل منهما يتلمس نقاط قوة وضعف الآخر، تسارعت حركاتهما وعنفت، وتردد صليل احتكاك السيوف مختلطا بإيقاع الطبول الذى تسارع هو الآخر.

كان صراعهما حادا عنيفا . وخلت فى لحظة أنهما لا يمثلان وأن المبارزة جادة وان كل منهما يسعى لإصابة الآخر ولن يتوقف إلا بعد أن يغمد سيفه فى صدر خصمه.

لحظت أن سالم يوجه عدسة الكاميرا نحوى بين الحين والآخر كأنما يسجل انفعالات وجهى . وشعرت بالانفعال يسرى بين المتفرجين وهم يتطلعون

فى تركيز إلى المتبارزين كأنما يتلهفون على النتيجة : هزيمة أحدهما ومصرعه؟ وبدأ الغناء يعلو تدريجيا . وتصاعد الغبارمن حولنا .وميزت من الغناء الشطرين الأخيرين :

الحصن ناشل بناديره

خسران لي يخون عهد الله

قدرت ان الشطر الأول يشير الى الرايات المرفوعة أو المدافع المنصوبة وان الثاني يهدد من يخون العهد.

إزداد صراع المتبارزين عنفا ، وتفصد العرق على وجهيهما . وتسارع دق الطبول . واقتصر المغنون على الشطر الأخير خسران لي يخون عهد الله يرددونه فى ايقاع لاهث.

كان المتبارزان قد دارا في أنحاء الحلقة حتى أصبحا أمامي مباشرة. وجاءتني رائحة عرقهما. ودارا مرة أخرى بحيث أصبح ظهر أحدهما لي والتحم سيفاهما وجسداهما فجأة ثم انفصلا مرة واحدة . تراجع المبارز الذى أعطانى ظهره خطوة جعلت الفاصل بيني وبينه قدما واحدة ثم قفز فجأة جانبا بينما كان الثاني يستعد ليوجه له طعنة نافذة .ارتفع دق الطبول وتردد الشطران الأخيران من الغناء فى عنف بينما خطف بصرى لمعان الشمس فوق سيف المتبارز الآخر. تعلقت عيناى بالسيف وهو يندفع نحوى ولم أشعر به إلا وقد صار أمام وجهى واستقر طرفه الحاد على مسافة شعرة من ذقني.

توقف دق الطبول والغناء مرة واحدة وساد السكون . وخف فتحي إلى جانبي بادى الانزعاج . لمحت السيف يبتعد عن وجهي . وانحنى فتحي فوقي مستفسرا عما اذا كنت أصبت بشيء.

مسحت وجهي بيدى اليمنى ورفعتها أمام عيني متوقعا رؤية الدماء رغم أن طرف السيف لم يلمسني . . ثم نهضت واقفا وتراجعت إلى الوراء و أنا أقول: بخير. لم يحدث شيء .

تحول فتحي إلى المبارز غاضبا . وشرع هذا يعتذر.

كررت : لم يحدث شيء .

بحثت بعيني عن سالم فوجدته خلف كاميرته التي أخفت ملامح وجهه.
سمعته يسأل : هل سنعيد التصوير ؟
رد فتحي : لا . صعب أن نمسك بنفس الإيقاع مرة أخرى .
وأضاف وهو يغتصب ابتسامة : على الأقل حصلنا على نهاية درامية.
وماذا عن البداية ؟

3

القاهــرة

١٩٥٧-١٩٥٩

كان ذلك بعد العدوان الثلاثي بعدة شهور وبعد أن أتممت عامي التاسع عشر، كنت غارقا إلى أذني في خضم عملية التمرد التقليدية . وقد انقطعت عن الذهاب إلى الجامعة ، وكرست وقتي كله للنشاط السياسي معتبرا نفسي واحدا من هؤلاء المكافحين الذين يتخلون عن حياتهم البرجوازية في سبيل هدف أسمى. وكنت أظنني قد عثرت على الطريقة المثلى للحياة : السبيل لتصحيح كافة أشكال الظلم والقهر المحيطة بي، نظرة واضحة للعالم تستند إلى تفسير علمي للتاريخ والاقتصاد، (دون أن أدرك وقتها أن هذا التفسير العلمي بالذات يتطلب خبرة واسعة بالعالم) ، ودور متفرد يضعني على الفور في مستوى أعلى بكثير من أقراني ومن الكبار الغارقين في حيواتهم الضيقة المبتذلة.

لكن ما بدأ كمغامرة مثيرة تقوم على لقاءات سرية بأشخاص مجهولين، بينهم فتيات من طراز غير مألوف ، وعلى التفنن في اكتشاف الشرطة السرية وتضليلها، وفي سبل توصيل الشعارات والمفاهيم الثورية للجماهير، سرعان ما فقد الكثير من بهائه وجاذبيته. فالدكتاتورية العسكرية التي كان الشيوعيون يسعون إلى إسقاطها بدعوى عمالتها للأمريكان وعدائها للطبقة العاملة (الذى كشفت عنه باعدام خميس والبقرى) ، قد تحولت بالتدريج إلى طليعة للحركة الوطنية العربية واشتبكت مع القوى الاستعمارية في مواجهات عدة بلغت ذروتها بتأميم قناة السويس وماتلاه من عدوان مشترك من جانب القوتين الاستعماريتين التقليديتين وإسرائيل . وعندما أقدم عبد الناصر على تمصير الاقتصاد وتحريره من سيطرة الأجانب وإنشاء القطاع العام ، مغلقا الطريق في وجه تشكل رأسمالية تابعة للغرب، وممهدا لخطة تنمية شاملة تستند إلى مصالح الجماهير الشعبية، لم يكن أمام كل وطني مخلص إلا أن يقف إلى جانبه ويدافع عنه.

هكذا صار يومي يتألف من الطواف بأقدام متثاقلة على مراكز التجمعات

بحى الدقى الذى أقطن به : مصنع تعبئة الكوكاكولا ومصنع تعبئة البيرة و وزارة الزراعة ومعمل المصل واللقاح ومركز البحوث، سعيا وراء تجنيد العناصر المناسبة للعمل السرى من خلال تعبئتها للدفاع عن سياسة الحكم ! لم يكن تثاقلى نابعا من كراهيتى للمهمة وإنما من صعوبتها فقد كان من العسيرإيضاح الالتباس الحادث بين الوضع السرى للحركة الشيوعية وموقفها السياسى .

فلم يكن عبد الناصر راغبا فى التعاون مع جماعة من المثقفين الذين يتميزون بوعى مرتفع لا يمكله الضباط وقدرة فائقة على التنظيم والعمل وسط الناس، واستعداد للتضحية دون مقابل (أبدوه فى أكثر من مناسبة من مقاومة الأحتلال الانجليزى والاستغلال الطبقى ووباء الكوليرا فى الأربعينيات إلى المقاومة المسلحة أثناء العدوان الثلاثى)،ومن ناحية أخرى فهذه الجماعة المسلحة بالوعى كانت غير قادرة على تجاوز الخلافات فيما بينها فتوزع أفرادها على عدة تنظيمات متناحرة، وأبدى بعضهم سذاجة مطلقة فى تطبيق المفاهيم العلمية. لهذا استمروضعنا السرى وخلق هذا الوضع عقبات جمة لكفاحنا ومصداقية خطابنا. فكم من مرة وجدتنى أنجح فى تجنيد شخص ثم اكتشف أنه آخر من يصلح لأنه لم ينضم إلينا إلا لتصوره أننا بحكم وضعنا السرى نعمل على اسقاط النظام الذى يهدد مصالحه. ولا أنسى يوم قمت بتوزيع أحد منشوراتنا السرية بصورة علنية عندما رأيت أنه لايحمل ما يستوجب السرية أو التجريم طالما أنه يدعو الى حماية النظام والدفاع عنه حتى الموت . واستوقف الأمر أحد المتفذلكين فصاح بأعلى صوته: شيوعى . وسارع الناس الذين لم يفهموا شيئا من الأمركله إلى المساعدة فى القبض علي وتسليمي للشرطة .

لم يكن الذنب ذنبنا لأن عبد الناصر فى سعيه للانفراد بالسلطة المطلقة ألغى كل التنظيمات السياسية فيما عدا التنظيم الذى أنشأه فى أعقاب الثورة باسم هيئة التحرير وكان مثار التندر والسخرية. أما نحن فقد احتفظنا بتنظيمناالسرى اذ كنا مصرين على المشاركة . إنها بلادنا جميعا فلماذا يكون من حق أحد دون غيره أن ينفرد بالتفكير والعمل من أجلها ؟ بل كنا نعتبر أننا بتفكيرنا المستند إلى نظرية علمية أكثر الناس وعيا بمستقبل البلاد واستعدادا للتضحية في سبيلها .كما أننا كنا نؤمن بأهمية تنشيط العمل السياسى للجماهير ونعارض محاولة وضعها على

الرف ونعى الأخطار المترتبة على ذلك والتى اتضحت بعد ذلك فى تطور الأحداث.

وفى يوم لا أنساه – بعد انتظار طويل أمام مصنع تعبئة الكوكاكولا للقاء أحد عماله – مضيت للقاء الضابط المنوط بفرع هيئة التحرير والذى أصبح فيما بعد من أكبر تجار شرائط الفيديو. كنت قد تعرفت اليه أثناء العدوان الثلاثى إذ ذهبت إليه قائلا إنى أضع نفسى تحت تصرفه ولم أخف عنه هويتى السياسية، وفيما بعد حرصت علي محاولة إيجاد سبل للعمل المشترك بيننا.

فى ذلك اليوم أخذنى فى سيارته الفيات الصغيرة ومضى يطوف بى فى شوارع الدقي الهادئة وهو يوجه لى أسئلة عديدة متنوعة هدفها معرفة عددأعضاء تنظيمنا المحلى. وكدت أضحك من سذاجته عندما سألنى بشكل مباشر : انتم خمسين؟ فلم نكن فى الواقع تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة . وعندما يئس منى قال لى فى اقتضاب إنه لا يرى أية حاجة للاتفاق على أى نشاط مشترك فكل شئ على مايرام و الفائدة الوحيدة التى يمكننا تقديمها هى أن نلزم بيوتنا ونترك الثورة تعمل .

تركته شاعرا بالإحباط واتجهت إلى مقهى فى الميدان ينتظرنى به أحد الزملاء الذى صار فيما بعد شاعرا كبيرا. وجدته برفقة شاب قصيرالقامة ممتلئ الجسم ذى وجه أسمر عريض وملامح بدوية. ولمحت أمامه فوق المنضدة كتابا عن القومية العربية لساطع الحصرى بجوار علبة سجاير مارلبورو فأدركت أنه ليس مصريا. وكانت الدقى وقتها – ولعلها ما زالت بسبب قربها من الجامعة – مركزا لسكنى الطلاب العرب، فضلا عن الثوريين واللاجئين السياسيين من يمنيين ومغاربة وفلسطينيين وسودانيين . وكنا نتعرف عليهم بسهولة من الكتب السياسية والأدبية التى يحملونها دائما بالإضافة إلى علب السجاير الأجنبية .

قدم لى صديقى الشاب العربى على أنه طالب من البحرين يدعى خليفة . ولم يلبث الخلاف أن نشب بيننا إذ شن حملة شعواء على الشيوعيين متهما اياهم بالعمالة للاتحاد السوفييتى وخيانة قضية فلسطين. قلت له إنالينين أدان المشروع الصهيونى منذ البداية ثم غيرت الدولة السوفييتية موقفها عندما قبلت التقسيم وهو ما بدا حلا معقولا وقتها لأن البديل وهو الحرب صب فى صالح الأنظمة العربية

الرجعية والحركة الصهيونية. وذكرته بأن الحكام العرب حاصروا الحاج أمين الحسيني وأحبطوا دعوته الى إعلان الدولة الفلسطينية. وتصالحنا في النهاية على مسئولية الحكام العرب عن الكارثة. وعندما فارقناه أعطانا عنوان مسكنه مؤكدا علينا أن نزوره .

ذهبنا في اليوم التالي الى العنوان في منطقة العجوزة الهادئة التي تملؤها الأشجار، وتبدأ إيجارات مساكنها من ثمانية جنيهات وهومبلغ كبير في تلك الأيام. سرنا حتى المتحف الزراعي ثم انحنينا في شارع نوال حتى منتصفه . اتجهنا يسارا وواصلنا السير حتى عبرنا شارع الدرى وبلغنا أطراف الأراضي الزراعية . توقفنا أمام بناية حديثة من أربعة طوابق . خرج الينا البواب وأنكر وجود شخص باسم خليفة. ثم ذكرأن هناك ساكنا من إحدى البلدان العربية في الطابق الثاني . فتح لنا خليفة الباب وأفسح لنا لندخل وهو يعتذر بأنه نسي أن يذكر لنا اسمه الحقيقي – يعرب – وبلده أيضا فهو ليس من البحرين وإنما من عمان .وأسر الينا بالسبب الذى جعله يخفي عنا هويته في البداية وهو خوفه من أن يصل أمر لقائه بنا إلى المخابرات المصرية التى أشرفت على إحضاره هو وأخته وعدد آخرمن الشبان العمانيين واليمنيين ليتعلموا ويشعلوا الثورة ضد الانجليز.

لم نجد في الأمر غرابة إذ كان لكل شاب تقريبا في تلك الفترة اسم سري بل وأحيانا اسمان . كما أن أخته ظهرت في تلك اللحظة .

كانت شهلا أضأل منه حجما لكن سمرتها كانت خمرية ولها عينان جميلتان وشفتان رقيقتان ، وصدر ممتلىء، رحبت بنا وقدمت لنا الفاكهة والشاى بينما إنطلق أخوها في حديث متواصل عن عمان مرددا بين الحين والآخر: هل تتصوروا ؟

لم نكن . فما حكاه عن ظروف الحياة في بلاده فوق كل خيال . روى لنا كيف حفظ القرآن في طفولته وكيف تعلم القراءة والكتابة أسفل شجرة هو وبقية الأطفال من بنين وبنات. كانوا يجلسون وفي أيديهم كتب مطبوعة فيمصر وأمامهم المعلم بلحيته الكبيرة ورأسه العارية يكتب بقطعة من البوص على شكل القلم فوق عظمة حيوان، بعد أن يغمسها في سائل ملون وقد رشق قلما آخر بين إصبعين في قدمه اليمنى الممددة أمامه.

– تصوروا ! قائمة الممنوعات التى وضعها السلطانسعيد : التدخين، ركوب الدراجاء، كرة القدم، فتح مطعم، قص الشعر، ارتداء الحذاء، إمتلاك راديو، الهجرة.

حكى لنا كيف بدأ أبوه التجارة في عمان ثم أفلس فانتقل بتجارته إلى عدن. وفي أثناء الحرب بين أندونيسيا واليابان سمع عن ثمانية آلاف طن سكر معروضة للبيع في سومطرة بثمن بخس فاشتراها واتفق مع مركب صيني من هونج كونج على نقلها. ومرت ثلاثة شهور دون أن يظهر السكر الذى انعدم تماما من السوق اليمني . ثم وصل المركب في أحد الأيام وتم تفريغ شحنته في الليل وفي الصباح كانت قد بيعت عن آخرها وحقق منها مكسبا خياليا .

تدخلت أخته في الحديث لتصف لنا كيف تضاعفت أرباح أبيها بعد ذلك عندما احتكر شراء الجلود والبن من المزارعين الصغار لينقلها إلى الحديدة فوق الجمال ويبيعها إلى تجارها كي يصدروها عبر الميناء .

ولا زلت أذكر كيف توقفت عن الحديث ونظرت الى باستنكار قائلة :

– هل تعرف كم يكسب أبي ؟ انه يشترى من المزارعين المائة كيلو من البن بعشرين ريالا ثم يبيعها لتجار الحديدة بمئة .

سألت في سذاجة : وماذا يجبر المزارعين على أن يبيعوا له ؟

ضحكت : الواحد منهم لا يستطيع الانتقال بنفسه إلى الحديدة ليبيع محصوله وهو أيضا مدين لأبي من قبل . ولهذا يضطر إلى البيع بهذا السعر البخس. القصة نفسها في عمان. كل انسان مجبر على أن يشترى من دائنه ولأن صاحب الأرض مدين لتاجر الجملة تجده يبيع له بخسارة فادحة. والتاجرالصغيرمدين للتاجر الكبير وكذلك تاجر التجزئة مدين لتاجر الجملة أما المواطن العادى فهو مدين لهم جميعا.

لم أعجب للهجة العداء لأبيها التي ظهرت في أحاديثها . فقد كنا كلنا نتبارى في السخرية بآبائنا وتخلفهم أوجهلهم أو قسوتهم وعدم إنسانيتهم . وكثيرا ما شاركت في هذه الأحاديث مستنكرا الحب المفرط الذى يحمله أبي لى منتهزا الفرصة لأحكي كيف قضى ليلة شتوية كاملة خارج مركز الشرطة الذى حجزت به عندما اشتركت في إحدى المظاهرات المعادية . أوكيف اكتشف المخبأ الذى

أودعت به نسخة من البيان الشيوعي وأخرى من «كتيب كيف تكون شيوعيا حقا» لفيلسوف الثورة الصينية ليوتشاو شي» وأراد أن يحرقهما فهددته بالقتل إن فعل .

غادرت المنزل تلك الليلة في حالة غريبة من السعادة. وتذرعت بأمر ما لأذهب إليهما بعد يومين حيث وجدت صديقي قد سبقني .

في منزل يعرب وجدت الجو الأسري الذي حرمت نفسي منه : كان مسكنا نظيفا مرتبا عامرا بأصناف الطعام البيتي التي تتولى أمره شغالة مصرية، وبالفاكهة وعلب السجاير الأجنبية . وكان كل منهما يحصل على منحة شهرية من الحكومة المصرية مقدارها تسعة جنيهات في الشهر ويتلقيان مبالغ إضافية من أبيهما، ولهذا كانا في مصاف الأثرياء بالنسبة لنا . و على الرغم من بساطة مسكنهما فإنه كان لا يقارن بالمنزل الذي قضيت فيه طفولتي والذي ظلت محتوياته تتناقص بالتدريج حتى لم يتبق به في النهاية غيرفراشي المعدني الصغير الذي تفككت ملته وهبطت في المنتصف حتى أوشكت أن تلمس الأرض بالإضافة إلى فراش أبي الحديدي الكبير وخزانة رخيصة يتعسر إغلاق مصراعيها وكنبة خشبية تمرح الصراصير في جنباتها وعدة مقاعد متهالكة.

على أن أهم ما كان يميز مسكن يعرب هو بالطبع أخته . كانت تصغره بعامين لكنها كانت أكثر منه وعيا . وعندما تعلق على قول ما كان ينصت اليها في اهتمام . وقبل أن يبدى رأيه في أمر من الأمور ينظر ناحيتها بشكل تلقائي وان كانت نظراته تستقر دائما على صدرها. وكنت أنا وزميلي الذي عرفني به نتظاهر بأننا مهتمان بالمناقشات السياسية والفكرية معه بينما كان اهتمامنا الحقيقي منصبا على أخته . ولعلها كانت أول فتاة في حياتنا نجالسها بجرية وحميمية. وكانت البهجة تشع في كياني عندما يقع نظري عليها ويجتاحني اليأس إذا لم أجدها. وكانت من جانبها ترحب بنا وتستحثنا على الزيارة . ولم نكن وحدنا اللذين نتردد عليهما . فقد التقينا لديهما بالعديد من الطلاب العرب الذين لم يخفوا اهتمامهم بها.

كان شتاء ذلك العام قاسيا فكنا نتردد عليهما تقريبا كل ليلة ونجلس حول المدفأة الكهربائية في الصالة فوق فوتيات حديثة ذات أرجل انسيابية وقماش مزركش أو نحملها إلى غرفة يعرب ونتجمع فوق فراشه العريض أسفل الأغطية

نشرب الشاي ونستمع الى الموسيقى الكلاسيكية أو نشتبك في نقاش نحرص على إبعاده عن نقاط الاختلاف فنسخرمن حزب البعث وحديثه عن الرسالة الخالدة للأمة العربية التي تظهر بأشكال متجددة في مراحل التاريخ وترمي الى تجديد القيم الإنسانية، ومن زعيمه ميشيل عفلق الذي استكتبه الدكتاتور السوري حسني الزعيم تحت ضغط المسدس تعهدا بالتوقف عن النشاط السياسي.

خلال ذلك كنت أرهف كل جوارحي لإيماءاتها وخلجاتها، متلمسا أي إشارة لعلاقة خاصة بينها وبين أحد المترددين على المنزل، متمعنا في تلك النظرة الغامضة التي تطل من عينيها والتي كانت تبدو أحيانا متسائلة وأحيانا أخرى ساخرة وأحيانا ثالثة متحدية وقد أتلعت رأسها وتضرجت وجنتاها سواء بفعل الحرارة المنبعثة من المدفأة أوبفعل النظرات المسلطة عليها، فاذا ما التقت عيوننا تدافعت الدماء إلي وجهي وحولت نظرى عنها . وفي نهاية السهرة أعود إلي غرفتي حاملاطيفها معي إلي أن آوى إلي فراشي، وعندئذ أنحيها جانبا وأغرق في طوفان من الحمى الجنسية لامكان لها فيه.

كانت فترة كالحلم وككل الأحلام انتهت .

ففي أحد الأيام وجدت لديهما شابا أردنيا قادما لتوه من بيروت يدعى شهاب. كان وسيما بالغ الاعتناء بملبسه. كان يدرس بالجامعة الأمريكية ويتردد عليهما باستمرار عندما يزورالقاهرة .كشف عن انتمائه لجماعة القوميين العرب وعرض علينا أفكارها التي بدت لي غامضة وساذجة مصاغة في كلمات فخمة وفضفاضة تحت شعار وحدة، تحرر، ثأر. انبريت لمناقشته لكنني لاحظت أنهما يصغيان اليه في احترام. كان هذا وحده كافيا لأن يثير قلقي . ثم تزايد القلق عندما لاحظت أنه يشترك معها في الحرف الأول من اسمها. وبدالي ذلك نذيرا بالشؤم . لكنني لم أكن مستعدا لما حدث بعد قليل . إذ انسحب الاثنان، شهلا وشهاب، إلى غرفة أخرى.

بدت على يعرب علامات التوتر وواصل الحديث بذهن شارد. وكنت متوترا مثله وقد تركزاهتمامي على تلك الغرفة . كنت أعرف أن بها مكتبا خشبيا ومقعدين وكنبة صغيرة. وكان بابها مواربا لكنني لم ألتقط صوتا يمكنني من تبين ما يجري داخلها.

أشعلت سيجارة بأصابع مرتجفة. ودخنت عدة سجائرعلى مدى أكثرمن ساعة قبل أن يظهر الاثنان. بدا شهاب كما لوكان مستيقظا لتوه من إغفاءة هنيئة وفى عينيه نظرة حالمة وعلى شفتيه ابتسامة رضاء. نقلت البصر إلى شهلا التى جاءت فى أعقابه. كان وجهها موردا ويداها مضمومتين أمامها. وعندما غادرتهم فى تلك الليلة كنت موشكا على البكاء.

تكرر ذلك المشهد عدة مرات . فى البداية عللت الأمر لنفسى بأن هناك عملا سياسيا ما بين الاثنين .وبالتدريج أيقنت أن ما يربط بينهما لا علاقة له بالسياسة .

كنت أعانى فى صمت . وأتابع فى تلذذ شرير مظاهر العلاقة بينهما : كيف تستقبله عندما يصل فى وجودى . وكيف تودعه إذا انصرف قبلى، وأحيانا كنت أتعمد الذهاب فى مواعيد مختلفة أثناء النهار متذرعا بأى حجة لأتبين وجوده من عدمه . كنت محاصرا لا أدرى ماذا أفعل، سعيدا فقط بأن أراها دون أن أجرؤ على مفاتحتها بحقيقة مشاعرى .

وذات يوم استقبلنا يعرب منفعلا :

- تصوروا ! بدأت الثورة فى عمان !

كان ربيع ٥٧ ساخنا للغاية . فى مصر كان يجرى الاستعداد لأول انتخابات ديموقراطية بعد الثورة . وفى الجزائر كانت المقاومة ضد الفرنسيين تدخل مرحلة حاسمة. وفى الأردن اضطر الملك حسين تحت الضغط الشعبى والقومى إلى طرد الجنرال جلوب باشا الحاكم الفعلى الانجليزى و جرت انتخابات ديموقراطية أتت بحكومة وطنية لم يلبث أن انقلب عليها. وكان رد فعل حركة القوميين العرب عنيفا بتنفيذ سلسلة من عمليات تفجير القنابل.

ولم تكد حرارة الصيف تشتعل حتى تلقى العمانيون رسالة من الإمام غالب تعلن الجهاد وتدعوهم إلى العودة إلى الوطن لتحريره من سلطان مسقط والنفوذ الانجليزى .

وما لبثت دعوة الامام غالب أن انتشرت وسلمت له المدن الرئيسية وعلى رأسها نزوى وحوصر السلطان فى مسقط فاستنجد بالانجليز. دخل هؤلاء المعركة وهاجموا قلعة نزوى وقصفوها بالطائرات فاضطر المجاهدون- كما كانوا يسمون

أنفسهم - إلى مغادرتها والالتجاء إلى الجبل الأخضر. وأبلغنا يعرب بسقوط نزوى وهو يكاد يبكى واتخذ قراره بالسفر فانهار الحلم .إذ تقرر أن تنتقل شهلا إلى بيت الطالبات .

طار أولا إلى البحرين ومنها إلى دبى ثم واصل الرحلة بالسيارة حتى مسقط حاملا معه كمية من الأدوية التى يحتاج اليها المحاصرون . وظللنا نتابع أنباءه من خلال رسائل متقطعة يبعث بها إلى أخته التى كنت ألتقى بها فى انتظام رغم الصعوبات. إذ كانت هناك قيود على الزيارات وعلى خروجها من بيت الطالبات فى المساء. كنا نلتقى فى العصارى بميدان المساحة القريب ونفترش حديقته الواسعة المرتبة. وأحيانا لا تأتى إذا كان شهاب فى القاهرة . لم أسألها أبدا عنه كأنما أردت إلغاء وجوده بالتجاهل التام . وكانت تطلعنى على رسائل يعرب التى تروى أخبار المعارك والبطولات . ولم تغب عن ذاكرتى قصة رواها عن امرأة عمانية قبض على زوجها بتهمة مساعدة الوطنيين وفى الليل فوجئت بدخول ضابط انجليزى عليها فهجمت عليه بسكين وصرعته بطعنتين ثم هربت فى الظلام.

وفى احدى الرسائل ذكر لنا ما تردد من إن صلاح سالم - أحد زملاء عبد الناصر الذى اشتهر باسم الصاغ الراقص عندما زار جنوب السودان ورقص شبه عار مع قبائله - قد وصل إلى الجبل الأخضر ليقود الثورة. وقال إن الإنجليز صدقوا الإشاعة وبحثوا عنه فى كل مكان .

كانت الرسائل غير منتظمة يحملها المسافرون أو تنظم وصولها المخابرات المصرية. لكننا كنا نجد وسيلة لمتابعة الأخبار عن طريق إذاعة صوت العرب التى كانت تخصص ركنا لعمان مساء كل خميس . وكنا نشعر بالنشوة عندما نتخيل الجالسين فى جبال عمان وهم يستمعون إلى نداءات أحمد سعيد الحماسية التى تنادى العرب من المحيط إلى الخليج. وكان يعرب قد أكد لنا فى رسائله أن هذه الإذاعة تسمع جيدا فى قمم الجبال وكثيرا ما تحمل اليهم أنباء المعارك الدائرة فى أطرافها.

كانت شهلا تستمع معى وقد تورد وجهها وشردت عيناها والتمعتا بضوء غريب. وعندما ينتهى البرنامج العمانى كنا نستمر فى جلستنا وتحدثنى عن

طفولتها. ومن هذه الأحاديث تكونت لدى صورة عن مدينة صنعاء التى نزح اليها أبوها وشبت بها: الأسوار الطينية التى تزينها الأبراج من كل جانب وتتخللها أبواب تقفل فى الليل . البيوت الشاهقة المتلاصقة المغطاة بالزخارف والنقوش البيضاء وتعلوها المنارات .النوافذ الواسعة العالية المكونة من مصاريع خشبية بعقود من الزجاج الملون الثابت الذى يعكس أشعة الشمس. الأسواق التى تحوى كل شئ من ترامس يابانية وأقمشة هندية وسورية وخزف تشيكى وأدوية ايطالية . الميدان الكبير الذى تتصدره صورة الملك أحمد محاطة بأنوار النيون . أصحاب الحوانيت الذين يتركونها مفتوحة فى الظهيرة وينطلقون للصلاة فى المسجد وقد سربلوا أكمامهم الطويلة لوقاية أيديهم التى طهروها للتو. وبعد الصلاة يتأخرون فى المساجد لأن المقاهى ممنوعة فيتبادلون الأخبار ثم يذهب الأغنياء لشراء القات ويؤوبون إلى منازلهم من أجل التقيلة وتخلو الشوارع.

وذات مرة شرحت لى حكاية القات وكيف أنه شجرة صغيرة ذات أوراق خضراء لها خاصية منبهة ويقبل اليمنيون على مضغها وتخزينها فى جوانب أفواههم ساعات كاملة فى مجالس خاصة بالرجال يشعرون خلالها بالسعادة .

سألتها إن كانت قد ذاقته فضحكت قائلة :

– طبعا . النساء أيضا لهن مجالس يذهبن اليها فى كامل زينتهن .الأحمر للشفاه والخدود والأظافر والكحل للحواجب والجباه وتحت الفم أما اليدان والقدمان فتزينهما جدائل سوداء فى شكل أكاليل من الزهور. تخلع كل قادمة ملاءتها وحذاءها ثم تدخل وتتبادل تقبيل الأيدى مع الجالسات. وتكون النوافذ مغلقة بالستائر والعقود الزجاجية تضئ الحجرة. ثم يبدأن بالتدخين وتخزين القات وبعد ذلك يأتي دورالرقص . فيفسح المجال فى الوسط لمغنية تحمل دفا وتنهض إحدى النساء وتمد يدها إلى أخرى تدعوها إلى الرقص معها.

قلت : أنتم إذن شعب سعيد .

ضحكت ساخرة : أنت لم ترأحد المناظر المألوفة فى المدن : رجل يجرالأصفاد فى قدميه ويسير فى الشوارع. فيكفى أن يكون لأى انسان نفوذ ما ليأمر بتكبيل من لا يعجبه بالقيود الحديدية أياما أو شهورا يواصل الأخير أثناءها أعماله العادية. وفى معظم الأحيان يكون عبدا يعاقبه سيده.

كان ذكر العبيد أمرا مثيرا لشخص مثلى لم يصادفهم فى حياته القصيرة فاستوضحتها. قالت إن فى حرض بشمال اليمن سوقا للرقيق يمكن أن يشترى فيه الواحد آدميا بألف ريال . وروت لى كيف أن سفيرالسعودية طلب من أبيها أن يساعده فى شراء جارية بيضاء من أحد أمراءصنعاء ليقدمها هدية لسيده. ونجحت وساطة أبيها وجرى التنفيذ فى منزله. وشاهدت شهلا من خصاص الباب كيف أجرت طبيبة أجنبية فحصا للجارية التى لم تتجاوز الخامسة عشرة من عمرها وكيف قاومت الفتاة الفحص الطبى إلى أن أخضعها الأمير.

لاحظت أنها تتجنب الإشارة إلى أمها فسألتها عنها واذا بملامحها تتبدل وتقسو. أجابتنى فى اقتضاب إنها ماتت. ثم أضافت بعد لحظة :

– كانت حاملا للمرة العاشرة. المرة الأولى كانت عقب زواجها مباشرة فى الرابعة عشرة من عمرها. كانت تشكو من متاعب فى منطقة الحوض منذ ولدتنى وحذرها الطبيب من الحمل والولادة لكن أبى لم يعبأ. ظلت تحمل ثم تلد جنينا ميتا وفى المرة العاشرة أحضر أبى طبيبا ايطاليا من تعزلرؤيتها . كان يجب أن تشهد هذا المنظر: الطبيب يصعد الدرج وخلفه المترجم وأمامه شاب يردد : الله .. الله ..تنبيها للنساء حتى يبتعدن . .أبى فوق إلى جوار أمى وباب الغرفة موارب ويقف خلفه مترجم . ثم تبدأ الأسئلة بصوت خافت إذ لا يجوز للمرأة الفاضلة أن تسمع إلا صوت زوجها والا يسمع صوتها غير زوجها : ينطق الطبيب بالايطالية ويترجم المترجم لأبى الذى يهمس بالسؤال فى أذن زوجته ويتلقى منها الجواب ويبلغه للمترجم الذى ينقله للطبيب . وبعد قليل أفتى الطبيب بضرورة الجراحة وفعلا أجريت العملية وولد الطفل وسعد الجميع إلا أمى التى قضت الأيام التالية مستلقية غير مكترثة إلى أن توفاها الله.

كنت بعد أن أتركها أمشى طويلا على شاطئ النيل دون أن أعبأبالشقوق المنتشرة فى حذائى وأنا أستعيدكلماتها وايماءاتها، مفتشا بينها عما قد يكشف عن عاطفة خاصة ازائى. ويغشانى الأسى العميق عندما تتناهى إلى سمعى أغنية لعبد الوهاب أو عبد الحليم حافظ . كم من السجائر دخنت فى استغراق وأنا أستمع إلى أغنيات «ظلموه» و «أهواك» و «أسمر يا أسمرانى»، أووأنا أشكو لأحد أصدقائى حبا بغير أمل.

في هذه الأثناء تكللت مباحثات الوحدة بين المنظمات الشيوعية المصرية بالنجاح وأعلن مولد الحزب الواحد في ٨ يناير ٥٨ . وبعد شهر واحد أعلنت وحدة مصر وسوريا وطارعبد الناصرإلى دمشق حيث حملت الجماهير سيارته. وتلاحقت الأحداث: في شهر يوليو سقط النظام الملكي في العراق وانهار حلف بغداد في ثوان بعد ان استولي عبد الكريم قاسم علي السلطة . وبدا حلم الدولة العربية الكبرى على وشك التحقق . كانعبد الناصر في عرض البحر عائدا من زيارة ليوغوسلافيا، فعاد أدراجه إليها وطارمنها إلي موسكووقد أدرك خطورة الموقف الذى وصل إلى درجة الانفجار. وبالفعل قام الأمريكيون في اليوم التالي بانزال مشاة بحريتهم إلى لبنان .

لكن الخطورة الحقيقية جاءت من ناحية أخرى .

فقد أدارت الانتصارات المتلاحقة رأس عبد الناصر خاصة بعد أن نجح في أن يفرض علىسوريا مفهومه عن الديموقراطية وتمكن من تصفية التحالف المؤلف من البعثيين و الشيوعيين . وبدوره آمن عبد الكريم قاسم بأنه الزعيم الأوحد. وتخاصم الزعيمان فانطلقت اذاعة صوت العرب تدعوه بقاسم العراق. واستغل الانجليز والأمريكان الفرصة بذكاء من خلال أنصارهم من المستشارين المحيطين بالزعيمين والصحفيين المغامرين (أمثال مصطفى وعلى أمين) في الحيلولة دون أى محاولة للمصالحة.

وانجرف الشيوعيون إلى المعركة .

في العراق أشفق الشيوعيون الذين قاموا بدور رئيسى فى إسقاط النظام الملكي أن يحرموا من حقهم في الوجود الشرعي ، إذا نجح عبد الناصرفي فرض مفهومه للوحدة علي العراق وهو المفهوم الذى يقوم على اعتباره هو شخصيا القوة السياسية الوحيدة الفاعلة . لذلك ساندوا عبد الكريم قاسم وانجرفوا إلى الحملات الموجهة ضد عبد الناصر وعقليته الانفرادية . ووجد هذا الموقف صدى له في صفوف الحزب الشيوعي المصرى الذى لم تمض على توحيده سوى بضعة شهور.

كان شبيه مثل الذى فعله عبد الناصر عندما تحالف مع البعثيين ضد الشيوعيين السوريين توطئة للتفرغ بعد ذلك للأولين، يجرى داخل صفوف الحزب

الوليد. فلم يتمكن المتحدون من إزالة العداوات الشخصية التي ولدتها صراعات دامت منذ الأربعينيات ولا تمكنوا من الاتفاق على خط سياسي واحد. لهذا تكتل تياران رئيسيان من أجل تصفيةالتيار الثالث . وبسرعة صارالموقف من عبد الناصرمحل الخلاف السياسي. ولم يلبث الحزب الوليد أن انقسم من جديد إلى حزبين، واحد يساند القوى الديموقراطية في العراق وسورية دون تحفظ، والثانى يؤيد عبد الناصر ويدعوإلى المصالحة بين القوى الوطنية لمواجهة المخاطرالاستعمارية .

في هذا الجو عاد يعرب فجأة من عُمان .

وعندما التقينا في الشقة التى استأجرها من جديد مع أخته راعني التغير الذى طرأ عليه . وجدته جالسا في الشرفة وأمامه زجاجة بيرة وبجوارها علبة المارلبورو المعتيدة . بدا واجما عازفا عن الحديث. ولم يلبث أن حدثنا عن صعوبة الحياة في الجبل الأخضر وانتشار الأمراض وعدم وجود طبيب أو دختر كما يسمى هناك . قال :

– تصوروا أننا نخرج الرصاصة من جسم المصاب بالحبال!

وأضاف مبتسما بمرارة :

– نضع الحبل مكان الجرح ونمرره داخله حتى يصل إلى الرصاصة ثم نسحبه فيخرج بها. وطبعا ينجم تسمم عن ذلك .

روى لنا في تلك الأمسية قصصا لا تصدق عن سذاجة المجاهدين . كان بعضها أقرب الى النكتة. مثل ما حدث عندما ترددت إشاعة بأن الميجور ووترفيلد القائد الانجليزى لقلعة نزوى صرح بما معناه : إذا كان الثوار جدعانا فلماذا يتحصنون بالجبال. لماذا لا يأتون إلى نزوى ويواجهونه؟ وعندما بلغ هذاالتصريح أسماع المجاهدين سارع خمسة من زعمائهم بمغادرة الجبل وانطلقوا إلى القلعة عازمين علي اقتحامها والوقوف أمام الميجور الانجليزى ليقولوا له : ها نحن قد جئنا يا ميجر فافتح الباب! فاذا فعل قضوا عليه وإذا لم يفعل سجلوا عليه جبنه وجبن حرسه !!

وعاد المجاهدون الخمسة من رحلتهم ليرووا أنهم طرقوا باب القلعة فلم يستجب لهم أحد فضاعفوا الطرق وهناوصل إلى سمعهم صوت الميجور يصرخ في الحرس : لا تفتحوا البوابة لأى انسان . مادامت مغلقة فنحن في أمان . وأخيرا قرر

المجاهدون الخمسة الانصراف فصاح أحدهم مخاطبا البوابة المغلقة : يا عقيد القلعة قل لسيدك إننا جئنا فلم يخرج لنا!

تمالكت نفسي كي لا أنفجر ضاحكا بينما مضى يعرب في حزن :

– الانجليز هاجموا البيوت والطائرات خرقت (أي ألقت قنابلها) فوق كل مكان . حتى منابع المياه قصفت بالقنابل. والتجأ الجميع إلى الكهوف. لكن الانجليز تمكنوا من إسقاط جنودهم فوق الجبل ونجحوا في احتلال قسم منه بإرشاد جندي كان مع جيشهم في كينيا وانضم إلي المجاهدين. وتمكنوا من اعتقال بعض الزعماء فوضعوهم في زنازين تحت الأرض بقلعة الجلالي وأحرقوا بساتين الآخرين ونسفوا منازلهم وصادروا أملاكهم.

أذكر أنه صمت طويلا ولم نجرؤ على مخاطبته بينما كانت شهلاتحدق في الفضاء، ثم تحولت إليه وقالت في سخرية :

– وهرب الباقون .

شعرت أنها تواصل حديثا سابقا معه . وقال هو في اضطراب :

– لم يبق الا القليل من المجاهدين في الجبال فقد نجا كثيرون بأنفسهم وفروا إلى الدمام والكويت والبحرين .

قاطعته شهلا : أو جاءوا إلى القاهرة .

أضاف في حمية مفاجئة : أنا لم أهرب . لقد جئت برسالة إلى السلطات المصرية طلبا لدعم عسكري كما أني مكلف باعادة تنظيم المجاهدين .

لكن ماشاهدته من سلوكه في الأيام التالية كان يكذب ذلك . فقد كان يقضي معظم الوقت جالسا في الشرفة مع زجاجات البيرة . التمست له وقتها الأعذار فقد كانت الأنباء تتوالى من عمان مؤكدة حتمية الهزيمة . ودب الخلاف بين زعماء المجاهدين وانقلب رؤساء القبائل مؤثرين السلامة بل قام بعضهم بالإرشاد عن مخابئ الثواروأسلحتهم . وعقب يعرب على ذلك بأن الثورة لم تخض عن وعي وفهم وكانت أقرب إلى القبلية فاذا سكت رئيس القبيلة سكت الجميع .

وما لبث أن انخرط في الصراع الدائربين الشيوعيين المصريين. كان القوميون العرب يؤيدون عبد الناصر على طول الخط بل ويدعونه لسحق من أطلق عليهم لقب الشعوبيون أي أعداء الوحدة الفورية مع العراق، ورحبوا بحل كافة

الأحزب السياسية في سوريا. وشكلوا في الكويت لجانا لمقاومة الشيوعية. ومن الطبيعي أني توقعت أن يكون موقفه متسقا مع موقفهم بحكم علاقته الوثيقة بشهاب . لكنني فوجئت به يأخذ جانب من كنا نسميهم باليساريين الذين رفعوا شعارات تساند عبد الكريم قاسم وتدعو عبد الناصر إلى الاقتداء به. ولم تفرق أقفال الحديد التي لوح بها هيكل مهددا في مقاله الأسبوعي بين يمين ويسار. ففي الساعات الأولى من أول أيام العام الجديد – ٥٩– كان الجميع، بما فيهم أنا، مقبوضا عليهم وفي الطريق إلى السجون والمعتقلات . وكان ذلك آخر عهدي بيعرب وأخته.

4

مسقط

ديسمبر ١٩٩٢

١**

«إن الخلاص الكامل والأبدى لكافة كائنات الكون أجمع، سيتم إذا ما أنشدت البشرية جميعا وبقوة: نام - مياو- هو - رن- جي - كيو.

ان النمو الروحي السلس واللامحدود لكافة الكائنات فى الكون أجمع، الظاهر واللامرئى، لن يتحقق إلا إذا تلقت البشرية كلها ال نوكو-دو أمام تيان تان، الخادم المقدس لتيان تاو».

انتهى الإعلان التليفزيونى بأن رفع المذيع كتابا يحمل هذا العنوان: «أربع خطوات نحو السلام التام، المؤلفات المختارة للبروفسورالدكتور هيلسانوكى كوماكي».

أعجبني ايقاع الكلمات الأسيوية وذكرنى بالإعلانات التى ألفناها فى السبعينيات للزعيم العظيم كيم ايل سونج، «الشمس المشرقة فوق كوريا الشمالية».

فتحت علبة البيرة التى زودنى بها جوهر وتخيلت شقيقة أمامى لكى أقول لها وأنا أجرع المنكر: مياو.

كنت منفردا بالمنزل أنتظر عودتها مع فتحي لنتناول طعام الغذاء الذى تبرعت بالمساهمة فى إعداده.

انتهيت من طهى الأرز ووضعت صينية بطاطس بالطماطم والبصل فى الفرن ثم عدت الى الصالة فاسترخيت فى المقعد التليفزيونى وأمامى علبة البيرة. أدرت التليفزيون ومضيت أتنقل بين القنوات. واحدة عربية أخرى من الإمارات، ثم بى بى سى وأخرى انجليزية من هونج كونج. وانتهى بى المطاف عند قناة غربية تقتصرعلى الأغانى.

دق جرس التليفون فرفعت السماعة المتنقلة الى أذنى. كررت كلمة آلو

دون أن يرد على أحد . أنصت لصوت أشبه بالتنفس ثم انقطع الخط فأعدت السماعة مكانها .

تناولت إحدى مجلدات «موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب» المصفوفة فى خزانة التليفزيون . قرأت الكلمات المدونة على ظهر الغلاف والتى تصف الموسوعة بأنها «تجربة فريدة لم يسبق لها مثيل فى التاريخ العربى الحديث» وتتمثل فى جمع وتوثيق تسجيل الأسماء العربية المتداولة وتحقيق أصولها ونشأتها وتطورها. وتعرضت الكلمة الموجزة إلى الفائدة العملية للموسوعة بالنسبة للمواطن العادى . فقالت أنه سيعرف بفضلها لماذا يسمى ابنه زيد أو عمرو.

قلبت صفحات المجلد الذى يضم حرف ش بحثا عن اسم شفيقة ولم يقدر لى أن أتوصل إلى أصل اسمها إذ دق جرس التليفون فرفعت السماعة . تكرر ما حدث معى فى المرة الأولى فأعدتها الى مكانها . وبعد قليل دق مرة ثانية فتأملته دون أن أحرك يدى . استمر الرنين مدة طويلة وأخيرا رفعتها فجاءنى صوت غريب :

– السيد رشدى ؟

– أنا هو . من يبغيه ؟

– أنت لا تعرفنى . هناك موضوع هام أريد أن أراك بشأنه.

كان المتحدث عمانيا فى الأغلب رغم محاولته تقليد اللهجة المصرية .

قلت : أى موضوع ؟

– لا أستطيع الحديث فى التليفون. الأفضل أن نلتقى .

فكرت لحظة ثم قلت : تفضل عندى .

– لا . أفضل أن نلتقى فى الخارج .

قلت : أين ؟ أنا لا أعرف البلد .

قال : يمكن أن نلتقى أمام المدخل الرئيسى لمسجد قابوس . فهو ليس بعيدا عن منزلك . عشر دقائق على الأقدام .

قلت : متى ؟

قال : عند صلاة الظهر .

قلت : وكيف سأتعرف عليك ؟

قال : أنا الذى سأفعل . ما رأيك ؟

ترددت فى الإجابة فقال : الموضوع يهمك .

قلت : أوكى .

قال : هناك شئ مهم . أرجوك ألا تخبر أحدا بهذا الموعد . ولا حتى قريبك .

ترددت مرة ثانية فأضاف : الظهر إذن .

انقطع الخط ووضعت السماعة فى بطء. تناولت علبة البيرة فأتيت على رشفتها الأخيرة ثم وضعتها فى كيس بلاستيكى ودسستها أسفل المقعد وعدت الى الموسوعة. واصلت البحث عن اسم شفيقة دون جدوى .

نهضت بمجرد أن ترامى الى سمعى صوت الأذان فجذبت الكيس وغادرت المسكن . ألقيت به فى أول صندوق قمامة صادفنى . وسرت حتى مبنى الغرفة التجارية الذى يقع على ناصية شارعين . انحدرت فى الشارع الذى يمر فوق الوادى حتى بلغت سينما بلازا ومطعم كنتاكى . واصلت السير حتى أول ناصية فانحرفت يمينا ورأيت المسجد على مقربة.

كان المصلون مازالوا يتوافدون وبينهم كثيرمن الهنود والباكستانيين .ولم يعبأ بى أحد منهم . وتذكرت ضجة القاهرة عندما سمعت سائق ميكروباص ينادى بأعلى صوته : بوشر .بوشر.

انتظرت مدة أمام المدخل دون أن يقترب منى أحد . وعندما انصرمت نصف ساعة قررت الانصراف . مضيت فى الشارع حتى نهايته، فمررت بعدة مبان حكومية تلتها السفارة اليمنية الى أن بلغت تقاطعا رئيسيا فاتجهت يمينا. وقمت بجولة واسعة حول المنطقة قبل أن أعود الى المنزل .

وصل رنين جرس التليفون الى سمعى وأنا أضع المفتاح فى قفل الباب . وتوقف بمجرد دخولى ولم يلبث أن تكرر بعد لحظات .

جاءنى صوته معتذرا :

– جئت لكنى لم أتمكن من الحديث اليك . سأشرح لك الأمرعندما نلتقى .

قلت : ليس عندى وقت لهذه الألاعيب .

قال : معلهش . تحملنى قليلا .

قلت : ألا تظن أن المسألة زادت عن حدها ؟ اذا كنت تريد أن تراني تعال البيت .

قال : جربني هذه المرة . إنها الأخيرة . ولن تندم .

تنهدت في استسلام فسألني :

- هل ستخرج غدا ؟

قلت : ربما .

سأل : متى ستخرج لو فعلت ؟

- ليس قبل العاشرة صباحا.

- سأكلمك قبلها .

ووضع السماعة.

شممت رائحة غريبة فتذكرت صينية البطاطس. أسرعت الى المطبخ وأخرجتهامن الفرن . تأملت الكتلة السوداء التي طالعتني ولعنت المتحدث التليفوني والموسوعة وشفيقة والبيرة.

ألقيت محتويات الصينية في صندوق القمامة ثم وضعتها أسفل مياه الحنفية . وشغلت هواية المطبخ وفتحت نافذته ثم عكفت على إعداد صينية جديدة.

اعتنيت بعملي هذه المرة فلم أغادر المطبخ حتى تضجت الصينية . وبينما كنت أكشف غطاءها لأتأكد من درجة ملوحتها سمعت صوت ابن عمي وزوجته. حملت حلة الأرز الى المائدة . وفوجئت بسيدة غريبة ترتدي ثوبا عصريا يكشف عن ساعديها حتى المرفقين . والأهم من ذلك أن شعرها كان عاريا تم تصفيفه عند الكوافير كما كان هناك أثر مكياج خفيف على وجهها.

سألتها عما حدث فلم تعن بالرد علي و تبرع فتحي بالإيضاح :

- قال لها طبيب باكستاني إن الحجاب مسئول عن الصداع . وخيرها بين أن ترتديه طول الوقت ولا تخلعه عند النوم كما تفعل أو تتخلى عنه نهائيا كي لا تتعرض لتأثير الهواء المكيف على جيوبها الأنفية .

قالت في تحد : اخترت الحل الأخير فالإسلام الصحيح لا يشترط حجاب المرأة .

قلت : يا شيخة . من قال هذا ؟

قال فتحي : الأرستقراطيات هن اللاتي يتغطين كاملا أما اللاتي من أصل زنجباري فلا يغطين حتى رؤوسهن .

أحضرت صينية البطاطس وجلسنا حول المائدة وأنا مستغرق في محاولة فهم فلسفة الأزياء، وانتزعني فتحي من تأملاتي قائلا إن الفندي، مدير المركز الموسيقي، ينوي دعوتنا للعشاء.

استفسرت شفيقة : في بيته ؟

قال : لا . في فندق الانشراح أونادي الجولف .

قالت : هل سيحضر زوجته معه ؟

قال : لا أعرف .لا أظن .

قلت : اذهبا انتما. أنا على أي حال أنوي الصيام .

لم يبد عليه الحماس . قال : هذه دعوة ستكلف كثيرا .

قلت : أليس هو الذي سيدفع ؟

قال : لكن لا بد من ردها .وبشكل أفضل . العُمانيون كرماء لكنهم يحتقرون من لا يبادلهم الكرم بنفس المستوى أو أكثر قليلا .

قالت : نصف دخلنا يضيع في الهدايا والمجاملات .

تدخلت في الحديث : ألا يمكن الاعتذار ؟

- لا.الفندي لا يعتذر أحد عن دعوته . ثم إنها من أجلك فهويريد أن يتعرف بك.

* * ٢

تلفن في الصباح كما وعد .

قال : ما رأيك في أن نلتقي بعد نصف ساعة ؟

قلت : أين؟

قال : في المتحف الوطني .

قلت : أنت نسيت أني لا أعرف البلد جيدا .

قال : المتحفِ لا يتوّه . أنت تعرف مسجد قابوس ومطعم كنتاكي. التقاطع التالى هو دوار روى ويمر به شارع قابوس متجها الى المطار. المتحف ليس بعيدا . ستتبينه بعد أربعة دوارات . خذ تاكسي الي هناك . وعندما يسألك السائق «انجاج» قل له نعم . لتضمن ألا يشاركك أحد .

استفسرت : ماذا سيقول؟

– انجاج . كلمة انجليزية قمنا بتعمينها . وضحك .

قلت : بعد نصف ساعة إذن.

أنزلني تاكسي انفردت به «انجاج» أمام مبنى متواضع للغاية . ولجت قاعة واسعة بها تصدرها نموذج لسفينة شراعية قديمة وتحمل جدرانها لوحات للمراحل التاريخية . وأكملت خزانات الصخور وبقايا الأواني الخزفية والملابس والأسلحة صورة مثيرة لتاريخ يمتد الى ماقبل التاريخ .

خالجني انطباع بأن الخطوة الأولى للحضارة بدأت هنا وان عُمان ربما كانت البوابة التى عبر منها الإنسان الأول.

قادما من وسط أفريقيا الى آسيا ؟

حقائق أم مبالغات ؟

ما ثبت هو أن الجزيرة العربية تعرضت للجفاف قبل الميلاد بعدة قرون فهاجرت قبائلها الى عمان . وعندما انهارسدمأرب انضمت اليهم قبيلة الأزد اليمنية. وأقام زعيمها مالك بن فهم مملكة قوية ربما كانت أول مملكة عربية عرفها التاريخ . واستمرت قائمة الى أن بعث اليها النبي بعمرو بن العاص يحمل رسالة مكتوبة تدعوأهلها الي الإسلام فلبوا الدعوة .

كانت الرسالة التاريخية محفوظة فى صندوق زجاجي محكم . وبدا الخط– الذى سطره أحد الصحابة – أشبه بالطلاسم . لكن خاتم النبى كان واضحا : محمد رسول الله .

انقضت نصف ساعة بسرعة دون أن يظهر متحدثي الغامض فاتجهت الى الباب وغادرت المبنى . وقفت فوق الرصيف أتطلع حولي بحثا عن سيارة تاكسي وإذا بسيارة يابانية زرقاء اللون تقترب مني وتقف أمامي مباشرة . كان القائد رجلا

قصير القامة فى الملابس التقليدية له وجه حليق شديد السمرة تغلب عليه الملامح الأفريقية . مال على النافذة القريبة مني وفتح لى الباب قائلا : تفضل .

تعرفت على الصوت لكنني لم أتحرك فابتسم كاشفا عن أسنان ناصعة البياض :

– أعتذر مرة أخرى على تأخرى . تفضل بالركوب .

– الى أين ؟

– لن نذهب إلى أى مكان . سنتجول قليلا لنتحدث .

وأضاف عندما لاحظ ترددى : لا تخف . لن تتعرض لأى أذى .

ركبت إلى جواره . وبحركة أوتوماتيكية وضعت حزام الأمان حول صدرى.

قال وهو ينطلق بالسيارة فى حركة رعناء : على كل حال أعطيتك فرصة لمعرفة التاريخ العمانى .

خرج إلى شارع قابوس واتجه فى عكس الاتجاه الذى جئت منه وهو يستطرد :

– هناك خاصية غريبة فى هذا التاريخ . وبما بسبب الموقع . فنحن دائما مطمع لكل أجنبى.

ألسنا جميعا ؟

– الأهم من هذا هو ان الأئمة الضعاف كانوا يستعينون دائما بالأجنبي ضد منافسيهم ولو كانوا عربا مثلهم. استعان أحدهم بالفرس فاحتلوا البلاد . هذا في الماضى البعيد . وفى العصر الحديث برزت قبيلة القواسمفى رأس الخيمة وأصبحت قوة بحرية. وخشاهم السلطان السيد سعيد فتقرب من الفرنسيين ثم الانجليز وأخيرا انتبه لقوة الولايات المتحدة النامية فعقد معها معاهدة فى عام ١٨٣٣ وحاول أن يستعين بها للسيطرة على ممباسا .

توقف أمام اشارة مرور فلزم الصمت الى أن استأنف السير.

– خاصية أخرى هي قتل الأب . ابن السيد سعيد هذا وخليفته كان اسمه ثويني. فرض ضرائب أثارت استياء السكان وتذمرهم فاجتذبوا إليهم أكبر أبنائه سالم. وذهب هذا الى أبيه فى الظهيرة وكان الأب وحيدا فى غرفته مستلقيا فوق

فراشه. طلب منه سالم إلغاء الرسوم الجديدة لكن الأب تمسك بموقفه وبدأ بشرح موجبات وضعها فما كان من الابن إلا أن شهرمسدسه وأطلق رصاصة على أبيه فقتله ... هل رأيت لوحة مالك بن فهم فى المتحف ؟ هل تعرف أنه لقى صرعه على يد ابنه؟

لم أكن قد انتبهت لهذه التفصيلة فانطلق يرويها.

– تقول الأسطورة ان أولاد مالك كانوا يتناوبون الحراسة بالليل. وكان سليمة أحبهم اليه فعلمه الرماية منذ الصغر حتى برع فيها . وأثار هذا الحب حسد بقية الأخوة فدسوا عليه لدى أبيهم. وزعموا له أنه ينام أثناء الحراسة. ماذا فعل مالك؟ قرر أن يختبر دعواهم بنفسه فخرج متخفيا ووجده نائما على ظهرفرسه. وعندما شعرالفرس باقتراب مالك صهل فانتبه سليمة من نومه مذعورا ووضع السهم فى الوتر ويممه نحو أبيه وسمع مالك صوت السهم وهو خارج من القوس فهتف به: يا بنى لا ترم أنا أبوك ، فقال الولد : يا أبت ملك السهم قصده. قولة مشهورة تعرفها ولا شك . أصاب السهم مالكافى قلبه فوقع صريعا وهو يردد قولة أخرى شهيرة: أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى . تعرفها طبعا .

قصة مؤثرة تدعو الى التفلسف. قلت :

– الحياة لا تستمر إلابقتل الأب .

هز رأسه بشئ من الاستهانة : فرويد.

بلغنا أول دوّار فى طريقنا فانحرف يسارا . وبعدها لم أعد أعرف أين أنا . ولحظت أنه لايكف عن التطلع فى المرآة إلى السيارات القادمة خلفنا .

أوشكت أن أبتسم . فمن المؤكد أنه لن يكتشف شيئا إذا كانت هناك مراقبة ما سواء من جانب السلطان أوغيره . فعملية التحديث التى قام بها السلطان لا بد أنها شملت أيضا فنون التنصت والتتبع والمراقبة.

قلت : ما رأيك فى أن نتعارف؟ أنت تعرف اسمى ورقم تليفونى وربما أشياء كثيرة عنى ، بينما أنا لا أعرف عنك شيئا .

قال : عفوا إذا كنت لن أذكر لك اسمى . هذا أفضل . ثم إنه لا أهمية له. بوسعى أن أذكر لك أى اسم . وسوف تدرك بعد قليل سر الاحتياطات التى أتخذها. أنا كنت أمس بالقرب منك كما أخبرتك لكنى لم أغامر بالحديث اليك.

كنت أريد أن أتأكد أولا مما اذا كان هناك من يراقبك . واليوم أيضا فأنا موجود منذ ساعة هنا.

تذكرت موسوعة السلطان . قلت : سأسميك زيد أم تفضل عمرو؟

ضحك : زيد أفضل. فهوالأكثر انتشارا فى جنوب الجزيرة .

استطرد : كل ما أبغيه هو أن أساعدك فى العثورعلى صديقك .

فوجئت : أى صديق ؟

– ذلك الذى تبحث عنه وعن أخته .

– كيف عرفت أنى أبحث عن أحد ؟ كيف عرفت أساسا بوجودى؟

ضحك : هذه مدينة صغيرة لا يخفى فيها شئ .

لم أدر ماذا أقول فسألته: ولماذا تبغى مساعدتى ؟

– لأكسب ثوابا .

– أتظن هذه إجابة مقنعة ؟

– طبعا لا . لا تقلق . سأذكر لك كل شئ . اسمح لى أولا بسؤال : ما هى آخر مرة رأيت فيها صديقك هذا أو أخته ؟

ترددت لحظة ثم قلت : منذ ثلاثين سنة فى القاهرة .

قال وهو يتأملنى بإمعان : أليس هذا غريبا ؟ أن تبحث عن شخص لم تره منذ ثلاثين سنة ؟

فعلا غريبة ، معه حق .

– هل تذكر اسمه الكامل ؟

– لا.

– ألا ترى أن هناك غرابة في الأمر؟

– أنت نفسك قلت إن الأسماء لا أهمية لها.

كنا قد اخترقنا عديدا من الشوارع الجانبية وهولا يكف عن التطلع خلفه . ولحظت أننا نتحرك فى دائرة واسعة حول الطريق الرئيسى السريع .

– وأخته ؟

– لم أرها أيضا أو أسمع عنها طول هذه الفترة .

– والآن ؟

- أريد أن أعثرعليها .

تفحصني بدقة : لماذا؟ لا بد أنها الآن فى مثل عمرك ؟

لزمت الصمت برهة ثم قلت : ربما كنت أبحث عن موضوع للكتابة.

مد يده الى درج تابلوه السيارة وتناول كيسا من البلاستيك دفعه الى .

كان الكيس خفيفا ويحمل شارة محلات «بنيتون، الألوان المتحدة» .

هممت بفتحه فاستوقفنى :

- ليس الآن . اقرأها فى المنزل .

- مجلة أخرى ؟

نظر الى متسائلا : ماذا تعنى ؟

قلت : هل أنت الذى تركت لى مجلة «صوت الثورة» مع البواب ؟

أطلق من فمه صفارة طويلة : وصلوا اليك إذن .

- من هم ؟

- ستعرف فى الوقت المناسب . ستجد هنا نسخة مصورة من أوراق تهمك . ستجد اسمك فيها . اقرأ ثم نلتقى وأحكى لك كل شئ .

ثم أضاف : لست فى حاجة لأن أحذرك من وقوعها فى يد السلطة .

كنا قد بلغنا دوار روى فدار يمينا وأنزلنى قبل ناصية كنتاكى . غادرت السيارة فانطلق على الفور . سرت فى اتجاه منزلى وأنا أهز الكيس فى يدى اليمنى . تذكرت أيام المنشورات السرية. كانت مطبعة التنظيم قد وقعت فى يد الشرطة فاستأجرنا غرفة فوق سطح أحد البنايات فى منطقة القبة. وأقمنا فيها مطبعة مؤقتة عبارة عن لوحين من الخشب فى حجم مجلد من مجلدات «تاريخ الحضارة» تغطى أحدهما قطعة من القماش الشفاف. وطبعنا أول منشوريعلن التأييد لعبد الناصر بعد عودته من باندونج . ووصف المنشور حكومته ب «الرشيدة» وهو وصف أثار التندر طويلا. ثم توليت توزيعه على أعضاء التنظيم وكنت دائم الابتكار فى طريقة اللف . فكنت أجمع أكياس البقالة الورقية السميكة وأضع فيها المنشورات وأحملها فى الطريق ضاما إياها الى صدرى كما يفعل موظف الحكومة عند عودته الى منزله بعد أن اشترى احتياجات اليوم من خضراوات وفاكهة . فلم تكن الأكياس البلاستيكية قد عرفت بعد، ولا «بنيتون» وألوانه أيضا .

هززت الكيس فى وجه جوهر، فأعطانى نصيب اليوم من البيرة . ووضعتها فى البراد بمجرد دخولى المسكن وجلست فى مقعد التليفزيون وأخرجت محتويات الكيس . كانت عبارة عن مجموعتين من أوراق التصوير ثبتت كل منهما بالدبابيس على هيئة كراس . تصفحتهما بسرعة فتبينت أنى أمام يوميات بخط واضح جرئ، طمست كلماته فى بعض المواقع .وحملت كل مجموعة تاريخا باللون الأحمر على صفحتها الأولى. وأشار تاريخ إحداهما وأصغرهما حجما الى عامى ١٩٦٠ و ١٩٦٥ فقررت أن أبدأ بها.

أعدت المجموعة الثانية الى الكيس البلاستيكى وحملته الى غرفتى فدسسته بين طيات قميص فى حقيبة السفر. وعدت الى مقعدى فى الصالة . لم تكن الساعة قد تجاوزت منتصف النهار وقدرت أن أمامى وقتا يسمح لى بقراءة المجموعة الأولى قبل عودة شقيقة من عملها. فلم يكن عندى شك فى ان ما بها قمين بأن تصادره السلطة التى أعيش فى ظلها .

5

بيروت

١٩٦٠-١٩٦٥

٥ سبتمبر ٦٠

.. أعشق هذه المدينة . هل لأني أشعر فيها بأني حرة ؟ حتى الآن لا أفهم كيف استطاع يعرب اقناع أبي بأن يتخلى عن فكرة زواجي من ابن عمي ويلحقنا نحن الاثنين بالجامعة الأمريكية ويدفع لكل منا ألف دولار في السنة . لعلها صحوة ضمير. أو ربما اتخذ القرار في إحدى فترات شروده عندما لا يكاد يحس بوجودنا. أعتقد أنه سعيد بفكرة التخلص منا لبضع سنوات . زوجته الجديدة أصغر مني سناً.

٦ سبتمبر

.. أقمت في بيت الطالبات داخل «الكامبوس» . اشترك يعرب مع طالبين أحدهما عراقي والثاني بحريني في شقة قرب الجامعة . يدفع كل منهم ٣٠٠ ليرة في الشهر.

..شريكتي في الغرفة ميّ. عربيتها ضعيفة رغم أنها ابنة أديب لبناني معروف. لايغادر بيته في الجبل.

. .بعد عشرين دقيقة على الأقدام نكون في الحمرا. ذهبنا الى مقهى اليسار في شارع بليس. يسميه الطلبة مقهى اليسار. تعشينا في مطعم فيصل. كنا مجموعة كبيرة بها طلبة من أفغنستان وأثيوبيا وانجلترا فضلا عن العرب .أراد شهاب أن أرافقه الى مسكنه لكني اضطررت للعودة الى البيت. لايسمح لنا بأن نتأخر بعد الثامنة مساء. .

٧ سبتمبر

..رغم أن بيروت مرتع لأجهزة المخابرات الغربية إلا أن فيها حركة ثورية نشطة . تقريبا كل شخص منضم لجماعة ما . ما أحبه فيها هوالمقاهي الأنيقة في الحمرا. والتجمعات الكبيرة التي يناقش فيها كل شئ . حركة الترجمة النشطة.

أشعار ناظم حكمت ومايكوفسكي. موسيقى الروك والفيس بريسلي. أفلام تروفو وجودار. تبدو القاهرة رغم ضخامتها كالقرية إلى جوار بيروت. الرفاق اللبنانيون أكثر وضوحا فيما يتعلق بمساواة المرأة بالرجل.

٩ سبتمبر

.. أوصلنا شهاب بأحد رفاقه .انتظمنا في خلية تقودها طالبة لبنانية تسكن بناية عالية بشارع الحمرا . رغم الجو الديموقراطي إلا أننا ملتزمون بالسرية التامة. عدد كبير من الرفاق من عائلات ثرية ويملكون شركات كبيرة وسيارات. منظمة الجامعة تدعى الرابطة.

١٠ سبتمبر

.. أراني شهاب قاعة بليارد كانت تتم فيها الاجتماعات الأولى لـ «القوميين العرب» بعد نكبة ٤٨ وسط الأعلام والسيوف. أغلبهم كانوا طلبة يرتدون القمصان السوداء ويمارسون طقوسا غريبة في قهر النفس وتطهيرها.يعادون الماركسية والشيوعية . تشكلت منهم كتائب الفداء العربي (جهاد ضاحي وقسطنطين زريق). ثم انفصل جورج حبش مكونا منظمة الشباب القومي العربي من عناصر من طلبة الجامعة الأمريكية منهم وديع حداد الفلسطيني ، أحمد الخطيب الكويتي ، هاني الهندي السوري ،حامد الجبوري العراقي .

....ذاعت التفاصيل الخاصة بمقتل شهدي عطية أحد قادة الشيوعيين المصريين في السجن وأول سجين شيوعي يقيد بالأغلال الحديدية أيام الملك . ظلوا يضربونه حتي سقط ميتا . قيل إنه كان يهتف بحياة عبد الناصر أثناء التعذيب. هناك ارتياح بين قادة المنظمة لتصفية الشيوعيين المصريين . أفكر في مصير رشدي. لم أره أو أسمع عنه منذ بدأت الاعتقالات في فجر أول يوم من السنة الماضية.

..المعركة مستمرة بين قاسم وناصر.

١١ سبتمبر

.. ذكرني الترام بالقاهرة . عربتان مفتوحتان مثل ترام السيدة زينب . درجتان : بريمو بمقاعد مبطنة وسكندو بمقاعد خشبية. ركبته من شارع بليس حتي نهاية الخط في راس بيروت.

.. اشتريت حذاء جديدا بكعب مرتفع من شارع سوق الطويلة .

١٢ سبتمبر

.. فيلم سايكو لهيتشكوك.مثير. أتطلع الى رؤية فيلم دولشا فيتا لفيلليني.

.. نزلت أنا ومنى البحرأمام الجامعة .

١٥ سبتمبر

.. قرر يعرب شراء راديو ترانزستور. سنحاول ارسال واحد لأبي.

١٩ سبتمبر

.. زيارة لساحة البرج . سوق الشراميط . يحصلن على اذن عمل من الحكومة ورقابة طبية . من ٥ لغاية عشرين ليرة . مركز الشرطة في أول السوق. لافتات منورة بأحمر. ماريكا، سونيا، اللهلوبة . في شارع الحمرا نفسه مومسات يمكن طلبهن على التليفون . لا بد ان تتحررالنساء من الحاجة الي بيع أجسادهن.

٢٢ سبتمبر

.. نظمنا مظاهرة كبيرة تأييدا لنضال الشعب الجزائري . عندما مررنا بشارع جان دارك وضعنا اسم جميلة بوحريد فوق لافتته.

٣٠ سبتمبر

.. الناس تفهم الوجودية بصورة خاطئة . الوجودي في عرفهم إنسان بلا قيم أو أخلاق وبوهيمي .لكن النقطة الجوهرية في فلسفة سارتر مثلا هي مسئولية الانسان عن أعماله أمام نفسه وأمام مجتمعه . يعجبني موقفه من المجتمع ومواقفه المبدئية . رفض مثلا جائزة نوبل لأنها أعطيت له من قبل هيئة محافظة . يعيش هو وسيمون دي بوفوار علاقة حرة مهاجما الزواج البرجوازي والمؤسسة كلها بمافيها إنجاب الاطفال . اتفقا على أن الحب الذي يجمع بينهما لا يجب أن يقيد حرية كل منهما في إقامة علاقات جانبية . فلا أحد يملك جسد الآخر أو روحه .

أول اكتوبر

.. حادث بشع في البناية التي يسكنها يعرب. قتل الحارس أخته عندما اكتشف أنها حامل بغير زواج.

٧ اكتوبر

.. أبديت افتتاني بالازدهار الاقتصادي فشرح لي أحد الرفاق اللبنانيين

أنه ازدهار مفتعل من أساسه .الاقتصاد اللبناني لا يعتمد على وجود قطاعات منتجة بل على الخدمات التي يقدمها إلى أفواج السياح أو البلدان المجاورة مثل تجارة الترانزيت ووكالة البيوت المالية والبنوك الغربية . كما أن هذا الازدهار المزعوم لا يستفيد منه سوى أربعة في المئة من السكان يسيطرون على ثلث الدخل القومي.

..قال يعرب إن الصحافة اللبنانية وطنية وحرة فضحك رفيقنا اللبناني وقال إن أغلب الصحف الوطنية هنا ممولة من السفارة المصرية وتتلقى الصحف الأخرى تمويلها إما من شيوخ البترول أوالاستخبارات الأجنبية .

١٢ كتوبر

.. قررنا أن نمتنع عن تدخين السجائر الأمريكية احتجاجا على السياسة الإستعمارية للولايات المتحدة وعلاقة شركاتها بالنظام العنصري في جنوب أفريقيا تحولنا الى سيجارة بفرة اللبنانية.

٣٠ اكتوبر

.. في لبنان عشرون طائفة . لاأدري كيف يتعايشون .

.. أبلغتنا المسئولة بحضور ندوة هامةعن الوحدة العربية في النادي الثقافي العربي . أعطوا الميكروفون لشاب دون أن يذكروا اسمه. بدأ يتحدث في هدوء ثم تدفق كشلال مياه . ركز علي أهمية نكران الذات والعمل للوطن وللأمة العربية الهينا. عندما ينفعل يطوى يده على شكل قبضة .

٤ نوفمبر

.. استفسرت من المسئولة عن اسم المتحدث. رفضت أن تذكره لي قائلة إنه عنصر سري . قال لي شهاب إنه جورج حبش . لم أصدق أني رأيته بعيني .

.. حولت من الطب الى كلية العلوم السياسية ففيها اقتصاد وفلسفة.

١٨ نوفمبر

.. غريب أمر الرجل الشرقي . أنا الذى قررت أن الوقت قد حان لأنال حريتي . وبدا هو مترددا . أثارتني الرغبة البادية في عينيه وهو يتطلع إلي جسمي العاري. لكني لم أستمتع بالشكل الذى كنت أتصوره . رغم أني لم أتألم . كنت أستمتع أكثر في القاهرة عندما كنا نكتفي بالقبل . وفيما بعد أخذ يعتذر لي .

لماذا؟ لا أدري . ثم قال إنه على استعداد لأن يتزوجني فورا . كأنما ارتكب شيئا في حقي .ضحكت.

.. تأملت نفسي طويلا في المرآة . لم يبد على أي تغيير . ما زلت عاجزة عن التآلف مع صورتي . كتفاي أعرض مما يجب . صدري أيضا أكبر مما يجب.

.. أتذكر كثيرا منزلنا في الدقي ورشدي الذى كان يتطلع إلي دائما بعيون والهة. لم يجد الجرأة على مصارحتي بمشاعره . غريب هو الآخر .

..قرأت رواية ليلى بعلبكي . لم أتصور أن توجد كاتبة عربية بهذه الجرأة .

٢٥ نوفمبر

.. ما زلت عاجزة عن الاستمتاع. تأخرت أمس عند شهاب.وصلت الهوستل في التاسعة مساء. قررت الإدارة حرماني من الخروج في الويك اند التالي .

٢ ديسمبر

..الجامعة الأمريكية مركز لنشاط ثقافي حيوي . هناك أساتذة قوميون مثل يوسف صايغ وقسطنطين زريق وحنا بطاطو وليد الخالدي . لا يتورعون عن مهاجمة السياسة الأمريكية أمام أعضاء السفارة الذين يحضرون العروض السينمائية .

..اكتشفت منطقة شديدة الحساسية في ظهري .عندما يلمسها شهاب أذوب تماما. أصبح هناك منافس لصدري .

٦ ديسمبر

.. علاقة يعرب بشهاب متوترة .. أيكون ذلك بسببي؟ أتذكر مواقف معينة . لا أستطيع تفسير سلوك يعرب ازائي. مي" أيضا لا تطيق شهاب.

٢٨ ديسمبر

..مررت بأيام صعبة عندما تأخرت الدورة . أصبحت أخاف من الانتركورس. شهاب لا يحب استخدام الواقي الذكري ولا أنا .قرأت اليوم عدة كتب في الموضوع. شرحت له كيفية حساب أيام الأمان .

أول يناير ٦١

.. حفلة رأس السنة في الجامعة . رقصت الروك مع شاب انجليزي لأتعلمها. غضب شهاب فتوقفت. رقصت مع مي.

٢٥ يناير

.. تشاجرت أنا وشهاب حول أغنية أم كلثوم الجديدة : أنت عمرى . قلت له إنها نموذج لفن الإقطاع وللتطريب الرجعي وإن الكلمات لا معنى لها . وإن استمتاعه بها يتناقض مع قناعاته الأخرى .أعتقد أنى كنت أحاول استفزازه. هناك شيء ما تغير في علاقتنا.

..قرأت رواية الحي اللاتيني لسهيل إدريس . فاتنة .

١٣ فبراير

.. اغتالوا لومومبا .

.. ناقشنا علاقتنا . أكد لي أنه يحبني . لا يتحدث عن طفولته كثيرا رغم أنه يحب الحديث عن نفسه .

.. هل ينجح قرار وزراء الخارجية العرب في منع اسرائيل من تحويل نهر الأردن؟

٢٢ فبراير

.. احتفلنا بعيد الوحدة المصرية السورية. مصادمات مع الكتائب. لاحقتناالسلطات العسكرية. اعتقلوناثم أفرجوا عنافى نهاية اليوم .

.. الحركة تحتاج الى مساهمات مالية. قررنا تخفيض نفقاتنا. يكفي الواحد أن ينفق ٢٠٠ ليرة في الشهر. اقترحت أن نرتدى بنطلونات الجينز الرخيصة. رفض شهاب ويعرب إذ اعتبراها غير لائقة .

٢٨ فبراير

.. تشاجرت مع شهاب مرة أخرى . اشترى حذاء أسود لموسم الشتاء رغم أن لديه حذاء رماديا من السنة الماضية فضلا عن حذائين آخرين بألوان فاتحة للصيف. كان من الأجدر أن يتبرع بثمن الحذاء الجديد للحركة .قال إن الحذاء الرمادي لايصلح لفصل الشتاء . اتهمته بالحذلقة .

أول مارس

.. اسبوع حافل بالمؤتمرات والمظاهرات فى بيروت و طرابلس وصيدا.

.. زرنا مخيمات النازحين الفلسطينيين. تطوعت مع عدة رفيقات لتدريس اللغة الانجليزية لتلاميذهم .

٢ مارس

..أمس يوم تاريخي ! كنا معا. كان في مزاج رائق بعد عدة كؤوس. شاركته بعض الشراب رغم نفورى من الخمر .ركبت فوقه واستسلم لى . شعرت بلذة غريبة . همس لى أنه يعبدنى .فجأة ضعت . لم أعد أعرف أين أنا .أظن أنى فقدت الوعي عدة ثوان . لا أحب هذا الشعور. يذكرني بالمرة الوحيدة التي سكرت فيها و فقدت توازنى .

٢ أبريل

.. يرفض أن يكون تحتي . يصر على أن يكون فوق . فكرته عن وضع الرجل وكرامته ؟ أما أنا فلا أحب أن أشعر بنفسي مقيدة بين ساعديه القويين. أستمتع أكثر عندما أكون فوق .

١٢ أبريل

.. انتصار عظيم للإنسانية . دار جاجارين حول الأرض فى ساعة و٤٨ دقيقة.

.. رُشح يعرب لمستوى أعلى .

١٩ أبريل

.. الثورة الكوبية قوية وصامدة . فشل الإنزال الأميركي فى خليج الخنازير.

مايو

.. أول عيد ميلاد لى وأنا امرأة كاملة.

.. رفضت فكرة يعرب بأن نقضي الصيف فى اليمن . خفت ألا نتمكن من الخروج ثانية لأى سبب . فربما غير أبى رأيه أو أصدر الملك أمرا بمنع السفر. دعتني مىّ لقضاء الصيف فى بيت أبيها.

.. أعتقد أن يعرب مهتم برائدة .

يونيو

.. رسالة تهديد غامضة تطالب يعرب بالابتعاد عن رائدة . يعتقد أنها من أهلها المسيحيين .

.. احتفلنا بإعلان استقلال الكويت وانتهاء الحماية البريطانية .

أول يوليو

..الكويت تستنجد ببريطانيا ضد التهديد العراقي .

.. دورة في صوفر بالجبل . رشحوني لعضوية لجنة الفكر. تم تنزيل يعرب الى عضو حلقة بسبب ما بدا عليه من حب للظهور.

٥ يوليو

..عبد الناصر يطالب بجلاء القوات البريطانية عن الكويت .

١٨ يوليو

.. امتنعت راندة عن لقاء يعرب.

٢٠ يوليو

.. تأميمات ناصر تثير الحيرة والتساؤلات . شهاب يقول أنها نتيجة منطقية لرغبة ناصر في توظيف الممتلكات الأجنبية في خطة تنمية شاملة للبلاد .

.. أكتب هذا في الجنة . بيت ميّ في شتورة . شهاب في عمّان لدى أهله. أظن أن نظرته لي تغيرت بعد ما حدث بيننا . رغم قناعاته النظرية بالمساواة بين الجنسين في كل شئ لا يستطيع أن يتخلص من ميراث القرون .الغيرة تفترسه ويظن أني يمكن أن أسلم نفسي لأي رجل كما فعلت معه .أعتقد أني نزلت من عينه كما يقول المصريون .

.. قرأت كتاب سارتر الجديد : نقد العقل الديالكتيكي . محاولة لعقد زواج بين الوجودية والماركسية.يقول أن الفلسفة التي تصلح للدفاع عن الطبقة الصاعدة في أي عصر هي فلسفة هذا العصر. هي فلسفة حية بالضرورة ولهذا فالماركسية هي فلسفة القرن العشرين . قال ماركس إن التطورديالكتيكي أي لولبي يجمع بين الدائرة والخط ، فيتخذ من الدائرة الإيحاء بالحركة الدائمة ومن الخط الإيحاء بالتقدم . لكن الصراع هو السمة المميزة للتطور، للحركة التاريخية، أي للحركة الديالكتيكية. هوالذي يمنعها من التحجر. من ناحية أخرى يرفض سارتر مبدأ الحتمية التاريخية الذي تنادي به الماركسية لأنه يتعارض مع الطبيعة الديالكتيكية للتاريخ.

٢٩ يوليو

.. مفاعل ذري عربي في مصر .

أغسطس

.. لم أتصور يعرب بهذا الضعف .. إنه يبكي لأن راندة تركته . ومع ذلك أعتقد أن عاطفته ناحيتها لم تكن قوية.

١٤ سبتمبر

.. شجار جديد مع شهاب . منذ عودته من عمّان وهو يلاحقني بالأسئلة . إذا رآني أتبادل التحية مع شخص يسألني : كيف عرفته ؟ هل قبلك؟ هل نام معك ؟

٢٨ سبتمبر

..انهيار الوحدة المصرية السورية على يد الإنفصاليين.

اكتوبر

.. مناقشات واسعة حول ترتيب المهام الثورية . أيهما الأول : الوحدة أم الحرية أم الاشتراكية؟ خلافات حادة وانقسامات.

.. ملابسي الداخلية تختفي بانتظام. لا أعرف كيف .

أول نوفمبر

.. تخفيض إيجارات المساكن في مصر .

١٠ نوفمبر

.. اكتشفت أن ميّ تستولي على ملابسي الداخلية أولا بأول وتستعملها.واجهتها فبكت . قالت إنها تحبني . لم أدر بماذا أجيب . أخيرا قلت لها إني أحبها أيضا لكن ليس بهذا الشكل . رجتني ألا أقول لأحد.

٢٨ نوفمبر

.. الجو متوتر في الغرفة . تحرص على تجنبي . تقرأ دروسها في القاعة العامة . هل أنتقل الي غرفة أخرى؟

ديسمبر

.. أريد أن أكون جميلة بوحريد الجزيرة العربية .

.. فيلمان رائعان : العام الماضي في مارينباد لآلان رينيه و المتحذلقون لكلود شابرول .

٣ يناير٦٢

.. لم تشترك فى حفلة رأس السنة . ذهبت الى بيتها وبقت هناك عدة أيام. تعاملنى منذ عودتها بجفاء. هل بدأت تكرهنى؟

فبراير

.. لا نكاد نتبادل كلمة واحدة.

..قرأت ملخصا لكتاب رأس المال لكارل ماركس . إنه يؤكد حتمية القضاء على نظام الرأسمالية وحتمية الانتقال إلى الاشتراكية بوصفها وريثة الرأسمالية: النظام الرأسمالى ليس سوى نظام استغلال طبقى تمارسه طبقة البرجوازية . وهو ينمى الطبقة التى تستطيع وحدها أن تضع حدا له وأن تنهى معه كل استغلال طبقى ألا وهى البروليتاريا . إنهاالطبقة التى لا تملك أى وسيلة إنتاج وتنتج عن طريق بيع قوة عملها فائض القيمة الذى تتكون منه ثروات الرأسماليين . وجدت صعوبة فى فهم موضوع فائض القيمة واكتشفت أن يعرب وشهاب لا يفهمانه أيضا .

شرح لى عماد الموضوع : فائض القيمة هو الفرق بين مايحصل عليه العامل من أجر وما انتجه من قيمة لأنه لا يأخذ أبدا المقابل الحقيقى لما أنتجه. لم يكن من الممكن الوصول الى هذا القانون الرأسمالى بغير المنهج المادى الجدلى : المنهج الذى يدرس الظاهرة كحقيقة موضوعية مستقلة عن وعينا وإرادتنا، فى اكتمالها، فى حركتها، فى تناقضاتها، فى صيرورتها . أعطانى مؤلفات هنرى لوفافر عن الماركسية . عماد ذو ثقافة واسعة فضلا عن أنه شاعر ويبدو انه شيوعي . شهاب يسخر من أنفه الضخم والبثور التى تملأ وجهه . هل يغير منه ؟

أول مارس

.. أصادف عماد كثيرا هذه الأيام . أكثر من مرة أجده أمامى عندما أغادر البيت.

٩ مارس

..أعطيت عماد اليوم موعدا أمام الجامعة . تأخرت عليه ثلاث ساعات وعندما خرجت وجدته ما زال واقفا ينتظرنى . شعرت بالنشوة .

١٧ مارس

.. شن كاسترو هجوما عنيفا على الشيوعيين بعد أن اتحد معهم فى حزب واحد .

٢ مايو

..القاهرة تحتفل لأول مرة بعيد العمال العالمى .

.. احتفلت بعيد ميلادى فى بيت شهاب . عندما انصرف الجميع كان قد ثمل . مزق لى ملابسى .رأيت فى عينيه نظرة غريبة أخافتنى . حاولت دفعه عنى . لكنه قيدنى بقوة . لأول مرة يستمتع وحده دون مشاركة منى .

يونيو

.. قرر شهاب أن يقضى الصيف الى جوارى فى بيروت .

يوليو

.. الرفيق سامر مسئول جديد لمجموعتنا .. شخصية جادة . ماهر فى عرض أفكاره. لا يخلو من وسامة.

..انتصرت الثورة فىالجزائر. إعلان الاستقلال بعد ١٣٢ سنة من الاستعمار.

.. الجدلية كما يقول انجلز هى علم القوانين العامة لحركة وتطور الطبيعة والمجتمع البشرى والتفكير .

.. ما من شئ أو ظاهرة فى الدنيا ثابتة لا تتغير . ويدرس الديالكتيك العالم فى حركته وتغيره وتطوره المستمر. فالقديم يندثر ويترك مكانه للجديد باستمرار . الجديد المقصود هو التقدمى .الأنقى والأكثر قدرة على الحياة .الذى ينمو ويتطور باستمرار . وهو ينتصر عندما يستجيب لمتطلبات الحياة الاقتصادية .

.. القوانين الأساسية للمادية الجدلية : ١) قانون وحدة وصراع الأضداد : فى كل الأشياء والظواهر جوانب متناقضة لا يمكن أن يوجد أحدها دون الأخر وهى موجودة جميعا فى حالة صراع .هذا الصراع هو العامل الحاسم فى التطور.

٢)قانون تحول التغيرات الكمية إلى تغيرات كيفية : العالم يتغير بطفرات وبصورة ثورية .

٣) قانون نفى النفى : يصف الطابع التقدمى الحلزونى للتطور. تطور أى

ظاهرة لا بد ينفي أشكال وجودها السابقة وفي نفس الوقت يحتفظ بما هو ايجابي في الوجود السابق.

..الجدلية هي مذهب الترابط الشامل والتبعية المتبادلة بين الأشياء والظواهر. من الضروري لفهم أي ظاهرة، كما يقول لينين ، دراسة كل جوانبها وترابطاتها.

٧ سبتمبر

.. اختارت ميّ غرفة أخرى . تسكن معي طالبة أمريكية. مغرمة بشاب كردي.

٢٦ سبتمبر

.. يوم تاريخي . يا لروعة الدنيا . قامت الثورة أخيرا في اليمن .ذهب الإمام وأسرةحميد الدين . أود لوكنت هناك لأعانق السلال البطل . أوشكت أن أخضع لرغبة يعرب في الذهاب إلى صنعاء لكنني خفت ألا يسمح لي أبي بالعودة إلى بيروت.

.. رأيت الإمام أحمد مرة في تعز التي لا يغادرها . كان يرتدي قميصا أحمر اللون وعمة بيضاء تتدلى منها عذبتان هما إشارة الإمامة .جفناه مخضبان باللون الأزرق ولحيته مصبوغة باللون الأسود . يبتسم ابتسامة مفزعة تكشف عن أسنانه الذهبية . كان يقيم مع اثنتين من زوجاته الأربع ويتسلى باللعب بقطار كهربائي .إذا استدعى المهندس إلى تعز فذلك لتنظيم مواصلات قطار صاحب الجلالة .

الغريب أن الناس كانت تؤمن بقدراته الخارقة .هناك من أقسم أنه رآه يلقي على الأرض بحزمة حطب فتتحول إلى ثعابين . يقال إنه كان يختلي في غرفة ليلا ويطفىء الأنوار ثم يجمع الجن ويصدر إليهم أوامره . هو وأسرته وطبقة الأشراف الزيدية مسئولون عن تخلف اليمن وعزله عن العالم . منذ نهاية القرن التاسع الميلادي وهم يسيرون على قاعدة إمام يقتل إماما ثم يظهر واحد ليقتله ثأرا للأول.

١٢ نوفمبر

..خمسة من الطيارين السعوديين يهربون بطائراتهم إلى القاهرة . رفضوا الاشتراك في ضرب الثورة اليمنية . تبعهما طياران أردنيان وأخيرا قائد الطيران الأردني نفسه. التيار القومي يزحف وينتصر.

٢٢ نوفمبر

.. مفاجأة صاعقة . ذهبت إلى اجتماع في منزل الرفيق سامر . استقبلني بالبيجاما ووجدته بمفرده . قال إنه أبلغ الآخرين بتأجيل موعد الإجتماع . سألته لماذا لم يبلغني أنا أيضا . قال إنه أراد أن يتحدث إلي في أمر خاص . سألني عن علاقتي بشهاب وقال أنه غير ناضج . ثم قال لي بالحرف : ما رأيك في ممارسة الجنس معي ؟

..تطلعت إليه مذهولة . لم أتوقع أبدا أن أكون محل اعجابه . فهو ذو شخصية جذابة والنساء يعجبن به . أنا نفسي كنت فعلا معجبة به . .عندما استوعبت الموقف شعرت بالإهانة . قال بابتسامة ملتوية إنه يعرف كيف يسعدني وأني سأنبسط تماما وأن النساء يستمتعن معه جيدا وسيريني ما لا يقدر عليه صديقي الأردني. هممت بالانصراف ثم غيرت رأيي . خلعت حذائي وأنزلت الكولون والكيلوت . رقدت فوق الأريكة وقلت له في هدوء : تفضل . بدا عليه الارتباك ثم خلع ملابسه وانضم الي . ظللت أتأمله بجمود وهو يحاول معي . بالطبع لم يتمكن من شيء . فقد كنت جافة للغاية . وفجأة قذف منيه فوق فخذي. سألته وأنا أرتدي ملابسي : أنا لم أنبسط فهل انبسطت أنت ؟ لم يرد . قلت : ألم يكن من الأفضل أن نأتي بعاهرة من ساحة البرج ؟ كنت ستستمتع أكثر.

٣ ديسمبر

.. اختفى سامر تماما وجاءوا لمجموعتنا برفيق آخر بدلا منه . لم أفه بكلمة لأحد .

.. تفكير في تكوين لجنة مسئولة عن النشاط في عُمان . اجتمع بنا الرفيق أحمد علي(إسم حركي) . عماني من نفس منطقتنا عند سفح «الجبل الأخضر». أسرته من العمال الزراعيين . يقوم هنا بنشاط واسع بين العمال الزراعيين في سهل عكار. يتحدث بصعوبة ويتأنىء معظم الوقت . هناك تحرك في المنطقة الجبلية الواقعة بين عمان واليمن وتسمى ظفار. تشكلت جماعة باسم الجمعية الخيرية الظفارية . ربما كانت المخابرات المصرية أو السعودية وراءها .أعضاؤها يجمعون المال تحت ستار بناء المساجد ومساعدة الفقراء . غرضهم الحقيقي هوتنظيم معارضة مسلحة ضد سلطان عمان .

.. لأول مرة نتفق أنا وشهاب ويعرب في الرأى .أجمعنا على أن الميثاق الذى أعلنه عبد الناصر وضع حركتنا أمام مفترق طرق . لم يعد شعار «دم ، حديد ، نار – وحدة، تحرر، ثأر» يتماشى مع العصر والأحداث . عماد يتحدث بإعجاب عن جورج حبش وكيف أنه يميل إلى الاشتراكية .

.. تشكلت «الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل» من مجموعة من التنظيمات السرية. كونهاقحطان الشعبىمن العمال العائدين من الخليج والطلاب والمدرسين والعاملين فى القاعدة البريطانية بعدن .

يناير٦٣

..الرجعية السعودية تخشى تأثير ثورة اليمن ولهذا تجهد للقضاء عليها . أثبت ناصر قوميته بارسال ٣٠ ألف جندى لمساندة الثورة.

.. عرفنا أن الجمعية الخيرية الظفارية كوّنها مسلم بن نوفل. من مشايخ بيت كثير فى قبيلة القرا الظفارية وهرب إلى السعودية فى العام الماضى . جمعية انعزالية انفصالية فشعارها هو «ظفار للظفاريين» .

٨ فبراير

..مصرع عبد الكريم قاسم على يد انقلاب عسكرى .هل ناصر وراء الانقلاب ؟

.. شكلت المخابرات المصرية جبهة مناوئة للجبهة القومية فى عدن . أسموها جبهة التحرير.

..لا بد من مواجهة الأمر: لم أعد أستمتع مع شهاب . شجاراتنا مستمرة حول كل شئ . إذا قلت شرق قال غرب . يريد أن يؤكد شخصيته باستمرار . ثم هناك غيرته الشديدة التى تنغص على حياتى . طلب منى أن أكف عن رؤية عماد. قلت أن ليس من حقه مصادرة حريتى فى لقاء من أشاء . وهل طلبت منه أن يمتنع عن لقاء أحد ؟

تعبت .

٢٥ فبراير

..صراع بعثى فى بغداد بين على صالح السعدى والبكر. يعتمد الأخير على صدام حسين المعروف باسم جلاد قصر النهاية ..

مارس

.. منظمة فتح تتوسع . هاجمنا اتجاهاتها الانعزالية فى نشرة الكادح الثورى.

مايو

.. تقرر ادخال العنصر الطلابى للحركة فى العمل الشعبى . وضعنا خطة لتجنيد حلقات فى الشباب وفى المخيمات الفلسطينية .

أغسطس

..التأميمات مستمرة فى مصر .

.. محسن ابراهيم ومجلة الحرية يدعوان الى الالتحام بالناصرية وتبنى الاشتراكية العربية .صراع مع القيادة . هناك روح جديدة بيننا .طرح للقضايا الطبقية .

١٤ اكتوبر

..اندلع الكفاح المسلح فى الجنوب اليمنى بقيادة الجبهة القومية. كانت قبائل بن راجح بن غالب قد حاربت فى اليمن إلى جوارالقوات المصرية .عند عودتها إلى موطنها فى جبال ردفان حاصرتها القوات البريطانية وطالبتها بتسليم سلاحها .نشب قتال سقط فيه شيخ القبيلة فانفجرت الشرارة الأولى فى المنطقة. حولت الجبهة القومية التمرد إلى ثورة مسلحة وفتحت العديد من الجبهات داخل ولايات الجنوب .

.. فيصل عبد اللطيف الشعبى وعدد آخرمن قادة الجبهة لا يتحمسون للكفاح المسلح ويفضلون الكفاح السياسى بدعوى أن شعبنا فى الجنوب عبارة عن قبائل مرتزقة يهمها المال والسلاح . طبيعى أن يكون ذلك هو موقف فيصل طالما أنه وزير فى الحكومة التى عينها الانجليز.

١٨ نوفمبر

.. سقط النظام البعثى فى العراق .انقلاب عبد السلام عارف بدعم من حركتنا والناصريين.

ديسمبر

.. طلبت الذهاب إلى عدن للاشتراك فى الكفاح المسلح.

.. فيلم توم جونس لتوني ريتشاردسون أكثر من رائع .

.. ثلاث اجتماعات في الأسبوع. توليت مسئولية خلايا في الجامعة اللبنانية أيضا فرع جامعة الاسكندرية .

يناير ٦٤

.. احتفلنا بالعام الجديد في قصر فخم لوالد أحد الرفاق . رقص شهاب طويلا مع صحفية لبنانية تدعى نهلة. بيضاء ولها شفايف ممتلئة.

.. أعلن البعث السوري تبينه للماركسية كمرجع أساسي . يتحدثون عن الطريق العربي الى الاشتراكية بعد ان كانوا ينادون بالاشتراكية العربية. تكتل عسكري من عمران وصلاح جديد والأسد وعبد الكريم الجندي.

فبراير

.. قرأت مقالا لنهلة في مجلة اسبوعية تافهة .

٢٣ مارس

..تعيين عبد الحكيم عامر نائبا أول لناصر . هل هو انقلاب صامت ؟ البعض يقول أنه يمثل الجناح التقدمي في الحكم .

١٤ أبريل

.. اشتركت في مؤتمر القوميين العرب .كان الرفيق سامر موجودا وتجاهلني . حضر وفد من الجبهة القومية العدنية برئاسة قحطان الشعبي. أصبح واضحا أن هناك اتجاهين.اللبنانيون ثوريون بالتمام . طرحوا التوجه الطبقي للحركة وتعيين الموقف من الصراع الطبقي بالبلدان العربية والموقف من البورجوازية الصغيرة. دعوا إلى خوض حرب شعبية في سبيل تحرير فلسطين وضرورة اقتباس أفكارالاشتراكية العلمية . اضطرت القيادة إلى تبني وجهة نظر الثوريين . قال لنا أحدالقادة بمرارة : ناصر سرق الأرض من تحتنا خصوصا بعد التأميمات والجميع الآن يتنافسون لكي يقفوا على يساره .

١٧ أبريل

..شرح لنا الرفيق قحطان الشعبي في اجتماع خاص (حضره الرفيق سامر) تجربة الكفاح المسلح في الجنوب اليمني .كانت الأمور صعبة في البداية. عدن أشبه بشبه جزيرة صغيرة أو عنق زجاجة يمكن السيطرة عليها بسهولة بقوة صغيرة

وإغلاق كافة منافذها خلال دقائق . الانجليز ضربوا حصاراحولها بنقاط تفتيش وأميال من الأسلاك الشائكة . وفوق ذلك فإن قواتنا لم تتدرب على قتال المدن . تمكنوا من إدخال السلاح إلى المدينة مع الجمال التي كانت تنقل العلف والخضراوات. داخل المدينة نفسها قام المناضلون بصناعة القنابل البلاستيكية. بعد شهور قليلة من انتفاضةردفان بدأوا يلقون القنابل اليدوية على منازل الضباط الأنجليز ونواديهم ويطلقون عليهم نيران البازوكا .

وصف لنا عملية الهجوم على المطار العسكري بقذائف الهاون . أثناء العودة طاردتهم الهيلوكبوبتر فواجهوها برصاص الرشاشات حتى دخلوا أحد الشوارع. تتبعتهم الطائرات على علو منخفض . ومع ذلك تمكنوا من الإختفاء وإخفاء مدفع الهاون الثقيل .

..كنت أعرف ان سامر يمنيّ لكني لم أعرف ان له صلة بالعمل المسلح . استمعت اليه غير مصدقة وهو يروى كيف قاد مجموعة الهجوم في منطقة تواهي حيث مقر القيادة العامة الانجليزية للشرق الأوسط . تسلقوا تلا يشرف على محطة الإذاعة الانجليزية ومن هناك أطلقوا البازوكا .دمروا المبنى وقتلوا عددا من الجنود الانجليز . ثم عادوا إلى المدينة سيرا على الأقدام خلال التلال واختلطوا بالناس في الشوارع ليتعرفوا على رد الفعل الشعبي .

كان يتحدث وهو ينظر نحوي بين الحين والآخر وعلى شفتيه ابتسامة زهو واستخفاف .

١٨ أبريل

.. تم الاتفاق على صيغة توفيقية بين التيارين . اعتُبر المؤتمر مرحلة في طريق بناء الحركة الاشتراكية العربية الواحدة تحت قيادة عبد الناصر.

.. بدأ الإفراج عن الشيوعيين في مصر.

١٩ أبريل

.. حدث غريب . قتل الحراس معتقلا شيوعيا في سجن الواحات المصري. هل هي محاولة من جهة ما لاشعال الفتنة من جديد بين ناصر والشيوعيين؟

..ترى ماذا حدث لرشدي؟

أول مايو

.. أفكر كثيرا فى القاهرة وبيتنا فى العجوزة . والأمسيات التى كنا نقضيها مع الأصدقاء . وزيارات شهاب أيضا.

٢٠ مايو

.. أفرج عن كل المعتقلين والمسجونين الشيوعيين فى مصربعد اعتقال استمرأكثرمن خمس سنوات . خرجوا جميعا قبل أيام من وصول خروشوف لحضر الاحتفال بتحويل مجرى النيل وانتهاء المرحلة الأولى من بناء السد العالى . اشتعلت المناقشات هنا من جديد بعد تصريح خروشوف . قال إن مصر تسيرفى طريق التطور غير الرأسمالى .اعتبر الناصريون هذا التصريح آخر مسمار فى نعش الشيوعيين . اليمين رأى فيه دليلا جديدا على ارتماء ناصرفى أحضان الشيوعية.

يونيو

..احتفلنا بتخرجى بدرجة امتياز. صففت شعرى عند الكوافير. لم يدعونى شهاب الى منزله كماكنت أتوقع .

يوليو

..تحالف يعرب وشهاب ضدى مرتين : الأولى عندما ارتديت المينى جوب والثانية عندما قررت الانضمام للتنظيم العسكرى . لكنى تغلبت على معارضة يعرب كالعادة .

.. جفوة بينى وبين شهاب .

٣ أغسطس

.. مجموعتنا مؤلفة من ١٦ عنصرا . هناك ثلاث فتيات غيرى . واحدة لبنانية واثنتان فلسطينيتان . ذهبنا للتدريب فى مزرعة نائية فى البقاع.

.. المدرب عسكرى قديم.خرج من الجيش الأردنى فى ٥٧بعد إقالة حكومة النابلسى . أقام مدرسة للرياضة البدنية . التدريب قاس وصارم فهو يطلب منا أقصى انضباط ولياقة بدنية وحياة شبه ناسكة . يدربنا من الفجر حتى الغروب ، ويفرض علينا مواعيد منظمة فى النوم والاستيقاظ . رآنى مرة فى الصباح أحمل فرشاة أسنانى وفوطة فى طريقى إلى الحمام المشترك .أمرنى بالعودة قائلا إنى يجب أن أتعود على الحياة بدون حمام وبدون فرشاة أسنان. تعلمنا كيف تطلق النار ونقرأ

الخرائط ونستخدم التنكر ونتحرك بلا صوت ونصنع المتفجرات وترمى القنابل ونقوم بالدوريات وكيف تعالج كسور العظام ونضمد الجراح . قمنا بمسيرات طويلة فى كافة الظروف الجوية.

٥ أغسطس

..تدربنا على الكلاشينكوف . يمكنه أن يطلق طلقات مفردة أو زخات أوتوماتيكية . صممه سنة ١٩١٩ضابط فى الجيش الأحمر السوفييتى يحمل نفس الاسم .سلاح ممتاز . من النادر أن يتعطل ويمكن أن يرميه المرء فى التراب ويقف فوقه بينما يستمر فى الإطلاق .

.. المقاتل الثورى فى حرب العصابات : «يصل كالإعصار فيهدم كل شىء، لا رحمة لديه إلاحسب الظروف . يقتل عند الاقتضاء ويعامل المهزومين بالحسنى ويحترم الموتى . الجريح حرام وينبغى معالجته . لايأخذ أسرى . يجازف بحياته كلما لزم ذلك . مقدام ، يحلل الخطر وامكانات العمل ببرود . يبرز قدرة كافية على التكيف . لايترك رفيقا جريحا إلى رحمة جنود الأعداء .. لا يشكو. يستطيع تحمل الألم من العطش إلى الجراح، وغالبا ما ينبغى أن تندمل الجراح دون تدخل الجراح بفعل الطبيعة وحدها .. لا يحمل معه إلا ما لا غنى عنه . يراعى عدم ابتلال الرصاص ويحرص على ألا يفقد منه واحدة . يأكل متى استطاع وكل ما يستطيع ويمكن أن يصوم يومين أوثلاثة . السماء هى سقفه وبينه وبينها رق من النايلون مضاد للمياه ..» جيفارا .

.. اعتبرجيفارا السلوك البطولى أمرا عاديا وأى ابتعاد عنه يستحق الرفض .

١١ سبتمبر

.. مؤتمر القمة العربية بقرربدء العمل الفورى فى مشروعات تحويل نهر الأردن والتأهب لحمايتها بالقوة المسلحة . الهدف هو قطع الطريق على المحاولات الاسرائيلية للسيطرة على مصادر المياه .

٢٥ سبتمبر

.. حضر الرفيق سامر ليعطينا شهادة التخرج . لم تصدر عنه بادرة بأنه يعرفنى. عندما جاء دورى طلب منى أن أقدم عرضا للزحف فى الطين وأنا أحمل بندقية وأحرص على عدم ابتلالها . تمرغت فى الطين أمامه ثم وقفت ولحظت شبه ابتسامة ظافرة على وجهه. سألنى : ماذا تفعلين إذا وجدت العدو فجأة أمامك وليس

هناك وقت لتصويب سلاحك نحوه ؟ قلت : أهجم على عنقه بيدى .ابتسم وقال: لكن يدك تحمل سلاحا .لا أظن أنك قادرة على عمل شئ .أنت امرأة. . هيا .أريني ما يمكن أن تفعلى . افترضى أنى أنا العدو . دون أن أفكر رفعت ساقى وبكل ما أملك من قوة صوبت طرف قدمى إلى مابين فخذيه. سقط على الأرض يتلوى ويده على مكان الضربة . كدت أرقص من الفرح .

٢٦ سبتمبر

.. ذهبت الى بيت شهاب بمجرد وصولى الى بيروت . لم أجده رغم أنى كتبت له من قبل بموعد وصولى. تركت له ورقة.

٢٨ سبتمبر

.. التقينا. ذهبت معه الى منزله . خلع ملابسه بمجرد وصولنا. فعلت مثله. ماجرى بعد ذلك تم بلا حماس.

أول اكتوبر

..بدأ تطبيق نظام للتأمين الصحي بمصر.

٢٩ اكتوبر

.. تدريب مرهق ودورات سياسية : الشفرات وإشارات الراديو وقواعد العمل السرى .

..أعطيت حياتى للنضال من أجل تحريرالبشرية .

.. قرأت فونتمارا (سيلونى) ،الأم (جوركى) ، فارس الأمل (جورج أمادو).

..الثورى يتفانى فى التضحية بلا أى قدر من الأنانية ولايطيق الاستعراض والتفاخر والمبالغة والادعاء، جيفارا.

١٠ نوفمبر

.. الانفجارات تتابع ضد الانجليز في عدن . الأصنج يكشف عن وجهه الحقيقى . قال إن هناك بلدانا حصلت على استقلالها دون حروب مثل زامبيا ومالاوى والسودان.

٢٦ نوفمبر

..قدت مسيرة تضامن مع مظاهرات القاهرة التى أحرقت مكتبة السفارة الأمريكية احتجاجا على عدوان القوات الأمريكية والبلجيكية الجديد على الكونجو.

٢٤ ديسمبر

.. شن ناصرأمس هجوما عنيفا على الولايات المتحدة ردا على سلوك السفير الأمريكى فى مقابلة مع وزيرالتموين المصرى . قال إنه دخل مقموصا وأعلن فى لهجة تهديدية أنه لا يستطيع الكلام فى شئ مما جاء من أجله لأن سلوك الجمهورية العربية المتحدة لايعجبه . وجه ناصر حديثه الى الولايات المتحدة قائلا: إذا لم يعجبكم فاشربوا من البحر .

.. ليفى اشكول: اسرائيل تعتبرالمياه بمثابة الدماء التى تجرى فى عروقنا وسنتصرف على هذا الأساس.

.. حتى الآن قدمت ألمانيا الغربية لاسرائيل تعويضات وهدايا قيمتها عشرة مليارات دولار .

٢٦ ديسمبر

.. قتل فدائيو الجبهة القومية فى عدن ضابطا عربيا في المخابرات البريطانية . جرت العملية بالنهار وفي حي كريتر المزدحم . قاد العملية عبد الفتاح اسماعيل (عامل بمصفاة النفط صار معلما بمدرسة) ومحمد صالح مطيع وعلي سالم البيض .

.. تشكلت جبهة تحرير ظفار . على رأسهالجنة خماسية مشتركة لتحضير الكفاح المسلح تتألف من القوميين العرب (الذين عملوافى الكويت) والجمعية الخيرية الظفارية ومنظمة الجنود الظفاريين السرية . مسلم بن نوفل هو همزة الوصل بين الجبهة وقبائل الداخل العمانى . مصر ضغطت من أجل هذه الوحدة كشرط لتقديم أية مساعدة .

٢٨ ديسمبر

..بن بيلا يحاول السيطرة على إنتاج البترول الذى تتحكم فيه الشركات الفرنسية .

.. كتاب المدارس الاشتراكية فى أفريقيا لسكرتير الحزب الشيوعى

السودانى عبد الخالق محجوب. يقول إنه يمكن بناء الاشتراكية فى بعض المجتمعات دون حزب شيوعى ويعلن تأيده التام للناصرية والطريق غير الرأسمالى. أصبح الحزب الشيوعى السودانى فى الشهر الماضى حزبا علنيا بعد ١٨ سنة من السرية .

يناير ٦٥

.. تأكدت من أمرشهاب . لمحته أمس جالسا فى الحمرا مع نهلة وقد احتضن كفيها بين كفيه. واجهته اليوم فقال ببرود إن علاقتنا حرة .

..لم أنم .

٥ يناير

.. الجبهة الظفارية الجديدة تتكون من فئتين رئيسيتين : المهاجرين الظفاريين فى الخليج والعناصر القبلية من الرعاة ذوى التاريخ الطويل فى التمرد على سلاطين مسقط. تزايدت نقمة هؤلاء على السلطان سعيد بن تيمور بعد إعلان نبأ اكتشاف النفط فى ظفار وتصميمه على حرمانهم من أية فائدة من عائداته . أصدر قانونا بمنع سكان ظفارمن العمل فى شركات البترول الأجنبية .

٨ يناير

..هناك احتياج لعمل سياسى وعسكرى كبير فى ظفار وخصوصا بين النساء.

.. أهمية ظفار أنها تقع على حدود ثلثى إحتياطيات الغرب من النفط الطبيعى . تعانى استغلالا مركبا فاذا كانت عمان مستعمرة بريطانية فإن ظفار مستعمرة عمانية . الضرائب : عنزة واحدة سنويا مقابل كل خمس عنزات وكذلك الجمال، بقرة لكل عشر بقرات . الصياد يدفع ١٢٠ ريالا لوالى المدينة مقابل حق الصيد خلال موسم يتألف من ثلاثة شهور. ضرائب الواردات ٣٠٠ ٪ أعلى من باقى عمان .

..أمريكا جنت . أصدرجونسون أوامره للطائرات بالإغارة على حدود فيتنام الشمالية . تسيطر الفيت كونج على ثلثى مساحة فيتنام الجنوبية وتقود حرب عصابات ناجحة ضد الحكومة وسادتها الأمريكان الذين جلبوا ٢٧ ألف جندى .

٢٠ يناير

.. اتفقت أنا وشهاب على انهاء علاقتنا . سنبقى أصدقاء.

٣ فبراير

..مناقشات اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكى المصرى حول خطة العمل للتنظيم السياسى تثيرالضحك . عبد الحكيم عامر يقول إن التنظيم هوالنقطة الرئيسية . يرد نور الدين طراف بأنه موجود لكن لا يتحرك .يعارضه ناصربأن التنظيم موجود على الورق فقط . يقول حسين خلاف : كيف نعمل؟ إذا عملنا لا بد من الأشخاص فكيف نأتى بهم ؟ اعترف عبد المجيد شديد بأن عدد الوحدات الرئيسية سبعة آلاف وحدة والمشكلة أن أمناءها لا يعرفون المطلوب منهم . قال ناصر إنه لا بد من وجود حزب اشتراكى داخل الاتحاد الاشتراكى.

٢٤ فبراير

.. عامر يعلن أن مصر خسرت فى عمليات اليمن ١٠٥ شهيد من الضباط و١٥٠٢ من الجنود وتكلفت ٣ مليون جنيه استرلينى و ١٣ مليون جنيه مصرى فى سنتين .

.. ذكر لنا الرفيق م عند عودته من القاهرة أن عبد الناصر بصدد تكوين تنظيم سرى يسميه بالتنظيم الطليعى . قال إنه شعر بالحاجة إلى هذا التنظيم أثناء العدوان الثلاثى فى ٥٦ عندما بدت القاهرة مهددة بالاحتلال ثم بدأ يفكرفى انشائه بعد الانفصال السورى. ناصر يشترط فى أعضاء هذا التنظيم الطليعى ألا يكونوا من أصحاب الملكيات الخاصة ليظل الواحد منهم قادرا على العمل من أجل ازالة الفوارق بين الطبقات . يشترط أيضا سريته ليكون أشبه برقيب جديد على بقية التنظيمات .

علق الرفيق م على ذلك قائلا إنه شعر من لقائه بناصر أنه لا يؤمن فى أعماقه بالحاجة إلى هذا التنظيم . فهو قادر على تعبئة الناس وإخراجهم إلى الشارع بمجرد كلمة عن طريق التليفزيون . والدليل على ذلك تصوره لدور أعضاء هذاالتنظيم كما شرحه للرفيق م . فهو يراهم مجرد شبكة من الاسلاك تصل بين القاعدة والقيادة و تنقل جميع المعلومات من القاعدة وما يدور فيها من مشاكل وأزمات بسرعة وأمانة وكفاءة حتى لا يصبح هناك شئ يجرى فيها خافيا عن القيادة .

.. جيفارا في القاهرة . تمنيت لو كنت هناك لأراه. قرأت حوارا بينه وبين عدد من المثقفين المصريين .تحدث عن التجربة الكوبية في توحيد التنظيمات الثورية الخمسة وعلى رأسها تنظيم كاسترو الذى انبثقت قيادته من صفوف البرجوازية الصغيرة الثورية. كان به جناحان : الجبل والسهل . فى الجبل كان الحديث عن الحرب الثورية التى تعتمد على جماهيرالفلاحين بينما كان السهل يتحدث عن إضراب عام ثورى . لكن الجبل هو الذى تمكن من الاستيلاء على الحكم والإطاحة بباتستا. القوة الثانية هي الشيوعيون الذين يملكون خبرة طويلة فى الكفاح لأكثر من ٤٠ سنة . ارتكبوا أخطاء هامة .بسبب عزلتهم عن الجماهير الواسعة نتيجة لما تعرضوا له من قمع سابق عجزوا عن التعمق فى إدراك مدى انتشار الحركة الثورية لهذا ظلوا متخلفين عن الحركة الكبيرة التى قامت بقيادة فيدل كاسترو ثم تبينوا بعد ذلك شرعية قيادته . قال : بدأنا نعمل سويا ..وعهدنا لاسكلانتى أحد قادة الشيوعيين بتنظيم الحزب الموحد . اختار بالطبع رفاقه القدامى لشغل المراكز القيادية فوصل عدد كبيرمنهم إلى قيادة المؤسسات الإنتاجية . لم يتكون حزب للطليعة وانما حزب للإدارة واستولى اسكلانتى على كل السلطات بمفهوم انعزالى لايسمح ببناء حزب جماهيرى . وارتكب رجاله أخطاء عديدة بسبب انعزالهم وكان كثيرون منهم قد لاقوا متاعب كثيرة بسبب نضالهم وإذا بهم أصبحوا على رأس مؤسسات وتمتعوا بامتيازات عديدة : سكرتيرات وسيارات كاديلاك وتكييف هواء...هكذاظهرت العناصر الانتهازية... كان في مكتب سكالانتى ١٧ جهاز تليفون وهذا لا يعنى أنه كان خائنا . لقد كان رجلا ذكيا وثوريا لكنه ارتكب أخطاء خطيرة واستفاد أيضا من وضعه ..إنه ليس خائنا لكنه لم يكن قديسا . واضطر فيدل أن يقوم بحركة كشف له في مارس ٦٢ وكونا الحزب الجديد .

.. استوقفني في الحوارتعريفه للشيوعى فقد تساءل : هل يجب أن يكون ملحدا أو هل يمكن أن يكون مؤمنا ؟ هل يجب أن نطالبه بمجهود فى العمل يعادل مجهود العامل العادى أو أكثر ؟ هل يجب أن يظل فى المؤخرة وإذا خضنا معركة فى الجبهة هل نحميه أم يتعين وضعه في المقدمة ليواجه الأخطار .. أسئلة مازالت تنتظر ردا .لكنه فى رأيى آخر من ينام وآخرمن يأكل وأول من يستشهد.

أول أبريل

.. كتب عماد قصيدة جديدة . يقول إننى ألهمته إياها. عرض على الزواج أسفل شجرة دفلى . يا للرومانسية ! قلت له إنى سعيدة بعرضه وإنه انسان ممتاز لكنى لست بعدمستعدة للزواج من أى انسان . هناك أشياء أخرى كثيرة أريد أن أقوم بها أولا. الحب هو آخر شئ أفكر فيه الآن . لا أريد أية قيود فى هذه المرحلة من حياتى .

.. عماد شديد الرقة إلى درجة الأنوثة .أستريح له كثيرا . لكنى لست متعلقة به .

٥ أبريل

... قرر الحزبان الشيوعيان المصريان الرئيسيان حل تنظيميهما والتقدم كأفراد بطلب عضوية الاتحاد الاشتراكى باعتباره التنظيم الثورى الوحيد لتحالف قوى الشعب العاملة.

.. الشيخ عبد الله الطريقى يدعو إلى تأميم البترول : شركات البترول تحصل فى الولايات المتحدة على ربح قدره ٧ بالمائة وفى فنزويلا على ١٨ بالمئة وفى المنطقة العربية على ٨١ بالمئة .وهى النسبة التى حصلت عليها أرامكو فى السعودية حتى سنة ٦١ .

٧ أبريل

.. التقينا لدى رفيق عراقي بصحفى مصرى يسارى فى زيارة عابرة للبنان. لم يتحمس يعرب لهذا اللقاء .قال إن أحدا لا يستطيع الخروج من مصر الا إذا كان قريبا من السلطة أوله علاقة بالمخابرات . حدثنا عن الوضع فى مصر: هناك صراعات مكتومة فى قمة السلطة. سألناه عن التنظيم الطليعى وهل يمثل هيكل الجناح الرجعي فى مواجهة على صبرى ؟ وموقف عبد الحكيم عامر من التحول الاشتراكي. هاجم الشيوعيين قائلا إنهم انتهوا وأنهم لا يملكون رؤية . يتكلم بحذر وهو يتطلع حوله .فيما بعد أسر إلينا الرفيق العراقى أن ضيفنا نموذج لما أصطلح على تسميته بـ «الذعر المصرى» .

بعد نصف زجاجة من العرقى بدأ يسترخى ويتحدث بطلاقة . علمنا منه أن التنظيم الطليعى المصرى يقوم على أساس غريب. هناك قلة من المعاونين الذين

يثق فيهم ناصر شخصيا مثل هيكل وعلى صبرى وسامى شرف. يقوم كل واحد منهم بتجنيد عشرة أشخاص من الذين يثق فيهم وكل واحد يجند عشرة وهكذا. اشترط عبد الناصر أن يتم ذلك بعيدا عن عيون المباحث والمخابرات. أبدينا دهشتنا واستنكارنا فضحك وقال إنه شخصيا عضو في التنظيم وروى لنا كيف قام بتجنيد عدد من الصحفيين. يواعد الواحد منهم في مكان منعزل ويقول له إنه مرسل من قبل الرئيس عبد الناصر الذى يثق فيه ويريده أن ينضم لتنظيم سرى هدفه الدفاع عن المكاسب الاشتراكية. كل ذلك وهو خائف من عيون المباحث والمخابرات.

انفكت عقدة لسانه تماما بعد قليل. قال إن هيكل كون مجموعة من العاملين فى الاهرام وكون أحمد فؤاد وأحمد حمروش معا مجموعة ضمت عددا من الشيوعيين السابقين الذين هجروا العمل السياسى فى بداية الخمسينيات أمام الضربات البوليسية المتلاحقة. عادوا الآن يرفعون رؤوسهم ليشبعوا رغبتهم فى الوجود داخل تنظيم يشبه التنظيم الذى وجدوا فيه فى شبابهم دون التعرض لأى مخاطر ويشبعون إحساسهم بالأهمية ويطمئنون ضمائرهم المعذبة بأنهم كانوا على حق طول الوقت وانهم لم يتخاذلوا. وفيما بعد كون كل وزير مجموعة من كبار الموظفين الذين معه بالتسلسل الوظيفى: وكلاء الوزارة ثم مديرى العموم وهكذا. وكون شيخ الأزهر مجموعة من الإخوان المسلمين السابقين.

سألناه عن قصة حل الحزبين الشيوعيين فقال إنهم أخذوا «مقلبا» ذكيا. قيل لهم فى البداية إن عبد الناصر موافق على عقد وحدة تنظيمية بينهم وبين التنظيم الطليعى. وبالفعل أعدت خريطة كاملة لدمج أعضاء التنظيمات الثلاثة. في آخر لحظة قيل لهم أن ينضموا كأفراد إلى الاتحاد الاشتراكى دون أن يكون هناك التزام بضمهم إلى التنظيم الطليعى. ثم جرى اختيار عدد محدود منهم بعد على أطراف الأصابع استبعد منهم العمال. فى نفس الوقت بدأت المباحث العامة تستدعى الشيوعيين وتوجه إليهم الاستفسارات التهديدية عن نشاطهم وتسألهم عن معلوماتهم عن التنظيم الطليعى!

١٠ أبريل

.. شئ مايجرى بالنسبة لجيفارا.. صحف العالم تتحدث عن اختفائه.. هل اغتالته المخابرات الأمريكية؟..

.. حلمت بالأمس أنى مع جيفارا وسط الجبال.

١٢ أبريل

.. تقرر أن نسافر إلى ظفار لبدأ الكفاح المسلح.

.. مواد لا غنى عنها: الزيت، علب المحفوظات، الحليب المركز، السكر والملح والبصل والثوم والبن والشاى. ملعقة وسكين متعدد النصال. شحوم خاصة لصيانة البندقية ويمكن الاستعانة بزيت آلة الخياطة. خرق لتلميع السلاح باستمرار. مطرة (زمزمية). الأدوية مثل البنسلين ومسكنات واسبرين وحبوب ضد البرد والإسهال والطفيليات و أمصال للحيوانات السامة وحقائب الإسعاف الأولى. السجاير الثقاب والقداحة. بطاريات للراديو. الصابون لتنظيف الأوانى قبل الجسم. كتب، قنينة بنزين صغيرة لإشعال النار عندما يكون الحطب مبلولا. حلوى إذا أمكن. مفكرة أو كراسة. قلم. خيط وإبر وأزرار. حبل. لا غنى عن البطانية لأن ليل الجبال شديد البرودة.

.. ترددت أمام حبوب منع الحمل ثم قررت أن آخذها. كم آخذ منها؟ لأول مرة تنبهت إلى أنى لا أعرف متى سأعود أوإلى متى تستمر هذه المغامرة. عام؟ اثنان؟

.. قصصت شعر وأظافرى. وداعا للأظافر المصبوغة.

.. المستقبل لنا..

يجب ألا أنسى حبوب «الدرامامين» لدوار البحر.

.. اخترت اسما سريا جديدا هو «وردة».

6

مسقط

ديسمبر ١٩٩٢

أنزلني التاكسي «انجاج» أمام فندق انتركونتينتال. مضيت من أمام فتاة أفريقية في بلوزة وجوب تحتل مائدة صغيرة في مواجهة المدخل . ألفيت نفسي في ساحة رحبة غير مسقوفة تحف بها من مختلف الجوانب طوابق الفندق . مضيت أستكشف البهو فاستوقفني صانع قهوة افترش وسادة على الأرض .صب لي فنجانا صغيرا من دلة نحاسية. ارتشفت القهوة المرة ثم واصلت تجوالي . لمحت شابا في الرداء العماني والكمة يتطلع الي باسما. بدا وجهه مألوفا لي ورأيت على صدره شارة تعريف. اتجهت نحوه وانحنيت أقرأ ما هو مكتوب على صدره: «وزارة البيئة» . قال : هيا بنا .

قلت : إلى أين ؟

بدا عليه الارتباك وقال : الست مشتركا في المؤتمر؟

اتسعت ابتسامته عندما اكتشف الخطأ الذى وقع فيه . وتركته دون أن أدرك ما هو مقدر لي .

كان ثمة مصعد زجاجي مثبت في الباحة غير المسقوفة. ورأيته يهبط على مهل مقلا فتاة أوروبية ذات شعرنافش و ثوب قصير. وشيئا فشيئا تجلى فخذاها في كامل بهائهما: ممتلئتين في تناسق ومتلامستين تماما.

مضيت الى نهاية البهو بحثا عن مطعم القرم والسيد جين ميلر. وجدته مغلقا وأمامه لافتة تحدد موعد العمل في المساء . واصلت السيرفألفيت نفسي بعد لحظات أمام حمام للسباحة انتشرت حوله الأجساد شبه العارية ، الأوروبية بالطبع .

كنت مازال تحت تأثير الفخذين المتناسقتين المتلامستين اللتين غطتهما الجوبة إلى منتصفهما ، فلم تجذب انتباهي أي من تلك الأفخاذ التي تعرت تماما دون أن تترك شيئا للمخيلة . ولهذا لم أنتبه إلى المرأة التي اتجهت نحوى فجأة هاتفة باسمي .

كانت جوليا واحدة من الأجانب الذين يترددون على القاهرةبانتظام ويقيمون فيهابعض الوقت بذرائع شتى (مثل البحث العلمي والتحقيقات الصحفية والاشتراك في المؤتمرات) ثم يختفون ويعودون الى الظهوربعد فترة . كانت تحمل جواز سفردنمركيا وتعرفت عليها لدى صديق لي من الكتاب . أهلت علينافى جلابية بلدية ملطخة بالبقع وطفل رضيع على كتفها. خلعت صندلها عند الباب ثم انضمت الينا حافية القدمين . بهرتنا بشرتها اللبنية وعيناها الزرقاوان وجسدهاالفارع واجادتها للعربية فصحى وعامية. وبينما نحن نتحدث بكى طفلها فأخذته فى صدرها وأخذت تهدهده لكنه واصل البكاء. ففكت أزرار الجلابية وأخرجت ثديا بضا مثل الكمثرى الناضجة ألقمته فم الطفل دون أن تكف عن الحديث ودون أن تحول نظرها عنا كما تفعل أى بائعة خضار فى باب الشعرية.

سألتها وأنا أتفحص الغضون الخفيفة التى أحاطت بعينيها الجميلتين:

– ما الذى جاء بك إلى هنا ؟

قالت : ما الذى جاء بك أنت ؟

أضافت بلهجتها السريعة وهى تتجنب التقاء عيوننا كعادتها مع كل من تتحدث معه، أنها زارت مقبرة يهودية قديمة على بعد ميل ونصف من صحار، إلى الشمال من مسقط.

علقت متعجبا : يهود فى صحار!

قالت : ويلستد سجل وجود عشرين أسرة يهودية بها فى العقد الأول من القرن التاسع عشر. يبدو أنهم عراقيون لجأوإلى هذا المكان خوفا من بطش داود باشا حاكم بغداد فى ذلك الوقت .

سألت : وهل ما زال أحد منهم هناك ؟

– ولا واحد . لم يبق من أثر لهم سوى المدفن . لقد رأيت بنفسى على جداره أسماء يهودية كثيرة مثل موسى ويوسف ويعقوب مكتوبة بلغة عبرية .

جذبتنى من ذراعى قائلة : ألا تريد أن تتثقف قليلا ؟ تعال .

قادتنى عبر عدة ممرات الى قاعة تتصدر مدخلها لافتة تعلن عن مؤتمر دولى لمناقشة أزمة المياه فى الشرق الأوسط . كان المؤتمرالذى تقاعست عن حضوره قد بدأ . وجلس حوالى ثلاثين شخصا أمام منصة اصطف خلفها عدد من

المتحدثين بينهم اثنان بالملابس العُمانية وأوروبيان فضلا عن واحد شعرت من ملامحه أنه مصرى .

لمحت فى الصف الأول الصحفى السعودى يعبث بأزرار جهاز تسجيل صغير الحجم. كان المتحدث يستعرض بالانجليزية الأبعاد المختلفة لمشكلة المياه . وقدرت من لهجته أنه من أبناء الجزيرة التى غربت عنها الشمس:

– الشرق الأوسط ككل يحتاج إلى ضعفى ما لديه من المياه لإطعام سكانه، وهذا يسرى على مصر أيضا حيث أنها تستورد نصف ما تحتاجه من الغذاء. هناك أزمة إذن لكن حلها بسيط فى نظرى ويكمن فى شراء الحبوب زهيدة الثمن من السوق الدولية وليس زراعتها .إنك مثلا تحتاج ألف طن من المياه لرى طن واحد من القمح .إلا أنه من السهل عليك نقل طن من القمح أكثرمن نقل طن من المياه .

رفع السعودى يده طالبا التعليق فابتسم البروفسور الانجليزى واستطرد :

– إن البلدان التى قررت زراعة الحبوب لتأمين نفسها ضد ارتفاع الأسعار مثل المملكة السعودية لم تؤثر فى الأسعار. هناك مبالغة وانفعالية فى النظرللأمر. لبنان مثلا يريد الاستفادة من مياه نهرالليطانى لتطويرالإنتاج الزراعى . واسرائيل تريد من جهتها شراء جزء من مياه لبنان. لكن الوضع النفسى والسياسى السائد يدفع بيروت للتفكيرفى كيفية استخدام المياه وليس بيعها على الرغم من أن الطرح الأخيرمفيد اقتصاديا للبنان خاصة أن الوكالات الدولية قد لا تتحمس لإقراضها فى الحالة الأولى .

لم يتمسك السعودى بالتعليق ولزم الصمت . وخيل الى أن أحدا لم يستوعب حديث البروفسور الانجليزى وما به من مغالطة . ومضى المؤتمر على هذه الوتيرة فى جو هادئ الى أن تكهرب فجأة عندما عرض العضو المصرى بالمنصة مشروعا لتحلية مياه البحر يتكلف عدة مليارات ويتطلب اشتراك دول الشرق الأوسط جميعا فى تنفيذه بما فيهم اسرائيل. كان يدرك الألغام التى يسير عليها فختم كلمته بهذه العبارة :

– التعاون وليس التسوية السياسية هوطريق السلام.

طلب أحد ا الحاضيرين من القاعة الكلمة بانفعال وقال بلهجة شامية :

– حرب ٦٧ وقعت أساسا حين أرادت اسرائيل تحويل مياه نهرالليطاني. وأسفرت هذه الحرب عن زيادة مصادرالمياه العذبة لإسرائيل بمقدار ٢٥ بالمائة من أنهار الأراضي التي احتلتها. وهي تؤكد الآن باستمرار أن أنهارها هي الأردن والليطاني واليرموك، أي أنهار جيرانها. وتطالب في مباحثات السلام بعدم الحديث عما أسمته بحقوق الماضي أي المياه التي اغتصبتها فضلا عن الأراضي، وبأن ينطلق أي حديث من الأمرالواقع .

سكت برهة ليهدئ من انفعاله ثم أنهى كلمته بقوله :

– إن تجربة نصف قرن من التواجد الإسرائيلي لا تترك مجالا للثقة في الوعود والاتفاقات واقتناعي أن أي تعاون لا بد أن تسبقه تسوية سلمية عادلة وليس العكس .

ويبدو ان هذه الانفجارة شجعت الحضور فعقب شاب عُماني قائلا:

– هناك نوع من الإجحاف في توزيع المياه واستهلاكها في المنطقة. الفرد في اسرائيل يستهلك من المياه خمسة أضعاف مايستهلكه أي فرد من جيرانها والمستوطنون يملؤون حمامات السباحة بالمياه العذبة المسروقة من البلاد العربية المجاورة.

وقف أحد الحاضرين معلنا أنه أستاذ جيولوجيا المياه في هيئة الطاقة الذرية المصرية ووجه سؤالا الى المنصة:

– اسرائيل حصلت على مليار متر مكعب من المياه الجوفية في سيناء بقيمة ٢ مليار جنيه وحفرت ٢٠٠ بئر على الحدود المصرية لسحب مليون متر مكعب يوميا من مياه خزان وادي الجراش. فما موقف القانون الدولي من ذلك؟

تولى الإجابة خبير هولندي في القانون الدولي فقال باقتضاب :

– اسرائيل بحاجة إلى كميات من المياه أكثر من تلك التي تمتلكها .

رفعت هذه الإجابة من درجة حرارة الجلسة ولوح كثيرون بأصابعهم رغبة في التعليق. لكن منظمي المؤتمر العمانيين سارعوا برفع الجلسة لاستراحة قصيرة. وتقدمت أنا وجوليا إلى مائدة صفت فوقها أصناف البسكويت والمشروبات الساخنة والباردة .

انضم لنا الأستاذ الهولندي الذي يعرف جولياوقال عندما قدمتني اليه :

– المصريون حكماء وعرفوا كيف يتبعون سياسة سليمة .

أدركت انه يقصد ماسمي بـ «سياسة السلام» فقلت : تقصد النظام المصري.

فكر برهة في إجابتي ثم استطرد بلهجة تقطرحكمة :

– الحضور في التاريخ شرطه الاعتراف بالأمر الواقع . إنه القانون الذي لم يدركه الهنود الحمر مثلا.

قاطعته متسائلا: من هو الذي اغتصب أرض الآخرولا زال يحتلها ويرفض...

استوقفني بحركة من يده :

– الأمر الواقع الآن في صالح اسرائيل . يجب أن تتقبلوا ذلك وإلا كنتم غير علميين وغير واقعيين وخرجتم من التاريخ تماما.

فكرت وأنا أتطلع اليه أني لوكشطت جلده الأبيض المُدهن لقطر عنصرية. ويبدو أنه التقط أفكاري إذ تجاهلني وطلب عنوانها عارضا عليها عنوانه . أخرجت من حقيبة يد منتفخة مفكرة ضخمة امتلأت صفحاتها بالعناوين. قلبت صفحاتها بسرعة ثم سجلت عنوانه وأعطته بطاقتها فتناولها وابتعد.

حملنا فنجاني قهوة وتنحينا عن المائدة . سألتها عن مشروعاتها القادمة فقالت :

– ماذا تعرف عن سيف بن ذي يزن ؟

قلت : أظن أنه من أبطال الأساطيراليمنية.

تطلعت إلي في خبث وابتسمت : هل تعرف أنه يهودي ؟

قلت : يا ألطاف الله . ربما أكتشف غدا أني أيضا يهودي .

ضحكت : اسمع القصة . قبل الميلاد بخمسة قرون تدهورت مملكة سبأ وقامت مكانها الإمبراطورية الحميرية التي استمرعهدها عشرة قرون حتى القرن الخامس الميلادي . وعندما انهارسد مأرب فرض آخرحكامهم الدين اليهودي على المسيحيين الذين كانوا يتعايشون مع اليهود والوثنيين فقامت حرب أهلية استنجد

فيها المسيحيون بإخوانهم في الحبشة التي تمكنت من فرض سيطرتها على البلاد لمدة نصف قرن .إلى ان التجأ سيف بن ذي يزن إلى ملك فارس طالبا العون في تحرير بلاده. وبالفعل هبطت جيوش الفرس في عدن وطردت الأحباش من اليمن. واقتسم ملك الفرس السلطة مع سيف لفترة قصيرة ثم انقلب عليه وانفرد بالحكم .

– وهل يعني هذا أن سيف كان يهوديا ؟

– ما يهمني هو أنه كانت هناك دولة يهودية في الجنوب اليمني في بداية التقويم الميلادي.

– لوثبت هذا تقع كارثة.

– لماذا ؟

– ستطالب اسرائيل بضم اليمن وعُمان إلى أراضيها.

ضحكتْ وقالت : نكتة. بس ممكن والله . هل تعرف أن جزيرة سوقطرة اليمنية كانت مرشحة في سنة ١٩٣٩ لتكون وطنا لليهود بدلا من فلسطين ؟ من حسن الحظ أن هذا لم يحدث.

قلت : حسن حظ اليمنيين وسوء حظ الفلسطينيين. يمكن لمصر أيضا أن تطالب بالكعبة أوبضم السعودية.

قالت : كيف ؟

– هناك من يزعمون أن عائلة عبد مناف أتت من مدينة منف المصرية . وبذلك يكون الرسول من نسل الفراعنة.

– ولم لا؟

نهضت واقفة وهي تقول: أشعر أني ملزقة . سأصعد لآخذ حماما.

– والمؤتمر؟

مدت يدها وتأبطت ذراعي : تعال . أريد أن أتكلم معك .

سألتها عن طفلها فقالت إنه لم يعد طفلا فهو في العاشرة من عمره الآن .

– معك هنا ؟

– لا . مع أبيه في لندن.

أقلنا المصعد الزجاجي الى الطابق الثالث. وتقدمتني الى غرفتها بخطوات

سريعة وهي تخرج المفتاح من حقيبتها.كان ثمة شيء ملفت في تكوين جسمها ومشيتها وتصلب قامتها يذكربالعسكر . فتحت الباب وتنحت جانبا .

قالت : تفضل.

قلت : ليديز فيرست .

أصرت أن أتقدمها وانتظرت حتى تجاوزتُ المدخل ثم تبعتني وأغلقت الباب خلفها.

استدرت اليها ورأيت عينيها تجولان في أرجاءالغرفة بسرعة وتركيز. ثم خطت نحو الفراش وألقت بحقيبة يدها فوقه ثم تهالكتْ على حافته. أشارت الى المقعد المجاور فاتجهت اليه وجلست بعد أن وضعت حافظتي الجلدية على الأرض.

سألتني : ماذا تحب أن تشرب. سكوتش؟

قلت : نحن ما زلنا في بداية النهار.

قالت : وهل هذا يهمك ؟ على العموم عندك الميني بار ، سأدخل أنا لاستحم .

فتحت خزانة الملابس بحركة سريعة ثم أغلقتها.ودارت بعينيها في ارجاء الغرفة الي ان استقرتا على حقيبة يدها فانحنت وتناولتها ومضت الى الحمام . ولحظت أنها لم تهتم بإغلاق بابه جيدا.

مددت ساقيّ ورفعت عيني الى النافذة التي كانت ستائرها نصف مسدلة.

خرجت بعد لحظات مرتدية روبا من الكشمير الأبيض أحكمت إغلاقه بحزام الخصر،وكان شعرها ملفوفا بمنشفة من نفس القماش على شكل عمامة .

جلست الى جواري على حافة الفراش وطلبت أن أشعل لها سيجارة . جذبت نفسا عميقا ثم وضعت السيجارة في المطفأة ورفعت يديها الى العمامة وفكتها وشرعت تجفف بها جدائل شعرها.

قالت : قل لي ماذا تفعل هنا حقا.

لم أتمالك نفسي من الضحك . كان روبها قد انحسر عن ركبتيها واستقرت عيناى على فخذيها ثم رفعتهما الى وجهها فرأيتها تتأملنى فى ترقب . كان الفضول وليس الرغبة هو ما دفعنى الى ان أمد يدى وأضع راحتى فوق ركبتها ثم أحركها ببطء الى أعلى دون أن أحول عينىّ عن عينيها.

وضعت يدها فوق يدى واحتوتها بأصابع حديدية ثم جذبتها بعيدا وهى تقول فى حزم:

– من فضلك .

لمحت في عينيها نظرة ظفرفنهضت واقفا وأنا أتناول حقيبة يدى:

– يجب أن أذهب .

وضعت ساقا فوق ساق فانحسرالروب تماما عن فخذيها. قالت :

– ألن تواصل جلسات المؤتمر؟

قلت وأنا أتجه الى الباب: ليس عندى وقت . . الى متى أنت هنا ؟

قالت وهي تلقى بالمنشفة جانبا : بضعة أيام .

قلت وأنا أفتح الباب: سأراك إذن . باى .

غادرت الغرفة وهبطت الى البهو. أدرت البصر حولي بحثا عن الـ «كوفى شوب» فوجدته إلي يسار المدخل. كان خاليا إلا من أوروبى يقرأ صحيفة انجليزية باهتمام. أدركت أن فتحي صدقنى القول عندما نصحنى بالالتجاء إلى هذا المكان إذا شئت الانفراد بنفسى أو الهروب من شفيقة التى لزمت المنزل بسبب إصابة برد. اخترت مقعدا فى ركن منزو وأخرجت من حقيبة يدى المجموعة الثانية من اليوميات.

7

جبال ظفار

١٩٦٥–١٩٦٨

أول مايو ٦٥

.. كل شئ جرى بسهولة شديدة رغم أن الرحلة كانت شاقة وخصوصا الجزء الذى تم بالسيارة فالطرق غير معبدة . كنا أربعة غير يعرب . أنا وغزال الكويتى ورفيق من البحرين وآخر عمانى . أخذنا زورقا من البصرة وغادرناه قرب دبى بعد أربعة أيام. أرهقنى دوار البحر لكن يعرب عانى أكثر منى وكان يتقيأ طول الوقت .

٥ مايو

.. أقمنا يومين فى الجبل الأخضر. تركنا يعرب والرفيقين البحرينى والعُمانى. انضم الينا فى الطريق رفيق ظفارى هو عمّار. جدى وصارم. يبدو كبيرا فى السن رغم أنه فى منتصف العشرينيات . غزال على نقيضه . سريع الانفعال لكن طيب القلب . يدخن كثيرا ويستخف دمه . واصلنا الرحلة بعد أن استخدمنا الطريق الذى يربط نزوى بصلالة فى أقصى الجنوب ويمتد قرابة ألف ميل. وجدنا بعض الصعوبة فى دخول صلالة إذ كانت البوابة الرئيسية محروسة جيدا. نجحنا فى اجتيازها مع دزينة جمال محملة بالحطب . امتدت الدروب مستقيمة ومررنا بعنقود من المبانى الطينية ذات الطابق الواحد . منطقة كبيرة من النخيل ثم مبان عديدة احدها هو السجن . به مدنى انجليزى صدم شخصا بسيارته وهو ثمل فقتله وسيظل فى السجن إلى أن يتحدد المبلغ الذى سيدفعه لأسرة القتيل . توزعنا على عدة بيوت. جاء نصيبى فى بيت أخت عمار. تؤيد كفاحنا هى وزوجها الذى يعمل فى مكتب الوالى .

١٠ مايو

..اجتمعنا برفيقين ظفاريين . فهد (٣٦سنة) عريف سابق فى الجيش . قبض عليه بعد محاولة اعتداء فاشلة على السلطان. هرب من سجن الحصن فى مغامرة بطولية . متين البنية. حاد الطباع لدرجة الشراسة أحيانا. يعتنى بشارب كثيف

يمسده بإصبعه طول الوقت. قليل الكلام . أشك فى أنه يخفى خلف حدته وعدوانيته خجلا شديدا وخصوصا بالنسبة للنساء. رافع (٢٨) سنة أسود البشرة ذو ملامح أفريقية . كان عبدا.

..أعطيتهما الرسائل الخاصة بهما. اقتسمنا الريالات التى أحضرتها معى. بسطنا خريطة وانحنيت فوقها. القياسات بالأميال .حولتها الى كيلومترات كى أتمكن من استيعابها. امتدت ظفار أمامى بطول ٢٣٠ كم وبمساحة حوالى٥٨ ألف كم مربع . تنقسم إلى ثلاثة أقسام طبيعية : سهل ساحلى يتراوح عرضه بين البحر والجبل بين ١٢ الى ١٦ كم. منطقة جبلية تمتد على شكل هلال يطوق السهل الساحلى وتتألف من ثلاثة جبال : سمحان فى الشرق، وجبل القمر فى الغرب ، وفى الوسط جبال القرا وهى أعلاها إذ يتراوح ارتفاعها بين ٩٠٠ و ١٥٠٠ متر فوق سطح البحر. القسم الثالث هو النجد وهو هضبة حجرية وراء الجبال تفصلها عن رمال الربع الخالى التى تقبع السعودية خلفها .

..يعيش بالإقليم قرابة ٦٠ ألف نسمة. يتألفون من ثلاث مجموعات . البدو الرحل فى المناطق الصحراوية فى الشمال. تنتشر قبائلهم مثل الرواشيد والعوامر حتى الربع الخالى. ثم سكان الجبال الذين يربون الماشية ويزرعون على الأمطار الموسمية. ينحدرون من جماعات اثنية عديدة ومتشابكة يشار اليها عادة بالجباليين. ينتمون أساسا الى قبائل القرا والمهرة والشحرة. المجموعة الثالثة هى سكان الشواطئ ويقومون بالزراعة وتربية الماشية فضلا عن صيد السمك والتجارة .

.. ينقسم السكان إلى من يعملون ومن يعيشون على عمل الآخرين. ويشمل القسم الأخير التجار والمديرين وبعض الشيوخ الأكثر غنى. أما العاملون فهم الرعاة والعبيد والصيادون والمزارعون والحمالون . وتقوم الطوائف الاجتماعية على نفس النسق . فتؤلف طائفة صغيرة من السعدة -الذين ينتسبون إلى الرسول- قمة البناء الطبقى، ويأتى بعدهم القبائل الارستقراطية وهم قرا و كثير والمهرة، وأسفلهم القبائل الضعاف مثل الشحرة. وفى القاع عبيد السلطان. تلعب ملكية الماشية رغم أنها عائلية أ كثر منها فردية دورها فى التمييز فى المكانة بين بطون القبائل .يجرى الحفاظ على التمييز الاجتماعى بالحيلولة دون الزواج من نساء ينتمين إلى عائلات أعلى مكانة .

.. العلاقات القبلية هى التى تحكم الحياة اليومية هنا. وهى معقدة وشديدة الحساسية. بعض القبائل تمارس الحماية على قبائل أخرى تعتبر فى وضع الضعيف كما تفعل القرا مع الشحرة. يترتب على ذلك نتائج اقتصادية هامة فقبيلة المهرةمثلا حصلت على حق مطلق فى استخدام المياه فى أراضى قبيلة البطارحة مقابل خنجر مقوس و١١ عنزة! وتشكو الجنابة من احتلال الحراسيس لأراضيها.

..يقوم شيوخ القبائل بدور حلقة الاتصال بين المواطنين والسلطة وفى الآونة الأخيرة أصبحوا سماسرة توريد العمال لشركة البترول .

.. اتفقنا على تقسيم المنطقة بطريقة تكسر حدة التقسيم القبلى . سيتولى فهد مسئولية الإقليم الشرقى (جبل سمحان) و غزال الإقليم الغربى (جبل القمر) وأنا الإقليم الأوسط (جبل القرا) . سيبقى رافع وعمّار فى صلالة لقيادة النشاط السرى ودعم العمل المسلح والتنسيق بين الأقاليم المختلفة.

١٣ مايو

.. حلمت بالأمس أنى أحلق بجسدى فوق ظفار.

.. المرأة فى الجبال تتمتع بوضع متميزعن أختها فى المدن.تحتفظ ببعض استقلاليتها لأنها تشارك فى الإنتاج . المتزوجات يملكن ماشية ويرثن .بوسعهن أن يحصلن على الطلاق بسهولة ويتزوجن ثانية دون أن يتأثر وضعهن الاجتماعى بذلك. يسافرن بحرية دون أزواجهن .الرجل يشارك فى الطهى والعناية بالأطفال ولايفصل المجتمع بينهن وبين الرجال . لا توجد أفضلية لابن العم فى الزواج ولا تقاليد عذرية .شئ يشبه العادات السائدة لدى قبائل دهم اليمنية . إذا وضعت الزوجة عندهم قطعة من القماش الأحمر على باب مسكنها فان الزوج لا يجرؤ على الدخول ولو فعل جلب العار على نفسه وأهله .

لكنهن ما يزلن محرومات من التعليم .ويتم الاتفاق على الزواج الأول (عكس اللاحق) بين الأب والعريس.ويتم تزويج الفتيات من كهول. وما يزال تعدد الزوجات سائدا. بالمثل الختان العنيف بإزالة البظر.

.. فصل الربيع من ١٢ مارس حتى ٢١ يونيو يسمونه هنا فصل القيظ.

١٨ مايو

.. فقدنا عنصر المفاجأة . أعلنت القيادة الخماسية في بيان لوكالات الأنباء وزع في بيروت عن بدء الكفاح المسلح في ظفارقبل أن تكتمل استعداداتنا .النتيجة أن دارية ايرانية احتجزت زورقا كان ينقل السلاح والرجال ووثائق من العراق وسلمته للسلطات البريطانية في مسقط.

١٩ مايو

.. اعتقلت السلطة في صلالة أربعين مناضلا قادمين من دبي بمجرد وصولهم إلى المدينة .

.. ضربة أخرى على يد العميل سعيد بن جيج . كان قد تلقى أسلحة من السعودية فسلمها للمخابرات البريطانية .وأبلغها بأمر سيارات قادمة من السعودية يقودها مسلم بن نوفل فقامت الطائرات البريطانية بقصفها.

.. انتفاخ في صدري . العلامات المألوفة . أكره اللزوجة وضرورة تغيير ملابسي باستمرار. ليتني كنت رجلا.

.. أعددت قائمة بمحطات الراديو ومواعيد نشرات أخبارها و الموجات التي تذيع عليها.

٢٠ مايو

.. تسللنا في الظلام إلى الجبال . تلقانا عدد من المناضلين . قادونا الى موقع مؤقت. هناك كهف كبير يتسع للرجال أحطنامدخله بجذوع الأشجار. وعلى بعد خطوات وجدت فجوة وسط الصخور خصصتها لنفسي .علقت ستارة من الخيش فوق مدخلها . علقت أيضا مرآة صغيرة في الداخل. وضعت الراديو أسفلها. صنعت وسادة من القش.

.. دهشت لعدد الضفادع المتوالية في الصحراء دون أن تكون ثمة برك مياه. ارتعبت عندما دخلت كيس النوم في الظلام وقفز أحدها مستقرا فوق صدري. نقيق الضفادع يجعل النوم مستحيلا . المياه عكرة وتحتوي على حشرات صغيرة بعضها في حجم يرقات الضفادع. الذباب رهيب لا يكل . بصقت واحدة .هناك أنواع عديدة من الخنافس أحدها كبير الحجم ثقيل الوزن يطير حول الخيم وأماكن الاغتسال. لأن أجنحته قصيرة ييأس بعد قليل ويسقط على أي شيء .النمل أسود

وآخر أحمر يعض عضة لاسعة. الزنابير الضخمة تظهر فجأة حول الرأس فأغوص لأتجنبها . هناك أيضا العناكب والعقارب .

..في الصباح تجولت بمفردي حول المكان إلى أن وجدت ما أبحث عنه عند فم الوادي: منخفض صغير يحميه حاجز طبيعي من الصخور.عندما اقترب الغسق تسللت قابضة على بندقيتي وورقة من صحيفة . توقفت عند حاجز الصخور .حدقت في المنخفض الصغيرمذهولة .فقد سبقني أحدلنقس الغرض .توجهت إلى مكان آخر وبعد أن أنزلت بنطلوني أقعيت فوق عقبي. لمحت عقربا على مبعدة . قبضت بشدة على رشاش أرماليت وأخذت أتطلع حولي خوفا من البشر والعقارب.

.. اجتمعت بفهد ورافع في «غرفتي» قبل أن يغادرانا.اتفقنا على طرق الاتصال.

.. سأتولى قيادة خمسة وعشرين مناضلا مقسمين إلى خمس مجموعات . لدينا عشرون بندقية بلجيكية تعطي طلقة طلقة وخمس سيمنوف روسية نصف أوتوماتيكية وقليل من الرصاص .ونحن نتحدث سمعت صوتا غريبا . قفز فهدواقفا وأسرع الى الركن . انحنى فوق الأرض ثم اعتدل. رأيت في يده ثعبانا طويلا(حوالى نصف متر). أمسك به من ذيله بإحدى يديه مدليا رأسه المفلطحإلى أسفل .ثم مر بيده الأخرى على جسمه في خفة حتى قبض على عنقه وضغط عليها حتى فارق الحياة . نظر الى في زهو وقال: العدو هنا ليس بريطانيا العظمى وإنما الثعبان العظيم . قال رافع مبتسما إن الثعبان من النوع الأفريقي الفحاح وهو بطيء الحركة وذو سم قاتل.

.. لم يمكنني الرعب من النوم . شغلت نفسي بالراديو. هناك أكثر من ثلاثين محطة باللغة العربية . من بكين الى صوفيا وتيرانا وبي بي سي وصوت العرب وصوت عمان من القاهرة. سجلت أهم الأخبار لاستخدمها في الدرس السياسي. أخيرا أشعلت نارا ونمت فوق كيسي دون أن أخلع البوط . تخيلت أن المكان المهدد من جسمي هو قدمي . رفعتهما فوق النارونمت . حرقت النار البوط.

٢١ مايو

..كنت الوحيدة في ملابس عسكرية .أمرت بجمع الوحدة فاصطفوا كيفما اتفق وفي تكاسل ودون حماس . لم يكونوا يرتدون ملابس عسكرية وهذا

مفهوم . أغلبهم شبان صغار السن عراة الصدور تماما. لا يستر بدن الواحد منهم سوى المعوز أو الازار الملون الذى يمتد من الخصر الى القدمين . الأقدام عارية. القليل منهم يعلق السلاح فى كتفه. وجوههم متشابهة . كثيرمنهما أسود البشرة تماما . السواد الأفريقى . الأسنان صفراء ومتآكلة .خرج صوتى ضعيفا: انتباه . تطلعوا إلى ولحظت فى النظرات استهانة .اعتدل بعضهم فى وقفتهم .أبعد ما تكون عن الوقفة التى تعلمناها فى سهول البقاع. نظر البعض الآخر مباشرة إلى صدرى فى محاولة لقياس حجمه لكنى كنت قد أخفيته جيدا . فكرت أنى أواجه امتحانا حاسما ليس له ملحق .

استجمعت إرادتى وقلت بصوت وضعت فيه كل ما استطعت من حزم : إننا جميعا أعضاء فى منظمة ديموقراطية هى جبهة تحريرظفار ، لكن منذ اليوم كلكم جنود فى جيش التحرير الشعبى وأنا قائدكم .انتظرت لحظة متوقعة أن يعلق أحد رغم أنى ماكنت سأسمح له بالاستطراد . لم ينطق أحد بكلمة.

ارتفع صوتى : جيش التحرير جيش متطوعين ومتطوعات بدون رتب أو رواتب، لكن كل واحد منكم سينفذ ما آمر به . وليس لأحدكم الحق فى المناقشة . النظام العسكرى قاس لكنه الطريقة الوحيدة المجربة لصيانة قواتنا وتحقيق النصر.

تحدثت بعد ذلك عن الموقف السياسى وطبيعة العدو وميزان القوى وتساءلت: هل يمكن أن نخسر الحرب ؟ أكدت أننا سنربح الحرب لامحالة، فالهزيمة مستحيلة، ومصيرنا محتوم.إما أن نموت هنا حتى آخر ثائر أو نتغلب على الصعاب التي تنتظرنا.

قلت إننا ضد الأعمال الإرهابية التافهة التى يقوم بها أشخاص مندفعون . فهى تترك حصيلة مفجعة من القتلى والضحايا دون أن تحقق أية فائدة لقضية الثورة .

أصدرت الأمر بأن يتقدم إلى الأمام ذوو الخبرة بالقتال والأسلحة . تقدم أغلبهم أمامى . استبعدت من لا يحمل سلاحا ثم تفحصت الباقين. من طريقة حملهم للبندقية ميزت ذوى الخبرة الحقيقية .اخترت منهم قادة المجموعات

وجمعتهم جانبا. أوقفتهم أمامى وأنا أحاول أن أخفى توترى و أضغط على نفسى كى لا أهرب من النظر إلى صدورهم العارية .

صبى صغير أسود يدعى مسرف، عمره بالكاد ١٢ سنة. تتدلى من وسطه أربع قنابل يدوية ويحمل رشاشا فى طول جسمه . واحد منهم على الأقل كان فى سن أبى أو أكبر قليلا . له لحية قصيرة بيضاء وجسد نحيل برزت عظام صدره العارى حتى الخصر . انتشرت على صدره ندوب غريبة الشكل. كان يمسك ماسورة البندقية بيده اليسرى مسندا قاعدتها إلى الأرض وينظر إلى الأمام متحاشيا النظر إلى . لكنى كنت أشعر أنه يراقبنى بطرف عينه . كان يشد قامته ليبدو فى هيئة عسكرية ويترك فى انطباعا بلياقته. سألته عن اسمه . لم يبد عليه أنه سمعنى أو فهم كلامى . كررت السؤال فهتف : علسيس .

إلى جواره وقف شاب قصير الجسم قدرت سنه بين العشرين والثلاثين بسبب صلعته. كان هناك تناقض واضح بين صدره العريض وحوضه الضيق .علق بندقيته فى كتفه الأيسر وحزام الطلقات فى كتفه الأيمن ونظر إلى بحدة . ردد اسمه : بخيت. نزعت نظراتى فى صعوبة عن صدره القوى العريض الذى يغطيه الشعر.خيل الى أن هناك ظل ابتسامة فى عينيه .كأنما يزهو بمظاهر رجولته .شعرت بالنفور منه .

معوزا الاثنين من لون أحمر باهت وتزينهما زخارف موزعة فى مربعات متساوية. بخيت يرتدى حزاما للخراطيش حول خصره . خطرلى خاطر أزعجنى : ماذا لوسقط المعوزان فجأة؟ كنت واثقة أنه لا يوجد أسفلهما لباس من أى نوع. شعرت بالدماء تندفع إلى وجهى .

الثالث – حمد – أصغر سنا بالتأكيد بسبب شعره الكثيف الذى أحاط بوجهه . كان أطول من بخيت لكنه لم يكن مفتول العضلات مثله . علق بندقية فى كتفه الأيمن وأراحها خلف ساعده .أحاط رقبته بكنزة صوفيه و لف حول خصره حزام الطلقات . كانت جوبته زرقاء اللون بمربعات مزركشة وتمتد من خصره حتى قدميه بعكس رفيق آخر وقف فى طرف المجموعة. جوبته تنتهى عند ركبتيه وتذكرنى بتنوراتى القصيرة . انتبهت إلى أن الأخير (عبد الله) هو الوحيد الذى يرتدى قميصا كاكيا مفتوح الصدر يكشف عن جسم هزيل مجرد من الشعر.

عروق رقيقة بارزة . يبدو وادعا مستكينا. لم أتمكن من تحديد سنه وكان يقف ملتصقا بالرفيق الأخير . أطول الخمسة بل أطول الموجودين. متين البناء في معوز أسود يتدلى من خصره أسفل السرة حتى يكاد يلمس الأرض . ساعده الأيسر القوى الذى لفحته الشمس مثنى فوق صدره ليستقرعلى البندقية التى حملها بساعده الأيمن .عضلات قوية نافرة .الوحيد الذى يحمل ساعة في معصمه. لحيته خفيفة لا تتصل بشاربه الأسود . شعرات بيضاء في فوديه. قدرت سنه فوق الأربعين. كان ينظر الي أعلى فوق رأسي متجنبا النظر إلي مباشرة كأنما يريد أن يقول إنه لا يعبأ بهذه الشكليات وأنه يعرف كيف يقاتل عندما يحين الجد وهو شئ يشك في أني – قائدتهم – أعرفه . اسمه سويد.

قلت إن المهمة الأولى أمامنا هى النظافة ومكافحة الذباب والبعوض أو النامس كما يسمونه وإقامة مرحاض مؤقت لاستخدامي من جذوع الأشجار والأعشاب بعيدا عن الكهفين ويكون معرضا لتيارالهواء . أما الآخرون فيجب أن يبحثوا دائما عن أماكن بعيدة ثم يحرصوا على دفن المخلفات جيدا. أمرت بإطفاء أى نيران وتغطية الجمر المتقد بالتراب كى لايستدل العدو على مكاننا.

٢٢ مايو

.. تركت جماعة من ستة رفاق للحراسة تحت قيادة سويد وقدت الباقين في مسيرة تدريبية وسط الجبال هدفها اختبار قوة تحملهم وانضباطهم .وأيضا استكشاف المنطقة .

فرضت على رجالى الصمت التام أثناء السير. يتم نقل الأوامر بالإيماء أوالهمس. حسب القواعد كنت أسيرفى الوسط. كنت أرتدى البوط المحروق. ومع ذلك كنت أتحرك بصعوبة وسط الصخور أما هم الحفاة فكانوا يتنقلون فى رشاقة ويسر.

سرنا بلا توقف عدة ساعات عانينا خلالها من حرارة الشمس . مررنا ببضعة بيوت مبنية من الحجر تستعمل كحظائر للماشية عندما يغادرها أصحابها فى الشتاء للسكنى فى الكهوف هربا من الرياح الشمالية اللاذعة . تركنا الوادى وتسلقنا ٥٠٠ قدم إلى منطقة صخرية عالية وشديدة الانحدار. مروج صفراء يصل فيها ارتفاع القش الى خصر الإنسان . أجمات متناثرة من أشجار عملاقة سقطت

أوراقها. خلفنا وتحتنا البحر الأزرق وحولنا تتدرج الصخور المغطاة بالغابات. الفراشات والنطاط والجراد. فجأة واد جميل يتخلله نبع. شجرتان من التين البرى.

ثلاث ساعات من التسلق جعلتنا عطشى .التقينا بعدد من الرعاة مع أغنام غريبة الشكل تتميز بإليات رفيعة تشبه الذنب وصوف قصيرأقرب إلى الشعر، ورؤوس دقيقة تشبه رؤوس الغزلان فى تكوينها وفي جمال عيونها والتفاتاتها.

وجهنا التحية الى الرعاة يسؤالهم عن الأخبار: خبور؟ ردوا علينا : خبور خير. لم يبد عليهم أنهم استغربوا وجودنا . لكنهم أيضا لم يرحبوا بنا . كانت هناك بضع خيام استلقت الى جوارها عشرات الجمال تحت الشمس وتركت للطيورالتقاط ما فى جلودها من حشرات.

استرحنا إلى جوار عجوز سافرة الوجه صبغت وجهها بطلاء أصفر وأخضر وضعته أيضا فوق ساعديها وعنقها.ارتدت ثوبا فضفاضا أسود وعصبت رأسها بقطعة قماش تدلى طرفاها فوق كتفيها. قدمت لنا وعاء من الخزف امتلأ لحافته بلبن ناقة ذى رغوة .جاء شاب فقبلها فوق خدها الأيمن ثم الأيسر ثم فوق رأسها وعلى صدرها وتطلع إلينا فى جمود. لمحت زريبة لا يزيد قطرها عن قامة إنسان ولها فتحة ضيقة لن يمر منها إلا زحف فوق بطنه. أرضيتها مفروشة بالقش وليس بها موقد للطبخ انما بعض الأوعية المصنوعة من عيدان القصب لحفظ اللبن والعسل أوالزبد .

سرنا مرحلة تحت أشجار السقام الوارفة الظل التى تنبت دون زراعة. ثمرها يصلح للأكل عندما تنفد المؤن .

عدنا فى نهاية اليوم . كان بعضهم متهالكا من شدة التعب .شعرت بالنشوة لأنى كنت فى حالة جيدة . عينت مجموعة للطهى انهمكت في إعداد وجبتنا اليومية الوحيدة المكونة من الأرز واللوبيا . منعت إشعال النيران قبل أن يحل الظلام كى لا يكشف الدخان موقعنا.

عندما دخلت غرفتى فوجئت باختفاء الراديو . وجدته فى الكهف الكبير مع سويد. قضت مجموعة الحراسة الوقت فى الاستماع الى الاغانى. عنفتهم بشدة. أكدت على ان الراديو هو وسيلتنا الوحيدة لمعرفة ما يجرى بالعالم .شرحت أهمية الاقتصاد فى استعماله للحفاظ على البطاريات .وعدت بتخصيص ساعات معينة للاستماع الى الاغانى عندما يتوفر لنا احتياطى من البطاريات.

٢٣ مايو

. . عضلات فخذي تؤلمني من أثر مسيرة الأمس. مرت بي ليلة صعبة.استعصى النوم علي. أخذت أستعرض وجوه المقاتلين وأستعيد ما جرى بيني وبينهم من أحاديث . وبين اللحظة والأخرى يتراءى لي صدربخيت العاري ووجه سويد المستخف .

خرجت من كيسي فهاجمني البعوض بشدة .أشعلت شمعة فهاجمني الذباب . أخرجت كتاب حرب العصابات لماو تسي تونغ وكتابا مماثلا لتشي جيفارا و«حرب الشعب وجيش الشعب» للجنرال جياب . أخذت أتصفحها وأنا أهش الذباب بينما يدور سؤال وحيد في رأسي : كيف يمكن تحويل هؤلاء البدو المتحمسين إلى مقاتلين ثوريين ؟ كيف يمكن إقناع هؤلاء الذين لم يعرفوا نظاما في حياتهم بمعنى النظام والدقة والوقت والانضباط ؟ كيف يمكن إقناعهم بضرورة غلي الحليب ؟ والأهم من كل ذلك إقناعهم بأن ينقادوا لأمرأة . وكيف يمكن النفاذ إلى قلوب أهل الجبل .

. . اصطاد احد المقاتلين تيسا جبليا عجوزا .طعم لحمه كريه كرائحته. سلقناه وتركت لسويد مهمة توزيعه. قسمه الي خمس حصص متساوية. أخذت كل مجموعة حصتها وبدأ توزيع جديد. ثارت مشكلة في المجموعة التي يرأسها مسرف. أكد أحد أفرادها أنه غبن في حجم نصيبه. تدخل سويد لفض الخلاف وتولى بنفسه التوزيع .تناول خمسة عيدان من القش وأطلق اسمامن أسماء أفراد المجموعة على كل عود .أدار ظهره ووضع عودا على كومة لحم وقال هذه لأفضل واحد فيكم. وضع عودا ثانيا على كومة أخرى وقال هذه للأسوأ. ووضع ثالثا وقال هذه لمن لا يستيقظ مبكرا .ضحك الجميع وخف التوتر. انضممت الي هذه المجموعة وتحلقنا حول طبق الأرز وأمام كل منا حصته من اللحم. ما زلت أجد صعوبة في تناول الأرز بالطريقة السائدة رغم أني كنت أجدهافي طفولتي. أمد يدى اليمني مداورة وأكور كمية في راحتي ثم أرفعها الي فمي وأدفعها داخله بأصابعي . ألقيت محاضرة سياسية بعد الطعام عن الاستعمار والاستعمار الجديد . تحدثت عن نضال الشعوب وانتصاراتها. ذكرت مسيرة بريستوس (فارس الأمل) في البرازيل وماوتسي تونغ في الصين . سألتهم اذا كانو سمعوا عن الصين . قال علسبس إنها بلاد الواق واق. سألته عن السبب في هذا الاسم قال لان بها شجر

تشبه ثمرته صورة الإنسان. فاذا اقتطفت الثمرة قالت: واق. لم أشأ أن أجادله وواصلت حديثي. تحدثت عن النظام ومخاطر عدم التقيد به. وعن واجب العناية بالسلاح الشخصي وتنظيفه باستمرار وعدد الطلقات النارية والحرص على ألا تضيع منها واحدة وعدم التفريط في السلاح . وعن احترام الأخلاق الثورية . ثم ركزت على مكافحة الذباب بأن ندفن فضلاتنا في أماكن بعيدة ونحرقها أولا بأول. شددت على أن التمرد والفرار والانهزامية جرائم عقوبتها الإعدام . قلت إن تناول القات ممنوع .

تفقدت المهمات والمواد الضرورية الكافية لحياتنا وكل ما يلزم للنوم والأشغال والطبخ . وجدت المياه شحيحة فأصدرت أمري بأن تخصص للشرب فقط وألا تستخدم في النظافة أو الاستحمام إلى أن نحصل على المزيد من أقرب بئر . لاحظت أيضا أن الملح قليل وتأكدت من وجود كفاية من السكر. وأخيرا صرفتهم بعد أن انتقيت جماعة خاصة بالحراسة على أساس ساهر واحد لكل خمسة نائمين. التجأت إلى الكهف المخصص لي . أسدلت الستارة وأدرت الراديو. أشعلت شمعة. أز النامس في أذني . كنت أشم رائحة عرقي وأشعر بالتصاق ملابسي بجسدي. تمنيت لو كان بإمكاني الاستحمام وغسل شعري ثم التعطر بشانيل ٥. التقطت بي بي سي وبدأت أدون أخبارها.

سمعت صوت حديث فأطفأت الشمعة وأغلقت الراديو وغادرت كهفي. كنت قد نبهت على ضرورة الهجوع والنهوض بساعات محددة وأصدرت إشارة النوم . ثار غضبي عندما رأيت عددا من المقاتلين قد أشعلوا نارا عند مدخل الكهف الكبير وتحلقوا حول بخيت ينصتون اليه وهو يروى لهم شيئا بلهجة لم أتبينها. كفوا عن الحديث وتطلعوا إلى في صمت . لم يتحركوا من أماكنهم ولم يفكروا في الوقوف .حاولت أن أتبين اللغة . ليست الحميرية التي أعرف بعض ألفاظها (على الأقل أعرف كيف أعد من طاد أي واحد إلى تسعيت وعشروت) أو الأمهرية القريبة الشبه منها والتي يتكلمها أهل حضرموت ولا البطحرية التي يتكلمها أبناء قبيلة البطاحرة. سألني بخيت عما إذا كنت في حاجة إلى شئ . هززت رأسي نفيا. قال : لا بد أن الأمور صعبة عليك .قلت : لأني فتاة؟ لم يرد واستقرت عيناه الحادتان على صدري . شعرت بالدماء تندفع إلى وجهي وأنا أتأمل

انعكاس وهج النيران على صدورهم العارية. هبت نسمة باردة فسرت في جسدي قشعريرة وضممت ساعدي فوق صدري . قلت بصوت محايد: إلى النوم يا رفاق. انتظرت حتى نهضوا متكاسلين ثم مضيت إلى كهفي. خلعت حذائي وأنا أتجنب التقاط رائحة قدمي ثم نزعت القميص العسكري وأنا أرتجف من البرد .بسطت كيس النوم البلاستيكي فوق الأرض وتكورت داخله.

٢٤ مايو

..ثارت اليوم زوبعة مفاجئة .تغطي السهل بالأتربة .رأيت بخيت يتأمل العاصفة واجما. قال إنها معارك الجن التي تحدث هذه الزوابع . أبديت استنكاري. قال: انظرى إلي شكلها. تأملت الزوبعة .مخروطية الشكل تنثني وتتلوى كالراقصة . قلت له إن هذه خرافات من ابتداع الرجعيين. وإن العلم الخ. امتعض من حديثي ولزم الصمت. حاولت أن أغير الحديث . سألته عما كانوا يتحدثون فيه بالأمس حول النار. قال : عن الساحرات وكيف يتقمصن الانسان والنساء بالذات. روى قصة شخص يعرفه كانت أمه وشقيقاته يكرهنه. اتفقن على أن تغير إحداهن شكلها إلى ثعبان وتعضه. ودار هذا الحديث أمام قطة كانت في الحقيقة جنية متنكرة تحب الرجل . فقامت بقتل الثعبان المسحور. لم أعلق. أيتصورني ثعبانا أم قطة؟

.. اثنان من المقاتلين كانا يخدمان في الجيوش الانجليزية بالخليج .أحدهما كان شرطيا في قطر وساهم في قمع انتفاضة ١٩٦٣ بها .

.. البعض من سلالة نفسها. الأغلبية من أهل الجبال وبعضهم من قرى قريبة من موقعنا. بين هؤلاء كثير من المتزوجين على عكس القادمين من المدينة.

٢٥ مايو

.. استيقظت مع ضوء الفجر . نهضت في صعوبة .إسهال . هل أصبت بميكروب ما ؟ هل نغلي المياه ؟ أخذت حبتين انتروفورم.قررت أن أغسل أسناني خفية بمعجون وفرشاة ثم تراجعت . لايعقل أن أحل لنفسي ما أحرمه على الآخرين. عندما خرجت من كهفي لمحني أحد المقاتلين ذوي الملامح الأفريقية. فوجئت به يرفع يده إلى رأسه بتحية عسكرية عنيفة ويصيح : جود مورنج سير. ظننت أنه يسخر مني ثم تبينت أنه يعبر لي عن أقصى درجات الاحترام والتقدير. كان يعمل في ميس الضباط الانجليز بالقاعدة الجوية.

..أقمنا أهدافا قريبة وبعيدة تمثل الجنود الانجليز. أجرينا عليها تمرينات رماية. ثم أريتهم كيفية إسناد زجاجة مولوتوف إلى البندقية ولم يكن أحد منهم يعرف هذه الطريقة . استمتعت بذلك .

.. أرسلت دوريتين للاستكشاف وجمع الأخبار وتحديد الأماكن الصالحة لعمل كمائن. أرسلت أيضا دورية خاصة لإحضار الماء في قرب .

.. لا بد من تدريب دقيق : مسيرات مضنية ليلا ونهارا تزاد فيها المسافة كل مرة حتى تصل بهم إلى حافة الانهيار.

.. تعرضت لموقف سخيف اليوم . كنت عائدة من زيارة كشك المرحاض الذي أقمناه على مبعدة نصف كيلومتر وبدأت أطوى كيس النوم لأضعه في حقيبتي بعد أن تمت تهويته . ما ان فتحت الحقيبة حتى قفز شئ في وجهي. صرخت فزعة وتبينت بعد لحظة ضفدعا يقفز هاربا . شككت أن واحدا من الشباب هو الذي فعلها . خطر لي بخيت فهو يلاحقني بنظرات غريبة لا أستطيع تفسيرها .هل غضب من حديثي عن الجن ؟ قررت أن أتجنب الحديث اليه مباشرة أو على انفراد ..

.. ما زال سويد ينظر الى بنفس الطريقة المتعالية .

.. عند عودة الدورية الأولى وجدت قدم أحد أفرادها غارقة في الدماء . تورمت نتيجة لدغة ما فغمسها في دم عنزة ذبحتها جماعة من الرعاة . رفض أن أقوم بتطهيرها كما رفض أن يتناول أي دواء قائلا إن دم الغنم يشفي كل الأورام .

٢٧ مايو

.. لم تتحسن قدم المقاتل . أقنعته بأن يأخذ مضادا حيويا وقمت بتطهير مكان الورم.

.. يتألف سلاح الجو السلطاني من أربع فرق تتميز بألوان أغطية الرأس : بيريه أحمر لفرقة مسقط و أخضر ورملي لفرقة الصحراء و رمادي لفرقة الجبل . لكن الجميع يرتدون أثناء العمليات غطاء رأس من القماش بألوان الأخضر والأسود والماروون . أغلب الجنود من بلوخستان وأغلب الضباط من الانجليز مع بعض الأسيويين والعرب .

.. سمعت مقاتلا يشجع رفيقا له بكلمة غريبة : شوباش. اكتشفت أن بيننا عددا من البلوش ذوى الأصل الهندى أغلبهم من العمال : جمعة الذى لا يتجاوز عشرين سنة وماتت زوجته الأولى أثناء الولادةوهو فى سن ١٥ ، تزوج أخرى وأنجب ولدين .محمد الذى تزوج أيضا فى الخامسة عشرة .خميس الذى ولد عبدا من ٣٠سنة وهرب فى الرابعة عشر من عمره الى مسقط حيث تم تحريره .تزوج منذ ست سنوات وله ولد وبنت .

٢٨ مايو

.. أمرت بتجريد واحد من سلاحه لعدم اطاعة الأوامر.

.. ليس بوسعنا أن نعاقب أحدا بالسجن . عندما يكون الذنب خطيرا يمنع الطعام عن المذنب يوما أو يومين . ممنوع بتاتا إنزال عقاب جسدى بأى رفيق.

.. انتهزت اليوم فرصة وأشرت فى الحديث السياسى إلى موضوع الجن. قلت أنى شخصيا لا أومن بوجودهم لكنى أحترم رأى من يفعل . شعرت أن بخيت استراح.

..سألت الكهل عن موطنه فقال إنه من بيت هندوب فى الغرب. ترك زوجته وأولاده هناك. خطر لى أن أستفسر عن السبب الذى حدا به للإنضمام إلينا. قال على الفور وهو يبتسم : لإستعادة الكرامة والشرف . سرت فى وجدانى مشاعر الفخر . ثم شعرت بعدم الارتياح . بدت إجابته معدة كأنما كررها من قبل . وماذا فى ذلك؟ وجهت نفس السؤال إلى سويد فابتسم ابتسامته الساخرة وقال: أنا هارب من الضرائب . هل يسخر منى أم هذه هى الحقيقة ؟

٢٩ مايو

.. على بعد ٢٥ كيلومترا شمال صلالة صخرة تطل على بحيرة عميقة تتردد فوقها نداءات الطيور. لابد أن أستحم بها فى يوم من الأيام . أفضل وقت للاستحمام بمياه دافئة هو عند الغروب .

..شفي المقاتل الذى أصيبت قدمه .اقتنع بفائدة العلم الحديث . انتهزت الفرصة وحدثته طويلا عن الخرافات .

.. أثناء تمرينات الرماية لاحظت أن سويد مرتبك . تعطلت بندقيته الأرماليت وحار فى كيفية إصلاحها . أدركت المشكلة على الفور . كان قد ملأ خزانتها

بأكثر من طاقتها . قلت له: هناك شيئان يجب الانتباه لهما بالنسبة لهذه البندقية : الأول لا تعمر خزانتها بأكثر من ١٧ طلقة والا ستجد الأجزاء العاملة بها عاجزة عن الانطلاق . الثانى هو أنها قد تتعطل إذا انفصلت حافة الطلقة وهي ما تزال فى الماسورة . فى هذه الحالة تدفعها إلى الخارج بعود من المعدن . أريت كيف يفعل . بدا خجلا من جهله. أما أنا فكنت سعيدة .

.. وقع حادث مزعج فى المساء .كنت أنصت إلى نشرات الأخبار بالراديو عندما دوى طلق نارى عن قرب . أسرعت إلى مصدر الصوت فوجدت بخيت ممسكا بمسدس وحمد يحاول انتزاعه منه . قال بخيت إنه كان ينظف المسدس عندما انطلقت منه الرصاصة خطأ. أمن حمد على حديثه . شئ ما فى لهجته وتعبير وجهه أثار ريبتى . تناولت المسدس من يده وقلبته فوق راحتى . ماكاروف عيار ٩ملم .لم تكن النقطة الحمراء فى جانبه الأيسر مغطاة . أى أنه لم يكن مؤمّنا. هل كانا يتشاجران ؟

٣٠ مايو

.. لم أتمكن من المقاومة . استسلمت للإغراء . تسللت بعد الغروب الى البحيرة . خلعت ملابسى وقفزت الى المياه .روعة . شعرت بحركة على الشاطئ. غمرت جسدى كله فى المياه . كان سلاحى على الشاطئ فوق ملابسى . هناك جسم ما عندها. إنسان أم حيوان ؟ عدو أم صديق؟ بقيت فى مكانى دون حركة . لم يتحرك الجسم الغريب أيضا . عمت نحو الشاطئ فابتعد الجسم الغريب .ارتديت ملابسى بسرعة. شعور غريب راودنى بأن هناك عيونا ترقبنى. جاسوس ؟ عابر سبيل ؟ وأخيرا واجهت الخاطر الذى أرعبنى : أحد رجال فرقتى؟

٣١ مايو

..وجدت رسغى متورما عندما استيقظت. لم أتمكن من إطباق قبضتى أو استخدامها .عند انتصاف النهار برز الوريد فى لون أحمرقان انتشر بالتدريج حتى إبطى. لابد أن شيئا ما لدغنى دون أن أشعر. أخذت مضادا حيويا.

أول يونيو

.. بدأ ذراعى فى التحسن . اللون الأحمر للوريد يتراجع . هناك حشرة تسمى الظفر تسبب لسعتها تورما وحكا لعدة أيام .

.. ينتمي بخيت وحمد الى بيتين متنافسين من قبيلة آل كثير.

٢ يونيو

..عقدنا المؤتمر الأول للجبهة الظفارية في الوادي الكبير بظفار الوسطى. مؤتمر ناجح، بلا خلافات واضحة . الجميع متحمسون .قررنا بالإجماع أن يبدأ الكفاح المسلح فورا.انتخبنا أنا و رافع وفهد وعمّار وغزال في قيادة من ١٨ شخصا بينهم يوسف بن علوي.

.. من بيان المؤتمر إلى الشعب العربي في ظفار : «...لقد قامت طليعة ثورية منك آمنت بالله وبالوطن ..وأن حكومة السلطان سعيد العميل قد استأجرت جيشا من المرتزقة الشعوبيين ..لكن الإرادة الحرة التي تستمد إرادتها من إرادة الله سوف تنتصرعلى هذا الجيش الشعوبي الحاقد ...» .

.. الجبهة مسئولة عن إعاشة المقاتلين. تمدهم بالطعام والملابس والسلاح ووسائل الانتقال. يحصل كل مقاتل أيا كان وضعه أو مستواه القيادي على عشرة دنانير في الشهر كنفقات شخصية نثرية . تنازلت عن نصيبي. شجعت أفراد كتيبتي على أن يحذوا حذوي. ليست هنا مقاهي أو سينمات يمكن الإنفاق عليها! الوضع المالي جيد بفضل تبرعات الأنصار في دول الخليج .

٤ يونيو

.. قسمت قواتي إلى ثلاثة أقسام : قسم يبقى في المعسكر لحمايته وقسم يقوم باستطلاع الموقع البريطاني في طريق حمرين جعلت سويد على رأسه. أخذت القسم الباقي لاستطلاع مطار القاعدة البريطانية .

..كانت الليلة حالكة الظلام بلا قمر.هبطنا من الجبل دون أن يشعر بنا أحد. كنا سبعة أفراد. تقدمنا في خطى زجزاجية في حذر . توزعنا حول القاعدة ورقدنا في الرمال .وضعت المنظار واللاسلكي جانبا وأخذت استخرج الرمال من تحتي وأكومها حولي. فجأة شعرت بحركة علي مقربة. عشرات من السراطين تحاول مشاركة حفرتي . زحفت إلى أعلى الكثيب لأتمكن من رؤية أفضل. جمعت كتلة من العشب دفنت فيها رأسي ورفعتها إلى أعلى ببطء. لم أر شيئا . رقدت مرهفة الحواس. بعد ما بدا ساعات سمعت صوتا إلى يساري.تكرر الصوت. عدت إلى

حفرتي بين السراطين. رفعت الـ «اف ان» الى كتفي. تنبهت فجأة الى أن البندقية ليست معمرة. فهي تخلو من صمام أمان .لم أقم بتعميرها كي أتجنب أي حادثة في الطريق المليء بالحفر. لو فعلت الآن سيسمعني من هو هناك ويتعرف على الصوت . لم يكن أمامي غير أن أنتظر حتى يكشف عن نفسه وعندئذ أقوم بتعمير البندقية وأصوب وأطلق بأسرع ما أستطيع. صوبت على قمة الكثيب وقبضت على مقبض الزناد الثابت بيدي اليسرى. كنت مستعدة . سأطلق زختين ثم أتدحرج يمينا. ازداد إحساسي بثقل البندقية. فجأة أحسست بحركة. دققت التصويب وأنا أنصح نفسي بالصبرحتى يكشف عن نفسه أكثر ويكون التصويب أفضل. كنت على وشك إطلاق النار عندما قفز شخص فوقي واضعا يده على فمي .انتزعت نفسي في غضب من أحضان بخيت. وضع إصبعه على فمه. انكمشنا متلاصقين. كان فخذه عاريا أسفل المعوز القصير.انتقلت حرارته الى جسدي. صلبت ساقي في محاولة لإبعادها عنه لكن ضيق المكان لم يسعفني وآلمني ظهري . أخيرا تركت ساقي تستريح الى جوارساقه. ظللنا متلاصقين حتى بزغت الشمس. صعدت الى قمة الكثيب مرة أخرى. احتميت بكتلة العشب. وجهت المنظار الى القاعدة. سور من السلك الشائك . البوابة الرئيسية تحرسها شرطة عسكرية من الانجليز والأسيويين مسلحة برشاشات سترلنج يرتدون بيريهات ذات لون رملي . بعد السلك بمئة ياردة مدفعان زنة قذائفهما ٢٥ رطلا تحيط بهما براميل سعة ٤٠ جالون . ممر الهبوط غير مرصوف .أمامه والى يمينه خنادق دائرية كبيرة. منطقة مسورة بأسلاك شائكة يحرسها جنود محليون يرتدون بيريهات حمراء فاقعة. براميل بترول فارغة حول طائرات سترايكماستر النفاثة وطائرات النقل سكاي فان .

أعطيت الأمر بالانسحاب في منتصف النهار.عاد سويد ومجموعته قبل الغروب . سجلت ملاحظاتهم .

.. تجنبت بخيت أثناء العشاء. استعصى علي النوم مرة أخرى . تقلبت عدة مرات . كانت أحشائي تغلي. وضعت وسادة بين فخذي وضغطت عليها. استعدت اللحظات التي احتضنني فيها بخيت. ثرت علي نفسي . تقلبت مرات أخرى. تذكرت وجه رشدي ونظراته الوالهة وعماد وأشعاره .شهاب والمرة التي ثمل فيها وقال إنه يعبدني .استعدت موقف البحيرة . تخيلت أن بخيت وآخرين كانوا يرقبونني عارية. حاولت أن أتذكر قولا لجيفارا : على الثوري الذي يستعد في السر لخوض

الحرب أن يكون ناسكا مكتملا . هل كان يقصد أثناءالعمل السرى فى المدينة تحضيرا لحرب العصابات أم خلالها؟ وماذا لواستمرت هذه الحرب شهورا وسنوات؟

٦ يونيو

.. صعد إلينا من صلالة اثنان من الرفاق حاملين كميات من المؤن والذخيرة (بينها عدد من الألغام الأرضية مسروقة من المستودعات الانجليزية) وعدة صحف عربية قديمة وعدد من التكليفات. حدثونا عن المؤتمر الأول لـ «الجبهة القومية للجنوب اليمنى» الذى انعقد فى تعز. عكس الخلافات القائمة حول عدد من القضايا مثل الموقف من المشايخ والسلاطين ومن وصاية المخابرات المصرية. أصدر المؤتمر ميثاقا حدد أن الجنوب يمربمرحلة تحرر وطنى تليها مرحلة بناء اجتماعى على طريق الاشتراكية. القوى هى العمال والفلاحون والجنود والمثقفون الثوريون والطلبة .لم يكتف الميثاق بعدم إدراج البرجوازية فى عداد القوى المحركة للثورة بل إنه أدرجها ضمن جبهة الأعداء. علق أحد الرفيقين ساخرا بأن واضعى الميثاق لا يفهمون الاشتراكية التى تبنوها . قال إن اليساريين طرحوا على قيادة الجبهة ٣٨ مطلبا وصمموا ألا يبرحوا إلا بعد الموافقة عليها ومن بينها عقد مؤتمر ثان فى يناير القادم .

.. ناقشنا نتائج الاستطلاعات التى قمنا بها .

.. الصحف حافلة بتكهنات متباينة عن مصير جيفارا وخسائر القوات الأمريكية فى فيتنام. أزمات عديدة فى مصر :الكراريس والسجاير والكبريت والفكة والمواصلات .

.. ليست هناك أنباء من يعرب .

٧ يونيو

..تحدد بعد الغد للهجوم.

٩ يونيو

..بدأت الثورة فى ظفار.

..قدت الهجوم على طريق حمرين. كنا جميعا متوترين نتصبب عرقا.

حاولت قدرالأمكان أن أخفى اصطكاك ركبتى . أصدرت الأمر بفتح النار على الموقع. أطلق الانجليز صاروخا أضاء المنطقة .ظن المقاتلون أنهم انكشفوا فأوقفوا هجومهم وهربوا . لحقت بهم وقلت لهم إنهم اذا واصلوا الهرب سيتعرضون لمحاكمة عسكرية . ترددوا . عندئذ تركتهم وعدت إلى موقعى وأطلقت النار. لم يرد الانجليز بنيران مضادة . لمحنا سيارات مسرعة تغادر الموقع. أطلقت مزيدا من النيران . تبينت بعد قليل ان الانجليز تركوا الموقع وهربوا. أدرك جنودى ذلك فعادوا على الفور. شعرت بروح جديدة تدب فيهم.انكسرت هيبة العدو.

.. تهورت و أمرت بصرف علبة بولوبيف لكل مجموعة على العشاء.

.. سيكون هذا اليوم هو عيد ميلادى الحقيقى .

١٠ يونيو

.. السيارات البشرية :الجباليون الذين يجوبون الجبال بسرعة خارقة تختلف عنا نحن أبناء المدن. جاؤونا بالأنباء فى الصباح . قامت مجموعة ثانية بقيادة فهد بنسف شاحنة بترول تابعة للشركة الانجليزية وقادت الثالثة هجوما على حصن الوالى فى بلدة طاقة. تأكدنا من النبأين فى المساء عن طريق الراديو .

..قررنا أن نزرع شجرة لبان بهذه المناسبة فى موقع معسكرنا . تحتاج عشر سنوات قبل أن تعطى .

.. أراد المقاتلون أن يكرروا احتفال أمس فمنعتهم فى حزم . لاحظت اختفاء مسرف . عاد مبتسما قبل موعد العشاء يحمل عدة طيور وعصافير. أرانى كيف اصطادها: أعد حفرة صغيرة وضع بها حفنة من الأرز ثم ثبت قطعة مسطحة من الحجر فوق الحفرة بأعواد من البوص بطريقة تجعلها تسقط عند أية حركة. أعددنا من الصيد وجبة شهية فى صندوق التموين الحديدى.

١٢ يونيو

.. اتفقت مع مسرف على أن يعلمنى اللغة الجبالية وأساعده فى إتقان العربية . حصيلة اليوم قليلة : تث هى المرأة وغيج الرجل . يول هث :كيف الحال . من هولن هث : من أين أنت؟ هث تعنى أنت للمذكر وهيتى أنت للمؤنث . أما التحية فحسب الأوقات : يول صباحك تعنى كيف أصبحت أوكيف حالك هذا الصباح .يول غمدك تعنى كيف أمسيت أوكيف حالك هذا المساء.

الولد يبرء . اذهب الغا . البنت أغا بجوت . الماء مه . ويقول الرعاة عندما يسقون الجمال :ألون هك ، أهير بك أى تعالوا باجميلاتى، اشربوا كفايتكم.

.. لا بد من مكافحة الكسل بمهام عديدة .

.. فى البداية نفتقد إلى صفات الصبر والجلد والمثابرة التى يبلورها النضال. وإلى وعى ايديولوجى واضح .

١٤ يونيو

.. غدا سنهاجم المطار البريطانى الذى سبق استكشافه . سآخذ معى عبد الله وحمد.

١٥ يونيو

.. اقتربنا من المطار قبل الفجر . تجنبنا البوابة الرئيسية . تسللنا من ثغرة أحدثناها بالسلك الشائك . هدفنا هو الطائرات الرابضة فوق الأرض .اكتشفنا أن ما خلناه خنادق دائرية تحيط بممر الهبوط ليس سوى دشم دفاعية منفصلة ومتباعدة . أشرت لرفيقىّ أن يتكفل كل واحد منهما بإحداها بينما اتجه أنا إلى الطائرات. زحفنا فى خفة .انفجرت القنابل اليدوية التى ألقاها رفيقاى فى دوى هائل أعقبه على الفورسيل من نيران العدو. اندفعت فى خط متموج نحوأقرب دشمة وقفزت داخلها. كان هناك جندى يرقد على ظهره والدماء تغطى وجهه. تحاشيت النظرإليه. لم أجد القدرة على محاولة التأكد من مصرعه ولا على معرفة جنسيته. انطلقت زوبعة من النيران من المواقع الأخرى .أنصت وأنا أرتعش . دوى انفجار ضخم عند حافة الحفرة. قذيفة مدفع. أحد المدفعين اللذين يبعدان عن السلك الشائك بمائة متر. مزق الرمل اللاذع وجهى ويدى. تتابعت القذائف .لواستمرت سيستحيل علينا مغادرة المكان ويتمكنون من تطويقنا. لا بد من إسكات مصدر النيران . غامرت برفع رأسى إلى أعلى . تبينت المدفع بسهولة. رفعت بندقيتى إلى كتفى وثبت منظارها على المدفعى . أطلقت النار. أخطأته. يبدو أنه لم يشعربرصاصتى. أدركت من حركاته أنه يديرفوهة المدفع نحو مصدر النيران التى يطلقها حمد. حاولت ثانية فأخطأته أيضا. جاهدت كى أجمع شتات نفسى . أرغمت جسمى على الإنصياع : شهيق .. زفير .. انتباه .. ضغط خفيف متواصل. انطلقت الرصاصة وسقط الرجل. بدأت أرتعش . تقيأت . لم أدرنفسى أثناء انسحابنا.

١٦ يونيو

.. لا أستطيع أن أنسى وجه الجندى المغطى بالدماء داخل الحفرة . ولا رأس المدفعى الذى أصبته ببندقيتى . إنها المرة الأولى التى أريق فيها دماء شخص آخر. كنت أتصور أنها عملية سهلة . أتمنى لو نجيا من الموت. نحن لسنا قتلة . لكنهم يرغموننا على أن ندافع عن أنفسنا. إما نحن أوهم .

١٨ يونيو

.. الصباحات المبكرة والليالى صارت باردة تماما . خلال شهور الأمطار يتم اطعام الماشية بالسردين المجفف. تتصاعد عفونة السمك المتعفن من كل مكان فى الكهوف والأكواخ.

..بعد ظهر أمس تجمعت سحب العواصف السوداء فى السماء ناحية الجنوب .اقتربت منا بسرعة. فى المساء كان المطر لا يزال يتساقط . عندما عدنا إلى المعسكر وجدنا الرفاق قد أشعلوا نارا.جلسنا قربها نجفف ملابسنا. اشتد سقوط المطر. كنا نرفع أصواتنا أحيانا لنسمع بعضنا البعض. تردد صوت الرعد مثل طلقات مدفع . أضاء البرق المكان لمدة ثانية مجمدا كل شخص وكل شئ فى مكانه قبل أن يختفى. تحولت المياه إلى نهر وتصاعدت فوق الأرض. اضطررت للابتعاد عنها لبرودتها. ارتقيت صخرة لكنى وجدت فوقها عقربا هاربا من المياه .

١٩ يونيو

..صدمة .انقلب بومدين على بن بيلا وعزله واعتقله .الانقلاب غير مفهوم . الاتجاهات السياسية كلها ممثلة .فيه من اليمين إلى اليسار . أعلن بومدين التزامه بنفس السياسات القديمة فى الاشتراكية والحزب الواحد الخ . لماذا إذن كان الانقلاب ؟

٢١ يونيو

..يبدأ موسم الخريف ويستمر حتى سبتمبر.لا تزيد الحرارة فيه عن ٢٥ درجة مئوية . رياح موسمية تهب من الهند مع مطر هادئ وضباب شفاف يجعل الجو ساحرا. تكثر الحشرات القارصة: الخينيوت التى تمتص الدم والكتان التى تكمن فى الملابس وتنشط فى الظلام عندما نخلد للنوم فتجعله مستحيلا بلدغاتها. لا تخرج من الملابس إلا بعد مضى شهر من الغسيل والتجفيف فى الشمس.

.. تتزايد حصيلتي من اللغة الجبالية : الحشيش الأخضر (شعَر) ، البقرة (هاتي) ، السمن (مِش) ، ثور (فيور) ، جلة (كو) ،المنجل (مزرب) جوال (خانك) ، حقل مطر موسمي (ميشنون) ، الدخن (الدخان) ، اللّوبيا (داجور) ،الخيار(هاشيبه) ،التبغ (تيمبيكو) ، اللوبان ليبانوج) ، الشتاء (شاتاء) ، الخريف (خورف) ، الماعز أرون) ، الجمال (عميريك) ،الغليون الحجرى (فيجير) ، الزيتون (ميتان) ، ابن فلان (بر فلان).

..الأمراض : الشيفة (ألم حاد بالبطن) ، بو برقع (شلل العصب الوجهى) ،الحزازة (حبيبات صغيرة تصيب جلدة فروة الرأس) ، السلوع (ورم شديد فى الرقبة) ،البوشة (حبوب تصيب الأطفال تحت الأنف) ، بوخويط (سيلان الرجل) ، النزول (غشاوة شديدة فى العين تؤدى إلى فقد البصر) ، الحبة المشئومة (حبة الشام أوحبة بغداد وهى دمل صلب) .

٢٢ يونيو

.. نتيجة استطلاع قاعدة أم الجواريف مقر قيادة سلاح الجو السلطانى: معسكر كبير محاط بسورمن الأسلاك الشبكية تتخلله أبراج مراقبة مزودة بكشافات متحركة على مسافات منتظمة . وسط المعسكر قلعة قديمة ترفع العلم العمانى لا بد أنها مركز القيادة . خطوط من الأكواخ الجاهزة تفصل بينها شجيرات داكنة هى عنابر الجنود. قرب البوابة بئر مياه قديم مزود بمضخة يحرسه جنود محليون مسلحون ببندقية اف ان ٦٢ ،٧مم. خلف البئر ميس الضباط ومساكنهم والمخازن. شوهدت عملية تحميل السكاى فان بقنابل هاون وفوسفور ودخان، وعلب سمن وجركنات فارغة لنقل مياه الشرب .جندى بريطانى خلف رشاش براونتج فى موقع محفور أحيط بأكياس الرمال والبراميل .آخرون فى شورتات وقمصان بأكمام قصيرة.

٢٥ يونيو

..نموذج للتضامن الأممى. الاتحاد السوفييتى يحوّل سفن قمح متجهة إليه إلى مصر.

٢٧ يونيو

.. اختفينا خلف الصخور المطلة على قاعدة أم الجواريف وأقمنا بسرعة

دشما واطئة. لمحنا نقطتى غبار تقتربان عبر السهل .مرت ثلاث جمال تحمل الحطب متجهة إلى صلالة .ثم خرجت سيارتانابا كار من القاعدة وشقتا طريقهما ببطء صعدا من الوادى . فتحنا النارعلى سيارة المقدمة . التوت وفقد سائقها سيطرته فانقلبت . تراجعت السيارة الثانية إلى الوراء ثم استدارت وانطلقت عائدة إلى أمان أم الجواريف .

غادرنا مواقع اختبائنا واقتربنا فى فضول من حطام السيارة المصفحة . هى المسماة بمصفحة صلاح الدين. بها مدفع براونتج. جررنا جثث شاغليها. كان أحدهم انجليزيا . لحسن الحظ أنهم موتى وإلا اضطررنا لنقلهم وعلاجهم . جردناهم من ملابسهم .حملنا المدفع وصندوق ذخيرة وقفلنا عائدين إلى الجبال. نقطع الكيلومتر الواحد فى ثلاث ساعات بسبب الأمطار.

أول يوليو

.. بدأنا برنامجا لبث الألغام فى الطرق المؤدية الى قواعد العدو.

.. أستكشف جسدى كل ليلة .

١٥ يوليو

.. فقدنا رفيقا فى انفجار لغم وضعناه . تركه الانفجار نصفين . سيطرت علينا الكآبة. أول خسائرنا البشرية دون قتال مباشر و بسلاحنا نفسه.أمرت بأن يكون السير دائما فى أثر أقدام الإنسان والحيوان أو فوق الأحجار الكبيرة التى يصعب إخفاء الألغام أسفلها .

٢٤ يوليو

.. تتوالى خسائر أمريكا فى فيتنام.فى مرة حاصرت القوات الجنوبية والأمريكية ٨آلاف جندى من فيت كونج .بعد ذلك صرح مسئول أمريكى بأنهم لم يعثروا للجنود على أثر.كأنما انشقت الأرض وابتلعتهم .

.. أشجار جبل القمر: الأثيرة نصف شجرة ونصف صبار ، الحبوك أوراقها سامة وتتجنبها الماشية، لكن كمية قليلة منها تكفى للقضاء على ديدان البطن ، زيروات تستخدم لعلاج الجروح مثل الايودين ، الميتان تتخذ منها العصى ودعامات وعوارض السقوف ، نبات بدها الذى تحمص جذوره الدرنية فى روث الجمال ، يصبح طعمها مثل الكستناء المشوية.

٢٥ اغسطس

.. عقدت أمس اتفاقية السلام بين عبد الناصر والملك فيصل وتقضى باجراء استفتاء شعبى فى اليمن على نوع الحكم على أن تسحب مصر قواتها ؟

.. يعرب فى بيروت . لا أعرف لماذا ترك موقعه. ربما لم يتحمل قبط عمان.

أول سبتمبر

..قررنا مهاجمة المطار البريطانى قبل أن تتوقف الأمطار .

.. علسيس يتقيأ دما . اعترف بأنه مريض من سنوات . وأنه عرض صدره للكى عدة مرات من أجل الشفاء . قلت له إنه مصاب بالسل وشرحت له خطورة المرض .لم يبد عليه أنه اقتنع بكلامى . ليس لدينا أدوية كافية . لا أعرف ماذا أفعل . اكتفيت بعزله عن الباقين . شعرت أن هذا قد جرحه.

.. طلب أحد المقاتلين النزول الى صلالة لرؤية أمه . رفضت . شعرت أن قرارى أغضب الباقين . شرحت لهم أننا لا يمكن أن نسمح بتعريض أمان العملية القادمة للخطر.

٣ سبتمبر

.. اختفى نصيب الذى منعته من النزول الى المدينة . قررت إلغاء العملية . عرضت الأمر للنقاش بين قادة المجموعات. أصروا على القيام بها. غضبوا منى عندما ألمحت الى خطر الوشاية .

٨ سبتمبر

.. كدنا نتعرض لكارثة . عرف الانجليزبالموعد .أعدوا لنا مفاجأة بالاتفاق مع سلاح الجو السلطانى .كانت الخطة أن يختبئ فريق منهم فى الوادى تحت ستار الظلام ويتركونا نمر بهم فى السهل ثم يفتحون علينا النار. فى نفس الوقت تكون المدفعية العمانية قد انتقلت الى موقع جديد قرب المطار فتقصفنا عندما نحاول التقهقر. وهنا يهاجمنا سلاح الجو السلطانى ويجهز علينا. الحظ أنقذنا .قبل أن نبلغ فتحة الوادى ونقع بين الجانبين فتحت المدفعية العمانية النيران بطريق الخطأ. تنبهنا إلى ان هناك شيئا يعد لنا .أسرعنا بالانسحاب قبل أن نقع فى الكمين.

٩ سبتمبر

.. عقدت اجتماعا عاما للفرقة . تناولت ما حدث بالتحليل . أكدت على أن قرارى كان صائبا بمنع نصيب من النزول الى المدينة. وبالمثل اقتراحى بإلغاء العملية بعد اختفائه. قلت إنه ليس بالضرورة خائنا . يمكن أن يكون ثرثر مع شخص غير مناسب، أو تعرض للتعذيب.

قمت بأول نقد ذاتى لى : كان يجب أن أصر على موقفى من إلغاء العملية وأستخدم حق القيادة فى تنفيذه. شرحت فكرة النقد الذاتى وكيف أن ممارسته هى التى تميز الثورى الحقيقى . قلت إنه من الضرورى أن نغير موقعنا. شعرت بعدم الحماس للفكرة . استعرض البعض مزايا موقعنا (أعتقد قربه من قراهم الأصلية). قال سويد إننا فى أمان لأن الرعاة يعرفون المارين فيبلغوننا بأمر أى غريب . قلت له إنهم يمكن أن يفعلوا نفس الشئ مع الغرباء، فيدلون من يسأل عنا. اتخذنا قرارا بالبحث عن موقع جديد بمجرد انتهاء موسم الأمطار بعد أيام .

١٢ سبتمبر

..أحضر الحارس المناوب فى الصباح امرأة كانت تبحث عن موقعنا طول الليل . تحمل طفلة أصيبت بلدغة أفعى. عالجها أهلها بالطريقة التقليدية : شقوا موضع اللدغة بالسكين. ثم قامت الأم بامتصاص السم وبصقه. لكن الجرح تلوث. كانت حرارتها مرتفعة. وضعت لها ضمادات مبللة بالمياه فوق رأسها. ترك الجرح ثقبا عميقا فى كاحلها. نظفته وأعطيتها الترياق المضاد للسم. أمرت بتشديد الحراسة وتدعيمها . إذا كانت المرأة قد تمكنت من العثور علينا فماذا يمنع العدو من ذلك؟ من ناحية أخرى كان للأمر مغزى لا يمكن تجاهله . لقد بدأ السكان يقبلوننا ويتجهون الينا طلبا للعون.

أول اكتوبر

.. انتهى موسم الأمطار.تفتحت أزهار نباتات البيطح التى يتخذهاالجبليون طعاما لهم. ازدهرت شجيرات الصفوت والقراضة ونبات القطرالذى يجمعه السكان ويطهونه وأشجار تشبه ثمرة التين البرى حلوة المذاق . بدأت النباتات الاستوائية تنمو بغزارة على جوانب الوادى . انضمت ناقة الى الفرقة .

.. انقلاب فى أندونيسيا وحمام دم للشيوعيين : قائد حرس سوكارنو يقوم

بحركة غامضة اتخذها الجنرالات اليمينيون ذريعة للادعاء بمحاولة الشيوعيين قلب نظام الحكم .

..أذاع كاسترو في اجتماع عام للحزب الشيوعي الكوبي فقرات من رسالة سلمها إليه جيفارا قبل اختفائه في أول ابريل الماضي. ذكرجيفارا أنه أدى الواجب الذي عهدت به اليه الثورة الكوبية أداء كاملا ولهذا يتخلى عن جميع مناصبه كوزير وعضو في الحزب وقائد بل ومواطن كوبي أيضا. قال مخاطبا كاسترو: ..إن أمما أخرى تطلب خدماتي ويتعين علي أن أغادركم ... سوف أكون مستعدا لتقديم حياتي في سبيل تحرير أي بلد كان في أمريكا اللاتينية إذا ما دعت الضرورة الى ذلك ..إني أترك ورائي أعز ذكرياتي وأحب الناس لي وأحمل معي الروح التي زرعتموها فيّ إلى ميادين جديدة في النضال ضد الاستعمار وإذا وافتني نهايتي في أي مكان فسأحمل معي دائما المثل الأعلي الذي وضعتموه.

٢ اكتوبر

.. نظفنا مكاننا جيدا وأزلنا كل أثر لنا. حمّلنا الناقة بممتلكاتنا القليلة والذخيرة وجراكن الماء وصندوق الأدوية .انطلقنا سيرا على الأقدام الحافية لمدة ثلاث ساعات وبنادقنا على اكتافنا ممسكين بها من الفوهات . توقفنا في العين وهو نبع ماء عند سفوح جبال قرّا. أطلقنا سراح الناقة لتبحث عن طعام . قضينا الليل تحت شجرة تين . أسراب الحشرات تحدث أصواتا عالية . الخنافس تثب فوقنا من غصن إلى غصن .تجمعت طيور اللقلق البيضاء والبنية على قمم الأشجار للمبيت. عنزة للعشاء شكلت وجبة شهية مع الأرز المسلوق والحساء الدسم اللذيذ. ظلوا يقظين من شدة البرد . علسيس لا يكف عن السعال . عند النصر سنوفر له علاجا كاملا.

٣ اكتوبر

.. أيقظتنا نداءات طيورالوروار في الفجر. غادرنا موقعنا. سرنا عبر مروج صخرية ومنحدرات عميقة. على يسارنا أودية واسعة تمتد حتى السهول. شجر ليمون أخضر قرب احدى عيون الماء. بعد فترة وصلنا إلى حافة واد كثيف الأشجار يرتفع ١٦٠٠ قدم فوق سطح البحر.

٤ اكتوبر

.. زرنا مخيما على هضبة صغيرة . عائلة تعيش في كهف منخفض أرضه مفروشة بروث الماعز. عجوز نصف أعمى فوق مقعد من الخيزران المجدول المغطى بالجلد. أحضر لنا صبي طاسة من الحليب الدافئ تعلوه رغوة حلبه للتو . طعمه مالح كحليب كل النياق.

٩ اكتوبر

.. تسلقنا إلى قمة ممركسميم. المرتفعات مغطاة بالعشب والأدغال الخضراء والأغوار الظليلة. تنحدر باتجاه سهل جربيب وصلالة والمحيط الهندي المفتوح على عالم آخر. إلى الشمال مباشرة تنحدر الصخور السوداء والرمال الصفراء إلى الربع الخالي.

٦ اكتوبر

..نزلنا في الصباح إلى بركة العيون التي تقع على ارتفاع مائتي قدم في رأس وادي غودون. قال واحد إن أفعى مخيفة تعيش فيها .ابتلعت مرة عنزة كانت تشرب. اغتسلنا وملأنا الجراكن .

٧ اكتوبر

.. انتقلنا شمالا ببطء متتبعين وادي غودون وهو واحد من خمسة مجاري نهرية جافة تنحدر من السلسلة الساحلية . سرنا بصعوبة في قعر المجرى بين أكوام الصخور المصقولة . مررنا بعائلتين من بيت كثير تقيمان تحت الأشجار. شاب لسعته أفعى من شهرين برجل متورمة ينز منها الصديد .غسلت له الجرح وأعطيته بعض الدواء . زوجته نحيفة جدا وتعاني من سعال متواصل. كل ما يملكونه مطروح على الرمال: بضعة قدور،قرب ،كيس من جلد الماعز مملوء حتى منتصفه بالطحين. كمية من سمك السردين منثورة فوق قميص ممزق .رائحته الكريهة النفاذة تعبّئ المكان مجتذبة أسراب الذباب. بساط قديم وبعض الخرق التي يتدثرون بها ليلا. خرجان ودلو من الجلد لسحب الماء. بندقية قديمة ذات طلقة واحدة.

٩ اكتوبر

.. وجدنا مكانا ملائما على مبعدة نصف كيلومتر من بئر ماء. كهفان

كبيران للرجال وآخر صغيرمنعزل لي. حولنا حقول من اللوبيا. يمكن ان نمشي فيها عدة ساعات دون أن نرى الشمس .

نوفمبر

.. أمر السلطان سعيد بتسوير مدن ظفار الرئيسية بالأسلاك الشائكة ومنع التجول داخل ظفار نفسها .تقلص عدد الجبليين الذين تجرؤا على النزول إلى الساحل للعمل أو التبادل التجاري .صاراقتناء السلع الغذائية صعبا . شنت قواته حملات انتقامية نكلت بالنساء والأطفال وأحرقت الماشية والأكواخ ونسفت الآبار. لجأوا الى احتجاز الرهائن لإجبار المتهمين بالتعاون مع الجبهة على الاستسلام . قررنا الرد بعلمية جريئة.

..وضعت خطة لمهاجمة قوافل التموين والذخيرة المرسلة من قاعدة أم الجواريف إلى مدينة طاقة .كمين بسيط على مشارف المدينة. عرضت الخطة في زهو على رفاق اللجنة القيادية. عارضني فهد واقترح خطة بديلة . قال إن العدو يعرف اننا لغمنا الدرب الرئيسي المؤدي إلى طاقة. اذن أفضل طريق لسياراتهم هو على طول الشاطئ بعد أن يذهب المد وتكون الشمس قد جففت الرمال وصلبتها. ولابد سيختارون لحظة القيام من أم الجواريف بدقة .اذا خرجوا مبكرين سيضطروا للانتظارعلى الشاطئ حتى يذهب المد فيصبحون أهدافا ثابتة لنا .اذا تأخروا كثيرا سيقعون في أسر المد الجديد . اذن نستطيع أن نحدد الوقت بين مدّين . وعند خروجهم ففي الغالب لن يخرجوا من البوابة كما يفعلون عادة بل من الناحية الأخرى المواجهة للبحر. ثم يستديرون يسارا ويمضون في درب موازٍ للسور الذي هو امتداد للسورالمحيط بصلالة. تلي ذلك بوابة من السلك الشائك يحرسها جنديان مسلحان ببنادق ٣٠٣ ومقامة فوق اخدود من الرمال الناعمة مغطاة بشبكة من أسلاك الصلب .بعد ٧٥ مترا تبدأ الرمال الصلبة .خلال هذه الأمتار السبعين سيسيرون ببطء وحذر . هذه هي فرصتنا.

كان عرضه منطقيا يستند الى معرفته بالمنطقة. لكن الطريقة التي كان يتكلم بهاوهو ينظرالي استفزتني . الموقف الذكوري التقليدي. يعتبر نفسه خبيرا عسكريا لمجرد أنه كان جنديا.

.. دونت النقاط الرئيسية في خطاب لعبد الناصر .قال إن الذين لا يستفيدون

من تجاربهم ولا يتفاعلون مع الواقع يتخلون عن قدرتهم على تغييره .أكد أن باب الاجتهاد مفتوح على مصراعيه، والمحظورالوحيد هواستغلال الإنسان للإنسان. قال إن دول الكتلة الشرقية تعطي ج ع م قروضا بفائدة ٢ بالمئة بينما القروض الغربية فائدتها ٧ في المئة أى أن مصر تدفع للدول الغربية ثمن المصنع مرتين . شرح بدقة أساس الاستغلال الرأسمالي : أي واحد ازاى يعمل مليون جنيه؟ حاجة بسيطة جدا .يبتدي بمبلغ ويجيب عمال وهؤلاء العمال بيشتغلوا ..يديهم جزء من حقهم وياخد الجزء الباقي ..لازم يسرق. أعلن أيضا عن وجود التنظيم السياسي داخل الاتحاد الاشتراكي باسم طليعة الاشتراكيين.

٢٨ نوفمبر

.. انتصر فهد. نجح الكمين الذى أعددناه لقاعدة أم الجواريف. لم نتعرض لأية خسائر.

ديسمبر

.. البوت تهرأ. حصلت على حذاء رياضي مطاطي .

.. مازال مصير الزعيم المغربي بن بركة مجهولا . هل هومعتقل أم اغتالوه؟ لماذا يحدث هذا الآن؟ لأنه حدد خط تطوركفاح الشعب العربي في المغرب على أنه الاشتراكية ولأنه يرأس اللجنة التحضيرية لمؤتمر القارات الثلاث الذى سينعقد في كوبا. أمريكا لها خمس قواعد ذرية جوية في المغرب.

.. هاجم عبد الناصر في بورسعيد مطالب الإخوان المسلمين ومنها فرض الحجاب على ١٠ ملايين امرأة و عدم تشغيل المرأة . قال إن العمل حماية للمرأة يمنعها من أن تضل ومن أن تفرط في نفسها . قال إنه لا بد من تأميم تجارة الجملة .

.. دعا الحزب الشيوعي الإيراني إلى جبهة وطنية واسعة من العناصر البرجوازية ورجال الدين مثل خوميني ضد النظام المرتبط بالاستعماريين الانجليزي والأميركي.

.. قرر البرلمان السوداني حل الحزب الشيوعي.

.. هناك تيار قوى داخل الحزب الشيوعي السوداني يدعو الى تحويله الى حزب اشتراكي. يتزعم هذا التيار أحمد سليمان وهومحام معروف وعضو بالمكتب السياسي ويسانده بعض قادة الحزب الذين شغلوا مناصب وزارية بعد ثورة اكتوبر.

..أنا محظوظة حقا إذ أولد وأعيش العصر الذى يشهد التحول الحاسم للعلاقات البشرية من علاقات استغلال إلى علاقات مشاركة وتضامن ومساواة. الصراع الرئيسى يدور بين القيم الفردية والقيم الجماعية . فالمبالغة فى تأكيد قيمة الفردية يؤدى إلى تغليب الروح الأنانية . المقابل الاقتصادى لمبدأ الفردية هو تأكيد دافع الربح : على أساس أن أقوى الدوافع المسيطرة على الفرد هو تحقيق منفعته الذاتية ولو على حساب الآخرين . أى أن الانسان أنانى بطبعه ولايمكن للاعتبارات المعنوية أو الأخلاقية أن تكون حافزا كافيا لجهده.

.. أمشى حافية بعد أن تمزق الحذاء الكاوتشوك . فى البداية امتلأت قدماى بالبثور ثم تصلبت . أمشى الآن أسهل وأسرع من ذى قبل .

..سمعت أغنية أم كلثوم وعبد الوهاب الجديدة «أمل حياتى» . أشعر بالحنين الى القاهرة . ترى ماذا يفعل رشدى الآن؟

.. لا أنباء من يعرب .

..بدأ هبوب رياح الشمال وهى رياح جافة حارة .

.. انتهت الكمية التى لدى من مسحوق تايد بينما كنت أغسل ملابسى الداخلية . أوشكت الدموع أن تطفر من عينى .أحضرلى مسرف فرعا من شجرة بامية. يسمونها هنا قمروت . أرانى كيف أدق أوراقها حتى تصير مسحوقا ثم أذيبها فى قليل من الماء حتى تصنع رغوة مثل تايد بالضبط .

أول يناير ٦٦ :

..ساهمت فى إعداد تقدير موقف بعد ستة شهور من بدء الثورة : هناك روح جديدة فى الجبال . فى البدء كان رد فعل السكان حذرا أو حتى معاديا إذ تعرضوا لضغوط جبارة من جانب المشايخ والعملاء . ثم انكسر طوق العزلة ببطء وكان أول المتعاونين مع الثورة أبناء القبائل المستضعفة والأسر الفقيرة من قرا وكثير. كما نجحنا فى منع تسرب النزاعات القبلية إلى داخل الجبهة. إذ قسمنا الإقليم من البداية على أساس جغرافى وجندنا المتطوعين على أساس فردى لا على أساس الانتماء القبلى . كما اخضعنا اختيار القادة لمقياس الكفاءة لا غير.

١٣ يناير

..أعلن فى عدن الدمج القسرى (برعاية الأجهزة المصرية) بين الجبهة

القومية ومنظمة التحرير(الأصنج ومكاوى) لقطع الطريق على التيار اليسارى (عبد الفتاح اسماعيل). وصل وفد مكون من جورج حبش ومحسن ابراهيم وهانى الهندى إلى تعز للاجتماع بعبد الفتاح اسماعيل. عارض قحطان الشعبى الدمج من القاهرة فمنعه المصريون من مغادرتها .

.. انتقد نايف حواتمة لأول مرة قيادة الحركة.وصفها بالقيادة البرجوازية الصغيرة .

١٤ يناير

.. فقدنا مسرف.

١٨ يناير

.. اليوم فقط تمكنت من الكتابة ... كنا عائدين من مسيرة تدريبية عندما وقعنا فى كمين .سمعت الصوت المعدنى الأجوف لقذيفة الهاون عندما تركت أنبوبها واتجهت نحونا . صحت : هاون.ارتمينا على الأرض وأيدينا فوق رؤوسنا. انفجرت القذيفة فوق التل. تتابع الدوى . بين كل واحدة والثانية نصف دقيقة مما يعنى أن المدفعية تطلق من أقصى مدى وهو٤٠٠٠ متر.اندفع مسرف يجرى وهو يصرخ بشكل هستيرى. كان صراخه كافيا للفت نظر العدو إلى موقعنا .مررت بلحظة مرعبة .الفرقة كلها معرضة للإبادة . واجبى أن أسكته فى الحال ولو بإطلاق النار عليه. رفعت رأسى فى حذر أنا أجذب الرشاش الى أعلى . رأيت الدماء تغطيه وامعاءه مدلاة من بطنه. اقترب من مكانى فى غير وعى . جذبته من خصره الى جوارى .احتضنته بقوة واضعة يدى على فمه إلى أن توقف صراخه. مات بين ذراعىّ.

٢ فبراير

..انتصار تاريخى للشعوب. هبطت محطة فضاء سوفيتية فوق سطح القمر. الإنسان لأول مرة فى تاريخ البشرية فوق جرم سماوى آخر غير الأرض .

.. أقر مجلس الأمة المصرى قانونا بألا يزيد ما يتقاضاه رئيس أو عضو مجلس الادارة عن خمسة الاف جنيه فى العام .

.. أنام بصعوبة . أستيقظ دائما أثناء الليل على صورة مسرف وهو يجرى نحوى.

٢٣ فبراير

.. انقلاب دموى فى دمشق يقوم به جناح من حزب البعث بقيادة صلاح جديد وحافظ أسد . اعتقال ميشيل عفلق وصلاح البيطار.

..أمريكا تعلن فى صراحة عن صفقة أسلحة لإسرائيل.

..انقلاب ضد نكروما بعد حصاراقتصادى من قبل الشركات الغربية التى تشترى محصول الكاكاو من غانا .

مارس

..الشاعر الفرنسى الشيوعى أراجون يعارض فى جريدة الحزب محاكمة كاتبين في الاتحاد السوفيتي بتهمة تهريب كتابات معادية إلى الخارج .

..انقلاب دموى جديد فى اندونيسيا. حكومة عسكرية برئاسة سوهارتو .

أبريل

..تطور خطير للغاية : الطائرات الأمريكية تضرب أحد أحياءعاصمة فيتنام الشمالية لأول مرة منذ بدأت الحرب.

..أعددت تقريرا عن الاحتياجات الصحية : أمصال ضد الثعابين والأفاعى. كل ما يملكه القوم ضد السل وسائر الأمراض الصدرية هوالكى مثنى وثلاث ورباع. أما الجرب فيعالجه الحلاق بإزالة الشعر ودعك فروة الرأس بليمونة . كيف يمكن إقناعهم بضرورة غلى الألبان؟ الأمراض الشائعة هى سوء التغذية والدوسنتاريا والملاريا والجذام والجرب والرمد. مطلوب مورفين وضمادات ومضادات حيوية .

٢ مايو

..فى خطاب أول مايو هدد عبد الناصر بضرب قواعد العدوان السعودية ضد اليمن. عاد إلى شرح قضية الاستغلال بأنه استيلاء الرأسمالى على فائض قيمة عمل العامل أى أنه يأخد عرقهم : «العامل اللى بيشتغل وقيمة عمله جنيه يديله ربع جنيه وياخد هو التلات أرباع» .

.. صحف بيروت: الملك فيصل يستنجد بالولايات المتحدة .

٩ يونيو

.. عام جديد للثورة ولى . أشعر بالاكتئاب . ما زلنا بعيدين عن النصر النهائى . يبدو أنه لم تكن لدى فكرة واضحة عن الزمن الذى سيستغرقه القتال .

ولا عن درجة التخلف السائدة. صنعاء جنة بالقياس إلى الحياة هنا . كم أحن إلى رائحة القهوة فى شوارع بيروت. الليالى بالذات صعبة. كل هذا العنف والقتل . لا بد من الصمود . سأبدأ غدا برنامجا جديدا من المسيرات والتدريب . كونا لجنة لنشر الوعى الصحى .

.. ثلاثة متطوعون جدد بينهم واحد غير صالح للقتال . اسمه سالم حسن (١٧ سنة) . عمل صيادا فى صلالة . كان يتقاضى من صاحب المركب ٢٥ ريالا فى الشهر (الريال = ١٣ روبية أو ٣ ليرات لبنانية) خلال شهور الصيد الثلاثة. بعد ذلك يعمل فى نقل حجارة البناء لقاء ٥ روبيات لكل يوم عمل من عشر ساعات دون فترة غداء . جرب حظه فى الزراعة فاستأجر بستان خضراوات مقابل ٥ ريالات لكل ستة أشهر ونصف ريال لكل ساعة رى . أصيب بمرض التراخوما وأخذ يفقد بصره . باعه دجال يسمى نفسه طبيبا نظارات لم تفده فقدم طلبا للسفر إلى الخليج بقصد العلاج . رفضت السلطات طلبه ففر الى الجبل . سنعهد اليه بالمهام التى لا تعتمد على جودة الرؤية إلى أن تتاح فرصة علاجه .

١١ يونيو

..انتخب المؤتمر الثانى للجبهة القومية العدنية قيادة جديدة على رأسها عبد الفتاح اسماعيل زعيم التيار اليسارى ومعه على سالم البيض، على عنتر، سالم ربيع (سالمين)، على صالح عباد(مقبل)، محمد على هيثم. حضريعرب المؤتمر. القيادة الجديدة ثورية تمامابحكم الأصول الطبقية لعناصرها: عبد الفتاح اسماعيل عامل بمصفاة النفط قبل أن يصير مدرسا، على عنترراعى بغال صار حمالا بمطارات الخليج، صالح مصلح سقا مياه التحق عريفا بالجيش وتركه بعد أن قتل ضابطا انجليزيا، على طايع خياط بالقرية .

..علق عبد الناصرعلى مقتل صلاح حسين فى كمشيش على يد الرأسمالية الريفية الطفيلية وبتحريض من عائلة الفقى الإقطاعية فقال: «لابد من ثورة حية، ثورة مستمرة فالاستغلال لايستسلم بسهولة. .قطاع الرأسمالية بيزيد وإذا أردنا السيرفى طريق الاشتراكية لازم تجارة الجملة تنتقل إلى القطاع العام ..» .

..تكوين اللجنة العليا لتصفية الإقطاع فى مصر برئاسة عبد الحكيم عامر .

.. وافق مجلس الأمة المصرى على مشروع قانون تقدمت به الحكومة

لتعديل قانون الإصلاح الزراعي. أصبح تأجيرالأرض قاصراعلي من يتولى زراعتها بنفسه ولايجوز تأجيرها من الباطن أو التنازل عن الإجارة للغير أومشاركته فيها.

..موسم الأمطار: طوال أربعة شهور سنكون قادرين على الحركة بينما يتحصن العدو بمواقعه لا يغادرها متجنبا الاشتباك بنا .

يوليو

..مواجهة كبرى في رابضات الكلاب . خسرنا مقاتلين ونسفنا سبع عربات عسكرية وقتلنا وجرحنا ٥٨ من العدو.

.. كشفت لجنة تصفية الإقطاع فى مصر عن وقائع مثيرة : بين الإقطاعيين من ارتفعت ملكيته من ستين فدانا عام ٥٤إلى ١٤١٣ فدانا عام ٦٦ عن طريق اغتصاب أراضى طرح النهروتكبيل الفلاحين بالكمبيالات على بياض. حسب نظام المشاركة يستولى الإقطاعى على محصول القطن كله وبعد خصم المصروفات يحتفظ بنصفه. ثم أنهم يسيطرون على البنك العقارى وعلى الجمعيات التعاونية.

..لا تزال عملية التطهير السياسى مستمرة فى الصين. ماوتسي تونج هو الذى أمر بها . تقرر تعديل نظام التعليم الجامعى بقصر مدة دراسة الآداب على سنتين ينتقل الطالب بعدها إلى التدريب العملى وسط العمال والمزارعين والجنود لاكتساب الخبرة العملية الثورية. وصف شواين لاى هذه التطورات بأنها ثورة اشتراكية ثقافية كبرى .برز وزير الدفاع لين بياو الذى أنشأ حركة جديدة لدراسة أعمال ماو وقدم استراتيجية جديدة للثورة العالمية مؤداها : إذا أمكن اعتبار أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية مدن العالم، فان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية تشكل المناطق الزراعية، والثورة العالمية المعاصرة تمثل أيضا صورة من حصار المناطق الزراعية للمدن .

..كتاب جديد لجيفارا يهاجم الحوافز المادية لأنها تؤدى إلى تغليب قيم الرأسمالية ويدعو إلى بعث الحوافز المعنوية . السلعة هى النواة الاقتصادية للمجتمع الرأسمالى وستظل تؤثرعلى تنظيم الإنتاج وعلى الوعى مادامت قائمة. ولأن الطريق ما زال طويلا أمام البلدان المتخلفة لذا فالأغراء شديد للالتجاء إلى الحافز المادى كمحرك للتنمية الاقتصادية السريعة . هنا يظهر خطرالدخول فى

طريق مسدود بمحاولة تحقيق الاشتراكية عن طريق أسلحة عفنة ورثناها عن الرأسمالية (السلعة بوصفها وحدة اقتصادية، الربحية، المصلحة المادية الفردية كحافز الخ). إننا ننتهى إلى هذا المأزق بعد قطع مسافة طويلة تتشابك فيها الطرق الفرعية وتكون القاعدة الاقتصادية قد قامت بدورها فى تخريب عمليةتطويرالوعى . إن بناء الشيوعية يستدعى تغيير الفرد لنفسه مع تغيير القاعدة الاقتصادية . ومن هنا لابد أن تكون أداة تجنيد الجماهير أداة معنوية دون تجاهل الاستخدام السليم للحافز المادى ذى الطابع الاجتماعى أساسا..يجب أن يتحول المجتمع فى مجموعه إلى مدرسة كبيرة ..لكى يسترد الإنسان طبيعته لابد أن ينتهى الانسان/ السلعة. وأن تقدم له الدولة مقابلا لقيامه بواجباته الاجتماعية . عندئذ يتحررفكره من القلق الناجم عن ضرورة إشباع حاجاته الملحة بالعمل، ويتعرف على نفسه بعمله فيدرك عظمته كإنسان عن طريق الخلق والعمل . عندئذ لن يكون عمله عبارة عن تخل عن جزء من كيانه على شكل قوة عمل يبيعها بل إسهاما منه فى الحياة المشتركة.

١٥أغسطس

.. عدوان إسرائيلى ثان على سوريا بسبب الاتجاهات التقدمية للحكومة الجديدة بقيادة الأطباء الشبان أتاسى/زعين /ماخوس وسيرها بشجاعة فى تنفيذ المشروعات العربية لاستثمار روافد نهرالأردن.

.. حصلت على بنطلون جينز على مقاسى . ضيق بعض الشىء.

سبتمبر

..صوت نشاز وسط اندفاع ثورى نحو وحدة القوى الثورية والتقدمية العربية . أحمد سعيد (صوت العرب) يهاجم الدعوة إلى وحدة القوميين العراقيين مع الشيوعيين أو البعثيين..

..شباب الحرس الأحمر الصينى يأخذ قضية الثورة فى يده . تدخلهم فى ملبس عديد من الشبان الصينيين والطريقة الغربية فى إرسال شعورهم، منع تقديم الشاى فى صالات الشاى باعتباره متعة بورجوازية .الهجوم على باخ وبيتهوفين.الشيوعى الحق هوالذى يعيش فى تقشف كامل ويحمل أكثر الأعباء ثقلا .

.. وصلتنا ثلاث كتيبات من بكين بالعربية تتضمن مقالات نشرت في صحيفة جيش التحرير اليومية: فكرماو هو قمة الماركسية اللينينية في العصر الحاضر. لين بياو أول من أمسك بقبضة حاسمة قضية الأدب والفن في الجيش. الاتحاد السوفيتي يتحدر الآن في طريق إعادة الرأسمالية .

.. إن كل جملة من جمل ماو هي الحقيقة ولها وزن يزيد عما لعشرات الآلاف من الجمل العادية.

.. الكتاب والفنانون دائما مصدر للمشاكل والانحرافات.

.. تخليت عن بنطلون الجينز . فتحته حادة تحتك بجسمي بطريقة تشتت فكري .

١٤ أكتوبر

..انقلاب في أبوظبي ضد الشيخ شخبوط الذي تصفه الدوائر الانجليزية بالبخل والرجعية والعناد . حل أخوه زايد محله. يوصف بأنه متفتح .

..في أعقاب كمين ناجح عثر سويد على قتيل باكستاني وجريح ظفاري. تبين أنه من عملاء السلطة .أجهز عليه في الحال. ثرت عندما عرفت بالأمر. القاعدة أننا نعالج الجرحى من الأعداء . صرخت في سويد إننا لسنا قتلة . قررت عقد محاكمة عسكرية له . سيواجه حكم الإعدام .توسل الى عبدالله ان أراعي ظروفه . قال إن القتيل اشترك في تعذيب إخوة سويد ووالده كي يدفعوا الضرائب الجائرة مما أدى الى مصرع الأخير. وإن هذا هو ما دفع به الى الانضمام الى الثورة . تذكرت ما قاله لي مرة عن هروبه من الضرائب . لكنه لم يتحدث أبدا عما فعله به رجال الوالي. فكرت طويلا في الأمر. عقدت اجتماعا للفرقة . تحدثت عن مضمون كفاحنا . قلت إننا ضد الانتقام الفردي. إننا نبحث عن حل جذري لكل ما يتعرض له الشعب من ظلم وأسى. عفوت عن سويد بعد أن قام بنقد ذاتي لتصرفه.

١٣ نوفمبر

.. غارة إسرائيلية من لواء كامل وثلاثين دبابة تؤيدها المدفعية والطائرات على قرية عزلاء في منطقة الخليل بالضفة الغربية. انهم يعدون لشئ ويستكشفون الجبهات المختلفة.

٢١ نوفمبر

.. متطوعون جدد فيهم نفس عيوبنا السابقة .أصبح عددنا ثمانين رجلا .

..اعتقالات واسعة تقوم بها السلطة الأردنية للقوى الوطنية في الخليل ونابلس

.. استدعى الملك قوات البدو للسيطرة على المظاهرات .

..أصدرت المحكمة العليا في السودان حكمها بعدم شرعية حل الحزب الشيوعي . البرلمان يقرر عدم السماح للنواب الشيوعيين بحضور جلساته رغم حكم القضاء.

ديسمبر

.. المؤتمر الثالث لـ «الجبهة القومية» في قعطبة بالشمال اليمني يقر الانسحاب من الوحدة مع جبهة التحرير. انتخاب قيادة جديدة تضم قحطان الشعبي وفيصل عبد اللطيف الشعبي. قيادة القوميون العرب بزعامة جورج حبش تقاوم التجذير اليساري في الحركة وتشجب الانسحاب .

.. ضرورة تطهير الفرقة من الرجال ذوي المعنويات الضعيفة.

.. مثال لما يمثله الموروث من سلبيات : حزب المؤتمر الهندي يوصي بمنع ذبح الأبقار رغم المجاعة وذلك تحت ضغط الجماعات الدينية المتطرفة .

يناير ٦٧

..مشهد رائع : وصلتنا ثلاثة رشاشات ذات قوائم وثلاث بنادق من طراز مادزن وتسع بنادق م .أ. وعشر بنادق أوتوماتيكية و٦ آلاف رصاصة .

.. يهرب في مسقط

.. اعترف تقرير بريطاني رسمي بأن عدد العمليات في عدن خلال العام الماضي ٦٦ بلغ ٥٠٠ عملية قتل وأصيب فيها ٥٨٣ شخصا. كشفت منظمة العفو الدولية عن فنون التعذيب الذي تمارسه السلطات البريطانية : تخليع الأظافر، تكسير العظام، نفخ البطون بالماء ، التعليق من الأكف.

.. الخليج العربي ينتج ثلاثة أخماس واردات بريطانيا من البترول . تعمل بريطانيا الآن على خلق اتحاد فيدرالي بين إمارات الخليج.

..إن التاريخ يتحرك في كل شبرمن الأرض العربية .كل جبروت الاستعمارلن يتمكن من يوقف سيره المظفر إلى الأمام ..

٩ يناير

..موقف غامض في الصين. شواين لاي يدافع عن الثورة الثقافية ويندد بليو تشاوشي ودنج هسياوبنج. الملصقات تتهمه بأنه خائف من الثورة الثقافية .

.. بلغ عدد أفراد القوات الأمريكية في فيتنام ٤٠٠ ألف جندي . في غارة على إحدي القرى حاصروا ٤٢ شخصا وقتلوهم بالمدافع الرشاشة. قبل قتل إحدى السيدات نزعوا ابنتها الصغيرة من بين ذراعيهاومزقوها نصفين أمام عيني أمها .

١٦ يناير

..إضراب عام في عدن استجابة لدعوة الجبهة القومية بمناسبة الذكرى ١٢٨ للاحتلال الأنجليزي .مظاهرات تهتف لناصر .

فبراير

..لطفي الخولي يقول إن ناصر بخطابه في عيدالعلم اكتسب لا وضعية القائد السياسي فقط وانما وضعية المعلم الثوري في الفكر والفلسفة كذلك. مزايدة على المنافقين أم عبادة للفرد؟

..أعدمنا خالنا عثرنا معه على أوراق ومسدسات واعترف.

..اضرابات ومنع تجول في عدن.

٢٠ فبراير

.. انتهيت من تدوين الأخبار واستلقيت فوق الفراش. تركت الفتيل مشتعلا وحركت مؤشر الراديو . جاءتني موسيقى خفيفة فشرد فكري . باعدت بين ساقي وفككت حزام البنطلون .سمعت حركة عند المدخل .ارتفع الستارعن فهد. لم أعرف أنه في المعسكر. اعتدلت جالسة في حنق. اكتسحت نظراته جسدي من قدمي حتى رأسي واستقرتا على الراديو. قال بلهجة ذات مغزى : ماذا تفعلين وحدك؟ سقط ضوء الفتيل على وجهه. شعرت بالرهبة من ذكورته الطاغية. قال: ما رأيك في أن نتزوج؟ وجدت لساني أخيرا . قلت في غضب : الاجابة على السؤال الأول هي : ليس من حق أحد أن يقتحم على وحدتي. الاجابة على السؤال الثاني : تفضل من هنا.

٢٧ فبراير

.. أصدر وزير العدل المصري قرارا بالغاء تنفيذ أحكام الطاعة جبرا وبواسطة الشرطة. أثار هذا التعديل معارضة أعداء تحرير المرأة في مجلس الأمة .

..قانون الأحوال الشخصية كان دائما موضع صراع بين الفكر المتخلف والفكر المتقدم : حق الرجل في تعدد الزوجات، حقه في الطلاق دون قيد، حقه في حضانة الأولاد في سن مبكرة بغض النظرعن مصلحتهم، حقه في إخضاع المرأة بالقوة في بيت الطاعة .التعديل الثوري والجذري في القانون سيعدل نظرة الرجل للمرأة على أساس أنها سلعة إلى كونها شريكة متساوية معه في الحق والواجب .

.. انفجار في عدن يودي بحياة ثلاثة من أبناء عبد القوي مكاوي الأربعة. السلطات الاستعمارية تتهم الجبهة القومية بالمسئولية .عشرة آلاف في جنازة الضحايا .تصعيد العمل الفدائي .

٢٨ فبراير

.. أبلغني بخيت إنه اكتشف دليلا على أن حمد جاسوس. قال إنه رآه يخبيء أوراقا في جذع شجرة . قدم لي الأوراق . وجدت بها أرقاما ورسوما غامضة. تعرفت على حرز الإحاطة الذي كان يحمله ملك اليمن . مكتوب به أنه نافع في زواج البنت والمحبة والقبول وتسهيل الارتزاق والبيع .وهو فعال أيضا للسع العقرب والثعبان وأنواع الهوام .فيه أيضا العهود السليمانية السبعة التي تحمي صاحبها فلا يغلبه غالب ولايدركه طالب .

مارس

.. إذاعة ظفارية من راديو القاهرة : يجب أن يكون الهدف دائما هو مؤخرة العدو. يجب ألا نشترك في معارك يحددها هو ويكون قد درس نتائجها ..اضرب واجر يا أخي .

.. أعيد فتح المدارس في بكين بعد أن ظلت مغلقة لمدة تسع شهور لانشغال الطلبة في حركة الثورة الثقافية . قال رافع إن الصراع الدائر في الصين سببه الرئيسي المصاعب الاقتصادية بعد فشل القفزة الكبرى إلى الأمام .

٧ ابريل

.. لأول مرة منذ تسعة عشر عاما حلقت٧٢ طائرة إسرائيلية فى سماء دمشق بعد ان عبرت سماء الأردن.

..تصريح غريب للرئيس الأمريكى جونسون : لدينا إجراءات عملية مباشرة ستتخذها بصدد الوضع بين إسرائيل والبلاد العربية .

٨ ابريل

..قمنا بعملية ناجحة على طريق تمربت . أصيب حمد برصاصة فى فخذه. حملناه فى أرجوحة مربوطة بغصن ضخم . سنحاول تهريبه داخل صلالة للعلاج.

١٢ ابريل

.. وصلتنا رسالة جيفارا إلى منظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا بعنوان تقرير عن الحالة الثورية فى العالم يستنكر فيها ما أسماه بعزلة فيتنام بسبب الشجار بين الاتحاد السوفييتى والصين . حمل الامبريالية الأمريكية إثم العدوان هى والذين ترددوا حين أذنت ساعة الفصل فى جعل فيتنام أرضا اشتراكية مصونة لا تمس وإن أدى بهم الأمر إلى المخاطرة باندلاع الحرب العالمية. لا بد أنه يقصد الاتحادالسوفييتى . قال إن المستغلين فى العالم يجب أن يخوضوا المعركة فى كل مكان يخوضها العدو ويجب أن تكون الحرب شاملة بحيث لانتركه يستريح ولودقيقة واحدة . دعا الى إنماء الأممية البروليتارية الحقيقية بجيوشها البروليتارية العالمية بحيث يصبح اللواء الذى نقاتل فى ظله هو القضية المقدسة لإنقاذ البشرية وحيث يكون الموت تحت أعلام فيتنام أو فنزويلا أوجواتيمالا أو لاوس أو غينيا أو بوليفيا أو البرازيل مجدا متساويا ورغبة واحدة للأمريكى والأسيوى والأفريقى بل والأوروبى أيضا.

١٦ مايو

.. ليفى أشكول يعلن : من المحتم أن تحدث مواجهة خطيرة بين سوريا واسرائيل .

..ج ع م تطلب سحب قوات الطوارئ التابعة للأمم المتحدة من سيناء وشرم الشيخ وتقرر إغلاق خليج العقبة فى وجه اسرائيل .... الشعب العربى ينتزع المبادرة.

.. فى السعودية ٧٠ ألف من مقطوعى الأيدى والأرجل و٦٠٠ ألف رقيق سرقوا من كل بلد عربى ومن أفريقيا وآسيا وأوروبا .

١٧ مايو

.. المشير عامر يعين الفريق صدقى محمود قائدا للقوات الجوية . ألم يتم اعتقاله صباح ٢٣ يوليو٥٢ لمدة خمسة أيام بصفته من رجال النظام الملكى؟ ثم عين بعدها نائبا لقائد سلاح الطيران وترك طائراته فريسة للهجوم الثلاثى فى ٥٦ وهى رابضة على الممرات الجوية دون تحليق مما أدى إلى تحطيمها فى يوم واحد؟ عجيب أمر المصريين ..

٥ يونيو

.. مع الراديو منذ الصباح الباكر. هل حلت أخيرا لحظة المواجهة الكبرى مع الامبريالية؟ الجميع فى حالة توتر وحماس . أجلنا إحدى العمليات. صوت العرب يبشر بدخول تل أبيب.

٦ يونيو

.. هناك شئ غير طبيعى فى أخبار الإذاعات .

٨ يونيو

.. اسرائيل تحتل غزة والعريش والقطاع العربى الشرقى من القدس. قواتها تتقدم فى سيناء. الطائرات الإسرائيلية تقصف دمشق وتعلن أن جنودها فى طريقهم الى ضواحيها. ماذا ننتظر من قيادة البرجوازية الصغيرة ؟ لا نبتعد عن الراديو لحظة واحدة.

٩ يونيو

.. صدمة التنحى . هل هذا معقول ؟ تشاجرت مع فهد عندما أعرب عن ارتياحه لتنحى ناصر.

..قررنا القيام بعملية احتفالا بالعيد الأول لثورتنا وانتقاما لما حدث فى ٥ يونيو .

١٠ يونيو

.. حالة استنفار تامة . لا أستطيع أن أصدق ما حدث .بكيت من التأثر

والفرح عندما سحب ناصر استقالته بناء على ضغط الجماهير. غدا نقوم باستطلاع المطار الانجليزي.

.. نقاش حاد مع فهد. يهاجم قبول ناصر لقرار وقف إطلاق النار. هاجمه الجميع وخصوصا العراق والجزائر وسوريا.

١١ يوليو

..اتخذت موقعي تحت ستار الظلام خلف شبه دائرة من الصخور. أزلت حزام الذخيرة الجلدي الصيني الذي داربخصري ووضعته على الأرض إلى جوار البندقية الآلية وخزانتها المقوسة . تجمعت حبات العرق التي جرت فوق ظهري وصدري في حزام البنطلون. سحبت من أحد جيوب الحزام بلحة قذفت بها في فمي. رفعت القربة المصنوعة من معدة عنزة وأخذت رشفة من المياه الدافئة وأنا أحدق في معسكر العدو. طائرة كاريبو يتم تحميلها ببراميل وقود سعة ٤٠ جالونا. لاندروفر . مرتزق يصعد إلى الطائرة من بابهاالخلفي المفتوح . إنزال صناديق بيرة وسجاير. أغلقت أبواب الطائرة وبدأت انزلاقها حتى نهاية شريط المعسكر . في منتصف الطريق توقفت ونزل منها الطيار.انطلق اليها المرتزق في اللاندروفر. أشار الطيار إلى أحد إطارات الطائرة . صعد إليها وأمسك بجهاز اللاسلكي . هل يطلب معونة؟ هل رأى أحدا منا؟ وقف الاثنان يدخنان وهمايتطلعان إلى السماء. أخيرا وصلت هليكوبتر أخرى. هبطت إلى جوار الأولى وقفز منها رجل تناول إطارا من الداخل ورافعة وصندوق أدوات. لوكان لدينا مدفع ..

٢٠ يوليو

..تمكن الرفاق العدنيون من إقامة سلطة الجبهة القومية في حي كريتر ورفعوا أعلامها. في نفس الوقت نشب قتال بين الجبهة القومية وجبهة التحرير .

..وصلتنا صحف الأيام السوداء . تأملت صورة عبد الناصر الحزينة في أسى. أين منها صورته المألوفة التي يبدو فيها متهلل الأسارير باسم الثغر تفيض عيناه بالمودة والثقة؟

٢٢ يوليو

..مقاتلون بقيادة علي عنتر يحررون إمارة الضالع .

٥ يوليو

.. عرفت أن الرفيق سامر لعب دورا بطوليا في الهجوم الذي شنه الرفاق العدنيون على مطار خورمكسر . تمكنوا من إصابة بعض الطائرات على الأرض ثم انسحبوا . وعندما طاردهم العدو بالهليكوبتر أطلقوا عليها نيران رشاشاتهم وتمكن من إسقاط واحدة .

٧ يوليو

..انسحب الرفاق العدنيون من حي كريتر بعد أن احتلوه لمدة أكثر من أسبوعين أقاموا خلالهما إدارة محلية . نقطة تحول في مجرى النضال المسلح .

١١ اغسطس

.. شنت قوات التحرير الوطنية في الجنوب اليمني ٩٠ هجوما خلال ٢٤ ساعة .

..وصلتنا مجموعة من الصحف البيروتية .. معلومات جديدة عن الوضع المصري وأسباب الهزيمة . العاملون في مكتب المشير كانوا يستخدمون الطائرات الحربية في تجارة الشنطة . أصحاب المراكز والمناصب غيروا أفكارهم كما يغيرون ثيابهم .تطرف بعضهم في محاولة الظهور بمظهر اشتراكي . الطبقة الجديدة فرضت وجودهافي مواقع عديدة أبرزها مجالس إدارات الشركات المؤممة والمناصب العديدة بوزارة الخارجية وجريدة الأهرام حيث يوجد أكبر تجمع من الطبقات القديمة التي يهوى هيكل التواجد وسطها. فئة أكثر ذكاء دخلت عالم الاستيراد والتصدير مخترقة كل الحواجز التي استحدثتها مرحلة التحول الاشتراكي باستغلال الثغرات في القوانين المتتابعة .

سبتمبر

.. تغيير في الإذاعة الاسبوعية لجبهة تحريرظفار . بدلامن يوسف علوي ممثل الجبهة في القاهرة أصبح يقدمها محمد أحمد الغساني أحد قادة الفصيل القومي داخل الجبهة. نادى كافة شعوب الخليج : الشعب العربي في مسقط ، نزوى، الشارقة، دبي، البحرين وكافة أجزاء الخليج . إن جبهة تحرير ظفار تناديك. الثورة التحريرية في ظفار هي ثورتك .

.. جولة قتال جديدة بين الجبهة القومية وجبهة التحريرفي عدن بعد أن

أعلنت الأولى اعتبار نفسها الممثل الشرعي الوحيد لشعب الجنوب اليمني في أي مفاوضات مع المستعمر وفي استلام السلطة . الانجليز يفضلون التفاوض مع الجبهة القومية لسحب البساط من تحت ناصر الذى يؤيد الجبهة الأخرى.

٢١ اكتوبر

.. المصريون يستعيدون المبادرة . إغراق المدمرة الإسرائيلية ايلات.

..أعلن كاسترو في حزن أن جيفارا قتل على أيدى قوات من الجيش البوليفي .

.. وصلتنا قرارات المؤتمر الرابع للحزب الشيوعي السوداني : الماركسية منهج وليست شعارات جامدة . العمل على تكوين جبهة واسعة ضد زحف اليمين الملتحف بالدين وضد الأفكار الانقلابية.

٢ نوفمبر

.. أخلى الانجليز فجأة منطقة الشيخ عثمان ودارسعد علي مشارف عدن.أسرعت جبهة التحرير باحتلال هذه المواقع .اندلع القتال في مساء اليوم بين مقاتلى الجبهتين بمدافع الهاون والبازوكا والبلانسيت .

.. فرغ مخزونى من أقلام الحبر الجاف والرصاص . أحضر لي بخيت بضع ثمار حمراء دائرية في عنقود تشبه الدوم لكنها أصغر حجما . أخذنا حبوبها وغليناها فصار لدينا حبر أحمر للكتابة . حبر ثورى !

٥ نوفمبر

..ظهرت نتائج الهزيمة : مصر توقف مساعداتها وتسحب قواتها من اليمن.

.. تشكلت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة جورج حبش من ثلاث منظمات أهمها الفرع الفلسطيني الأردني من حركة القوميين العرب وجماعة أحمد جبريل .

٩ نوفمبر

.. انقلاب في اليمن ضد السلال أثناء وجوده في موسكو .

.. ما زال القتال مستمرا في عدن بين الجبهتين .الضحايا مائة قتيل و٣٠٠ جريح .

..هجوم ملكي شرس بدعم من السعودية على القوات الجمهورية في اليمن. العقيد العمرى يقوم بتصفية العناصر الديموقراطية .

٣٠ نوفمبر

.. إعلان استقلال جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية بعد حكم بريطاني من عام ١٨٣٩ من خلال سلاطين موزعين على ٢٥ إمارة ومشيخة. الجبهة القومية تعلن أنها السلطة العليا في البلاد والتنظيم السياسي الوحيد .تعيين قحطان الشعبي رئيسا مؤقتا. شكل حكومة ضمت على سالم البيض للدفاع ومحمد على هيثم للداخلية وعبد الفتاح اسماعيل للثقافة وفيصل عبد اللطيف للاقتصاد .

.. قوات السلطة العميلة تلقى القبض على ٥٥٠ شابا داخل مدن ظفار كانوا يشكلون الجزء الأكبر من الخلايا التى تسند الحركة الثورية في الجبل.

أول يناير٦٨

.. المصريون يسقطون ثلاث طائرات اسرائيلية من أربع أغارت على منطقة القناة.

١٦ يناير

.. هجوم شامل للثوار في فيتنام في جميع الجبهات.

٣ فبراير

..تغيرات في صفوف القوميون العرب : في لبنان خرج الاشتراكيون واتحدوا مع فواز طرابلسي . في عدن انقسمت الجبهة القوميةإلى يمين ينادى بالتمهل في الإجراءات بزعم أن النضال قد انتهى بالاستقلال(قحطان الشعبي) وتيار ثورى(عبد الفتاح اسماعيل) ينادى بتعميق فكر واستراتيجية الطبقة العاملة والفلاحية الفقيرة ويطالب بتقويض مؤسسات الدولة القديمة وانجاز مهام الثورة الديموقراطية الشعبية بتوزيع الأراضي علي فقراء الفلاحين دون تعويض لأغنيائهم . وأن تكون الأرض لمن يفلحها وتوضع في الإطار التعاوني لخلق علاقات إنتاج جديدة على الطريق إلى الاشتراكية. أيضا تحويل الاقتصاد من الخدمات إلى الإنتاج . تسعون في المئة من الإنتاج الصناعي للبلاد كان ممثلا في مصفاة النفط المملوكة لشركة بريتش بتروليوم بينما تكونت ثروات خيالية من وكالة الاحتكارات الأجنبية التي بلغت حد تصفية صناعة الملح المحلية لصالح المستورد.

٥ فبراير

..تم الاتفاق مع الرفاق فى عدن على وضع المحافظة السادسة (المهرة) فى خدمة جبهتنا. سيصبح ميناء الحوف قاعدة لمساندة كفاحنا. أقمنا احتفالا صاخبا. ستتلاشى الصعوبات التى نعانيها فى التموين والإمدادات. سترسل علسيس وسالم حسن للعلاج فى عدن أوالخارج . ستتلقى أسلحة جديدة . سنحصل على الصحف وعلى احتياطى وافر من بطاريات الراديو.

٢٥ فبراير

..الجبهة القومية تستعد لمؤتمرها الرابع .

..نايف حواتمة يشارك الجناح الثورى فى التحضير للمؤتمر. مطالب هذا الجناح : تأميم كل ملكية الشركات الأجنبية والبرجوازية الكبيرة المحلية،إغلاق الميناء الحر، تخفيض رواتب موظفي الدولة والحد الأعلى للأجوربحيث لا يتعدى أربعة أمثال الحد الأدنى، الحد الأعلى لملكية الأرض ٥ أفدنة فى الأراضى المروية و١٠ فى الأراضى البور، توزيع الأرضى المصادرة بدون تعويض على الفلاحين الفقراء، إنشاء تعاونيات، إقامة مجالس شعبية من العمال والفلاحين الفقراء والجنود وإعطاؤها كل السلطة.

أول مارس

.. النتائج الأولى للهجوم الفيتنامى المستمر منذ شهر ونصف : قتل وجرح ربع مليون جندى أمريكي .

٩ مارس

..انتهى أمس مؤتمر الجبهة القومية الذى عقد فى زنجبار بمحافظة أبين. انتصر الإتجاه الثورى .تم إنتخاب قيادة عامة جديدة تضم على عنتر، عبد الفتاح إسماعيل، على ناصر محمد، سالم ربيع، صالح مصلح، على سالم البيض، محمد صالح مطيع . الجبهة تعلن تبنيها للاشتراكية العلمية .

١٢ مارس

..هذه المرة كانت الطائرة جاهزة للإقلاع. تابعتها فى أسى وهى تجرى فوق الممر. سمعت حركة خلفى فى الوادى. تدحرجت وأنا أصوب

الكلاشينكوف نحو الصوت . ردد سويد اسمى قائلا:المدفع .المدفع الكبير. إنه فى الطريق . كدت أقبله من الفرح. تركنى وزحف مبتعدا . بلغت الطائرة نهاية الممر. تطلعت خلفى فلمحت ثلاثة رجال يجرون جملا. أنبوب طويل يتأرجح فوق ظهره. اقترب منى قائدهم. تطلع الى الممر الجوى البعيد. أكملت الطائرة دورتها استعدادا للإقلاع .قال: المسافة بعيدة جدا، لابد أن نقترب أكثر. قلت : ليس هناك وقت.تحول لرفيقيه وقال: طيب. حضروا المدفع . علا صوت محرك الكاريبو. اندفعت الى الأمام وهى تزداد سرعة . فك الرفاق الحبال التى تشد المدفع إلى ظهر الجمل. أقام المدفعى الحامل جيدا على الأرض وثبت الماسورة الطويلة اليه . وضع فى مؤخرتها قذيفة مرعبة المنظر. أقرب الى صاروخ .ضغط الزناد .طارت القذيفة نحو الطائرة المتحركة. انفجار ودخان. جرى المرتزقة فى كل اتجاه نحو الخنادق والدشم . تابعت الطائرة المرتفعة فى السماء بإحباط. نظرت إلى العربات المركونة. أمرت بفك المدفع بسرعة .وضع فوق ظهر الجمل .تقدمت المجموعة إلى الأمام. انحدرنا قليلا فى سهل صخرى .بعد عدة أمتار بلغنا كوما من الصخور يمكن إطلاق النار من ورائه. أعيد تجميع المدفع وشحنه وتصويبه على العربات . قلت لقائد مجموعة المدفع : ننتظر حتى يأتى الجنود ويركبوها فعندئذ يمكن أن نصيب عددا كبيرا منهم . قال : لا يمكن أن ننتظر طويلا. فسرعان ما يبدأون البحث عنا بطائراتهم .توسلت اليه. تطلع الى السماء ثم أطرق موافقا. انتظرنا متوترين. أوشك الذباب أن يصيبنى بالجنون. كان يحط على عينى . بصقت واحدة تسللت داخل فمى . ورأيت شخصا يسير نحو العربات فسرتنى أن الانتظار انتهى . أصدرت الأمربالاستعداد . وضع الشخص بندقيته فوق المقعد الأمامى للاندروفر. أصدرت الأمربإطلاق النار.التقط سترته وشرع يعقد أزرارها. اقترب الأزيز منه فسقط فوق ركبتيه. لف ذراعيه فوق رأسه لحمايتها ، انهال فوقه التراب .اندفع إلى اللاندروفر وأدار مفتاحها ثم انطلق فوق الممر الجوى وهو يتأرجح يمينا ويسارا.تطلعت الى الدخان المنبعث من الغلافة النحاسية الفارغة فوق الرمال. دفع المدفعى قذيفة جديدة داخل الماسورة . دوى صوت ارتطام مؤخرة المدفع عند إغلاقها. بدأ فك المدفع على الفور وربطه فوق الجمل . لم نعرف اذا كنا أصبنا الهدف أم لا. جرينا. انزلقنا فوق المنحدرإلى الوادى ثم انطلقنا فى سرعة الريح. بلغنا فجوة عميقة فى وجه صخرة لها منصة ألقت ظلا داكنا أسفلها. قدنا الجمل إلى الظل وجذبنا

نطاق قوائمه الأمامية حتى ركع . جمعنا بعض الأشواك وكومناها حولنا. لم يمض وقت طويل حتى زأرت النفاثات فوق الوادى تبحث عنا.انكمشنا فى أماكننا الى ان تلاشى صوتها. أصدرت إشارة الأنطلاق ونخست الجمل ليقف . مضينا فى طريق العودة.

١٣ مارس

.. اللجنة الشعبية العليا في حضرموت تصدر قرارات ثورية : تأميم عدد من أملاك التجار الكبار واستغلالها كمدارس، تخفيض الإيجارات في حدود ٣٠ بالمئة، تخفيض مدة إقامة الأفراح من ٨ أيام إلى ٣، الحد الأعلى للمهور ٢٥٠ شلنا ، مصاغ العروس ثلاث أساور بدلا من ثمانية. حضرموت مركز حضارى قديم به أدوات فلاحة عمرها ١٥ ألف سنة . عاد اليها أخيرا ثمانية آلاف عامل من زنجبار و آخرون من أندونيسيا هربا من حمامات الدم التى نظمت ضد الشيوعيين .

١٥ مارس

.. وصلنا نص مقالات نايف حواتمة فى مجلة الحرية البيروتية. وصف مصادرة المقاهى ودار السينما فى حضرموت بأنها انتهاج للخط الثورى الصحيح بينما تنتهج السلطة فى عدن خطا إصلاحيا ناصريا .

.. اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الكوبى تقدم لمحكمة الثورة ثلاثة من أعضائها ينتمون إلى الحزب الشيوعى القديم . وصفتهم بالانتهازيين والانعزاليين القدامى وبأنهم تبنوا أفكار أدعياء الثورة فى أمريكا اللاتينية . يبدو أن أغلب الأحزاب الشيوعية القديمة لا تؤيد كاسترو فى محاولة نقل الاشتراكية إلى أمريكا اللاتينية بواسطة حرب العصابات . قلوبها تخفق لموسكو ولا تشعر بنبض شعوبها.

١٨ مارس

.. تطورات مقلقة فى عدن. الجيش القبلى القديم يفض مهرجانا لتأييد قرارات المؤتمر. اعتقل عددا من أعضاء الجبهة بينهم محمد صالح مطيع، سالم صالح محمد وغيرهما من الجناح اليسارى. إشاعات عن هروب سالمين والبيض والأشطل إلى مقطبة على الحدود بين الشمال والجنوب .

.. أنباء عن مذبحة بشعة ارتكبها الجنود الأمريكيون فى قرية ماى لاى فى فيتنام .

٢٠ مارس

.. إنقلاب عسكرى فى عدن. هدفه المعلن انقاذ البلاد من الشيوعية . قحطان الشعبى يؤيد الانقلاب فى بيان من الإذاعة.

٢٢ مارس

..الاعتقالات مستمرة فى عدن . بلغ عدد المعتقلين٣٠٠ شخص منهم ثمانية من أعضاء القيادة العامة للجبهة . مظاهرات تطالب بإطلاق سراح المعتقلين.

٢٣ مارس

..علمنا أن على سالم البيض وسالمين وعلى عنتر ومحمد صالح مطيع وصالح مصلح نجحوا فى الفرار من السجن إلى المحافظة الثالثة. بيان قحطان الشعبى بتأييد الانقلاب كان تحت التهديد إذ ساقه الانقلابيون ضربا إلى مبنى الاذاعة.

٢٧ مارس

.. اليمين يتراجع فى عدن.الرئيس قحطان الشعبى يصدر قرارا بتنفيذ قانون الإصلاح الزراعى الذى يتضمن مصادرة جميع أراضى ومنشئات السلاطين والوزراء السابقين وتحديد الحد الأقصى للملكية الزراعية من ٢٥ إلى ٥٠ فدانا وتوزيع الأراضى المصادرة على المحاربين القدامى والفلاحين المعدمين وإعداد مشروع لتكوين ميليشيا مسلحة من العمال.الملحق العسكرى الأميركى أشرف على تنفيذ الانقلاب الفاشل .

..الموقف الاقتصادى صعب بعد تعطل ٢٥ ألف عامل من عمال الميناء الذى توقف عن العمل بعد إغلاق قناة السويس.

٣٠ مارس

.. تغييرات حافلة في بولندة وتشيكوسلوفاكيا تحت شعار المقرطة. شوكة التحريفيين تقوى.

٥ مايو

..هجوم شامل ثان للثوارفى فيتنام .للمرة الثانية يقتحمون العاصمة بسايجون.

١٢ مايو

.. مجلس الأمن يطالب اسرائيل بإلغاء الإجراءات التى اتخذتها لضم القدس.

٥ يوليو

.. انتفاضة الطلاب الفرنسيين مؤشر على رياح الثورة. كلمات جيفارا تلهم حركات الشباب في الغرب : ان المهمة الرئيسية التى تواجه المرحلة الانتقالية الراهنة هى الإعداد لثورة الاشتراكية العالمية وبناء قاعدتها المادية وليست هذه المرحلة مرحلة البناء الاقتصادى للاشتراكية فى دولة واحدة .

٩ يوليو

..الاحتفال بذكرى الثورة.

.. الثورة الآن تتكون من ١٠ فرق مسلحة تسيطر على ٨٠ بالمئة من جبال ظفار وتواجه ٦آلاف جندى أغلبهم من الباكستانيين والايرانيين. سنستغل موسم الأمطار فى تسيير قوافل الأسلحة والذخيرة من جنوب اليمن .

.. ليست هناك أنباء من مسقط . هل يشرب يعرب البيرة ؟

١٧ يوليو

..انقلاب العراق يأتى بالجناح اليمينى من حزب البعث القديم ويمثله أحمد حسن البكر الذى اختير رئيسا للجمهورية .

..بدأ الاستعداد للمؤتمر الثانى لجبهتنا.اشتركت فى إعداد تقريربعنوان الفكر يقود البندقية يناقش معنى العنف الثورى المنظم: أولا، التمييز بين نضالنا وبين الانتفاضات القبلية السابقة. العنف القبلى عنف«عفوى»، أى أنه بدون تنظيم أوهدف .أنتج ثائرين لا ثوريين، أى أناسا حملوا السلاح ضد السلطة لكنهم كانوا يفتقدون إلى الفكر الذى يقود البندقية، أى النظرية الثورية. (عكس النظرة العفوية الغالبة على الكفاح الفلسطينى المسلح، حيث أضفيت علي البندقية صفات شبه عجائبية فى مجال بناء الوعى الثورى. «تصريح أبو عمار بأن البندقية هى القائد الوحيد للثورة الفلسطينية») .

العنف الثورى المسلح = الوعى الثورى+ التنظيم الثورى . كيف يمكن تحقيق الانتقال من «الولاء الأعمى للقبيلة إلى الولاء السليم للثورة » ؟ يتوقف

ذلك أولاعلى تحقيق الارتباط بين المبادئ العامة للماركسية والوضع المخصوص لظفار التى تختلف عن الصين وفيتنام مثلافى أنها أقل تطورا، ولم تنتج طبقة ملاك أرض أو برجوازية كمبرادورية كالتى ظهرت فى الخليج.

٣ أغسطس

.. حملة ضد الشيوعيين والأكراد فى العراق يقودها صدام حسين الرجل الثانى فى النظام .

٢١ أغسطس

.. قوات حلف وارسو تدخل تشيكوسلوفاكيا لتوقف مسلسل المراجعة والتحريفية.

أول سبتمبر

.. عقدنا المؤتمر الثانى لجبهة تحريرظفار فى حمرين بوسط الأقليم . ستون مندوبا يمثلون جيش التحرير والميليشيا والتنظيم السرى فى مختلف أقطار الخليج. ضيوف من عدن بينهم الرفيق سامر الذى تجاهلنى تماما. توزعنا على البيوت والزرائب. المساكن مستديرة وبيضاوية ذات سقوف مقببة.أحصيت خمسين منها. الجدران من أحجاركبيرة الحجم. السقوف من فروع الأشجار المغطاة بطبقة كثيفة من الحشائش والقش. فتحة واحدة للمنزل ارتفاعها متر وعرضها أقل من المتر، مزودة بمصراع خشبى. قاعة واحدة نصفها مفروش بالحشيات للمعيشة والنوم. النصف الثانى مخصص لحفظ الأقمشة والأدوات المنزلية والأطعمة والحطب والسمك المجفف. قرب المدخل فرن مكشوف. استضافتنا أسرة من الرفاق أنا والرفيقة هدى. إبنة رجل أعمال في البحرين وطالبة سابقة بالجامعة الأمريكية فى بيروت. سمعت عنها كثيرا ولحظت أن الجميع يحترمونها . أكبر منى ببضع سنوات.

٢ سبتمبر

.. جرت الاجتماعات فى كهف كبير كان مأوى للماشية خلال موسم الأمطار. أدلى الرفيق صالح بالتقرير السياسي: الطبقة القادرة تاريخيا على مقارعة الاستعمار هى طبقة العمال والفلاحين الفقراء والجنود والمثقفين الثوريين. البرجوازية أنجزت الثورة الوطنية الديموقراطية فى البلدان الرأسمالية المتطورة، لكنها

لاتستطيع ذلك في المستعمرات . لهذا فالأمريتطلب ثورة متصلة. البلاد المستعمرة لن تمر بمرحلة برجوازية .ستقوم الطبقة العاملة بمهمة الثورة البرجوازية وسيتبع إستيلاءها على السلطة إقامة دكتاتورية البروليتاريا. على الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية أن تتخلى عن اسطورة إمكانية «الانتقال السلمي إلى الاشتراكية» .

على الصعيد العربي : فشل القيادة البرجوازية الصغيرة لحركة التحرر الوطني في حل قضايا الثورة الوطنية الديموقراطية بسبب غموضها النظري وسياساتها المتذبذبة، كما اتضح في هزيمة حزيران المشئومة. وحدة القوى الثورية العربية هي الشرط المسبق لوحدة عربية سلمية ذات محتوى اشتراكي علمي.

٥ سبتمبر

..شرح الرفيق فاتح الموقف من الحوار داخل الحركة الشيوعية العالمية. لا يختلف عن موقف سائر فصائل اليسار الثوري في المنطقة : إدانة التحريفية مع تأييد الخط الثالث في الحركة الشيوعية العالمية المتمثل في كوبا و فيتنام وكوريا الديموقراطية.

٧ سبتمبر

.. سألني أحد الضيوف الفلسطينيين عن السر في انتشار فكرماو وتأثيره على الحركات الثورية . أجبته بأن فكر ماو هو التنظير الماركسي الأكثر تقدما وبلورة لقضايا النضال الوطني والاجتماعي في العالم المستعمر وشبه المستعمر.

.. عرفت ان رشدي يكتب في الصحف.

١٠ سبتمبر

.. الرفيقة هدى شخصيتها قوية . لم تنسجم سويا.

١٥ سبتمبر

.. قمت بدور نشيط في المناقشات . هناك معارضة واضحة من جانب العناصر اليمينية.

.. وصل يعرب فجأة. جاء عن طريق عدن. تغير بعض الشيء. يبدو عليه الارتباك والقلق. احتضنني بعنف وشعرت أنه انتصب بل وأعتقد أنه قذف. أرجعت

ذلك لانفعاله الشديد بأول لقاء لنا منذ أكثرمن ثلاث سنوات. مع ذلك أشعر بالحرج في وجوده.

١٦ سبتمبر

.. طلب فهد يدي من يعرب!! قلت ليعرب إني لا يمكن ان أتزوج من شخص لم أختره أنا .

١٨ سبتمبر

.. قال لي المقاتل : سننتصر بإذن الله على السلطان وعندما ننتهي منه سنتفرغ للشيوعيين.سألته مدهوشة : مالهم؟ قال بحرارة : سنطهر الأرض منهم. سألته في حذر: لماذا تكرههم هكذا ؟ قال : لأنهم ملاحدة ويجامعون أمهاتهم. ليس عندهم أخلاق أودين.

فكرت أنه لو كان هذا النقاش حدث معي منذ ثلاث سنوات أو سنتين كنت وافقته في الحال على أن لهم أيضا ذيولا مثل القردة .

.. المشكلة ان الشيوعيين التقليديين ليسوا ثوريين بما يكفي.لا يجيدون غير الكلام . قال عنهم جيفارا إنهم قادرون على الاستشهاد في المخابئ دون ان تصطك منهم الأسنان لكنهم غير قادرين على تشكيل مجموعة تقتحم وكرا من أوكار الرشاشات.

٢٠ سبتمبر

.. استمرت المناقشات الى اليوم . القرارات : تبني الاشتراكية العلمية، اعتماد المرشدين السياسيين في كافة وحدات جيش التحرير الشعبي، بناء قوات الميليشيا، تحرير الرق، تنظيم الزراعة ،تغيير اسم الجبهة إلى الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل.أهمية هذا التغيير أنه ينفي عنا صفة الإقليمية والانفصالية ويؤكد وحدة المصير بين أقطار المنطقة.

.. قرار هام : تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة.

.. في حديث جانبي قال لي رافع إنه غير مستريح للاتجاه السائد رغم تأييده للقرارات . يعتقد أننا سنفقد جاذبيتنا السياسية نتيجة تبني الماركسية اللينينية . قال إن جبهة تحرير فيتنام لم تعلن تبنيها للماركسية اللينينية .لهذا

صارت لها قاعدة جماهيرية أوسع. أضاف: قليل من الظفاريين يستوعب معنى القومية المعاصرة فما بالك بالماركسية ؟ قلت له إن الانسان يتعلم والحياة والمعركة تطوران الوعي . قاطعني ساخرا : الواحد منهم يقول أنا من قبيلة كذا فكيف تريدين أن تحددى له وضعا طبقيا؟ يقرأ كتاب «التطرف اليسارى عبث اطفال» الذى ألفه لينين. وعد باعطائه لي.

٢١ سبتمبر

.. انتخب المؤتمر قيادة جديدة من ٢٥ عضوا ولجنة تنفيذية من خمسة وأمينها محمد أحمد الغساني.معه أحمد عبد الصمدو عبد العزيز القاضى وعبد الحافظ جمعان وحمدان سيف الظرياني. لم يتبق سوى ٣ فقط من أعضاء القيادة السابقة. أدى هذا إلى انشقاق جماعة يوسف بن علوى ومسلم بن نوفل وعدد من شيوخ القبائل. اتهموا المؤتمر بأنه انقلاب على يد نواة دربها الصينيون تخلصت من المسلمين المخلصين .

.. هاجم يعرب القرارات. قال أنه سيواصل الكفاح مع جماعة مسلم بن نوفل . دعاني للانضمام إليه .علق أحد الرفاق بأنه غاضب لأنه لم ينتخب لعضوية اللجنة التنفيذية.

.. ناقشت أحدهم طويلا فسألني: هل أنت مسلمة؟ أجبته بسؤال: ماذا سيتغير إذا كنت مسيحية أو يهودية أو حتى ملحدة ؟ تدخل آخرفي نفاد صبر: هل تؤمنين بالله؟ أردت ان أعابثه فقلت: أى واحد ؟هناك آلهة كثيرون . كل دين له تصور مختلف عن الله. صاح فى: بلا لف أودوران . هل تؤمنين بإله المسلمين. هل انت مسلمة ؟ قلت : أعتقد أنى مسلمة حقيقية . أى أنى أومن بإله الحق والعدل . ربما أنظر إلى الموضوع من زاوية ما. أنت مثلا تتصور الله بصورة المذكر وأنه فوق . هو فى الحقيقة فى كل مكان وليس له جنس محدد لأنه من مادة مختلفة عن المادة التى صنعنا منها .من المادة التى يتكون منها الوجودكله. القرآن يؤكد على ذلك. بدا عليه عدم الفهم لكلامي . سألنى الأول اذا كنت أصلى. أجبته: القرآن أعفى المسلم من فرض الصلاة إذا كان على سفر . أظن أن هذا ينطبق علينا هنا . لذلك من الأفضل التركيز على المفيد . أفضل مثلا أن

تسألنى عما إذا كنت أومن بحقوق الشعب أو بالثورة أو بأننا سننتصر.صمتنا فعدت أقول بلطف : نحن لسنا ضد الدين وإنما ضد من يحاولون استغلاله لقهر الشعوب وتبرير استغلالهم لها. الإسلام هو أول نظام عالمى وضع بذور تحرير العبيد . ومع ذلك ظل الرق قائما طوال فترة الحضارة الإسلامية . لماذا ؟ لأن أصحاب المال كانوا دائما فى مركز القرار. مبادئ الدين شئ ومن يطبقونها شئ أخر.

8

مسقط

ديسمبر ١٩٩٢

انقسم الطريق الرئيسى الى اتجاهين مستقلين وقام زيد بسلسلة من الدورات المعقدة وهو يوزع اهتمامه بين المرآتين الأمامية والجانبية، مدققا النظر فى السيارات القليلة القادمة خلفنا. اخترقنا وسط المدينة القديمة وطرقاتها الضيقة وهو يشير الى المعالم التى نمر بها: قلعة كبريتة، متحف بيت نادر، سور المدينة، السفارة الأمريكية . تمهل عندما أشرفنا على مبنى السفارة البريطانية وأشار الى سارية العلم المثبتة فى ساحتها الرحبة قائلا:

– فى السابق كان العبد المملوك الذى يستطيع الوصول إلى هذه السارية ويلمسها يمنح الحرية الكاملة ويزود بشهادة من السفارة تثبت بأنه أصبح حرا لا يجوز التعرض له.

أعجبتنى الفكرة وتخيلت سارية مماثلة فى كل عاصمة عربية.

أومأ الى قلعة الجلالى العتيقة التى تشرف على المكان من فوق قمة جبل يمثل شبه جزيرة ممتدة باتجاه البحر :

– البرتغاليون هم الذين بنوا هذه القلعة منذ أربعة قرون . وما زالت فتحات المدافع موجودة. أما الأبراج الدائرية التى تراها فقد تحولت الى سجون حصينة تفصلها عن البحر شباك حديدية . تصعد ابتداء اثنين وخمسين درجة حتى تصل البوابة الرئيسية الأولى . ثم ٤٨ درجة حتى الثانية .وهنا يفكون قيودك ويضعون مكانها القيود الخاصة بالسجن. قيود فولاذية لها أسماؤها: سنجورطوله قدم ونصف قدم لا يقل وزنه عن خمسة كيلوجرامات ويونس على شكل قذيفة مدفع ووزنه أربعة كيلوجرامات. الزنازين أيضا أشكال وألوان. فى الطابق الأرضى هناك زنزانة تتسع لمئة وعشرين شخصا. وهناك الزنزانة رقم ٧ التى لاتزيد مساحتها عن ١٢ مترا ويودع بها عادة ستون سجينا يتناوبون الوقوف والجلوس أو التمدد على الأرض من أجل قسط من النوم .

التفت اليه في فضول وقلت : أنت تتكلم عن معرفة.

دار بالسيارة في طريق العودة وقال:

– طبعا. أنا ضيف قديم هنا.

لأول مرة يذكر معلومة عن نفسه .سألته : متى؟

– كنت في الثامنة عشرمن عمرى تقريبا. اعتقلوني مع أخي الأكبر عقب هزيمة ٦٧ أيام السلطان سعيد. لم نكن نرى الضوء وطعامنا يقتصر على التمر والخبز صباحا والعدس ظهرا. الحراس كانوا وحوشا بمعنى الكلمة ولا يوجد بينهم عماني واحد فجلهم من البلوش أوالمرتزقة. وكانت القيود تحز في أيدينا وأرجلنا. كنا نرسم على الجدران بالدم المتسرب من الحز. كنا نرسم شموسا وورودا. ورودا حمراء.

– هل بقيت مدة طويلة؟

– سنة ٦٩ نجحنا مع اثنين من رفاقنا في التسلل باتجاه البحر بعد أن مزقنا أسلاك الشباك الحديدية واستولينا على زورق القنصل البريطاني الراسي قرب السجن. قطعنا مسافة كبيرة بالزورق حتى المنطقة التي يوجد بها ميناء الفحل الآن . ثم نفد البترول وحوصرنا وتمكن أخي من الفرار.بينما وقعت أنا. وخرجت مع الجميع عندماتولي قابوس السلطة سنة سبعين.

– وأخوك ؟

– هرب الى الخارج بعد هزيمة الثورة سنة ٧٥.

– ولم يعد ؟

– لا.

– لماذا ؟ ألم يعف السلطان عن الجميع ؟

– هل صدقت قصة العفو العام ؟ الذين استجابوا لهذا القرار احتجزوا عدة أسابيع جرى خلالهامعهم تحقيق واسع عن نشاطهم السابق ثم أجبروا على توقيع عريضة يتبرأون فيها من ماضيهم ويتعهدون بعدم ممارسة النشاط السياسى .

– هل تعرف سالم ؟

– الذى في مركز الموسيقى ؟ نحن نسميه سالم مطيع . أعرفه بالاسم فقط .

– كان يدرس فى بلغاريا. وقال لى إن الجبهة هى التى أرسلته . هل عاد بنفس الطريقة؟

– كلهم وقعوا.

غيرت مجرى الحديث :

– أفهم انك ما زلت فى المعارضة.

ضحك كاشفا عن أسنانه الناصعة البياض: يمكنك أن تقول ذلك .

– ما لاحظته هو أن هناك عملية تحديث تمت بالفعل . أشياء كثيرة كان لابد ستفعلها الجبهة لو أتيح لها استلام السلطة . البنية الأساسية مثلا .

– أى تحديث هذا الذى يتم تحت سيطرة الأجنبى؟ هناك مستشار انجليزى فى كل وزارة . وهناك قواعد أمريكية جوية وبحرية فى أماكن مختلفة . فى جزيرة مسندم. فى تمريت. هناك قاعدة بريطانية قديمة فى جزيرة مصيرة ببحر العرب حولتها الولايات المتحدة فى ٧٥ الى محطة تموين لطائراتها المنطلقة من الفلبين وتم تطويرها وتحديثها عام٨٠ وقامت بدور مهم في تسهيل وصول الطائرات الأمريكية الى ايران فى عملية تحرير الرهائن الفاشلة .بل هناك قاعدة جوية فى السيب بجوارمسقط. هناك أيضا اسرائيل . علاقات وتطبيع وجواسيس يمرحون في كل مكان.

قلت : في مصرقواعد أمريكية أيضا ومناورات مشتركة وتطبيع رسمي مع اسرائيل. لكن الثوريين لا يقولون بقلب النظام ويسعون الى التأثير فيه . السياسة هى فن الممكن .

ضحك وقال فى ازدراء : ومن قال أن هناك ثوريين فى مصر؟ اسمع. التحديث المزعوم انتهى . خلاص . أخرمول بنى هذا العام ولا جديد بعده .

– مول ؟

– أقصد المراكز التجارية الضخمة .النظام قدم كل ما عنده . أنفقوا عوائد النفط فى شراء الأسلحة الغالية وفى مشروعات تتطلب مقاولين أجانب يأتون ومعهم رجال الإدارة العليا والمتوسطة. ثم يتحدثون عن التعمين .

– لكنى لاحظت نشاطا واسعا للقطاع الخاص .

– ورجال الأعمال العمانيون يستثمرون في مشروعات تعيد لهم أموالهم فى أسرع وقت خاصة في الإسكان. يقترضون رأس المال من بنك تجارى ثم

يفرضون إجارات عالية تغطي تكلفة المشروع فى ثلاث سنوات ويحولون الأرباح إلى بنك فى الخارج .

– لم أكن أقصد الإسكان وحده فهناك...

قاطعنى : الجامعة تكلفت مليارا لهف معظمها ابن مرجريت تاتشر و عدد من الوزراء . هذا الطريق الذى نسير عليه أليس حريرا؟ كل فترة يعاد رصفه بواسطة مقاولين هم أنفسهم الحكام. النظام مسخر لخدمة مصالح التجار الكمبرادور من الأسرة الحاكمة والوزراء وشيوخ القبائل ووجهائها. كل من تولى منصب وزيرأو مدير دائرة أصبح مليونيرا . هناك سياسة حكومية لتشجيع هذه الظاهرة . مدير بنك سرق عدة ملايين وافتضح أمره فحكم عليه بالسجن سنتيين مع وقف التنفيذ. وكيل وزارة البلديات قبض رشوة من شركات أجنبية قدرهاثلاثة ملايين ريال وأبلغ عنه شريكه فحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات مع وقف النفيذ. وكيل وزارة المواصلات ايضا حكم عليه بسنتين وغرامة مع وقف التنفيذ. ثم صدرعنهم عفوبل منح الثانى مكافأة مالية !

قلت : هذه مسائل عادية اليوم . عندنا فى مصر الكثير منها. ثم إن ..

استوقفنى قائلا :

– أعرف ما ستقوله . ان هذه العملية تحقق اعادة توزيع الدخل وتخلق مجتمع رأسمالى . لكن المشكلة هي أن برجوازيتنا متخلفة فاقدة لطموح البرجوازية السياسى وتقاليدها وقيمها. والنظام يعتمد سياسة قصيرة الأمد . إيرادات النفط تمثل حوالى ٨٥ في المئة من إيرادات الدولة و٧٠ بالمئة من الإنتاج القومي الأجمالى . يمكنك إذن أن تتصور المستقبل المظلم الذى ينتظرنا خلال عقد أو عقدين عندما ينضب النفط. والدولة لا تفكر في ذلك ولاتهتم وإنما تتمسح باسرائيل لتفتح لها أبواب الاقتراض من المؤسسات الدولية .

أليس هذا شأنهم جميعا؟

كانت الشمس تغرب بسرعة وأضاءت السيارات كشافاتها .بلغنا شارع العاصمة الذى خلا تماما من المارة ولزمناه فى اتجاه الكورنيش.

سألنى : قرأت؟

فتحت حقيبة يدى وأخرجت منها الكيس الذى يحوى اليوميات وأطرقت بالإيجاب.

تناول الكيس ووضعه اسفل مقعده .وعندما استعاد يده كانت تحمل كيسا آخرقدمه الى.

– كراسة أخرى؟

لم يرد اذ تعلقت عيناه بالمرآة .

كانت هناك سيارة خلفنا تضيء وتطفيء كشافاتهاالأمامية فى إشارة متعمدة. وتبينت فوق سطحها المصباح المألوف.

أسرع بدس الكيس تحت مقعده وهو يقول:

– الشرطة .

أخذ جانب الطريق وأوقف السيارة . وفعلت سيارة الشرطة المثل خلفنا. نزل منها شرطى يرتدى قميصابنصف كم وبنطلونا بلون عسكرى ويضع على رأسه كابا بشريط مزخرف. اقترب منا على مهل حتى بلغ نافذة السائق فرفع يده بالتحية العسكرية وطالبه بأوراق السيارة فى أدب وحزم .

ألقى نظرة على الأوراق فى ضوء مصباح يد يحمله ثم أعادها الى زيدوالتفت اليَّ قائلا :

– ضع حزام الأمان من فضلك .

اكتشفت أنى نسيت ربط حزام الأمان فجذبت طرفيه على الفور.رفع يده بالتحية مرة أخرى واستدار عائدا الى سيارته.

سألت زيد إذا كان معه سجائر.

قال : التدخين ضاربالصحة.

أدار السيارة وانطلق حتى الدوّار الذى يبدأ منه شارع قابوس. أضاف كأنما لنفسه:

– فى الغالب لمحونا وتبينوا أنك لا تضع حزام الأمان . إنهم يلبدون دائما فى أماكن مظلمة ويظهرون فجأة .

بدا عليه التردد ثم قال كأنما حسم أمره : لن تصل إلى صديقيك هنا فى العاصمة . لا بد لك من السفر إلى صلالة.

سألت في دهشة : فى الجنوب؟

أومأ برأسه : نعم .إنها تبعد أكثرمن ألف كيلومتر لكن الطائرة تقطعها فى

ساعة ونصف . بمكنك أن تذهب بالسيارة فى حوالى عشر ساعات أو اثنتى عشرة على الأكثر.

– وماذا سأفعل هناك ؟

– سيتولى أصدقاء لى مساعدتك .

– ألا تجد غرابة في الأمر ؟ أنت تطلب منى الذهاب إلى آخر الدنيا دون أن تذكر لى من سأقابل وكيف . أنت لا تذكر حتى اسمك . لماذا تظن أنى مستعد لمثل هذه الرحلة من أجل العثور على شخص بتعبيرك أنت لم أره منذ ثلاثين سنة ؟

هز كتفيه: لن تندم إذا ذهبت. إنها منطقة رائعة الجمال. على الأقل سترى قبر النبى أيوب.

وضحك.

– وماذا يهمك أنت من الأمر ؟ ماذا تستفيد ؟

– سأقول لك . لا بأس من أن تعرف بضعة أشياء بعد كل هذا .

– لا بأس فعلا .

– انا ورفاقى نخوض صراعا مريرا فى عدة جبهات منها جبهة الانتهازيين . إنهم هؤلاء الذين عقدوا مؤتمرا مزيفا وانتحلوا لأنفسهم اسم الجبهة ورفعوا راية الاستسلام للنظام وقدموا التنازلات . إنهم يحلمون بالاشتراك فى السلطة وكل ما سيصلون اليه هو مسح الأحذية .

كم مرة سمعت فيها هذه التعبيرات؟

– إنهم يشيعون أن صاحبتك وردة كانت تدعو للتفاهم مع السلطة والتخلى عن الكفاح المسلح . إنها شخصية اسطورية هنا. واختفاؤها ما زال لغزا. لا أحد يعرف ما حدث لها بالضبط. أنا شخصيا أعتقد أنها أعدمت على يد رفاقها. وهناك من يعتقد أنها موجودة على قيد الحياة وستظهر فى الوقت المناسب . مثل قصة المهدى . ها أنت ترى أن الكشف عن حقيقة موقفها ومصيرها جوهرى بالنسبة للصراع الدائر مع الانتهازيين.

– وكيف سيتم ذلك ؟

– أنت قرأت جزءا من يومياتها . والجزء الذى سأعطيه لك هو آخر ما لدينا. هناك أجزاء أخرى . وفيها الإجابة على كل الأسئلة.

– وأين هذه الأجزاء الأخرى ؟

– فى صلالة.

فكرت قليلا ثم قلت :

– أظن هذا هو السبب فى أنك تريدنى أن أسافر؟

التفت الى مبتسما : بالضبط. أنت الوحيد الذى يستطيع الوصول اليها.

– أنا ؟ لماذا؟

– لأنها ذكرتك بالاسم . وطلبت أن تُسلم اليك .

كنت عاجزا عن الحديث أدير المعلومات المتلاحقة فى رأسى .

أخيرا قلت : هناك شئ لا أفهمه . أنت لا تعرف محتويات الأجزاء الباقية ومع ذلك تقول أنها طلبت ان تسلم الىّ .

– هذا ما تقوله ابنتها.

– ابنتها ؟

نظر الى محرجا ثم قال : لم تكن تعرف أن لها ابنة ؟

– لا . ما هو عمرها ؟ من هو الأب ؟

– عمرها بالكاد ١٧أو ١٨ سنة . أما الأب فهو من قبيلة معروفة وكان من قادة الجبهة ثم اختفى أيضا مع وردة وأخيها. والبنت الآن تعيش فى كنف عمها ولا يستطيع أحد الاقتراب منها. وهى تحتفظ بالجزء الباقى من اليوميات وترفض إعطاءه لأحد غيرك وشخص آخر لبنانى. لهذا لا تتصور سعادتنا عندما عرفنا بوصولك .

– وكيف أجدها؟

– انها ترأس الجمعية النسائية في مرباط .قرب صلالة.

– واسمها؟

– وعد .وعد الغميرى.

هززت رأسى تعجبا : افرض أنى لم آت أصلا.

– كنا سنجد وسيلة ما . أما وأنت هنا الآن ...

– لوذهبت فكيف سأتصل بأصدقائك ؟ كيف سأتصل بك ؟

– ليست هناك ضرورة .سيعرفون عندما تصل ، سيجدونك بسهولة . صلالة مدينة صغيرة. ربما لا يتجاوز تعداد سكانها عدد قاطنى شارعين بالقاهرة.

تطلعت حولي في المعالم التي نمر بها ثم قلت:

– لا أظن أن رغبتي في معرفة مصيرها كافية لأن أقوم بكل هذه المغامرات. أنا مجرد زائر عابر. لا شأن لي بقضاياكم ومشاكلكم.

استخرج الكيس الذي أخفاه أسفل مقعده وناوله لي :

– اقرأ أولا .ربما غيرت رأيك. سأتصل بك بعد يومين.

أخذت الكيس وقلبته في يدي . كان يحمل اسم لاكوست وعلامة التمساح الشهيرة . و بدا خفيف الوزن لا يحوى على أوراق كثيرة . دسسته في حقيبة يدي وعلقتها في كتفي .

كنا قد بلغنا دوار روى ولمحت لافتة مطعم . كنتاكي عن بعد فطلبت منه إيقاف السيارة. مددت يدي الى المقبض ودفعت الباب الى الخارج ثم تمهلت وقلت:

– لماذا الاهتمام بهذه المذكرات أو اليوميات الآن ؟

– لأنها لم تظهر الي الوجود إلا منذ فترة قصيرة .

– أنت تفترض ان الأجزاء الباقية تدعم وجهة نظر جماعتك. ماذا يحدث لو تبين العكس؟

اتسعت ابتسامته : هل تذكرما حدث لوصية لينين ؟

9

جبال ظفار

١٩٦٨ - ١٩٧٠

٣١اكتوبر١٩٦٨

..تكونت هيئة باسم «لجنة حل مشاكل الشعب» تتألف من خمسة أعضاء: أنا، رافع، عمّار، غزال، جداد . علينا أن نطوف بالمنطقة الغربية باستمرار لحل الخلافات القبلية والمنازعات حول الأرض والماء والخلافات الشخصية . المفروض أن نجتمع بصورة دورية. انتخبت لأمانة اللجنة رغم معارضة فهد. تولى قيادة الفرقة مكاني الرفيق عوض . من صلالة ومن أصول زنجية ويتميز بالحيوية الشديدة وبالقدرة على حل كافة أنواع المشاكل . لا يتمتع بمستوى جيد من ناحية الوعي النظري .

.. جداد عمره ٢٦ سنة. ولد في شمال المنطقة الوسطى . انتقل إلى أبو ظبي في بداية السيتينيات حيث التحق بالشرطة إلى جانب الدراسة الابتدائية وانضم الى التنظيمات السرية للجبهة. في بداية ٦٥ عاد في إجازة إلى مسقط والتحق بالثورة.

أول نوفمبر

.. أقامت الفرقة حفل وداع لي . أعددت لهم لقمة القاضي. رددنا الأناشيد الثورية . سألني الرفيق عوض إذا كنت أعرف الرقص . قلت طبعا. ظننته يقصد الرقص الغربي. أحضر لي حزاما فألقيت عليه دوشا. الرقص الشرقي رمز لعبودية المرأة ولعهود الإقطاع والرقيق. اقترحت رقصة ظفارية جماعية.

..زوجة عوض سوداء مثله. ظريفة . طويلة ونحيفة . صدرها ممسوح .

.. مشاعري متناقضة. لقد قضيت ثلاث سنوات من عمري مع هذه المجموعة من المقاتلين. ولاأستبعد ان تكون لفهد يد في إقصائي عن العمل العسكري . فهو لا يخفي رغبته في الانفراد بقيادته في كل الإقليم . من ناحية أخرى لاأنكر شعورا بالارتياح . العمل العسكري في نهاية الأمر غير إنساني بالمرة.

٢ نوفمبر

..اجتمعنا للتعارف ووضع خطة عملنا والمباديء التى تحكمنا. هدفنا الرئيسى هو تربية الجماهير بروح جديدة فى التعامل والتعاون والتسامح والمقاومة للطغيان .

.. مهمتنا الأولى كانت التصدي لصعوبات التموين فى المنطقة الوسطى . الجمال تتعثر فى مشيها الوئيد فى العقبات والشعاب . اقترحت استبدالها بالحمير والبغال . واجهت امتعاضا وممانعة . الجباليون يحتقرون كل حيوانات الجر غير الجمال .

٣ نوفمبر

.. ضلكوت بلدة ساحلية ذات مبان جميلة على مبعدة ٨٠ كم من صلالة. يسكنها خمسمائة نسمة يرعون الماشية فى الجبال المجاورة ، ويزرعون الأذرة فى الخريف .التبغ ينبت عند الجروف دون زراعة. ذهبنا إلى قرية جبلية تطل عليها للنظر فى قضية . شيخ قبيلة اعتدى بالضرب على امرأة لأنها تجرأت على سقى ماشيتها قبل ماشيته . قطعنا مسافة على ظهور الجمال ثم استكملنا الباقى سيرا على الأقدام .استقبلتنا الشعارات على الجدران : ياشعب الخليج اتحد، دقت ساعة التحرير، الاستعمار خائف من جبروت الشعب، لنجابه العنف الرجعى بالعنف الثورى المنظم، جيش التحرير الشعبى فى خدمة الشعب، ثورتنا ثورة أحرار نغذيها بالدم الحار، ارادة الشعب تقهر الأسلحة الحديثة . أكواخ من جذوع الأشجاربعضها مخروطية على شكل البيوت الأفريقية . تعلوها أعلام الجبهة التى تجمع بين الأحمر والأبيض والأسود . رحب بنا المرشد السياسى للوحدة المحلية وزوجته التى تضع حلقا فى منتصف أنفها وترتدى شبشب زنوبة. قدمت لنا الماء فى نصف جوزة هند فارغة اغترفت بهامن طشت . أعدوا لنا الشاى فى صفيحة صغيرة لعلها كانت تحوى جبنا أو زيتونا أو سمنا وضعوها فوق موقد كاز بريموس الشهير . على مبعدة ركع أحد المقاتلين فوق تبة ممسكا بمنظار ميدان . كان يرتدى شورتا فوقه سترة بنصف كم وعلى صدره عدة أحزمة خراطيش . بجواره رفيق يرتدى جوربا أحمر وحذاء كاوتشوك .

هرع الينا كهل. طلب منا علاج ابنه. قلت له إننا لسنا بأطباء . تدخل

المرشد السياسى وقال له إننا من الثورة . لم يبد على الرجل أنه فهم لأنه أصر. قال له إننا «نعكس» أى أننا صحفيون يستخدمون الكاميرا. لم يفهم أو تظاهر بذلك وأصر على أن نرى ابنه .ذهبنا معه إلى كوخ على حافة القرية. صبى صغير عنده خراج فى رجله من كثرة الكى . قلت للمرشد السياسى أن يدبر نقله الى الحوف على بعد ساعة ومنها يحمله قارب ١٤اكتوبرإلى الغيضة ومنها إلى مطارالريان ثم عدن.

شربنا الشاى ونحن نتابع طابورا من النساء ينقلن الأحجار المتخلفة عن عملية توسيع نبع مياه. قبل الثورة كان لكل قبيلة نبعها الخاص أما الآن فقد أصبحت الينابيع متاحة للجميع. رأينا شابا يرفع الطشت الذى شربنا من مائه ويضعه أمام جملين . أرانا المرشد السياسى فى فخر أول مضخة مائية فى المنطقة المحررة . كان هناك أنبوب أبيض طويل يمتد منها إلى اناء حديدى استند إلى حجرين واشتعلت النار أسفله . قال مزهوا : نحن نقوم بتعقيم المياه.

لمحت رجلا غير مسلح يزين صدره بدائرة معدنية صغيرة فى حجم العملة، تحمل صورة ملونة لماو تسى تونج. أشرت الى الصورة وسألته : من هذا ؟ قال: زعيم المسلمين . قلت: من قال لك ذلك؟ أشار إلى المرشد السياسى . قال لى الأخير معتذرا : إننا نقول لهم هذا ليمشوا معنا. قلت إن هذا خداع لا تقبله الثورة ولا ماوتسى تونج نفسه .وإنه إذا كان يريد كسب المواطنين فعليه أن يخدمهم ويحل لهم مشاكلهم ويطور لهم وعيهم . عندئذ لن تكون هناك ضرورة للكذب .

٤ نوفمبر

..استمعنا إلى تفاصيل حادث الاعتداء ثم عقدنا اجتماعا منفردا للاتفاق على خطة العمل . الرفيق عمار رأى ضرورة الشدة لكى نعطى درسا للقوى الرجعية وفى نفس الوقت نشجع الجماهيرعلى الوقوف ضدها .أعجبنى عرضه. له طريقة مقنعة فى الحديث . يتكلم فى تؤدة ووقار وبلهجة قاطعة. يحفظ القرآن عن ظهرقلب ويضع يده خلف أذنه على طريقة المقرئين عندما يوشك أن يدلى برأى. لهذا أطلقنا عليه لقب الشيخ. أيده معجب الذى كان يعمل بالرعى فى المنطقة الشرقية. جاءت المعارضة من جانب الرفيقين الآخرين. قال غزال إننا يجب أن نقدم صورة إنسانية ونتجنب اثارة الأحقاد . نصح بأن تكون العقوبة خفيفة. أدهشنى

تأييد الرفيق رافع لهذا الرأى . فهو من فئة المنبوذين ومن سلالة العبيد وذاق الأمرين على يد شيوخ القبائل. عندما جاء دورى كنت أنوى تأييد الرفيقين الأولين. لكن نظرة ودودة أبوية من رافع دفعتنى إلى التردد . وخف هو إلى مساعدتى باقتراح أن نترك للمواطنين أنفسهم اختيار الحكم المناسب .

كان الجيش الشعبي المحلى قد احتجز الرجل . فأمرنا بإحضاره إلى موقع جريمته حيث روت المرأة ما حدث أمام بقية السكان .تكلمت باسم اللجنة وأكدت أن المواطنين جميعا يملكون حقوقا متساوية على المياه والأرض . ثم طلبت من الحاضرين أن يحددوا نوع العقوبة التى يستحقها الرجل . وفى النهاية قرروا العفو عن الشيخ لأنها أول جريمة يرتكبها . واكتفينا بأن يعتذر للمرأة .

٥ نوفمبر

.. فى الصباح شعرت فى لحظة كأننى في صنعاء. أحاطت بى روائح البيوت و أصوات الماشية وصيحات الأهالى وضجة الأطفال .تأملتهم يجرون حولى وأنا شاردة .ثم عدت الى الواقع عندما تبينت ما يفعلون . كانوا يمسكون بأغصان الأشجار ويتظاهرون بأنها بنادق وآليات ويطاردون الماعز على أنها جنود بريطانيون وباكستانيون . تناهى الى فجأة صوت أزيز مألوف. ظهرت فى الأفق مراوح طائرة هليكوبتر. أطلقت صيحة تحذير وجريت الى الكوخ الذى تركت به سلاحى . راقبت الطائرة وهى تحوم فوقنا . فى الغالب عملية استكشاف . حملت سلاحى واحتميت بجدار صخرى ثم أطلقت النار عليها. تلاحقت نيران آليات أخرى فدارت الطائرة وارتفعت بسرعة فى الهواء وهربت .سمعنا بعد لحظة صوت انفجار مدو .اكتشفنا أنها قصفت العين التى يحصل منها الأهالى على الماء وأصابت بقرتين وناقة. قام الرفاق على الفوربشراء الحيونات المصابة من أموال الجبهة. ذبحوها وقطعوا لحمهاعلى شكل شرائط نشروها فوق أغصان الأشجار.

٦ نوفمبر

.. هرب أحد الشبان من بيت أبيه فى القاعدة الانجليزية وصعد إلينا. حمل معه أوراق ضابط انجليزى . كان على أن أقرأ هذه الأوراق وأترجمها الى العربية. الضابط اسمه الكابتن س. هيبورث . الأوراق أشبه بتقرير أو مقالة لاحدى الصحف . سجلت بعض فقرات منها:

«كان لي الشرف أن أنتدب للخدمة في جيش السلطان. كنا فى الخريف والجبل مكسو بالضباب والمطرالغزير ، فانسحبت السرايا إلى المنحدرات الشمالية على حدود الصحراء. التحقت بسريتى التى كانت تبعد مسيرة يومين عن أقرب سرية مجاورة، فيما كنا نسميه المنطقة الغربية.

كل شئ هادئ . فالثوار يستغلون الغطاء الكثيف الذى يوفره لهم الخريف لتسيير قوافل الجمال المحملة بالأسلحة والذخائر والألغام من قراهم فى جنوب اليمن. لذا قضيت الأسابيع الأولى من إقامتى فى سلسلة من الدوريات والكمائن لقطع طرق التموين التى كانوا يستخدمونها. وقد إستنحت هذه الفرصة لتحسين لغتى العربية والتعرف إلى الجنود.

كان جيش السلطان مكونا من ثلاث كتائب وسلاح جوى صغير من نصف دستة من طائرات «بروفست» المخلخلة، المحملة بالرشاشات والصواريخ، بالإضافة إلى قوة بحرية من دهوين خشبيين قديمين (الدهو مركب شرعي مألوف في شواطئ الجزيرة العربية) . وكان على هذه القوة الصغيرة أن تسيطرعلى منطقة بمساحة الجزر البريطانية ، لكن تنقصها وسائط النقل او الطرق الممتازة.

ثلثا الجنود من المرتزقة البلوش الذين يعبرون الخليج العربى للإنضمام إلى جيش السلطان. والثلث الباقى من رجال القبائل العمانيين. لغة الجيش الرسمية هى العربية التى لا يتكلمها معظم البلوش إلا بصعوبة بالغة، وغالبا ما يستعينون بالمترجمين. ولكل سرية ضابطان بريطانيان أو ثلاثة . كنا مجهزين ببندقيات رقم ٤ ومسدسات برين ٣,٣ ورشاشات فايكرز ومدافع الهاون عيار ٨١ مم . وسائط النقل سيارات بدفورد و لاندروفر، لكننا كنا نضطر عادة لاستخدام الحمير لأن الأمكنة الصالحة لسير السيارات قليلة جدا.

خلال الشهر الأول من إقامتى، كانت المنطقة هادئة إلى أن كنت عائدا فى سيارة لاندروفر مع فصيلة استطلاع فى منطقة تدعى جدريت على حدود اليمن الجنوبى، عندما انهالت علينا نيران البندقيات الآلية من كمين يحوى ما يقرب الثلاثين ثائرا . أصابت الطلقات الأولى سائقى، فانحرفت السيارة حتى اصطدمت بإحدى الشجيرات قاذفة بنا إلى الخارج. لسوء الحظ أصيب الجنود الثلاثة الذين كانوا جالسين فى مؤخرة السيارة . كان الكمين منصوبا فى مكان ملائم لا يبعد عنا أكثر من مائة متر. لكن الضباب الكثيف وصعوبة الرؤية كانا

يؤثران على تهديف الثوارالذين واصلوا إطلاق النارعشر دقائق إضافية ثم انسحبوا بعد أن تمركزنا فى مواقع حصينة . وتمكنا من تشغيل السيارات وكانت اثنتان منها مصابتين فى عدة أماكن، وعدنا إلى المعسكر بتأن حاملين جرحانا الأربعة.

كانت هذه عملية نموذجية إلا أنهاكانت منعطفا هاما فى تاريخ الحرب لأنها المرة الأولى التى يستخدم فيها الثوارالبنادق الأوتوماتيكية. وقد تبين لنا من الطلقات الفارغة التى التقطت فيما بعد أن أغلب أفراد الكمين كانوا مسلحين ببندقيات أوتوماتيكية سوفييتية الصنع من طراز س.ك.س.٧٦٢. وقد أخذنا احتياطاتنا بعد ذلك، وكنا الطرف المنتصرفى معظم الاشتباكات اللاحقة . ثم بدأ الثوارباستخدام مدافع الهاون المتوسطة لأول مرة وكان تهديفهم سيئا .

بعد الخريف مباشرة صارت الاشتباكات يومية إذ كان الثواريهاجمون باستمرار حصون السلطان القليلة المبنية من الطين فى القرى الساحلية ويقصفون المعسكرات بمدافع الهاون كل ليلة تقريبا، بحيث استحال علينا السيطرة على هذه المنطقة الوعرة. الماء شحيح وتموينتا صعب للغاية. غالبا ما كنا نضطرإلى نقل المصابين على الحمير. إننا قادرون على احتواء العدو، إلا أننا عاجزون عن كسب الحرب.

غير قائد الحملة تكتيكاته فغادرنا تحصيناتنا فى تلك الهضبة العطشى الواسعة شمال ظفار . كنت متعلقا بهذه المنطقة المليئة بالذباب حيث نظمنا غارات ناجحة على غابات جبل القمر الكثيفة وقتلنا العديد من بيت الشماس، أحد بطون قبيلة القرا.

كانت مهمتنا الجديدة الانتقال بحرا واحتلال موقع على ساحل قرية ضلكوت المهرية الصغيرة الواقعة على مقربة من «رأس ضربة على» فى محاولة للسيطرة على خطوط تموين العدو من قرية حوف عبر الحدود مع اليمن الجنوبى . وقبل الإقدام على هذه المغامرة قضينا عطلة أسبوعين قرب حصن برتغالى مهجور فى ريسوت حيث تعلم أفراد سريتنا السباحة و تدربنا على عمليات الإنزال . كان بحوزتنا دهوان، الأول ملك السلطان و الثانى لشيخ عمانى من صور يسميه عبيده .و كانت وسائل الإنزال ثلاثة قوارب مطاطة من طراز «جيميني» مع محركاتها..

تم الإنزال فى ضلكوت دون حادث يذكر، لكن عندما أخذنا نفتش القرية اتضح لنا أن كل من كان فى سن حمل السلاح قد صعد إلى الجبل. فبدأنا بإنزال أمتعتنا عندما انهالت علينا زخات كثيفة من نيران الأسلحة الأوتوماتيكية وقذائف الهاون من المنحدرات الكثيفة الأشجارحيث اختبأت قوة من خمسين ثائرا . لازمنا ذلك المعسكر طيلة ثلاثة أيام، لكن هجمات العدو المتتالية بينت لنا استحالة الاستمرار باحتلال ذلك الموقع. فدمرنا آبار المياه فى القرية وأخلينا المعسكر ليلا وقفلنا عائدين إلى ريسوت. واضطررنا إلى تغيير خططنا التكتيكية ثانية ، فقضينا الأشهر الأربعة التالية فى عمليات إنزال بحرى ليلية على طول ساحل ظفار من رأس ضربة على غربا إلى قرية سدح شرقا . نجحت بعض هذه الغارات نجاحا باهرا ، قتلنا خلالها عدة ثوار واستولينا على كمية صغيرة من البنادق الأوتوماتيكية والرشاشات . كما أحرقنا قرى الثوار المعروفين وأطلقنا الرصاص على الماعز والبقر. أما جثث الثوار التى كنا نعثرعليها فكنا نجمعها فى زاوية من سوق صلالة كإنذار لكل من تسول له نفسه الانضمام إلى الفدائيين.

.. أعجبتنى أمانة الكابتن . وصفنا بالثوار، فى مقالات أخرى يصفوننا بالعدو، يكتبونها بحروف لاتينية فتصبح «الأدو».

٧ نوفمبر

.. صادقت اللجنة المركزية للحزب الصينى من يومين على تقرير عن جرائم ليو شاو شى. وصفته بأنه القابض على زمام السلطة الذى يسلك الطريق الرأسمالى والمرتد ووكيل العدو وخائن العمال المختبئ فى داخل الحزب وعميل الامبريالية والتحريفية المعاصرة . أقرت اللجنة بالإجماع إبعاده عن الحزب إلى الأبد وتجريده من كل مناصبه .

..التقيت برفيق قادم من حضرموت .قال إن كثيرا من الأندونيسيين ذوى الأصل الحضرمى عادوا اليها هربا من مذابح سوهارتو وان جدران المساجد مغطاة بصورماو وشعارات الثورة الثقافية والشعارات التى تهاجم الامبريالية الاشتراكية وتعنى بها الاتحاد السوفييتى .

٨ نوفمبر

..أربعة أيام دامية بالأردن . صمدت المقاومة الفلسطينية . حطم الجيش الأردني بالمدافع الثقيلة والدبابات معسكرات الفدائيين واللاجئين واعتقل ٢٠٠ من رجال المقاومة. هل نادوا بتحرير الأردن وتحويلها الى فيتنام شمالية ؟

.. الجبهة تصدر أول قرارمن نوعه في العالم العربي : منع تعدد الزوجات .

.. انضمت أول فتاة من المنطقة الغربية : طفول مطيع . راعية عمرها ١٥ سنة. عارض أهلها خوفا من انتقام الانجليز .

١٣ نوفمبر

.. أوفدت الجبهة عشرة رفاق للتدريب العسكري في الصين .رغبت في الذهاب معهم. أقنعني الرفاق بأن عملية التنظيم التي تجرى للمنطقة المحررة تتطلب وجودي .

ديسمبر

.. انتصار عظيم : جونسون يقرر وقف الغارات الأمريكية على فيتنام . الثوار يتقدمون نحو سايجون .

.. اسرائيل تقوم بغارة على مطار بيروت وتدمر ١٠ طائرات .

..تفجر الخلاف داخل الحزب الشيوعي السوداني. نشر أحمد سليمان عدة مقالات تصف القوات المسلحة بأنها الأمل الوحيد للانقاذ. رد عليها عبد الخالق محجوب معارضا.

.. نشب شجار بين بخيت وحمد انتهى بأن أطلق الأول الرصاص على الثاني فمات على الفور. احتجز المقاتلون القاتل لكنه تمكن من الهرب . أشك أن قبيلته أوته . الاثنان من بيتين متنافسين في نفس القبيلة بينهما ثأر قديم يعود الى عشرات السنين . كان شيخ البيت الأول قد سرق مائة بقرة من البيت الثاني .طالب المقاتلون بمحاكمة القاتل وإعدامه . البعض قال إنه قتل متعمد والآخرون قالوا إنه مجرد حادث. القاتل من أفضل العناصر. الموت رميا بالرصاص أو ماذا ؟ إننا لا نستطيع أن نطرده من جيش التحرير والجبهة فربما انضم إلى الأعداء وزودهم بمعلومات عنا . وليس لدينا سجن نضعه فيه .ربما اكتفينابعدم اسناد مهام ذات أهمية له وبإخضاعه لدورات تثقيفية وتدريبية.

أول يناير ٦٩

.. احتفلنا بالعام الجديد في معسكر بجبال القمر . أعد الرفاق تموينا إضافيا من الشاي والسكر وعنزة كاملة . بدأنا نغني . اقترب مني الرفيق غزال وقال إنه يرتب لاحتفال خاص بعد انتهاء الاحتفال العام . سألته عن الحاضرين فقال : نحن فقط أعضاء اللجنة. غمز لي بعينه وقال إنه يحتفظ بربع زجاجة عرجي لهذا الغرض. قلت له إني منعت الرفاق من الشراب ولا يعقل أن أجيز لنفسي ما أحرمه على الآخرين . ثم أضفت : أعدك بأن أشرب معك حتى الصباح بعد النصر .لم يحر جوابا.

..بدأنا حملة تعليم جماهيري ذات شقين : مكافحة الأمية وتعليم اللغة العربية مع التربية السياسية . دروس محو الأمية هي في الوقت ذاته دروس للتثقيف السياسي. ما أن يجيد التلميذ فك حروف الأبجدية حتى يبدأ تلقينه «أبجدية الثورة» : طبقة . تحرير . مجتمع . نضال . حرية . ثورة . عامل . فلاح . استعمار. بعد ذلك يبدأ التلاميذ دراسة فصول مبسطة من برنامج الإرشاد السياسي المكون من خمس وعشرين درسا تشمل أربعة موضوعات رئيسية : صفات المناضل الثوري – المبادئ التنظيمية – مبادئ الماركسية اللينينية – الأممية والتحرير الوطني والصراع الطبقي .

٣ يناير

.. زرت مدرسة النساء . كلهن بلا استثناء لا يعرفن القراءة والكتابة. إخوة وأمهات وزوجات رجال في المعارك . أربعة صفوف في كل صف ١٥ امرأة وفتاة. تتراوح أعمارهن بين الثامنة وبين الأربعين. لاجئات من الأقاليم الشرقية والوسطى التي دمر الطيران السلطاني مساكنها . يجلسن على الأرض في دائرة واسعة فوق حصر صغيرة ومعهن أطفالهن . بينهن اثنتان من الحوامل . من الثامنة صباحا إلى العاشرة في الدراسات ثم ينصرفن إلى أعمالهن المنزلية . سبعون امرأة بعد سنة واحدة سيتمكن من القراءة والكتابة. تعرفت على بعضهن . روت لي طفول من كفكوت، كيف أحرق المرتزقة كل ماشية ومنازل القرية. سمعت نفس القصة من مني مسلم القادمة من وادي ناهيز. وصفت لي طفول سالم وهي تجرب تركيب أجزاء الآلي هجوم المرتزقة على قرية بيت زربك وكيف أطلقوا النار على أب

لسبعة أطفال خرج من منزله بغيرسلاح ثم أحرقوا أكواخ القرية المائة . أيضا سعاد ماهاد .

٤ يناير

.. بالمدرسة أربعة مدرسين ومشرف . طلبوا مني أن أتحدث الى الصف فرويت لهن قصة من التراث القبلي تحذر من غواية المرأة وتؤكد عل ضرورة قتل الأنثى لدى ولادتها. تبدأ بأن شابا أنقذ أخته الرضيعة من سيف والده الذى تعهد بقتل كل مولودة أنثى وهرب بها وتولى رعايتها. كبرت الفتاة وأحبت أميرا وسيما لكن أخاها اعترض فهربت مع حبيبها بعد أن خدعت شقيقها وأوثقته. تمضى القصة الأصلية بعد ذلك فتصف كيف تصالح الأخ والأب وأقر الأول بأنه كان الأفضل قتل أخته لدى ولادتها . لم أرو هذا الجزء وإنما عدلته فقلت إن الأخ والأب تصالحا وأقر الأب بأنه كان السبب فى كل ما حدث بسبب رغبته فى قتل ابنته .كن يعرفن القصة الأصلية وأعجبتهن النهاية الجديدة التى اخترعتها .

.. وأنا أتأمل وجوههن البادية الهزال والسقم وأفكر فى نمط حياتهن قفزت إلى ذهنى كلمات لجيفارا مؤداها أنهن ينبتن ويترعرعن دون رعاية كالنباتات البرية وينهمكن بسرعة فى حياة من الأشغال الشاقة لا هوادة فيها . أمثال هذه الملاحظات تضاعف إيمانى بصحة الطريق الذى اخترته .

٥ يناير

.. تبينت جهلهن الشديد بأمور الجنس . قررت أن أعطيهن درسا جماعيا فى المعلومات الأولية . التشريح مثلا ومكان البظر وعملية الختان التى تعرضن لها وتأثيرها على استمتاعهن بأجسادهن وكيف يمكن تعويضها وضرورة الحيلولة دون تكرار المأساة بالنسبة لبناتهن .اكتشفت أيضا أن المتزوجات لا يمارسن أى وسيلة من وسائل منع الحمل. قلت إننا فى حاجة الى مواطنين جدد لكننا نحتاج أيضا إلى الحفاظ على صحتهن .ولهذا لا بد من عمل مسافة زمنية بين الطفل والآخر كى تستريح أجسادهن وتستعيد عافيتها. أشرت الى فاطمة الهزيلة وهى أم لطفلين وموشكة على وضع ثالث . تصاعدت الضحكات وقالت واحدة انها مخاتلة. حملت منذ سنتين عندما سافر زوجها إلى الخليج .ثم رفض المولود النزول من الرحم فى موعده الطبيعى وظل يخاتل الى الآن ! لم أشأ مناقشة هذه الخرافة التى يؤمن بها

الجميع وابتدعها المجتمع لحماية المرأة التى يتغيب عنها زوجها مدة طويلة. أقنعهن المثال الذى ضربته من واقع الأرض وكيف تترك للراحة عدة شهور كل سنة . شرحت طريقة حساب أيام الأمان. وعدتهن بأن تكون أول مهام الثورة عندما تحرر البلاد هى تحريم الختان وتوفير وسائل منع الحمل والرعاية الصحية الكاملة.

٦ يناير

.. زوج إحدى النساء ثائر. يقول إنى أتلف أخلاقهن وأضع أفكارا منحلة فى رؤوسهن . تقدم بشكوى إلى اللجنة . الرفيق عمّار فى صفه . يعتقد أنى أسأت التصرف . دافعت عن موقفى . قلت إنه لا يمكن فصل القضايا عن بعضها البعض. الزوج الثائرمن المقاتلين الممتازين . رفضت امرأته التى ما زالت ترضع طفلها أن تنام معه خوفا من حمل جديد . طلبت منه أن ينتظرفترة الأمان . بعض النساء أيضا استنكرن موقفى ! تشاجرت أنا وعمّار . كرر أننا يجب أن نحترم التقاليد والأعراف . قلت له إن ثورتنا فى جوهرها تمرد على التقاليد والأعراف والنفاق .

.. شعرت فاطمة فى الليل بآلام المخاض . هرعت لمساعدتها لكنها رفضت .معيارالأنوثة هنا يقاس بيوم الولادة . فتنزوى الحامل عن أهلها فى مكان منعزل وتقعى فوق كومة تبن أو قش وتلد. ثم تقطع حبل السرة بين حجرين أوبواسطة سكين تحملها معها . ويقضى العرف أن تعود إلى بيتها سيرا على الأقدام حاملة المولود الجديد . ينظرالقوم إلى المرأة التى تستعين بسواها على الولادة على أنها ضعيفة ، وناقصة الأمومة .

٨ يناير

.. اشتركنا فى افتتاح مركز تدريب رئيسي علي الحدود باسم «معسكر الثورة» يديره فريق من خمسة كوادرهم عمرالمسئول العسكرى وأول المساهمين فى إطلاق الكفاح المسلح فى يونيو ٦٥ ، «ومساعده» ومرشدان سياسيان هما عبد العزيز عبد الرحمن (ابن قاضى من صلالة درس في الكويت ومصر) وهدى المرشدة السياسية لفرقة النساء المقاتلات . توقعت أن ألقاها عند افتتاح المعسكر لكنها كانت فى مهمة تنظيمية فى عدن.

٤٠ شابا و٨ فتيات (بينهم نسبة كبيرة من السود) . الفتيات يقمن فى خيمة منفصلة . الجميع ينامون على الأرض . لا حمام لأنه لا يوجد ماء يكفى

للشرب .أثار الرفيق عمار مشكلة إذ أصر أن يغتسل . يعتنى بنظافته اعتناء شديدا. الشاى والأرز متوفران ويأتيان من اليمن . طلب غزال ليمونة وألح زاعما أن لديه مغصا . يشكو دائما من علل غريبة .

يتلقى الجميع دورة تدريب مكثفة لأربعة أشهر .الشبان والشابات يتدربون معا. التربية الثورية أوجدت علاقات جديدة بين الجنسين قائمة على المساواة. لم يعد الرجل ينظر إلى المرأة على أنها أداة للذته هو بأمروهي تطيع . إنها شريكة ورفيقة حياة .ربما تطورت علاقة خاصة بين فتى وفتاة لكنها تقود إلى الزواج واستمرار النضال معا .

٩ يناير

.. يوم مشحون بدأ في الخامسة صباحا .تجمع الشبان والفتيات فى الجزء المركزى لتحية العلم . اشتركوا جميعا فى إعداد الإفطاردون أن يتخلوا عن بنادقهم . أربع ساعات من التدريب العسكرى.الغذاء ودرس محوالأمية ، ثم ساعتان إضافيتان من التدريب العسكرى. العشاء فى حوالى الخامسة، تعقبه أربع ساعات من الدرس السياسى. التثقيف السياسى بالنسبة لمن يجيدون اللغة العربية ينقسم إلى قسمين. الأول يضم كتابات الجبهة :الميثاق، تحليل التركيب الاجتماعى لإقليم ظفار، النساء والثورة في الخليج. دراسات عن حركة التحررالوطنى العربية والعمالية بما فى ذلك الناصرية والبعث و تاريخ الأحزاب الشيوعية العربية.

القسم الثانى يتألف من اللائحة الرسمية للمطالعة التى وضعتها القيادة العامة بعد المؤتمر الثانى . تتضمن البيان الشيوعى ومختارات لينين والكتاب الأحمر. يستجيب المقاتلون بحماس لحديث ماو عن ضرورة التضحية بالنفس. هناك أيضا المادية التاريخية والمادية الجدلية لستالين والمتوافر من الترجمات العربية لكتابات هو شى منه، جيفارا، كاسترو، كيم إيل سونج بالإضافة إلى كتابات الجبهة الشعبية الديموقراطية لتحرير فلسطين ومجلة «الحرية» اللبنانية المعتمدة كمادة تثقيف أسبوعية .

١٠ يناير

..اكتشفت بالصدفة أن غزال لم يستخدم الليمونة وما زال يحتفظ بها. سألته عن المغص فقال إنه اختفى . يحاول دائما أن يستحوذ على شيء نادر أو غير متوفر لدى الآخرين .

.. حضر زوج عزيزة الى المعسكر يطالب بإعادتها إلى بيتها . كانت قد اتصلت بالجبهة من سنة عن طريق شقيق إحدى صديقاتها . صارت تجمع التبرعات من المواد الغذائية . عارض زوجها فواصلت العملية فى السر. ثم تشاجرا واعتدى عليها بالضرب فغادرت البيت وتطوعت فى فرقة النساء . قررنا رفض طلبه بناء على رأى الفرقة التى اعتبرت أن عزيزة تطوعت بملء إرادتها . لوكان زواجها أصلا يقوم على توافق ما نشأت المشكلة .

١٣ يناير

.. أنشأت الجبهة ثلاث لجان زراعية. أعلنت إلغاء الملكية القبلية للأرض والإيجار المفروض عليها.الأراضى والآبار الواقعة تحت سيطرة قوات الجبهة ملكية عامة . أدى ذلك فى المنطقة الغربية، إلى إلغاء احتكار قبيلتين – من أصل عشرين – لغالبية الإراضى والآبار.

..باتت الأرض الزراعية تزرع على أساس تعاونى تحت إشراف لجان زراعية فرعية . التعاونية كوحدة إنتاج لا تختلف كثيرا عن وحدة الإنتاج السابقة التى كانت مكونة من عدة أسر (أى من فخذ أوفصيل) . الفرق انها ألغت الإيجار والاستحواز الفردى أوالقبلى على المحصول. يوزع الآن بين الأسر كل حسب عملها. بما أن الجبهة هى أكبر مستهلك للمواد الغذائية فى المنطقة، فإنها عادة تشترى المحصول وتدفع نقدا. رغم الطبيعة المعزولة نسبيا للمجتمع الظفارى، فان النقود نفذت اليها وشجعنا هذه العملية .

١٥ يناير

.. نجحت مساعينا . سالم حسن الآن فى عدن وسيسافر بعد أسبوع الى بلغاريا لعلاج عينيه .

١٨ يناير

.. انتصار جديد للاشتراكية : سفينة الفضاء السوفييتية سيوز – ٥تهبط بعد أن قامت بتجربة التحام فى الفضاء مع السفينة سيوز – ٤ . تم بذلك انشاء أول محطة فضاء.

.. توفى ساطع الحصرى الذى كرس كتاباته لموضوع القومية مركزا على عنصر اللغة المشتركة متجاهلا عناصر أخرى أبرزها الحياة الاقتصادية المشتركة .

لابد أن تكون الأمة بكاملها في نفس الطورمن أطوار النظم الاقتصادية ولايكون جزء منها يطبق الاشتراكية مثلا بينما جزء آخر منها تسوده قوانين الرأسمالية أو الإقطاع.

.. أصدرنا أول حكم بالإعدام . أحد شيوخ القبائل كان قد قدم لنا مساعدات جمة في أصعب الفترات ثم بدأ يستولي لحسابه الخاص على الأغذية التي ترسلها لنا خلايا الجبهة في صلالة. وقتل جارا له ليستولي على زوجته .إنهم يبدأون ثوارا على كل ظلم، ثم ينصرفون إلى الاهتمام بمصالحهم الخاصة.

جرائم القتل قبل سبتمبر ٦٨ كانت تعاقب بدفع تعويض من أسرة القاتل إلى أسرة الضحية . الآن أصبحت عقوبتها الموت .

فبراير

..لفك الحصار الاقتصادى بدأ شق طريق يربط المحافظة السادسة في اليمن الجنوبي بالمنطقة الغربية المحررة .يقوم بالعمل أفراد من جيش التحرير الشعبى والميليشيا الشعبية يفرزون من مختلف الفرق بالتناوب . يساهم أيضا مواطنو المنطقة التى يمر فيها الطريق مما يعمق العلاقة بين الجبهة والشعب . يفتقر العاملون إلى المعدات الآلية مثل الحفارات والبلدوزرات كما يتعرضون لقصف الطائرات البريطانية.

.. انتقل مسرح العمليات العسكرية من المنطقتين الوسطى والشرقية إلى المنطقة الغربية المحاذية لليمن الجنوبى .ألقى جيش السلطنة بقوات كبيرة للحيلولة دون ارتباط الثورة في ظفار بمؤخرتها في اليمن . تمركزت هذه القوات في مذهوب مركز القيادة العسكرية للمنطقة بقيادة الكابتن كلارك، وفي جانوك وخارات .

..عادت بعثة الصين. تولى أفرادها قيادة عدة وحدات .يرددون أقوال ماو في كل مناسبة.

مارس

..التقيت أحد الصينيين كما صرنا نسمي العائدين من الصين. سألته عن انطباعاته . تحدث بإعجاب عن النظام والنظافة والانضباط والصحة وكل المظاهر الحضارية . سألته عن الأحداث السياسية والثورة الثقافية . بدا عليه التردد . قال إن الصين ما زالت لغزا وإن لشعبها طريقته الخاصة في التعامل مع المشاكل . أثناء

حديثنا شعرت بحركة بين الأعشاب ففزعت. قال لي بهدوء : لا تخافي يا رفيقة. إنه ثعبان. ردد عبارة ماوالشهيرة : «الاستعمار نمر من ورق» بعد أن حورها بما يناسب المقام : الثعابين نمور من ورق . في المساء أصيب صبي صغير بلدغة من نفس الثعبان فيما أعتقد . فشلنا في انقاذه . قلت للرفيق الصيني إن الثعابين أيضا تقتل وتميت .

.. بدأت حملة لتشجيع التوطن من أجل تحويل الزراعة إلى الفاعلية الاقتصادية الرئيسية في المنطقة الغربية . الترحال هو الأساس بالنسبة للقبائل . أفرادها لا يميلون للاستقرار في الأرض فهم يحتقرون العمل اليدوى كالزراعة.

.. يجرى تكوين الميليشيا الشعبية .لها وظيفة مزدوجة . إنها المرحلة التمهيدية التى يمر بها الجميع قبل الالتحاق بجيش التحرير، وهي إلى ذلك تجسد «الشعب المسلح»، أي جميع الذين يحول عملهم في مجالات الإنتاج دون تفرغهم للكفاح المسلح .

١٤ أبريل

..دستور جديد للحزب الشيوعي الصيني ينص على أن أفكار ماوهي أعلى مرحلة في تطور الماركسية اللينينية وأن لين بياو هو خليفته. حديث عن خلاف حول أولوية البناء الصناعي أم التطوير الزراعي .

.. اكتشفت أن الشيخ عمّار يعيش قصة حب فاشلة . هو أصلا من حي الحصن الذى يسكنه الخدم والعبيد والعسكر ويقع فيه قصر السلطان. أحب فتاة من حافة المدينة التي يسكنها الشناقر . ولم يوافق أهلها بالطبع على تزويجها منه فهاجر إلى الكويت وهناك ارتبط بالثورة .

٢٤ أبريل

..نظمت الأحزاب الوطنية والتقدمية في لبنان أمس مظاهرة احتجاج على الإجراءات التى اتخذتها السلطة بإيعاز من حزب الكتائب وغيره ضد العمل الفدائي. أطلق أحد الجنود النار على المتظاهرين فأشعل مصادمات دامية راح ضحيتها ١٧ قتيلا و١١٦ جريحا .

..قراران في بغداد بمنع ارتداء المينى جوب ومنع اشتغال المرأة سكرتيرة . دافعت عن القرار الأول في مناقشة مع الرفاق . قلت إن المينى جوب يحول المرأة

إلى لعبة وهدف جنسي . سخر منى غزال وقال إن ساقيّ في الغالب قبيحتان . تفحصتهما جيدا قبل النوم.

٣ مايو

..أضيفت إلى مهام جيش التحرير شق قنوات الري و حفر الآبار و بناء السدود والمستودعات إلا أن التقدم بطيء و هناك افتقار إلى أبسط الأدوات والخبرة .

١٥ مايو

.. رفض المكتب السياسى للحزب الشيوعي السودانى عرضا من بعض الضباط للقيام بانقلاب عسكرى.

٢٥ مايو

.. ثورة في السودان . حركة عسكرية يقودها اللواء جعفر نميرى وهاشم أبو العطا.

..الحصار الاقتصادى المفروض على الريف عزل سكان الجبال عن أسواقهم التقليدية فى قرى الشاطئ . نواجه حملة تجويع فعلية .

٣١ مايو

.. قسمت بعض الحقول الكبيرة التى تتغذى على موسم الأمطارفي الجزء الشرقي من جبال القرّا. عهد إلى السكان ككل وإلى أعضاء الجبهة بقطع منها لزراعتها. كما جرت محاولة لحفظ بعض الأمطارللاستخدام فى موسم الجفاف بإنشاء سدود صغيرة في مجارى الأودية. يجرى تشجيع السكان على زراعة الذرة الرفيعة والخيار واللوبيا.

أول يونيو

.. معلومات جديدة عن الوضع في السودان . جرى تعيين بابكر النور وهاشم أبو العطا – المعروفين بصلتهما بالحزب الشيوعي – فى مجلس الثورة رغم أنهما لم يشتركا فعليا فى تسلم السلطة . كما اختار الانقلابيون للوزارة أربعة من قادة الشيوعيين دون أخذ رأى الحزب. أصدرالحزب الشيوعى بيانا أعرب فيه عن اعتراضه على فكرة الانقلاب العسكرى كحل لأزمة البلاد السياسية . اقترح عبد الخالق

محجوب على زملائه رفض الاشتراك فى الوزارة لكن أغلبية أعضاء اللجنة المركزية وقفت ضده وخصوصا أحمد سليمان والوزراء المعينين.

٩ يونيو

.. العيد الرابع للثورة . عقدنا حلقة دراسية حول مقال فى مجلة «بانسيه» الفرنسية عن اسلوب الإنتاج الأسيوى. حدد ماركس أربعة أساليب إنتاج معروفة تعاقبت على تاريخ البشرية وهى المشاعية البدائية ، العبودية ،الإقطاع، الرأسمالية. تنبأ بحتمية حلول أسلوب الانتاج الاشتراكى محل الأسلوب الرأسمالي. اعتبرستالين هذا التقسيم نهائيا متجاهلا المناقشات التى دارت من قبل حول وجود طريق آخر يعتمد على النموذج الآسيوى فى الإنتاج .فهو الشكل الأعم لتطور المجتمع المشاعي البدائى فى كثيرمن مناطق العالم الشرقى وبالأخص فى الحضارات الزراعية الكبيرة فى الصين والهند ومصر وبين النهرين. تميزت هذه الحضارات بالاعتماد على نظام الرى الصناعى على شريط ضيق نوعا من الأراضي الزراعية وعدم وجود ملكية خاصة للأرض (عكس ما حدث فى اليونان وروما) وقيام دولة مركزية قوية وتوفر كمية كبيرة من اليد العاملة، وعدم الاعتماد على العبودية المطلقة بل على حيازة الفلاحين للأرض مقابل الالتزام بدفع الضريبة للحاكم المطلق بوصفه المالك الوحيد لكل أراضى الدولة . فى جميع هذه الحضارات قامت الدولة بوظيفة لا غنى عنها فى عملية اعادة الإنتاج وهى إقامة مشاريع الرى والإشراف على توزيع المياه للزراعة. تميزت هذه الدول بمركزيتها الشديدة (اللقب الأول لفرعون مصركان مهندس رى البلاد) . هذه السمات مختلفة تماما عن سمات النظامين العبودى والإقطاعى التقليديين .الإقطاع الأوروبى لا يعتمد على المركزية المطلقة والملك نفسه ليس إلا سيدا اقطاعيا منتخبا من بين أقرانه من السادة لا يمتد نفوذه عادة خارجا إقطاعيته إلا إذا تمكن من فرض سلطانه على السادة الضعاف. هنا يظهر الاختلاف الواضح بين ندرة اليد العاملة وبين وفرتها التى سمحت للحضارات الشرقية بإقامة منشآت هائلة مثل الأهرامات وسور الصين العظيم.

١٤ يونيو

.. الفلاحون يستعدون لموسم الأمطار . يحفرون بالعصى أماكن وضع البذور.

..البراميل الحارقة تنتشر فى الحقول وتقضى على كل أمل فى الموسم الزراعى. اختراع جهنمى وارد من فيتنام فى الغالب . يوفر ثمن القنابل التقليدية الغالية وساعات طيران سترايكماستر الثمينة . يملأون براميل سعة ٤٠ جالونا من مادة حارقة تثبت بها فتائل جاهزة للاشتعال. يضعونها فى مؤخرة السكاى فان بعد أن يسحبوا منها دبابيس الأمان. عند القائها من الطائرة يشتعل سلك الفيوز، بمجرد اصطدامها بالأرض تتحول الى كرة كبيرة من النيران وترتفع سحابات كثيفة من الدخان الأسود فوق المنطقة . يغطى برميلان مساحة تماثل ملعبا لكرة قدم .

١٨ يونيو

.. أكملت منذ أيام العام التاسع والعشرين . غريبة . مر الوقت بسرعة . لم أتصور أنى سأبقى هنا حتى الآن . أشعر أنى عجزت . اكتشفت شعرة بيضاء فى رأسى .

..الرئيس قحطان الشعبى يعزل محمد على هيثم وزير الداخلية .

٢٢ يونيو

.. القوات المسلحة المصرية تواصل سياسة انهاك العدو بالقصف المدفعى عبر قناة السويس. دايان يصرح : قناة السويس تحولت إلى جبهة حرب جديدة. عمليات فدائية فلسطينية على كل الجبهات : ألغام وكمائن ونسف سيارات وتدمير منشآت .

فجر ٢٣ يونيو

..راديو عدن يذيع أن الرئيس قحطان الشعبى قدم استقالته من منصبه وأن القيادة العامة للجبهة القومية قبلتها . أشار الراديو إلى النزعة الفردية التى سادت كل المستويات . تكوين مجلس رئاسة من خمسة أعضاء : محمد على هيثم وزير الداخلية، عبد الفتاح اسماعيل وزير الثقافة والإرشاد السابق وقائد الفدائيين فى عدن، محمد صالح العوليقى وزير الدفاع ،على عنتر قائد الفدائيين فى الضالع، سالم ربيع (سالمين) قائد الفدائيين فى الفضلى الذى انتخب رئيسا للمجلس . عين محمد على هيثم رئيسا للوزراء وعبد الفتاح اسماعيل أمينا عاما لتنظيم الجبهة القومية.

..أصبح بامكاننا استخدام التسهيلات الإذاعية فى اليمن الديموقراطى .

..المراكز البريطانية فى مذهوب مقر القيادة البريطانية فى الغرب مطوقة من جانب جيش التحرير.

٢٥ يونيو

.. أخلى الانجليز مذهوب إخلاء تاما .عثرنا بها على مدفع روسى ضخم وعشرات الدشم المهجورة، ومئات من صناديق الذخيرة الفارغة تحمل علامة وزارة الدفاع، مسقط. إحدى الدشم تميزت بجدران سميكة وأرضية أكثر نعومة، واحتوت على : كريم حلاقة «باردلى»، علب بيرة، ملحق الأحد الملون من صحيفة التايمز، والبقايا المتفحمة لشفرة لاسلكى .لم يبق غير الفرق المرابطة فى ضلكوت ورخيوت على الساحل .

.. جاءنا عجوز يريد جوابا به أمر لزوجته الصغيرة كى تستسلم له أو تعويذة مثل التى يحملها القادمون من المدينة ويبيعونها لمختلف أمراض الإنسان والحيوان بريال أو ريالين .

٢٧ يونيو

.. اشتركت طفول فى الدفاع عن شعبوت فى معركة استمرت ٢٤ ساعة. تنقل الماء فى القرب وتملأ خرطوشات المقاتلين وتطلق الرصاص هى نفسها.

.. أصبحنا نسيطر على معظم الجبل بما فى ذلك طريق تمريت – صلالة .

١٢ يوليو

.. عثر الرفاق فى احد المواقع التى احتلوها على عدة براميل من البترول وهوية باكستانية باسم سعيد وورقة تحمل هذه الكلمات بالانجليزية : نحن نضربهم ٢٤ ساعة وهم أيضا.

أغسطس

.. احتل رفاقنا بلدة رخيوت الساحلية وألقوا القبض على واليها حميد بن سعيد. بذلك تم تحريرالقطاع الغربى من ظفار وتوقفت أعمال شركة البترول . الآن تسيطر الحكومة فقط على صلالة وضواحيها المباشرة أما بقية الساحل فعرضة لهجومنا.

.. ذهبت الى البلدة للاشتراك فى محاكمة الوالى . تقع بين جبلين على مبعدة ٤٨ كيلومترا من الحدود اليمنية .تضم ٣٠٠ بيت من الحجارة الجبلية. أصدرت المحكمة الثورية حكم الأعدام عليه بتهمة خيانة الوطن والعمالة لبريطانيا.

.. أصبح صدام حسين نائبا للرئيس العراقى .

..وكالة الأنباء الفرنسية : المقاومة الفلسطينية تسير فى اتجاه التحول إلى حرب تحرير شعبية .

أول سبتمبر

.. مجموعة من صغار الضباط برئاسة العقيد القذافى تستولى على السلطة فى المملكة الليبية وتعلن الجمهورية . وضع قاعدة هويلس الأمريكية تحت إشراف السلطات الليبية . خطة لتصفية القواعد البريطانية والأمريكية الأخرى .

..حضرت اجتماعا لمناقشة الأوضاع الجديدة الناتجة عن تحرير القطاع الغربى بالكامل . تضمن جدول الاجتماع أحداث الصين وعدن وآخر أنباء المعارك. قال الرفيق وافع إن الانتصارات الأخيرة تطرح علينا مسألتين رئيسيتين : كيف يمكن تطعيم مجتمع رعوى قبل رأسمالى من الرعاة والصيادين والحمالين والمملوكين والمزارعين الأميين بالماركسية، عقيدة البروليتاريا الصناعية؟ وكيف يمكن تدمير النظام القبلى والنضال ضد قيمه وتقاليده بنتظام، واعادة تنظيم المجتمع على أسس جديدة؟

.. المنطقة المحررة ثلث مساحة ظفار تقريبا وتمتد من رأس ضربة على عند حدود اليمن إلى ريسوت. أقل مناطق ظفار كثافة بالسكان : ١٠آلاف نسمة. يعيشون على الرعى والزراعة الموسمية بالإضافة إلى بعض صيادى السمك على الشواطئ . ينقسمون إلى عشرين قبيلة أقواها وأغناها بيت عيسى والمشايخ . كلتاهما من القرّا، وكانتا تسيطران على معظم الأراضى والآبار.

..يتمركز حوالى مائة مقاتل فى الحامية المركزية للمنطقة الغربية المحررة . يقومون بمهام متعددة، أحيانا على الطريق المؤدى إلى حافة الصحراء حيث توجد بقايا طائرة بروفوست أسقطت فى الصيف، وأحيانا أخرى على الشاطئ لمراقبة محاولات التسلل وحماية خطوط التموين الحيوية التى تنقل الغذاء والقباس والسلاح .

.. تفتحت زهور أشجار اللّبان . صفراء بقلب قرمزى .

٥ سبتمبر

.. استمعت إلى خطبة الجمعة فى مسجدرخيوت . الشيخ على كان إماما

لمسجدها من ٦٠ إلى ٦٦، عندما تشاجر مع الوالى واضطرإلى الرحيل. عاد الآن ويعيش مع زوجته وأمها وطفله من الأجرة التى يحصل عليها لقاء قيامه بالواجبات الدينية ومن عائد عنزاته الخاصة. هاجم فى كلمته الاستعمار وأيد النضال المسلح. تحدث عن الاشتراكية فقال إن الشريعة الإسلامية تحترم المبدأ القائل بأن العمل هو الاساس الوحيد للملكية. وإن الأسلام وضع قاعدة ذهبية مؤداها أن مالك الأرض ليس إلا من يبذل فيها عمله ومن يزرعها بنفسه. قال إن الرسول نهى عن كراء الأرض قائلا: من كانت له أرض فليزرعها، أوليزرعها أخاه ، ولايكاريها بثلث أو بربع ولابطعام مسمى . قال أيضا إن الاسلام يحرم الربا والاتجار بالنقود والمضاربة والاحتكار ويدعو إلى تحرير مصادر الثروة الطبيعية وتحرير الانتاج من السيطرة الخاصة وإلى كفالة العاجز وضمان الحياة لجميع الناس . أكد ان الاسلام ضد الأغنياء واستشهد بآيتين قرآنيتين: «ما أرسلنا فى قرية من نذيرإلا قال مترفوها إنا بما أرسلنا به كافرون» . و «ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس». استشهد أيضا بقول عمربن الخطاب أو على بن أبى طالب لا أذكر: ما تمتع غنى إلا من جوع فقير . وقول عمر :لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء ورددتها على الفقراء .

١١ سبتمبر

.. انضمت الينا أمينة وأخوها. عمرها ١٤سنة . سوداء بخاتم فى أنفها ووجه ممتلئ مستدير تدوربه طرحة. من طائفة المنبوذين الأفارقة فىصلالة .يعمل أبوها فى الزراعة أونقل الحجارة مقابل أربع أو خمس روبيات فى اليوم . أكثر الأحيان لا يجد عملا فيصنع الحبال من قشور ثمار النار جيل (جوز الهند) وتخبز زوجته للجيران على التنورمقابل أجر بسيط. هربت مع أخيها الذى يكبرها بخمس سنوات ويعمل كوليا فى البناء . قالت لى : كان الناس يعثرون على منشورات ضد السلطان واستحسنوها . عرفنا حقوقنا وقررنا طلوع الجبل . لكن كيف نحقق ذلك والأسلاك الشائكة تحيطها من كل جانب؟ لم يكن أمامنا غير طريق البحر.اشترى أخى إطار سيارة قديم .أحضر أربعا من ثمارالنارجيل وربط كل اثنتين ببعض وأوصلها برباط واحد بحيث تكون كل اثنتين فى طرف واحد على مسافة تتسع لبطنه . صنعنا واحدة أخرى . كنا نعمل على ضوء قنديل الكاز. تسللنا بين الأزقة

والعشش في الظلام حتى وصلنا إلى أشجار النار جيل الكثيفة العالية الواقعة بين شاطئ البحر والمدينة . كنا في منتصف الليل ونريد اجتياز السورسباحة عند بلدة عوقد في الغرب قبل شروق الشمس . سبحنا في البحر معا طوال ثماني ساعات. لا أجيد السباحة وكنت جوعانة بردانة عطشانة لكن فضلت الموت على أن أقع أسيرة بيد الانجليز. عندما تعبت رفعني ووضعني على التيوب (إطار السيارة) وأخذ يدفعني للأمام . تسللنا إلى عوقد ومكثنا عند أحد المعارف حتى قدوم الليل ثم واصلنا السير إلى الجبل وهناك طلبنا من المواطنين أن يأخذونا إلى الثوار.

١٢ اكتوبر

.. وزير الخارجية اللبناني يرحب بالتصريح الأمريكي بفرض الحماية على لبنان.

.. وحدات كوماندوز مصرية تعبر القناة في أماكن متنوعة وتلحق خسائر فادحة بالإسرائيليين ثم تعود سالمة .

٢١ اكتوبر

..تسف مقر منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت .الجيش اللبناني يهاجم قواعد الفدائيين ويقتل ويصيب ٣٩ فدائيا.

نوفمبر

..حوار في الطليعة القاهرية مع نايف حواتمة عضو اللجنة المركزية للجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين. شرح أسباب انقسام الديموقراطية عن الشعبية. قال انه يعود إلى الصراع الايديولوجي والسياسي الذي نشأ في حركة القوميين العرب منذ التأميمات المصرية في يوليو٦١ التي طرحت على المنطقة العربية أفقا فكريا وسياسيا جديدا . ...هذا الصراع حسمته هزيمة ٥ يونيو التي أكدت أن أفق وبرنامج البرجوازية الصغيرة في حل مشكلات حركة التحرر الوطني وإنجازمهمات الثورة الوطنية الديموقراطية في بلد متخلف في عصرالاستعمار والامبريالية غير مؤهل وغير قادر على تحقيق الاستقلال التام والناجز وإدخال البلاد في عصر التصنيع الثقيل والزراعة المكثفة ودفع الاقتصاد على طريق الانفصال عن السوق الرأسمالية العالمية والتطور المستقل عنها ولا على مواجهة الاستعمار الجديد الذي تقوده الولايات المتحدة . وانتهى الجناح التقدمي إلى موقع ماركسي لينيني ثوري طرحه في

اجتماع اللجنة المركزية للحركة وتقبله الجناح التقليدي لكنه لم يكن مستعدا للاستجابة إلى نتائجه التنظيمية .. بأن تصبح المسئولية كاملة في يد الجناح اليساري . اتضح بعد قليل ان إمكانية تحويل مؤسسة بورجوازية صغيرة إلى مؤسسة ماركسية لينينية بكاملها غير ممكنة إذ لا يمكن تحويل طبقة بالانتقال بها من موقع إلى موقع مضاد لمصالحها.

سأله المحاور بخبث عن البديل الذي يطرحه لقيادة البرجوازية الصغيرة في ظل غياب الكم اللازم والوعي السياسي المنظم للطبقة العاملة نتيجة عدم اتساع حركة التصنيع والاضطهاد التي تعرضت له . أجاب حواتمة بقوله : لابد من طليعة منظمة تلتزم بالرؤية الايديولوجية والطبقية لقيادة القوى والطبقات الأكثر جذرية وثورية متحالفة مع البرجوازية الصغيرة.

١١ نوفمبر

.. رافع يرغب في الزواج من أمينة. عارضت الفكرة بسبب فارق السن بينهما. هل هذا هو السبب الوحيد ؟

١٦ نوفمبر

.. أعلن نميري فصل أعضاء مجلس الثورة الثلاثة المعروفين بصلاتهم بالحزب الشيوعي وهم : فاروق عثمان حمد الله، بابكرالنور، هاشم العطا. الوضع متوتر للغاية وخاصة بين نميري والشيوعيين . يعمل نميري على تشكيل تنظيم جماهيري مثل الاتحاد الاشتراكي المصري ، وعلي طريقة عبد الناصرطلب من الشيوعيين السودانيين أن يحلوا حزبهم ويندمجوا لديه فرفض عبد الخالق محجوب ذلك ووصف نميري بالبرجوازي الصغير. وكتب أحمد سليمان في إحدى الصحف متسائلا عما يجعل عبد الناصر ديموقراطيا ثوريا ونميري برجوازيا صغيرا، وكيف يمكن تحقيق الاشتراكية في مصر دون حزب شيوعي بينما يشترط هذا في السودان وهو أقل تطورا. ولماذا أيد عبد الخالق محجوب حل الحزب الشيوعي المصري.

١٨ نوفمبر

.. قالت الصحف اللبنانية إن ١١ عضوا في اللجنة المركزية للحزب

الشيوعي السوداني فصلوامن الحزب لأنهم وقفوا مع الاندماج فى حزب نميرى . على رأس المفصولين أحمد سليمان ومعاوية وأبوعيسى .

١٩ نوفمبر

.. مسيرة ضخمة فى واشنطون من نصف مليون أمريكي ضد حرب فيتنام.

.. الكشف عن تفاصيل مذبحة ماى لاى التى جرت العام الماضى . صباح يوم ١٦ مارس هاجمت سرية من الجنود الأمريكيين قرية ماى لاى وأطلقت النار بصورة عشوائية على سكانها بما فى ذلك النساء والأطفال والشيوخ وعندما احتمى الفلاحون بأكواخهم ألقواعليهم بالقنابل اليدوية .ثم جمعوا أكثر من ٤٠٠ من الذين بقوا أحياء فى مكان فسيح وأوقفوهم على حافة مصرف وأطلقوا عليهم النار بأمر الضابط ويليام كالى. وأثناء إطلاق النارحاول طفل لم يتعد عمره العامين الهروب فأسرع كالى خلفه وأمسك به ثم ألقى به فى المصرف بعد أن قتله . هل يمكن أن تصل وحشية البشر إلى هذاالحد ؟

.. الثورة الليبية توجه الضربات إلى السيطرة الامبريالية على بعض نواحي الاقتصاد الليبي . ذعر بين احتكارات البترول العاملة فى ليبيا. توقع إعلان دفاع مشترك بين ليبيا والسودان ومصر .

٢٧ نوفمبر

..قرارات فى عدن بالسيطرة على شركات المصارف والملاحة وتوزيع البترول والتأمين وشركات التجارة .

أول ديسمبر

.. أصبح سهل صلالة ومطارها معرضين لقنابلنا رغم الحواجز التى أقامتها قوات السلطان على الطرقات الرئيسية . لكننا لسنا بعد قادرين على مهاجمة المدينة كما أن قوات السلطان عاجزة عن ولوج المناطق الجبلية إلا فى دوريات جيدة التسليح .

.. هرب الينا عن طريق البحرعبد سابق يدعى عامر على يجيد الكتابة والقراءة. تبعه ستة عبيد آخرين بينهم ابن رئيس استخبارات السلطان المدعو نظر. كان عامر فى قصر السلطان مكلفا بمراقبة تنفيذ تعليماته بشأن عبيده والتى تحرم عليهم مغادرة مساكنهم أوالزواج أو حتى تعلم القراءة والكتابة دون إذن منه.

أعطانا معلومات ثمينة عن الحياة في قصر السلطان . القصر مزود بمرايا مزدوجة الرؤية، وعدد كبير من التلسكوبات والعبيد. فى جناح حصين ١٥٠ إمرأة .

.. افتتحنا مدرسة محو الأمية . تعتمد على بعض الكراريس الثورية إذ لا تتوفر كتب محو الأمية . الدارسون فى فصل من مختلف الأعمار: طفل فى التاسعة، امرأة فى العشرينيات ، رجل فى الثلاثينيات .المدرس لايتجاوز الرابعة عشرة لكنهم يعاملونه باحترام وتقدير. يجلسون ساعات القيظ بعد الغداء مباشرة للتعلم داخل الكهوف . فى المساء حضرت الجلسة المسائية المفتوحة . أدارها المرشد السياسى الأول.

٨ ديسمبر

..قررت قيادة الجبهة العدنية تخفيض عدد أعضاء مجلس الرئاسة إلى ثلاثة هم سالم ربيع، عبد الفتاح اسماعيل ،محمد على هيثم.

.. انتصار للمرأة : انتخبت عايدة اليافعي لعضوية قيادة الجبهة القومية فى عدن .

٢٠ ديسمبر

.. اشتركت في حلقة سياسية أقيمت في شيروص شمال رخيوت لنخبة من طلبة مدرسة مكافحة الأمية تؤهلهم للانضمام إلى تنظيم الجبهة . مدة الحلقة ثلاثة أشهر. تجتمع ثلاث أوأربع مرات بالأسبوع . الجلسات مطولة تستغرق بين خمس وسبع ساعات يديرها مرشد سياسى من وحدة شعبوث ومساعده . تخصص جلسة واحدة فى الأسبوع لمناقشة المسائل السياسية والتنظيمية. التدريب العسكرى مستمر . يقسم الطلبة والطالبات إلى مغارزتساعد فى إعداد الأكل وتقديمه وفى أعمال النظافة والحراسة الليلية .أقمت مع الفتيات فى خيمة كبيرة منفصلة .

٢٥ ديسمبر

.. انضمت مريم إلى الحلقة . عمرها ١٦سنة . أهلها يزرعون الأذرة ثلاثة شهورثم يرعون الأغنام بقية السنة . أرادوا تزويجها برجل عجوز . سمعت عن الجبهة فتركت أهلها . سمراء هزيلة. شعرهاأسود ناعم شديد اللمعان . خصلاته متكورة . تسير مرفوعة الرأس مشدودة القامة فى اعتداد .فى نفس الوقت خجولة . دائمة الابتسام. سألتها إذا كانت تفتقد أهلها. قالت أنها لاتفكر بهم وتفكر بالثورة

فقط. تريد أن تتعلم القراءة والكتابة والسياسة . الجبهة علمتها اللغة العربية لكنها ما تزال تجدها صعبة . قلت لها: حياة القتال أيضا صعبة . قالت فى حزم : أستطيع القيام بكل ما يقوم به أى رجل.

أول يناير٧٠

.. أساعد مريم فى دروس اللغة العربية وهى تعلمنى مفردات جديدة من اللغة الجبالية . طلبت منى اليوم أن أحكى لها قصة أبو زيد الهلالى .إنه هنا مثال الشجاعة والفروسية .القصص المروية عنه تمثله مرتديا قناعا يخفى به جماله كى لا يغوى النساء .

٥ يناير

..انتقل جيش المرتزقة من الهجوم إلى الدفاع . وعاد مسرح العمليات إلى المنطقتين الوسطى والشرقية . حرب مواقع وتطويق على طريق حمرين الذى أسميناه بالخط الأحمر. حاصرناهم فى أكثرمن موقع .اضطروا إلى التحصن فى خنادق دفاعية .

١٠ يناير

.. تزايد عدد المدنيين الهاربين من صلالة ومدن الساحل . صعد الينا أيضاسعيد مسعود الذى قضى خمس سنوات فى سجن الحصن. مئات السجناء يقيدون سويا فى غرف مظلمة. التعذيب المألوف هو يومان من المقطرة (العجلة). حراس بلوش تحت إشراف بريطانيين .

١٨ يناير

.. كانت أمس نوبة مريم فى الحراسة الليلية . رافقتها بعض الوقت . حكت لى كيف توفى شقيق لها وتم دفنه . ظل أبوها مقيما إلى جوار القبر يبكى ابنه . انزعجت الأشباح الموجودة فى حوش المقبرة وأبلغته أن ابنه لم يمت لكنه واقع تحت تأثيرساحرة نقلته إلى قرية هندية وحولته إلى عنزة . ضحكت فاستاءت .

قالت إن الأشباح وصفت لأبيها كيفية الإمساك بالساحرة وارغامها على اعادة ابنه إلى صورته الأصلية كانسان . لم أتمكن من كتمان الضحك وسألتها : هل عاد ؟ .أطرقت برأسها ولم تجب . زمت شفتيها. كانت غاضبة منى. احتويتها بساعدى وربت على ظهرها . قالت عاتبة : أنت دائما تسخرين منى . قلت: أبدا .

قالت: توجد هنا أشياء لا تعرفينها . هل تعرفين مثلاأن هناك عقارب تطير كالعصافير؟. هممت بالكلام فوضعت إصبعها على شفتى . قالت : أحد أعمامى اصطاد مرة سمكة كبيرة هذا القد. بسطت ذراعيها الى أقصاهما واستطردت: تجمع الناس حولها ودخل بعضهم من فكها وخرج من الجانب الآخر. أحدهم كان يركب ناقته. .انفجر ضحكى فابتسمت على استحياء . قالت : ما رأيك فى أن أمير عمان أهدى إلى هارون الرشيد نملة سوداء فى قفص حديد؟ أبديت استغرابى : نملة فى قفص؟ بدا عليها السرور لأنها أثارت دهشتى : نعم . كانت مقيدة بالسلاسل إلى قضبان القفص .قطبت حاجبى فقالت : كانت فى حجم القط . وكانوا يطعمونها يوميا شرائح اللحم. قلت لها : يا عبيطة هذه لم تكن نملة. هى فى الغالب نوع من القطط المتوحش أو ربما فهد .

٢٢ يناير

.. اكتشفت بحيرة قريبة . أستمتع بالاستحمام فى مياهها فى المساء.

..اعترف رئيس الوزراء طارق بن تيمور فى تصريح علنى بأن الثوار يسيطرون على ثلاثة أرباع ظفار .

.. صوتها جميل . تحفظ أغانى عبد الحليم حافظ ونجاة الصغيرة . غنت لى «فى يوم فى شهر فى سنة» ، «حبك نار» ، «ساكن قصادى» .

٢٧ يناير

.. كنت أهم بوضع الإناء الصفيح المخصص لغلى المياه فوق الموقد عندما سمعت صوتا بعيدا يشبه صوت انفجار صواريخ الألعاب النارية فى السماء: بوك بوك بوك . كنت بمفردى فى الخيمة أنتظر عودة الفتيات من تدريب ليلى على إطلاق الهاونات . كان الصوت مختلفا عن صوت قذائف الهاون .أسرعت الى باب الخيمة. تطلعت الى السماء. رأيت أشعة جميلة من الضوء الأخضرتتجه نحوى فى بطء شديد .بدا لى أنها تسرع كلما اقتربت . ثم تبينت أنها تتجه نحو موقع التدريب وسرعان ما أدركت ما هى . صرخت وأنا أجرى فى جنون . إنها أحدث ما أنتجه الجيش الانجليزى ضد الهاونات .رصاصة تحوى مركبا كيميائيا يبين خط انطلاقها بواسطة سهم من الضوء الأخضر. يلتقط هذا السهم خط طيران قذيفة الهاون ويقتفى أثر المكان الذى أطلقت منه . رأيت الأنوار الجميلة تتساقط

حول موقع التدريب والبعض منها ينفجر بوهج أبيض يزغلل الأبصار. لابد أن يكون رشاش براوننج ٥٠ الذى يطلق مزيجا من الطلقات تضم بينها رصاصة السهم الأخضر. كنت أجرى دون وعى وأنا أدعو الله ألا تكون مريم قد أصيبت . توقف اطلاق النيران ورأيت الطلاب متحلقين حول شئ فى وجوم . أزحتهم جانبا. وقعت عينى على جسدين ممددين مزقتهماشظايا قنبلة . لدى شبه مقطوع يتدلى من صدر ممزق . سمعت مريم الى جوارى تردد فى ذهول : اللهم اجعله ريوان. احتضنتها فى عنف وبكيت .

٢٨ يناير

.. طفنا بجثتى الشهيدتين حول الموقع و نحن نردد الأناشيد الثورية . فى المساء أقمنا حفل تأبين.

.. أعدم البعثيون فى العراق ٤١ عراقيا بتهمة التآمر مع ايران .

٢ فبراير

.. وقع بخيت فى يد إحدى وحدات المنطقة الوسطى . كان كما شككت مختبئا لدى قبيلته فى المنطقة الشرقية . اعتذرت عن الاشتراك فى محاكمته . حكم عليه بالاعدام وشرحنا الأسباب فى بيان تلى فى كافة أنحاء المنطقة.

.. حدثنى رافع عن قصته . اختطف التجار العرب أباه من تنجانيقا .جاءوا به إلى عدن وباعوه إلى تاجر فى شمال عمان . لكنه هرب و قطع الصحراء إلى ظفار حيث عمل بالرعى وصار حرا . كثيرمن العبيد الآبقين يحمل أولادهم أسماء مميزة مثل خميس وسعيد ونبيل .

..عرضت السعودية المساعدة العسكرية على السلطان لكنه رفض . رفض أيضا نصائح الضباط الإنجليزبشن حرب نفسية وتقديم الخدمات للأهالى . اكتفى بأن يخيرنا بين الإستسلام أوالإعدام . يقوم بتخزين السلاح فى قصره.

١٠ فبراير

.. سألتها عما كانت تعنيه بعبارة «اللهم اجعله ريوان» فابتسمت فى حزن وقالت : معناها اللهم اجعله حلما . روت لى أصل العبارة . بائع مدر أى فخار حمل كل بضاعته على ظهره إلى السوق بدلا من أن ينقلها على دفعات . وبينما

هويهبط تلا انزلقت قدمه فسقط حمله وتدحرجت المدر وتكسرت واحدة بعد الأخرى وهو يصيح : اللهم اجعله ريوان. ران عليناصمت حزين ونحن نفكر فى الشهيدتين . ثم التفتت الى فجأة وسألتنى عن المستقبل. تذكرت ما قاله لينين قبل الثورة. أكد أن إقامة المجتمع الاشتراكى لن تغير كل شئ على الفور ولن تحول البروليتاريا بصورة أوتوماتيكية الى قديس ، على حد تعبيره .ستظل هناك سلبيات ومشاكل كثيرة . وسيكون من الضرورى استمرار الكفاح من أجل ديموقراطية أكمل ومن أجل مساواة أشمل ومن أجل أخوة أشمل.

٢٩ فبراير

.. وجدتها تقوم بتمشيط شعرها وتتأمل المشط . تناولته منها قائلة: اتركينى أنا . جلست خلفها وأحطتها بساقىّ .مشطت لها شعرها وأنا أدقق النظر بحثا عن الحشرة اللعينة. قالت لى إن إحدى حسنات تركها لأسرتها أنها هربت من طريقتهم فى تسريح الشعر.فهم يزيلون شعرمؤخرة الرأس كاملا فيما عدا ثلاث أو أربع خصلات رفيعة .وأحيانا ما يؤدى ذلك إلى إزالة جزء من قشرة الرأس ممايسبب ألما شديدا وربما الوفاة . ولاينقذ البنت من هذا العذاب سوى الزواج إذ تستطيع بعده أن تصففه على هواها.

سألتها إذا كانت تحب فاحمر وجهها . قالت إنها لا تفكر إلا فى الثورة . تحدثنا عن ظروف الزواج والمهور الجائرة . قالت : إذا قررت الزواج فلأننى أريد رجلا معينا ولا ضرورة أبدا لأن يدفع لى أو لأهلى المال لقاء ذلك . قبل الثورة كانت النساء تشرى وتباع ويجرى التخلص منهن مثل الغنم . أما الآن فعلى المرأة أن تدرك حقوقها وتساهم فى الثورة . لكن يجب تأجيل الزواج إلى ما بعد الثورة لأنه قد يؤثر على نضالنا . رق قلبى لها وذابت مشاعرى . احتضنتها فرفعت الى وجهها فى براءة وقبلتنى فى فمى .

٢٢ فبراير

.. لم أنم جيدا أمس . كنت أسمع صوت تنفسها وأشم رائحتها.

.. أثرت موضوع الزينة مع نبيلة وزميلتها. قالت نبيلة : فى السابق كنا خاضعات للرجال ونتجمل من أجلهم . الآن المرأة يجب أن تجذب بشخصيتها لا بالمساحيق . أن تكون الواحدة وطنية جيدة ومقاتلة جيدة هذه هى زينتنا .

٢٣ فبراير

.. اقترحت عليها أن نذهب الى الاستحمام فى البحيرة القريبة . اخترنا نقطة منزوية يغطيها نتوء صخرى . سبقتنى الى خلع ملابسها و هى تضحك كالأطفال . تأملت جسدها. أقرب الى الصبية فيما عدا صدرها . شعرت بريقى يجف و بالعرق يبلل يدى . تركتها فجأة وعدت الى المخيم . يجب أن أتحكم فى مشاعرى . الأمر واضح جدا : حرمت نفسى طويلا من رغباتى الطبيعية . امتزجت عواطف الأمومة بالعواطف الأخرى . شئ طبيعى ويحدث حولى طول الوقت دون أن أنتبه . الآن فقط أراه بوضوح . سلمى وخولة . ليس هنا فقط . قبل ذلك فى منزلنا بصنعاء . ومنازل الآخرين . ميّ .ظروفنا والأخطار التى نواجهها تقربنا من بعضنا البعض . لكن ليس بوسعى أن أستسلم . أنا قائدة وأكثر وعيا . جيفارا قال إننا يجب أن نتنسك . مرة أخرى أسأل نفسى : هل كان يقصد أثناء العمل السرى فى المدينة استعدادا للحرب أم خلال الحرب نفسها ؟ وماذا لو استمرت هذه الحرب عدة سنوات ؟ ضحكت في مرارة : يجب أن أجد رفيقا أتزوجه . مشكلتى أنى لم أشعر حتى الآن بالرغبة فى أحد ممن التقيتهم .

٢٤ فبراير

.. غادرت المعسكر إلى رخيوت متذرعة بمهمة عاجلة وبقرب انتهاء الدورة. تجنبت وداع مريم .

مارس

.. الفرق المسلحة لحزب الكتائب اليمينى الذى يتزعمه بيار الجميل وزير الأشغال اللبنانى تهاجم الفدائيين الفلسطينيين فى بيروت والجبل. كمال جنبلاط وزير الداخلية يتهم المكتب الثانى بالتواطؤ بالتعاون مع المخابرات الأمريكية .

١١ مارس

.. اتفاق بين الأكراد والحكومة العراقية على الحكم الذاتى للأكراد . الكل متفائل بإمكانية إغلاق الجرح الكردى المزمن وتوحيد القوى الثورية .

٢٥ مارس

.. عثر على جثة أحد قادة الشيوعيين الأكراد فى شارع ببغداد. أصابع الاتهام تتجه الى صدام حسين .

.. اعتقال قحطان الشعبى فى عدن لتورطه فى مؤامرة .

أول ابريل

..اشتركنا فى افتتاح مدرسة الشعب، أول مدرسة تقيمها الثورة .دائرة واسعة من الخيام المتوسطة الحجم . أربعون طالبا وطالبة قادمين من مدارس مكافحة الأمية . صفان أول وثان . الأخير يعادل الصف الرابع الابتدائى فى المدارس النظامية العربية . يتعلم الأطفال أيضا المهارات التقنية مثل البذار والزراعة والتطريز وعموما كيف يعتمدون على أنفسهم.

.. أتحرك بلا حماس . كلما تلفت طالعنى وجهها.

..مجموعات من أولاد وبنات تقوم بكل شئ : الطهى والعجين والخبز للقضاء على عادات المجتمع التى أفرزتها الرجعية والفردية. طشت كبير توضع به محتويات علبتين محفوظتين . ولد يعجن الدقيق فى طشت آخر.فى إناء ثالث كرات الخبز البيضاء .تبسط بعد ذلك فوق صاج تحته نار . الأرز يصنع فى حلل ضخمة صفت فى طابور.

.. يستخدم المدرسون أحدث الوسائل التعليمية رغم فقر الإمكانات . فى درس التاريخ والجغرافيا كان الموضوع عن الخليج العربى . طلب المدرس من كل طالب أن يمثل بلدا خليجيا .

المعلم صغير السن يبرز من جيبه طرف كتاب ماو الأحمر. جلسوا جميعا متربعين فوق كنابل صوفية على الأرض فى هدوء ونظام (هل وجودى هو السبب؟). كراساتهم فوق ركبهم وفى أيديهم أقلام الرصاص . خاطبهم المدرس قائلا : باسم الثورة نفتتح الدرس السياسى . العلاقة بين الطالب والمدرس تقوم على أساس الاحترام المتبادل والتنفيذ الطوعى المسئول للواجبات والمهمات. الضرب والشتم ممنوع . جلسات نقد شهرية يشترك فيها الطلبة والمدرسون لتلافى الأخطاء وتلخيص التجارب والاستفادة منها. حضرت إحداها. طلب أحد الأطفال الكلمة . قال : بعض الرفاق ناموا بالأمس دون خيام فى العراء . لجنة الطلاب مطالبة بأن توفر لنا خياما جديدة.انتقد تلميذ آخر لجنة الطلاب بسبب قذارة المطبخ. طالب بنقله بعيدا كى تلقى الأقذار فى الوادى . رد ممثل اللجنة بأن حنفية المياه مكسورة واذا نقل المطبخ دون تصليح الحنفية سنضطر لنقل الماء اليه

بالقرب . لخص آخر النتيجة : الانتظار حتى تصلح اللجنة الحنفية. اتخذ هذا القرار بالأغلبية . رفع تلميذ صغير يده قائلا: أريد عمل نقد ذاتي .. أمس بعد المظاهرة لم أراجع دروسي. رد عضو لجنة الطلاب: لجنة الأساتذة سمحت لنا بالنوم لأننا كنا متعبين. تدخلت قائلة: النقد والنقد الذاتي ليس لعبة . ولا يجب استخدامهما إلا فى الحالات المهمة . فى نهاية الجلسة أعلن ممثل الطلاب : باسم الثورة ترفع الجلسة . هتف الجميع : «ثورتنا ثورة أحرارنفديها بالدم الحار».

اجتذبني طفل وسيم فى السادسة من عمره. يحمل بندقية ويرتدى تنورة كاروهات وكابا عسكريا. احتضنته وسألته عما يفعل بالبندقية . أجابني فى اعتداد. أحمى رفاقى من الثورة المضادة . أومأت بجدية شديدة مغالبة الضحك .

.. فى العصر أقيمت مباراة لكرة القدم. وفى المساء حفلة سمر. غنينا أناشيد الثورة : «يا شهيد الغرب لن ننسى التراب»، «يا جبهتنا الشعبية لك منا تحية»، «يا شعب الخليج اتحد». ثم قدم الطلاب رقصة تمثيلية تصورطقوس السحر التى كانت تستخدم فى العلاج قبل التحرير عندما كانت الأدوية ممنوعة بأمرالسلطان .

ابريل

.. مصر تحتفل بمرورمئة سنة على ميلاد لينين .

.. شيخ البحرين و شاه إيران يدعوان إلى استبدال السلطان .

.. استبدال وزير الدفاع السلطانى الميجور ووترفيلد وقائد الجيش بآخرين بريطانيين.

.. صحف بيروت تؤكد أن السفير البريطانى فى البحرين عرض على السلطان التنازل عن العرش والسفرإلى الهند إلا أنه رفض .

.. قصفت الفانتوم الإسرائيلية مدرسة للأطفال فى بحر البقر فى مصر. استشهد ٤٦ طفلا و أصيب ٣٦ آخرين .

..اعتقال عبد الخالق محجوب ونفيه الى مصر .

مايو

.. فرقة النساء تطالب بإلغاء المهور.

.. الجبهة الشعبية (حبش) تدعو لتأسيس الحزب العمالى العربى .

.. أول طاقم من المساعدين الطبيين للمراكز المتنقلة .

٢٥ مايو

.. إجراءات ثورية فى السودان : تأميم خمسة بنوك أجنبية وبنك سودانى. انهاء سيطرة الشركات الأجنبية على التجارة الخارجية .تأميم شركات التأمين الأجنبية وسوق القطن. نميرى يعلن أنه يسعى إلى وحدة القوى الثورية وان الاشتراكية العلمية هى الحل الوحيد للقضاء على مشاكل الشعب .

أول يونيو

.. عقدنا اجتماعا خاصا لدراسة الوضع القبلى و المشكلة الزراعية. حضر على محسن عضوالقيادة . درس ثلاث سنوات فى كلية الحقوق المصرية. متوتر للغاية وعصبى . ما زال توطين القبائل فى الإقليم الغربى يواجه بالنفور رغم مزاياه .

.. انضم عوض الى الاجتماع . فوجئت بسلوك غريب من جانبى. أردت أن أريه بعض الأرقام فوضعت الورقة فوق صدرى وأنا أقول: انظر جيدا. استقرت عيناه فوق نهدىّ . ارتفعت الدماء الى وجهى . عنفت نفسى بشدة .

..اتخذنا توصيات بتشجيع الفلاحةعن طريق إدخال المضخات وحفر آبارجديدة وتنظيم الرى وتوزيع البذور وتوفيرالحد الأدنى من الأدوات .

٥ يونيو

.. توحدت مجموعات صغيرة فى شمال عُمان مشكلة «الجبهة الوطنية الديموقراطية لتحريرعمان والخليج العربى» .الظاهرأن للمخابرات العراقية دورا ما فى هذا التشكيل . يعرب عضو فى القيادة . أصدروا بيانا اعتبروا فيه نضالهم امتدادا لكفاح جبهة ظفار. وعدوا بالعمل على التحام المنظمتين.

.. أول عمل لهم هو اغراق مسقط بمؤلفات ماو. ترك أحدهم عدة حقائب مليئة بهذه المؤلفات لدى بائع حلوى فى مطرح . اكتشف البائع محتويات الحقائب وخاف فألقى بها فى الشارع وتطايرت محتوياتها.

٩ يونيو

.. أصدرنا شهرية جديدة موسعة بإسم «٩ يونيو» .

.. وصلتنا مقالات عبد الخالق محجوب التى اعترض فيها على قرارات التأميم السودانية . اتهمها بالارتجالية والجزافية. قال إن المصادرة فى هذه الفترة

تعتبر عقوبة اقتصادية على أصحاب المال من الرأسماليين الذين ما زالوا مدعوين للإسهام فى خطة التنمية.

١٢ يونيو

.. شنت جبهة تحريرعُمان هجمات فاشلة على مراكز جيش السلطان والإنجليز فى إزكي و نزوى على بعد بضعة أميال من أنابيب النفط .

١٥ يونيو

.. تم فى إحدى هجمات نزوى أسر تسعة من الثوار بينهم أربعة قياديين. يعرب أحدهم .

١٦ يونيو

.. حملة اعتقالات واسعة فىمطرح طالت الكثيرمن رفاقنا .لا أنباء عن يعرب .

.. ألف قتيل وجريح فى الأردن . خلال الأسابيع الثلاثة السابقة نزلت القوات الخاصة التابعة للشريف ناصر قائد الجيش وخال الملك إلى الشوارع . نصبت الكمائن لرجال المقاومة واغتالت الكثيرين منهم . ثم هاجم الجيش بالمدفعية والدبابات مناطق السكن الفلسطينية ومكاتب المنظمات ومراكز المؤن. صمد الفدائيون أسبوعا ثم طالبوا بإقالة الشريف ناصر فانصاع الملك .تم الاتفاق على وقف اطلاق النيران .

٢٠ يونيو

.. هل اعتقالات مطرح نتيجة اعترافات أدلى بها المقبوض عليهم فى نزوى؟

٢٥ يونيو

.. أوشكنا أن نصطدم فى الظلام بوحدة من رفاقنا فى طريقها من القطاعين الشرقي والأوسط إلى معسكر الثورة من أجل التدريب . ضمت ١٦ من المجندين الجدد الذين قاتلوا لمدة سنتين فى الميليشيا وجرت ترقيتهم فى الشهرالماضى إلى العضوية التامة لجيش التحرير. حكى لنا قائد الوحدة عن كمينين اشترك فيهما فاجأ فى الأول وحدة من قوات السلطان تحاول التسلل إلى المناطق المحررة . فى الثاني هاجم داورية للعدو فى طريقها من أم الجواريف إلى بئر سهلموت .

يوليو

.. يعرب حر . الوحيد الذى أفرج عنه .

..أقامت الجبهة مزرعة نموذجية . ستعقد بها دورات دراسية فى التقنية الزراعية لمجموعات من عشرين كادرا . مدة الدورة ثلاثة شهور .

.. أسقط الدفاع الجوى المصرى ست طائرات فانتوم وأخرى سكاى هوك.

اقترح روجرز على الفورالعودة إلى وقف إطلاق النار.

.. عبد الناصر يعلن قبول مشروع روجرز. دار بيننا نقاش عنيف حول هذا الموقف. الأغلبية وأنا منها اعتبرته تهادنا وارتماء فى أحضان الأمريكان . رافع قال إن من شأن وقف القتال إتاحة الفرصة لتدعيم جبهة القتال كما أنه ينص على الانسحاب الكامل والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني .

.. الإيكونومست فى ١٨يوليو : سعيد بن تيمور يمثل خطرا على أمن المنطقة واستقرارها.

.. الصحف الإيرانية تتحدث عن انقلاب وشيك فى عُمان بقيادة قائد الجيش .

١٤ يوليو

.. اجتمعت بالرفيق علي (١٩ سنة) عضووحدة رخيوت . يريد أن يتركنا . من يهرب من القتال يتعرض لعقوبة الإعدام . فلا يمكننا أن نسمح بفرصة اتصاله بالعدو . قال لي إنه يريد أن يسافر لجمع المال . قلت: نحن نسعى إلى تغيير نظام كامل وتحقيق فرص الكسب للجميع وأنت تريد أن تتركنا لتجمع بعض المال لنفسك ؟. بكي . قال إنه يحب امرأة من نفس القبيلة كانت متزوجة من رجل لا تحبه ثم وافق على تطليقها. اشترط أن يرد والدها المهر(٤٠٠ ريال) .اتفق الرجلان أخيرا على أن يرد الأب نصف المهرنقدا. وعندما فاتحه الرفيق علي فى الزواج من ابنته طلب ٤٠٠ ريال نقدا ونصف إبل وعشرين رأس ماعز. بالإضافة إلى ذلك يحتاج الى حوالي ١٣٠٠ ريال تكاليف ذبح بقرة عشية الدخلة وتقديم الأرز والشاى للمهنئين طيلة الأسبوع . وأخيرا شراء الهدايا من ثياب وعطور وكحول وشالات للعروس وأقاربها . قال أنه يستطيع تدبير كل هذا بالاستدانة ليتزوج لكن لا بد أن يسافر بعد ذلك كى يتمكن من السداد.

.. لا بد من إلغاء قانون المهر.

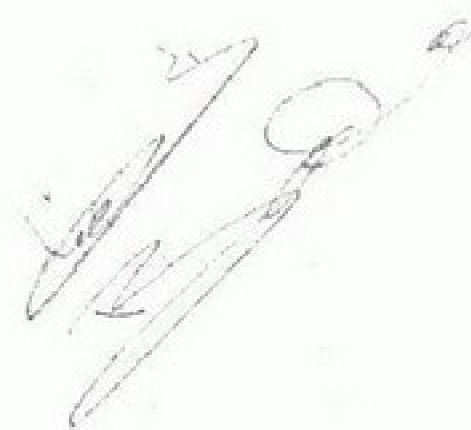
٢٣ يوليو

..أنباء متضاربة من صلالة .

٢٦ يوليو

.. سقط الطاغوت .

.. أعلن قابوس اليوم أنه استولى على السلطة من أبيه. قال بالحرف: «لاحظت في الماضي بقلق متزايد عجزأبي عن إدارة الأمور. والآن فإن أسرتي وقواتي المسلحة قد أدت قسم الولاء لي . وقد غادر السلطان السابق البلاد وسأكرس نفسي للإسراع بإنشاء حكومة حديثة».



10

مســقط

ديسمبر ١٩٩٢

ارتدى فتحي سترة خفيفة فوق قميصه الصيفي بينما بقيت أنا بالقميص والبنطلون وتخلفت شفيقة عن طقس الإشهار عند الباب لانهماكها في الصلاة .

قال وهو يدير محرك السيارة : هل سمعت عما حدث لسارة؟

قلت وأنا أثبت حزام الأمان : من هي ؟

– شغالة فيليبينية عمرها ١٦ سنة أحضرها مقاول عمال وألحقها بخدمة عجوز حاول الاعتداء عليها فقتلته . أطلقت عليه ٣٤ رصاصة .وأقر الطبيب الشرعي بحدوث الاغتصاب بطريقة وحشية. حكمت عليها المحكمة بالسجن ٧ سنوات ودفع ٤٠ ألف دولار لعائلة القتيل وأدانته في نفس الوقت وألزمت عائلته بدفع ٢٧ ألف دولار للفتاة كتعويض يتم خصمها من ال٤٠ ألف دولار.

قلت : ليس هناك شئ في الصحف .

قال ونحن نخرج الى طريق الكورنيش ونتجه الى مسقط :

– الصحف لا تنشر هذه الأنباء . مئات الفليبينيات يهربن كل يوم من أماكن عملهن ويلجأن الى سفاراتهن ويتم ترحيلهن . جئن هربا من الفقر وتجنبا للعمل في الدعارة فوقعن في العبودية . كالمستجير من الرمضاء بالنار. بالمناسبة ما هي الرمضاء ؟

حاولت أن أتذكر بلا جدوى .

بلغنا منطقة منعزلة تطل على البحر مباشرة أقيم فيها فندق أشبه بالحصن . تركنا السيارة وصعدنا سلما لم يلبث أن انقسم إلى جانبين . ارتقينا الجانب الأيمن وولجنا بابا في نهايته . كان ثمة حاجز خشبي مؤلف من مربعات فارغة بدت منها قاعة طويلة صفت بها الموائد .

قادنا نادل هندي الى مائدة في طرف القاعة تتوسطها زجاجة ويسكي ويتصدرها رجل متوسط الطول، ممتلئ الجسم، يرتدي الملابس التقليدية والى جواره سالم .

نهض الاثنان لتحيتنا ومد الفندي يده لمصافحتي . كانت له بشرة بيضاء ولحية خفيفة تخللها الشيب .قال وهو يتفحصني بإمعان:

– مرحبا بك . نوّرت عمان.

صافحت سالم وجلست في جانب المائدة الي جوار المضيف وجلس فتحي في الجانب المقابل .تولت خدمتنا فتيات شرقآسيويات يرتدين ملابس أوروبية تغطي أجسادهن تماما ويتحركن في حذر ورهبة . ولحظت أن المطعم شبه خال. فلم يكن به بالإضافة الي مجموعتنا سوى مجموعة أخرى من ثلاثة شبان عمانيين يحتسون البيرة وزوجين أوروبيين في ركن قصي .

خاطبني الفندي بابتسامة حرت في تفسيرها:

– أرجو ألا تكون قد انزعجت لما حدث في نزوى؟ فتحي أكد لي أنك لم تصب بأذى.

لم ينتظر إجابتي وأشار الي النادل كي يصب لنا الويسكي. اعتذر فتحي عن الشراب بسبب القيادة مكتفيا بمياه بيريه. تبادلنا الأنخاب ثم وضع الفندي كأسه على المائدة ووجه الي السؤال التقليدي:

– كيف الأحوال في مصر ؟

لفظت الإجابة التقليدية : ماشي الحال.

سألني : هل صحيح أن ليلى علوي ستتزوج؟

ضحكت : لا أعرف. لم أنتبه للأمر.

قال : نحن هنا نعرف عنكم كل شيء. وقراء صحفنا يهتمون بأخبار الممثلات المصريات. هل تعرف ماذا حدث في مجلس الشورى عندنا منذ شهور؟ احتج عدد من الأعضاء من الشيوخ المتزمتين على أن الصحيفة اليومية التي تصدرها وزارة الإعلام تنشر صور الممثلات والفنانات إلى جوارصورهم . تعرف ماذا كان رد الوزير عليهم ؟ قال لهم : من الغد لن ننشر صور الشيوخ الأفاضل بناء على طلبكم .

انفجر ضاحكا وشاركناه فاستطرد :

– هل رأيت صحفنا ؟ ليس عندكم في مصرصحف ملونة بعد . أما نحن فالصفحات ملونة من مدة . هل لاحظت شيئا عند قراءتها ؟

تناول صحيفة ملقاة فوق المائدة وقدمها الي . أمسكت الصحيفة وبسطتها ثم قلبت صفحاتها الملونة وهو يتأملني باسما.

قال مبتسما : انظر الي أصابعك .

رفعت يدي الي أعلى وأدرتهما وأنا أتأمل أصابعهما.

قال : ألم تلحظ أنها نظيفة ؟

تبينت على الفور مايقصده . فلم تتلوث أصابعي من حبر الطباعة كما يحدث عادة بعد تصفح الجرائد والمجلات.

شرح لي : اشتكى سيدنا من تلوث يديه بعد قراءة الصحف فاستحضرت الوزارة آلة خاصة غالية الثمن لكن النتيجة تستحق كما ترى .

لم يتعسر على ادراك هوية السيد المقصود فأطريت الإنجاز الحضاري.

وزع علينا النادل الهندي قائمة الطعام التي جاءت في مجلد سميك أشبه بالكتاب . وقلبت صفحات المجلد في عدم تركيز وأنا أتابع انضمام اثنين من الشبان إلى الجالسين الثلاثة. كانوا جميعا في الملابس التقليدية التي تراوحت ألوانها بين الأبيض الأشهب والرمادي. وزودتهم الفتيات بزجاجتي نبيذ.

عاد النادل إلينا فطلبت كوكتيل روبيان وحساء البصل الفرنسي وكنت على وشك أن أطلب روبيان مشوى عندما أصرالفندي على أن يطلب لنا جميعا اللوبستر .

سألني :

– كيف وجدت عُمان ؟

انتقيت كلماتي في عناية وأنا أصف له انطباعاتي عن نظافة مسقط بالمقارنة مع القاهرة وعن نظام المرور .

أمن على ملاحظاتي وأضاف:

– مشاكلنا كثيرة . أهمها أن عملية التحديث التي يقوم بها سيدنا السلطان تسير بسرعة أكبرمما يحتمل مجتمع ما زال أسيرا للمعتقدات والعادات القديمة . هل رأيت أصحاب اللحى ؟ رد فعل طبيعي.

رفعت عيني الي مستنسخات الخرائط القديمة لساحل عُمان التي زينت الجدران في اطارات خشبية .

استطرد: نحن دولة حديثة بكل معنى . هل تعرف اننا لم نضع بعد نظاما للتقاعد ؟

حدق في منتظرا استفساري عن السبب ففعلت .

بسط ساعديه وقال بلهجة من يملك حل اللغز: لأنه لا يوجد بين الموظفين من بلغ سن التقاعد.

رفع كأسه الى شفتيه ثم أعاده قبل أن يحتسي محتوياته وقال: المشكلة أن عدد السكان قليل والإمكانات ضعيفة.

قلت : يمكننا أن نبعث اليك بمليون مصري .

تجهم وجهه ورفع الكأس الى شفتيه متشاغلا بالشراب فتدخل سالم في الحديث :

– نحن الآن ندخل عصرالجامعة بسرعة . في العام الماضي تخرجت أول دفعة من جامعة قابوس . في الوقت الذي لا نملك فيه عددا كافيا من أصحاب الثقافات الوسطى التي نحتاج إليها في هذه المرحلة ...

قاطعه الفندى في حدة : العماني يأنف من الأعمال اليدوية وحلم الشاب منهم أن يحصل على شهادة جامعية ليجلس إلى مكتب في وظيفة حكومية .

ارتفعت أصوات النقاش الحاد من المائدة الأخرى فلوى الفندى شفتيه ازدراء وقال:

– شعراء .

وأضاف مخفضا صوته: الذي يجلس في المواجهة لا مهنة له لكنه ينشر بعض القصص والمقالات بين الحين والآخر ويعتبر نفسه مثقفا كبيرا. والصبي الذي إلى جانبه شاعر. والملتحي شاعرآخر. ويليه أردني يتولى تدريس الأدب في الجامعة .والذي في الطرف واحد من التعساء الذين خدعتهم الشيوعية وحصل على دكتوراه ما من إحدى جامعاتهم . وهو شاعر أيضا . كل العمانيين شعراء إلى أن يثبت العكس .

لم أتمالك من الالتفات الى سالم لكن وجهه ظل كعادته من غير تعبير .

أشار الفندى للنادل كي يصب لنا جولة أخرى من الويسكي واستطرد :

– ستجدهم هنا كل ليلة. وهم لا يكتفون بالشراب ونظم الشعر فينتقدون ويتذمرون ويشكون ولا يعجبهم العجب .

والظاهر أن الشاعر الملتحي أفرط في الشراب أو أراد أن يؤكد مقولة مضيفنا، فقد نهض فجأة واقفا ووجه كلاما لاذعا في حدة بالغة إلى المثقف الكبيرالذي لا مهنة له وهو يشيرإلى طبق به حبات من الخيار.

تدخل الآخرون لتهدئته لكنه أشاح بيده وأعلن أنه سينصرف . و قبل أن يبتعد صاح وهو يلوح بيده شاملا إياهم جميعا :

– أنتم لا تجيدون غير الكلام والخنوع .. كلكم .. كلكم ..

ران الصمت علي المطعم والتفت الأوروبيان في فضول ثم استأنفا حديثهما . ورأيت النادل الهندى يقف على مبعدة بوجه أصم. وكالعادة لم يكشف وجه سالم عن شيء. أما الفندى فقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة.

قال: لا أعرف ماذا يريدون .اننا نتقدم بخطوات واسعة في مجال الديموقراطية .في الشهر الماضي السلطان أعطى لمجلس الشورى صلاحيات واسعة في مجال التشريع والرقابة. وبالفعل قدم أعضاؤه استجوابا لوزير الاعلام عن أسباب إعاقة استقبال البث التليفزيوني من بقية الدول الخليجية.

سألت : وماذا كان رده ؟

– قال لهم إن مهمته هي دعم الارسال العُماني ولا شأن له بارسال الدول الأخرى.

انفجر ضاحكا وهو يضيف : وزير دبلوماسي تمام.

انصرف الشاب في اندفاع ولم يلبث أصدقاؤه أن استأنفوا الحديث في هدوء. ووجه الفندى حديثه الي مستفسرا : هل ذهبت إلى مكان آخر غيرنزوى والحمراء؟

أجبته بالنفي فقال :

– لابد أن تذهب إلى الجنوب . ظفار .انها جنة على الأرض . جبال هائلة الارتفاع تغطيها الغابات وعيون الماء ودرجة حرارتها معتدلة طول السنة . هل يوجد مكان مثل هذا على ظهر الأرض ؟ لابد أن تراها . إنها منطقة الأحقاف التي جاءت في القرآن . وبها قبور الأنبياء هود وأيوب وصالح . كما إنها المنطقة التي عاش بها قوم عاد وثمود . أعرف أن هذه أمورلا تهمك (وابتسم في خبث) لكن لا بأس من معرفتها .

قلت بلهجة عادية : ألم تكن بها ثورة منذ سنوات ؟

تغيرت ملامح وجهه وأشاح بيده في حسم :

– مجرد عبث أطفال من عملاء الشيوعية .الأمن الآن مستتب هناك تماما كما سترى بنفسك . اسمع . سأدبر لك الزيارة . سيذهب معك سالم أو زكريا.

– لا داعي . يمكنني أن أذهب بنفسي .

قال : لا بد من ان تحصل على تصريح سواء ذهبت بالبر أو الجو.

رأيت النادل يضع زجاجتين من النبيذ فوق مائدة الشعراء . ولمحت المثقف الكبير يضع ذراعه على كتف جاره الشاب ويتحسس خده بأنامله . لم يستجب هذا للمداعبة وأبعد ذراع رفيقه ثم تناول إحدى الزجاجتين وصب محتوياتها خلسة في علبة بيرة فارغة دسها في جيب دشداشته .

سألني الفندي : ماهي آخر نكتة في مصر ؟

رويت له نكتة توزيع الميزانية فضحك بشدة ثم قال:

–اسمع هذه النكتة عن العراقيين . داهم جنودهم بيتا في الكويت ونهبوه وبينما هم في طريقهم للخارج سألتهم سيدة البيت متعجبة : هادا بس ..وين الأغتصاب ؟

ضحكنا فاستطرد : أثناء التدريب سأل ضابط عراقي جنديا : لوجاءك العدو من الأمام تعمل ايه ؟ قال أضربه بالبندجة . طب لوجاءك من الجنب ؟ قال أضربه بالبندجة . واذا جاء من الخلف ؟ قال الجندي : هادا ما عدو .هادا صديق.

استقر صحن اللوبستر أمامي فتأملته طويلا. لم أكن على دراية بطريقة التعامل معه .انتظرت حتى رأيت الفندي يهاجمه بملعقة فحذوت حذوه.

لحظت أن محتويات زجاجة النبيذ الثانية على مائدة الشعراء انتقلت إلى علب البيرة. ولم أرهم يأكلون شيئا. وكنا نشرب القهوة عندما سمعت النادل الهندي يبلغهم بأن موعد الإغلاق حان فنهضوا متثاقلين. ورأيت بقعة حمراء كبيرة على ثياب الشاب الذي وضع علبة النبيذ في جيبه.

غادرنا المطعم بعد قليل. ولاحظت أن مضيفنا لم يدفع شيئا أو يوقع فاتورة ما.

ووجدنا الشعراء بجوار الصخور المطلة على البحر ومعهم زميلهم الملتحي الذي انصرف ثائرا قبلهم.

كان ما زال يغمغم في غضب . وعندما اقتربنا منهم التفت ناحيتي وبصق فوق الأرض.

تجاهلنا جميعا الأمر وصافحني الفندي مودعا وهو يقول :

– أنت تعرف أين تجدني إذا قررت الذهاب إلى الجنوب .

اتجه الى سيارته برفقة سالم وتبعت فتحي إلى سيارته.

قال وهو يربط حزام الأمان:

– لا بد أن تذهب . هذه فرصة.

خطر لي فجأة أن كل من ألقاه يلح على ذهابي إلى ظفار. وكنت متأكدا أن شفيقة ستحثني هي الأخرى على السفر كي تتخلص من وجودي بعض الوقت.

١١

صلالــة

ديسمبر٩٢

١ * *

وصلنا المطار بعد أن اكتمل صعود الركاب الى الطائرة . وقال لنا أحد العسكريين:

– الطائرة أغلقت أبوابها وستقلع بعد نصف ساعة.

احتج زكريا بأن لدينا مواعيد في صلالة.

قال العسكري بحزم : تعالوافي الواحدة لطائرة بعد الظهر.

جرب زكريا كل أنواع التبريرات والتوسلات التي نعرفها في مصر. وعلم الرجل أني مندوب فوق العادة لوكالة الأنباء المصرية وأني صديق شخصي للوزير، وأني وأني . وتحداه زكريا أن يتصل مباشرة بوزارة الإعلام ليتثبت من مزاعمه. وعندما بدت عليه ملامح التردد عرفت أننا سنكسب الجولة.

طلبوا منا بعد قليل الذهاب إلى جناح الفي أي بي. استقبلنا قائد عسكري عند المدخل وبرفقته جندية سمراء في بلوزة رمادية وجوبة سوداء طويلة وغطاء رأس رمادي . طلب الينا أن ننتظر قليلا في قاعة مجاورة فاتجهنا اليها فوق سجادة حمراء. وبعد قليل انضم الينا رجل وامرأة في الملابس الأوروبية وحدست أنهما عربيان . ظهر القائد بعد لحظة عند المدخل وأبلغهما أنه لا بد من التفريق بينهما اذ يتعين أن تذهب المرأة الى القاعة المخصصة للنساء .

احتج الرجل الذي تبينت من لهجته أنه لبناني بأن المرأة زوجته.

قال القائد في حرج : ولو . هذه هي الأوامر.

استنكر زكريا إصرار الرجل على بقاء زوجته معنا وهمس لي وهو يتأمل حقيبة يدي:

– اللبنانيون ليست لديهم نخوة.

انفصل الزوجان ومرت دقائق ثم ظهر القائد من جديد وأشارلنا أن نتبعه . غادرنا المبنى الى أرض المطار وتقدمنا من طائرة دى سى . كانت الى جوارها سيارة مرسيدس سوداء هبط من مقعدها الخلفى رجل مهيب يرتدى الدشداشة البيضاء والخنجر والصندل والكمة. صافح اللبنانيين وانتظرحتى صعدا سلم الطائرة وأنا وزكريا في أعقابهما ثم استقل سيارته وانصرف .

أغلقت أبواب الطائرة بمجرد صعودنا اليها وأجلسنا المضيفون الأسيويون أمام جدار يفصلنا عن كابينة القيادة مباشرة. تطلعت خلفى إلى الركاب الذين تكدسوا في صفوف متلاصقة. كان البعض يرتدى سترات أوروبية فوق الدشداشة الوطنية. وأغلبهم ينوؤن بأحمال متنوعة من السلال واللفائف.

مسح زكريا دموعه وقال ونحن نربط الأحزمة:

– قبل الثورة كان السفر من مسقط الى ظفار يتم فوق ظهور الدواب ويستغرق ١٨ يوما .

تساءلت في سذاجة : أى ثورة ؟

ابتسم ابتسامته الغريبة وقال : ثورة سيدى قابوس طبعا .

انطلقت الطائرة فوق الممر المخصص لها استعدادا للإقلاع فشرع يحرك شفتيه بسرعة ثم أخرج من جيب دشداشته مصحفا صغير الحجم قلب صفحاته حتى استقر على إحداها وانطلق يقرأبصوت منخفض. قدرت أنه يقرأسورة يس إذ كان أبى يشيد بفعاليتها في الملمات.

حلقت الطائرة أخيرا وبعد أن استقرت في مسارها بعض الوقت أغلق المصحف وأعاده الى جيبه .

قلت في محاولة للتواصل : ما زلت لا أصدق أنى أرتدى قميصا صيفيا في نهاية ديسمبر .

قال :

– هل لاحظت أن ترتيب الفصول عندنا يختلف عنه عندكم ؟ نحن الآن في نهاية فصل الربيع سيعقبه بعد أيام فصل الشتاء حتى مارس ليبدأ الصيف مباشرة وبعده الخريف .

سألته عن موطنه الأصلى . قال إنه من صحار التى تعلومسقط.

– وأين درست ؟

– في البحرين . ثم باكستان .

بدا عازفا عن الحديث إذ أخرج مصحفه وانتقى صفحة مطوية الطرف واستغرق في القراءة بصوت هامس يعلو بين الحين والآخر.

وصلنا صلالة بعد ساعة ونصف . وجدنا فى انتظارنا سيارة لاندروفر حكومية أقلتنافى طريق تحف به الأراضى الخلاء والقصور المسورة الغامضة . سرنا طويلا بجوار سورمرتفع لا يكشف عما وراءه . كان أعلاه مزخرفا بنسق هرمى يتدرج صعودا إلى قمة بارزة ثم يهبط من جديد بنفس عدد الدرجات .

استفسر زكريا من السائق عن المكان فقال إنه قصر لأحد الوزراء . مضت برهة وعندما لم نستزده انطلق يتحدث من نفسه عن القصر. وعلمنا أنه اعجوبة من الداخل وعمل به أكثرمن ستين قاطع رخام وحجّار . وبه نجف مستوود من مصر وحمامات كاملة مستوردة من انجلترا وتكييف مركزى . وأن الأبواب الداخلية حفرت عليها نقوش دقيقة تولاها فنيون مخصوصون من الهند.

اخترقنا دوارا رئيسيا واتجهنا يسارا . مررنا بقصرالسلطان وبعدة بيوت قديمة مبنية بالطوب اللبنى المغطى بالجص ويتألف بعضها من عدة طوابق اختفت نوافذها المقوسة خلف ستائر خشبية على طريقة المشربية . ولحظت أثر العمارة الهندية فى المصاريع الخشبية المحفورة بإتقان والمثبتة إمافى الطرف الأسفل من النافذة أو فى وسطها . وتجلى التأثير الأفريقى فى الألوان الحمراء والصفراء الساطعة التى ميزت بعض المصاريع .

صحبتنا صفوف من أشجار جوز الهند حتى بلغنا فندق الهوليداى إن على شاطئ المحيط الهندى .

علق زكريا على الكرات الحديدية الضخمة البيضاوية الشكل التى زينت مدخل الفندق قائلا:

– إنها أحجار من الجبل تشكلها الرياح .

حمل فتى هندى حقائبنا واحتفظت بحقيبة يدى معلقة فى كتفى. تناولنا فناجين القهوة المعهودة فى المدخل ثم اتجهنا الى مكتب الاستقبال .وكدت أعتقد أننا النزيلان الوحيدان إذ كان الهدوء شاملا ولوحة المفاتيح حاشدة.

أعطاني زكريا بطاقة الطائرة الخاصة بي فدسستها في حقيبة يدي ووضعتها فوق سطح المكتب . ثم أخرجت منها جوازي وسجلت بياناته في أوراق الفندق.

قال لي زكريا وهو يبتسم ابتسامته العجيبة :

– المكالمة التليفونية هنا تكلف خمسة ريالات .

يحذرني من استخدام التليفون أم يتعمدإهانتي ؟

حصلنا على مفاتيحنا من موظف هندي، وانحنيت لأحمل حقيبتي الكبيرة فمد زكريا يده الى حقيبة يدي ليحملها عني. جذبتها بعيدا عن يده وأسرع الفتى الهندي فحمل الحقيبة الكبيرة الى المصعد وتبعته الى غرفتي بالطابق الأول.

ألقيت بحقيبة يدي فوق الفراش بعد انصراف الفتى وأجلت البصر حولي. كانت الغرفة رحبة يتكون جدارها المواجه للباب من نافذة عريضة وشرفة تطل على حديقة الفندق. وشغل الفراش مساحة كبيرة وسط الغرفة بجوارمقعد ثقيل بمسندين ومكتب . تفقدت الحمام المجاور لباب الغرفة وعدت الى وسطها. أجلت البصر حولي مرة أخرى وتأملت جهاز التليفزيون المواجه للفراش ثم تقدمت من المقعد وأزحته. استخرجت الكيس الذي يضم اليوميات من حقيبة يدي ورفعت حافة السجادة ثم دسسته أسفلها وبسطت السجادة وأعدت المقعد مكانه.

كان حلا ساذجا لن يصمد أمام محترف مسلح بالوسائل التكنولوجية لكنه قد يفيد مع خادم فضولي.

اغتسلت واستبدلت قميصي وغادرت الغرفة. هبطت الدرج الى ممر هادئ؛ ثم مضيت مسافة بجوارالمطعم الى البهوحيث ينتظرني زكريا.

ابتدرني قائلا : لابد أنك عطشان.

لمحت قاعة تدعى «الخريف كوكتيل لونج» وتخيلت زجاجة بيرة مثلجة . لكنه قادني إلى قاعة أخرى تعلن لافتتها عن «الخريف كوفي شوب». وأحضر لنا النادل الهندي ثمرتين من جوزالهند . أزال قشرتهما الخارجية بسكين طويلة وأحدث في كل منهما ثقبا دفع فيه بأنبوبة ماصة من البلاستيك الملون. استطعمت مذاق ماء الثمرة البارد.

علق : الظفاريون يزعمون أن من يشرب ماء جوز الهند مرة يعود إلى صلالة مرة ومرة .

قلت إننا نقول نفس الشئ عن ماء النيل.

أتيت على محتويات الثمرة و احتفظت بها بين يدي و تطلعت الى لحمها الأبيض حائرا. سألته عما أفعله بها . فقال : لا شئ. ارمها.

أعدتها الى الصينية وأنا أتأمل لحمها الأبيض باشفاق متذكرا طعمه اللذيذ.

غادرنا الفندق وانطلق بنا السائق في طريق مواز للبحر يحمل اسم السلطان قابوس حتى مقر والى المدينة . ولجنا غرفة مخصصة لإدارة العلاقات العامة بها مكتبان يجلس خلفهما شابان بالملابس التقليدية . كان أحدهما أسود اللون والثاني طويل القامة نحيفها مكتئب الوجه يدعى خلف. ورحبا برفيقي عن معرفة قديمة.

أخذنا خلف في جولة بالسيارة شهدنا خلالها مدينة متكاملة واسعة بمنازل متعددة الطوابق ومعارض سيارات ومطاعم وثلاث دورللسينما ومستشفى يحمل اسم قابوس ومدرسة داخلية ابتدائية تحمل اسمه أيضا.

قال خلف: هذه المدرسة مخصصة لأبناء الشهداء ، ويأخذ التلاميذ مصروفا شهريا أثناء الدراسة .

انتبهت بعد قليل : أي شهداء ؟

قال : شهداء المعارك التي دارت هنا في ظفار.

لم يكن من العسير تحديد الجانب الذي استفاد شهداؤه من المدرسة.

مررنا بمبنى الأذاعة والتليفزيون وبمصنع لتعليب الأسماك وآخر للأسمنت. وذكر خلف أن هناك مصانع أخرى لتعبئة الموز واللبن وبيبسي كولا وسفن أب.

موّن السائق السيارة من محطة خدمة تابعة لشركة شل ثم أخذنا الى السوق المركزي. ترجلنا في الخارج وطفنا بأنحائه. توقفت أمام منتجات جوز الهند ومشغولات الرعاة من أهل الجبل. وكان هؤلاء يتجولون شبه عراة كاشفين عن أجساد شديدة السمرة وعضلات بارزة ورؤوس ذات شعر كث شديد السواد.

طلب زكريا أن نرى آثار ناقة النبي صالح فغادرنا السوق وقادنا السائق إلى صخرة صلدة تحمل أثرا واضحا لخف غائر وأصابع مفلطحة.

قال خلف : كانت هذه الصخرة سقفا لإحدى المغارات ثم سقطت عندما سارت عليها الناقة .

سألت : متى كان هذا ؟

قال زكريا : في زمن الأنبياء.

حاولت أن أتذكر ما يميز النبي صالح بين رفاقه. استفسرت من زكريا فقال :

– انه النبي الذى عجز عن هداية قومه .

جذبني من ذراعي وابتعدنا قليلا وأضاف بصوت هامس :

– خلف من الشحرة وهم ينحدرون من نسل القبيلة التي عقرت ناقة النبي صالح. كانت تزود الناس باللبن والعسل والنبيذ وعندما عقروها عاقبهم الله بإرسال جحافل النحل عليهم فالتهمتهم . هم الآن في منزلة الخدم .

انضممنا الى خلف وركبنا السيارة التى اتجهت غربا. تجلت لنا مساحات خضراء شاسعة تتخللها شجيرات متناثرة . ولاحت من بعيد بضع غنمات وجمل يسير وحده فى بطء .

بدأ الطريق يصعد ولم تلبث السيارة أن انحرفت إلى أجمة مليئة بالأغصان . توقفت الى جوار شجرة تتفرع أغصانها رأسا فوق سطح الأرض وترتفع حوالى ثلاثة أمتار بأوراق خضراء داكنة تشبه أوراق شجرة الزيتون. هبطنا من السيارة وأخرج السائق مطواة أزال بها جزءا من اللحاء. ولم تلبث المنطقة العارية أن بدأت فى إفراز سائل مثل اللبن.

قال : لو تركناها هكذا ستستمر في الإفراز وبعد أسبوع تكون لدينا كرية صغيرة من اللُبان.

تنافس الثلاثة فى تثقيفى بحضارة اللُبان. فعلمت أن المصريين القدماء استخدموه في التحنيط وكان له طريق برى يمتد حتى سواحل البحر الأبيض وآخر بحرى حتى أطراف آسيا. وكان بخورا مقدسا فى المعابد والكنائس ولا زال يستخدم فى البيوت لطرد الأرواح الشريرة والحشرات السامة.

قادنا خلف الى خيمة كبيرة الحجم على بعد خطوات جلس فى مدخلها رجل أسمر خمسيني بلحية خفيفة وعينين تبرقان دهاء. رحب بنا عندما رأى خلف وإن لم يبد اشارة الى أنه يعرفه.

أشار لنا خلف أن نقتعد الحصيرة التايوانية الملونة التى جلس الرجل فوق

طرفها محتضنا راديو ترانزستور. تأملنى بامعان ولمعت عيناه المكحولة عندما ذكر له خلف أنى مصرى . قام على الفور الى ناقة بركت على مقربة وملأ قصعة معدنية من لبنها ثم قدمها اليّ. تأملت القصعة التى علتها الرغاوى مترددا لكن خلف شجعنى على الشرب ففعلت .

قال الرجل موجها الحديث لى : اشرب . تحيا القومية العربية .

بدا الشعار غريبا فلم يسمعه أحد من مدة طويلة . ونظر الرجل الى خلف نظرة سريعة ثم استطرد موجها الحديث لى وهو يبتسم ابتسامة عريضة:

– صوت العرب من المحيط الى الخليج يناديكم.

أبديت دهشتى فعلق :

– أى نعم . نحن نعرف كل شيء. جونسون حمار ونيكسون زعيم الامبريالية وجمال عبد الناصر بطل العروبة.

تعجبت من جرأته فهذه العبارات التى كانت مألوفة فى الستينيات كفيلة اليوم – فى كل مكان تقريبا من المحيط الى الخليج – بأن تقود صاحبها الى السجن.

لم يعلق خلف أو زكريا بشيء بعد أن تركنا الرجل. ولاحظت أن خيمته تقع فى بداية الطريق الى الجبل. فهل وضع هنا عن عمد ليكون فى استقبال الزوار ويقدم لهم الدليل الحى على سماحة النظام أم هو ملتاث يعيش على الذكرى ولم يسمع حتى بكارتر أو بوش ؟

عدنا إلى السيارة و واصلنا الصعود فى طريق وعر. ولاحظت تدرج الألوان فى أغصان الأشجار: اللون الأخضر عند القواعد يليه اللونان الأصفر والبرتقالى فى الوسط ثم البنى الداكن فى أوراق الأغصان العليا . وفى القمة تبدو الأغصان عارية من الأوراق التى تجمعت على الأرض حول الشجرة. كأنما جمعت الشجرة فى غصونها كل فصول السنة الأربعة.

ولجنا ساحة ممهدة يتوسطها مبنى حديث عبارة عن مطعم سياحى يحمل اسم النبى أيوب. تناولنا الغذاء على حساب التراث ولهذا لم يعبأ أحدنا بالأسعار الباهظة. ركزنا أنا وخلف والسائق على السالمون الاسكتلندى المدخن والروبيان المشوى والمقلى واكتفى زكريا بطبق غريب من قطع الدجاج مع الأناناس والأرز.

مضينا بعد الغذاء مشيا على الأقدام الي ضريح النبي أيوب الذى شيد على شكل مستطيل طليت جدرانه باللونين الأبيض والأخضر . خلعنا الأحذية ودخلنا قاعة فرشت بالسجاد وعلقت الآيات القرآنية بجدرانها وتوسطها جسد عملاق مغطى بقماش أخضر اللون. كان طوله ستة أمتارتقريبا ويكاد يملأ المكان مخلفا مساحات ضيقة في الجوانب امتلأت بخزانات صغيرة للكتب ومساند شرقية وحمالات خشبية للقراءة.

تطلعت في فضول الي الجسد الأسطوري المسجّى . وعلق خلف على ما دار برأسي من تساؤلات قائلا:

– كان هناك فى القديم عمالقة.

– بهذه الأحجام؟

– انتظر حتى أريك قبرالنبى عمران الذى يبلغ طوله أكثر من ثلاثين مترا بالتمام والكمال . تعرف قصة النبى أيوب بالطبع؟

كنت أعرفها بالتأكيد فقد لقنونا إياها في الصغر. لكن التفاصيل ضاعت فى زحمة قصص أخرى . ومضت برهة قبل أن أمسك ببعض الخيوط: بدأ الأمر بصاعقة أحرقت مخازن الغلال والأشجارومزارع الكروم. وتبعها زلزال ثم ريح عاتية حملت الطاعون الذى قضى على الماشية. وأصيب النبى فانتشرت القروح فوق جسده وتقيحت وامتلأت بالدود فنفرمنه الجميع: زوجته وأقاربه وأصحابه. لكنه صبر على ما أصابه ولم يفقد إيمانه لحظة واحدة.

لم يسبق أن تمعنت القصة أوفكرت فى مصداقيتها. ولم أملك أن أتساءل الآن: هل هو حقا المسجّى أمامى ؟ وهل تعرض حقا لكل هذا العذاب؟ وهل آمن فعلا كل هذا الإيمان؟ وهل يجعل منه هذا انسانا أفضل؟

قال خلف ونحن نستديرنحوالباب :

– المتزوجون حديثا يأتون دائما إلى هنا.

المكان الملائم لبدء المسيرة.

انحنيت لأرتدى حذائى ولمحت رجلا شديد السمرة يجلس مطأطئ الرأس أمام المسجد المجاور. كانت القروح والندوب تغطى صدره العارى .

ركبنا السيارة ومضينا صعدا في الطريق المرصوف . امتدت الخضرة أمامنا

إلى مالا نهاية يخيم عليها الصمت . ولاحت من بعيد مجموعة من البيوت تتحرك حولها أبقار. وهنا وهناك انتصبت خيام متباعدة من ألوان مختلفة.

قال خلف بصوت رتيب مجرد من الحياة :

– حتى الثمانينيات كانت هذه الأراضي تزرع على أيدى الفلاحين، ومع انتشار الحياة المدنية وارتفاع الرواتب التى تدفعها الحكومة ، هجرالفلاحون الوادى وتركوه للأعشاب البرية وقطعان الماشية، والقادر منهم استأجر هنودا لزراعتها بل وللرعي أيضا.

اقتربنا من انحناءة حادة فى الطريق ولم يغير السائق من سرعته لكنه ما لبث أن ضغط بقوة على الفرامل و أطلق صيحة استياء . فقد ظهرت أمامنا شاحنة بيك آب تتبع قطيعا من الأبل يتقدم على مهل فى عرض الطريق.

تبعنا القطيع فى بطء حتى بدأ يستدير الى طريق جانبى وسط الخضرة وتبعته الشاحنة.

دبت الحياة في سائقنا و ضغط على المسرع وهو ينقل السرعة واندفع مواصلا الصعود. أبديت دهشتي من احتكار القطيع والشاحنة للطريق. وعلق خلف:

– التفاهم مع رعاة الجبل صعب.

تساءلت: أين هم ؟

قال وهو يبتسم لأول مرة : آه . كنت تتوقع راعيا يحمل عصا ويمشى على قدميه؟ لم يعد هذا الصنف موجودا. الرعاة الآن يستخدمون الشيفروليه والتويوتا.

لاحت لنا خيمة كبيرة فوق إحدى القمم فاتجهنا اليها . وجدتها مكدسة بأكياس الأرز والدقيق والسكر وصناديق الشاى والصابون وصفائح السمن وغيرها. وعرفت من صاحب الخيمة الباكستانى أن طائرات الهليكوبتر الحكومية تنقل له هذه المواد من صلالة ليبيعها لأهل الجبل بنفس أسعار المدينة.

خطوت جانبا وأخذت اتأمل الطبيعة الغنية من حولى . ولمحت فى أعلى قمة جبلية مجاورة سورا حديث البناء ظهرخلفه رجال فى ملابس عسكرية خضراء. استفسرت من خلف فرفع رأسه الى أعلى وتطلع الى السور ثم قال:

– هذا واحد من المراكز الإدارية التى أقامتها الحكومة فوق الجبال . كل واحد يضم مسجدا ومدرسة ومكتب بريد وعيادة طبية ومركزا تجاريا.

بدا لى ما وراء السور أقرب الى الثكنة العسكرية . رمقت خلف بطرف عينى فلمحت فى عينيه المشرعتين الى أعلى شيئا من الرهبة أو الخوف.

سألته : هل يمكننا أن نصعد اليهم ؟

قال وهو يستدير متجها إلى السيارة :

– لا أظن أنهم يرحبون بالزائرين .

أضاف السائق وهو يدير السيارة في طريق العودة كأنما يعيننى على الفهم :

– هذه المنطقة كانت مشتعلة بالفتنة والتمرد.

* * ٢

نمت فى عمق لأول مرة من زمن واستيقظت مبكرا . استمتعت بحمام ساخن طويل وبمياه الدوش الدوّارفوق أماكن الألم فى عنقى وظهرى .

لم أجد رغبة فى أن أتناول إفطارى مع زكريا فطلبت خدمة الغرف . لم يرد على أحد وتنقلت بينها وبين الاستقبال عدة مرات الى أن جاءنى صوت يتحدث الانجليزية بلهجة هندية. كرراحدى العبارات إلى أن فهمت أنه يستفسرعن نوع الإفطار الذى أريده: كونتيننتال أم شرقى أم أمريكى. اخترت الشرقى الذى يتألف من الجبن الأبيض والفول المدمس واللبنة.

سألنى: شاى أم قهوة ؟

أحب أن أشرب الشاى مع الافطار ثم أتبعه بعد قليل بفنجان من القهوة. واختصارا للوقت طلبت الاثنين معا.

كرر: شاى أم قهوة ؟

قلت : شاى وقهوة .

كرر بصبر نافذ: تى أوركوفى سير؟

قلت : تى آند كوفى .

صمت برهة ثم قال: ثانك يو سير.

دق الباب بعد ربع ساعة وفتحته لشاب هندى يحمل صينية عليها عصير جريب فروت وكرواسون ومربى ودورق قهوة . قلت بالانجليزية :

– ليس هذا ما طلبته .

قال : يس سير.

قلت : خذه إذن واحضرلى الإفطار الشرقى .

قال وهو يضع الصينية عل المكتب :

– يس سير.

قدم الى الفاتورة لأوقعها كأنما لم أقل شيئا . يئست من المجادلة فاستسلمت ووقعت.

نزلت الى البهو بعد الإفطار. أعطيت موظف الاستقبال الهندى مفتاح الغرفة وانتظرت حتى أودعه مكانه فى لوحة المفاتيح. كان الصندوق الخاص بى خاليا من الرسائل. سألته عن زكريا فهز رأسه بالحركة التقليدية وقال :

– «الرفيج» فى السيارة .

هكذا أصبح الملتحى رفيقا على يد الهندى بعد سقوط الاتحاد السوفييتى.

وجدت زكريا ينتظر فى سيارة داتسون . قال وهو يمسح دموعه :

– سنذهب أولا الى المكتب لنأخذ اللاندروفر. أمامنا رحلة طويلة الى شيصور التى اكتشفوا تحتهامدينة أثرية منذ شهور. قلعة بسبعة أبراج يعود تاريخها الى ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد. إنها مدينة إرم التى جاء ذكرها فى القرآن ودفنها الله تحت الرمال عندما غلبت الشراهة والطمع أهلها نتيجة ثرائهم .

–ومن اكتشفها؟

– الأثرى البريطانى المعروف سير فينس. خدم هنا فى القوات البريطانية أثناء ثورة ظفار.

قلت : عجيبة .

قال : أليس كذلك ؟

قلت : أنا أقصد هذا السيرفينيس . وقبله موشيه دايان وآخرون. ما الذى يجذب الجنرالات الى الآثار ؟

استقبلنا خلف فى سترة أوروبية فوق دشداشته .وأبلغنا بأننا سنذهب الى منطقة أخرى لأن المنطقة الأولى أغلقت.

قال وهو يقدم الى صحيفة اليوم :

– الاكتشافات الآن على قدم وساق .السنة الماضية اكتشفنا فى جنوب ظفار آثار عمرها ٣٥ مليون سنة : أسنان وبقايا فيلة وقردة وتماسيح وأسماك وسلاحف وقوارض.

– معقول ؟ هذا يجعلها أقدم من آثارالفيوم عندنا التى تعتبرأقدم حفريات فى العالم .

ابتسم فى سعادة : طبعا . راحت عليكم كما تقولون .

ألقيت نظرة على الصحيفة فوجدت النصف الأعلى لصفحتها الأولى مخصصا لمؤتمر قمة مجلس التعاون لدول الخليج تحت عناوين ترحب بالإدارة الأمريكية الجديدة وتشيد بدور بوش فى تحرير الكويت. كانت هناك صورة ملونة للسلطان بلحيته البيضاء المميزة فى مقعد ضخم مذهب وأمامه العلم بألوانه الأزرق والأبيض والأحمر، وتجلى فى صورة أخرى بعباءة زرقاء مذهبة الحواشى كشفت الخنجرالفضى فى جانبه الأيمن والى جواره أمير بوجه ثعلبى وآخر قصير القامة علق خنجره الذهبى فى منتصف البطن تحت السرة مباشرة .

تمعنت فى عينى السلطان اللتين أوحت نظرتهما بالجدية والصرامة .قلبت الصفحة فطالعتنى صورة ثالثة له مع رجل ممتلئ فى عباءة تكشف عن الخنجر ونظارة سوداء عريضة بين حاجبين ناصعى البياض وشارب من نفس درجة اللون. بدا لى الوجه مألوفا لكنى لم أتذكر أين رأيته من قبل .وكان الاسم المذكورأسفل الصورة هو «الحارث بن عيشة».

تذكرت إشارة فى موسوعة السلطان قابوس للأسماء التى تنتسب الى الأم. وأوضح لى خلف أنها عادة قاصرة على بدو الصحراء.

قلت : لعلها كل ما تبقى من أيام السلطة المطلقة للمرأة.

انتهزت الفرصة وأضفت : ألا يوجد هنا نشاط نسائى؟ سمعت عن جمعية للمرأة .

قال خلف بصوته المجرد من الحياة :

– عندنا فى مرباط مركز للتأهيل النسوى أنشأته السيدة الجليلة أم السلطان . إذا أحببت تأخذك لزيارته .

صحبنا زميله الأسود هذه المرة وانطلقت بنا السيارة إلى شارع قابوس ثم اتجهت يمينا نحو المحيط . وبعد فترة أقبلنا على خليج صخرى مهجور، تتوسطه أطلال مندثرة تمتد حوالى نصف كيلومتر، وتتألف من أحجاربناء أكسبها الزمن لونا كابيا كئيبا .

قال بلال : هذه المنطقة تسمى «البليد» باللهجة الجبالية ومعناها بالعربية البلد. كانت ميناء زارها ماركو بولو فى ١٢٩٥ ، وابن بطوطة بعده بثلاثين سنة . رحمه الله فقد وصفها بأقذر مكان فى العالم وقال إن البعوض يغطيها وأبدى دهشته من أن الحيوانات تتغذى على السردين .

كان الجزء الشرقى من المنطقة مشيدا على شكل مربع يضم مسجدا كبيرا بأعمدة مستديرة وخماسيتها قواعد وتيجان منقوشة بآيات قرآنية.

أرانا بلال أساسات مبنى الجمارك القديم وقال:

–كانت الرياح التى تهب من الشمال الشرقى فى هذا الشهر تحمل سفن التمر واللبان إلى شواطئ أفريقيا . ثم تعود مرة أخرى مع الرياح الجنوبية الغربية فى أبريل محملة بالعاج والعسل وأصداف السلاحف التى تصنع منها مقابض الخناجر.

هل جاءت أيضا بأسلافه مكبلين ؟

كانت الشمس حارة وشعرت بالإرهاق فأبديت رغبتى فى العودة. نزلت وحدى عند الفندق إذ أراد زكريا الذهاب الى المدينة . تأكدت من أن أحدا لم يترك لى رسائل وصعدت الى غرفتى . اغتسلت ونزلت الى المطعم الخالى إلا من أسرة أوروبية. طلبت عدة سلطات شرقية وشيش كباب وزجاجة بيرة فهز النادل الهندى رأسه قائلا إن البيرة غير متوفرة .

انتظرت حتى انصرف وغادرت مكانى بهدوء وصعدت الى غرفتى فأخذت زجاجتى بيرة من الميني بار وعدت بهما الى المطعم. وضعتهما أمامى فوق المائدة وإذا بمدير المطعم الهندى يقترب منى هائجا : نو . نو .

استغرق الأمر بعض الوقت كي أفهم أن تناول الخمور قاصر على الغرف والبار. وأصر على أن أعيد الزجاجتين الى غرفتي .

حملت الزجاجتين وصعدت الى الغرفة . أعدتهما الى الميني بار وهبطت من جديد إلى المطعم.

أكلت بغير حماس ثم مضيت الى الاستقبال فألقيت نظرة على الصندوق الفارغ.

سمعت اسمى فاستدرت ووجدت سالم والفندى أمامى وخلفهما البلبوى يحمل حقائبهما .

قال الفندى : لم نشأ أن نتركك تستمتع بطبيعة ظفاروحدك .

لم أحر جوابا . وانهمك سالم فى ملء أوراق الاستقبال .

قال الفندى وهو يتطلع ناحية المطعم : هل أكلت؟ سأموت من الجوع .

قلت أنى سبقته و فى طريقى للقيلولة .

قال : خذ قيلولتك ثم تعال الى جناحى لتشرب كأسا.

انضم سالم الينا قائلا : سنذهب بعد ذلك إلى أختى لنتعشى عندها. سأريك منازل الظفاريين .

صعدت الى غرفتى و تمددت على الفراش بملابسى واستغرقت فى النوم على الفور. وعندما استيقظت بحثت عن زكريا فلم أجده . كنت أرغب فى احتساء فنجان من القهوة لكنى لم أشأ أن أمر بمحنة الصباح فهبطت الى البهو .

وجدت سالم فى انتظارى . سألته عن زكريا فقال:

– بحثت عنه ولم أجده . على أى حال لن يأتى معنا فهولا يحب مجالس الشراب .

غادرنا المبنى الى حديقة الفندق ومضينا أمام فيلات منفصلة تتكون كل واحدة من طابقين .

قال سالم دون أن يظهر أى تعبير على وجهه : الفندى له هنا شاليه محجوز طول السنة لا يأتى اليه غير بضعة أيام .

بلغنا الشاليه ذا الطابقين ودق سالم الباب ففتحه خادم فلبينى يتدلى قرط

من أذنه ويتحرك برقة أنثوية . جلسنا فى الصالة الى جانب مائدة تحمل طبقا كبيرا من الفاكهة وزجاجة ويسكى فى لفافة تحمل تحيات إدارة الفندق .

هبط الفندى بعد قليل من الطابق الأعلى . كان يرتدى دشداشة رمادية اللون ويضع على كتفيه عباءة مذهبة الأطراف .ألقى نظرة على طبق الفاكهة والويسكى بينما أحضر الخادم الفليبينى مائدة شراب صغيرة رصت فوقها أنواع الخمور المختلفة .

صب لى الفليبينى كأسا من الجين والتونيك بينما أخذ الفندى وسالم الويسكى .

قال الفندى : خسارة أنك لم تأت فى الشهر الماضى .كنا نصور رقصة الربوبة. وهى رقصة تشبه الفالس تشتهر بها ظفار وتؤديها فرقة شهيرة هنا اسمها فرقة بن توفيق. على فكرة التسمية من كلمة «ربابة» وهى نفس الآلة الموسيقية الموجودة عندكم فى مصر.

قلت : تكفينى الرقصة التى شهدتها فى نزوى .

ضحك وارتشف من كأسه ثم قال :

–كل الرقصات كوم وهذه الرقصة الظفارية كوم آخر. إنها الوحيدة تقريبا التى تشارك فيها النساء . رقصة تقدمية. أليس كذلك يا سالم؟

نظر الى وغمز بعينه ثم ضحك من جديد .

قال سالم :

– ربما هذا هو السبب فى أنها رقصة صعبة .

خاطبنى الفندى : ستتاح لك فرصة رؤيتها فى المستقبل . فلاشك أنك ستأتى الى عمان وظفارمرة أخرى . من زار ظفار ..

أكملت : مرة ..زارها مرة ومرة .

انفجرضاحكا وهو يملأ كأسه من جديد:

– نحن نقوم بعملية تحديث ضخمة ونحتاج الى الخبرات والمواهب من كل مكان.

قلت : عندكم كثيرمنها .

قلب شفتيه بازدراء : تقصد العُمانيين؟ إنهم لا يصلحون لشئ.

نهض سالم واقفا وهو يقول : سنذهب الآن لموعد العشاء .

قال الفندى : جيد فأنا عندى ارتباطات . خذ السيارة فلن أحتاج إليها.

غادرنا الشاليه وخرجنا إلى الطريق حيث تنتظرنا سيارة بويك بسائق باكستانى

قلت وأنا اضطجع فى المقعد الخلفى الوثير :

– لم أكن أعلم أنك من هذه المنطقة.

قال: أبدا. أنامن عُمان الداخل. كان أبي يعمل بالتجارة : يحمل التمر والليمون الى مسقط ويعود بالأرز والبن. تعلمت القرآن في الكتّاب وحفظته هو وألفية بن مالك ثم صرت أصحب أبى فى رحلاته. رأيت الصغار فى العاصمة بالزى المدرسى فأحببت أن أكون مثلهم ، لكن دخول المدرسة كان مقصورا على أبناء العائلات. ونجح أبى فى التغلب على الصعوبات وادخلنى المدرسة . وعندما حصلت على الشهادة الابتدائية أردت أن أواصل تعليمى . وكان هذا مستحيلا لولا الجبهة.

– وما الذى جاء بأختك الى هنا؟

– زوجها من المنطقة . تعرفتْ عليه فى لندن.

أخذتنا السيارة الي وسط المدينة . ولجنا شارعا ضيقا به منازل قديمة تجمع حشد من الهنود أمام جهازللتليفزيون فى مدخل أحدها . توقفنا أمام منزل من طابق واحد زخرفت نوافذه بمربعات متناسقة من اللونين الأزرق والأحمر.

فتح لنا الباب صبى فى العاشرة من عمره . وتقدمنى سالم بسرعة فتوقفت عند العتبة ومالبث أن عاد وأشارلى بالدخول .

وجدت نفسى فى قاعة متوسطة المساحة أرضيتها فى مستوى الشارع ومفروشة بالسجاد والحشيات. خلع سالم حذاءه عند الباب فاقتديت به . أقبلت علينا امرأة سمراء باسمة فى مقتبل العقد الثالث من العمر هى أخته . كانت ممتلئة الجسم ترتدى ثوبا حريريا ملونا يغطى كل جسمها وتضع شالا ملونا فوق رأسها.

صافحتنى فى خجل. ولاحظت الروج فى وجهها والحناء فى قدميها ويديها. جلسنا فوق الحشيات و التف حولنا عدد من الصبية والبنات المتفاوتى الأعمار يتأملوننى فى اهتمام وانفعال . وأدركت أنى أمثل حدثا هاما فى حياتهم الرتيبة.

انضم الينا زوج الأخت بعد قليل وهو شاب في مثل عمرها يدعى قطوم يرتدى عوينات طبية ودشداشة عادية. وانهمكت الأخت بمعاونة امرأة أكبر منها سنا فى إعداد مائدة حاشدة فوق صينية وضعت على الأرض مباشرة وحوت الثريد والهريسة والأرز ومشويات اللحم والسمك والكبيبة الشامية والطعمية المصرية والسلطات وعصير البرتقال .

قال سالم : كانوا سيعدون لك طعاما ظفاريا أصيلا لكن خفنا ألا يعجبك.

أقبلنا على الطعام وانضمت الينا السيدة الأخرى وجماعة الصبية والفتيات ودار حديث متشابك حول أرض يريد أحد الاستيلاء عليها . ثم عن قطعة قماش اشترتها الأخت بريال للمتر وتريد بيعها بثلاثة. كنت أجلس إلى جوارزوجها فعلمت أنه يستعد للسفرالى بريطانيا للحصول على دكتوراه في الاقتصاد . وتطرق الحديث الي إمكانية التنسيق بين دول مجلس التعاون الخليجى بحيث تتخصص كل دولة فى شئ للاستغناء عن الاستيراد .

عارضنى قائلا :

– السوق ضعيفة. أبوظبي تعدادها ربع مليون وقطر ٢٠٠ ألف ولا يمكن الاعتماد على السوق العربى الكبير لأن تكلفة الانتاج ستكون مرتفعة بسبب عدم توفر عمالة محلية وارتفاع مستوى المعيشة . ربما الحل هو إقامة الصناعات فى مصر مثلا .

من الطبيعى أنى رحبت بهذا الحل وقلت :

– لو كانت الأموال التى أنفقت فى سفه استخدمت فى انشاء مصانع ومزارع فى مصر مثلا أوسوريا أوالسودان ..

أمن على حديثى صامتا .

غسلت يدى فى حوض مثبت فى حائط القاعة قرب الباب . وعدت الى شرائح الفافاى التى تولت زوجته تقطيعها لنا. كان مذاقها يجمع بين المانجو والبطيخ .

قلت بصوت عادى : أظن كانت هنا ثورة منذ عشرين سنة تقريبا.

أومأ برأسه وقال فى يسر :

– كانوا جماعة الجبهة.

– وهل ما زالوا موجودين ؟

قال وهو يرمق سالم بنظرة خاطفة:

– لا . انتهت القصة من مدة .

كان الآخرون مشغولون بحديث عائلي فقلت بصوت خافت بعض الشيء :

– ألا تظن أنها تركت نتائج إيجابية ؟

قال : الجبهة استولت على الجبال وأرسلوا الأطفال إلى اليمن الجنوبي للتعليم ومنه إلى العراق وليبيا والبلدان الاشتراكية. وهؤلاء عادوا الآن أطباء ومدرسين وغيرهم. كانت الفكرة هي تحديث البلاد التي أغلقها السلطان سعيد بيد من حديد خوفا من الأجانب .

علقت في حذر : فتخلصوا منه وفتحوها على آخرها.

قال ملتفا حول تعليقي :

– السلطان السابق كان جريئا وشجاعا وله كاريزما لكنه كان عنيدا. طلب منه الانجليزأن يترك العرش فرفض . قابوس كان محبوسا في قصره هنا لمدة ست سنوات . فتم الاتفاق معه.

تناول شريحة فافاي وأضاف:

– الانجليز هم الذين نصبوا السلطان سعيد نفسه سنة ١٩٣٢ بعد أن خلعوا والده ونفوه الى الهند.

قاطعه سالم الذي كان يصغي لحديثنا في انتباه:

– هناك شخص عند الباب.

طرق أحدهم الباب فاندفع أحد الأطفال لفتحه لكن قطوم استوقفه بيده . خيم علينا الصمت وتكرر الطرق ثم توقف.

قال قطوم بعد لحظات : هذا خالي .

أبديت تعجبي فقال :

– لو فتحت له كان شافك. وهذا طبعا أمر غير مقبول من الجيل القديم . فلا يمكن تصور غريب في جلسة مثل هذه . لو كانت أمي موجودة ما كان سمح لك أصلا بالدخول .

علق سالم : ومع ذلك هناك أماكن في الجبل لا يصح فيها أن تطرق الباب والمفروض أن تدخل مباشرة .

قال قطوم:

– أيام الجبهة كان وضع المرأة أفضل .الواحد هنا لا يرى زوجة صديقه لكن إذا قابلها في لندن سهروا معا .

تدخل في الحديث شاب صغير يدعى أمين لا يتعدى عمره الخامسة عشر:

– أنا معك في أن هذا وضع غير طبيعي لكن لا بد من تغطية وجه المرأة.

سألته عن المبرر .

قال: لأنها تثير شهوة الرجل والرجل أكثر شهوة من المرأة.

شربنا شايا أخضر ثم أعلن سالم أنه متعب من السفر . عرضت عليه أخته أن يقضي الليلة عندها بينما يوصلني السائق فقال إن غرفته بالفندق على نفقة الدولة.

سألني ونحن نستقل السيارة :

– أنت كثير الأسئلة . والبعض هنا لا يحبون ذلك.

تأملته في حيرة عاجزا عن تحديد أمره .

أضاف بعد لحظة : هل سألت عن صديقك؟

أبديت دهشتي : هنا ؟ لا.

كنا قد بلغنا الفندق فتوقف الحديث ورافقني سالم الى الاستقبال.وجدت رسالة تنتظرني في الفندق. كانت من شخص يدعى أبو عبدالله يدعوني الى تناول طعام الغداء في الغد بالمخيم الخاص به ، واعدا بإرسال سيارة تقلني عند الظهر.

عرضت الرسالة على سالم فقال :

– هذا شرف كبير. أبو عبدالله من أهم شيوخ بيت كثير. رجل متنور رغم أنه يرفض تعليم بناته.

– لكن لماذا يدعوني ؟ أنا لا أعرفه .

– أي زائر غريب للمنطقة يعتبر ضيفا عليه. لابد أن تذهب . لكن احذرمن الأسئلة الكثيرة.

سألت عن زكريا فبدا الارتباك على موظف الاستقبال الهندي وحرك رأسه بالطريقة المألوفة . تطلعت الى رقم غرفته فرأيت المفتاح معلقا بجواره.

اتجه سالم إلى المصعد ومضيت الى البهو . لمحت أحد العاملين خلف مكتب قرب المدخل . كان أسمر البشرة ذا ملامح هندية. مضيت إليه وحادثته

بالانجليزية فضحك . سألته عن زكريا. استمر فى الضحك ثم قال فجأة بلهجة حوارى القاهرة :

– متتكلم عربى يا أستاذ.

قلت : انت مصرى ؟

قال : من الجمالية.الاسم متولى .

قلت فى ارتباك : عاشت الأسامى .لا مؤاخذة. كل حاجة هنا ملخبطة.

وصفت له زكريا ففقد مرحه.

تطلع حوله ثم قال لى بصوت هامس : أخذوه فى الفجر.

– مين اللى خدوه؟

– تفتكر مين ؟

قلت : تعرف السبب ؟

– الظاهر أنه من الجماعة .

– أى واحدة ؟

قال : الدقون . الاخوان . يسموهم هنا المطوّعين .

* * ٣

كانت السيارة التى أرسلها لى الشيخ أبوعبد الله من طراز شيروكى . وكان خلف فى مقعد السائق.

قلت وأنا أعقد حزام الأمان :

– لم أكن أعرف ان أبى عبد الله شخصية هامة للغاية .

تشاغل بإدارة المحرك ولم يرد على. قاد السيارة بمهارة فى الطريق المألوف الى قبر النبى أيوب . ثم توغلنا فى الطريق الجبلى وسط الخضرة .

أردت أن أنتزعه من صمته فسألته عن نوع الدراسة التى حصّلها. قال إنه درس فى صلالة حتى الابتدائية ولزم البيت . وفى سنة ٧٠ حصل على منحة لدراسة الإعدادية والثانوية فى قطر ثم أكمل الدراسة الجامعية فى مصر.

قلت : أراهن أنك مللت اصطحاب الزوار الى نفس الأماكن فى كل مرة. خصوصا وأنهم رجال.

قال : ليس دائما. الأسبوع القادم ستأتينا أثرية دنمركية.

قلت : اسمها جوليا؟

قال: نعم . تعرفها؟

قلت : قابلتها فى مسقط.

مررنا بأسرة نصبت خيمة كبيرة الى جوارسيارة لاندروفر وبسطت أمامهاسماطا من البلاستيك. كان الواضح أن أفرادها فى نزهة أو «بيكنيك» كما علق خلف. تمهل أمام حظائر حجرية قائلا بصوت ملول :

– هذه ليست حظائر ماشية .. إنها حظائر نبات.

أوضح لى أن الجبليين يزرعون الشعير والذرة داخل هذه الحظائر ليصونوها من عدوان الماشية والجمال.

مررنا بعدة بيوت يتصاعد منها دخان الطهى أغلبها دائرى الشكل وسقوفه مصنوعة من القش أوألواح البلاستيك السوداء. غادرنا السيارة أمام أرض مسورة واستخرج خلف من مؤخرتها صندوق كولمان كبير، هرع إلينا عدد من الشبان بينهم سود وفيليبيون تعاونوا على إخراج لفافة من السجاجيد وصندوق من المياه المعدنية وآخر من السفن أب.

لمحت بلال راكعا أمام دائرة من الأحجاريزيح جانبا قطعا من الجمر المشتعل وسط حصى كبير الحجم . وبالقرب منه تصاعدت النيران من حفرة جلست أمامها امرأة فى ثوب ذى ألوان أفريقية بهيجة بورود حمراء كبيرة فى خلفيات زرقاء وخضراء. كانت ترش بكوب بلاستيكى فى يدها اليمنى الدقيق السائل فوق صحن من الخشب فى يدها اليسرى التى تنتهى بأظافرمنسقة مصبوغة. كان ظهرها لى فخطوت جانبا لأرى وجهها وألفيته مغطى بقناع مؤطر بزخارف نحاسية ينتهى أسفل الذقن فلا يكشف سوى العينين وجوانب الأنف من خلال فتحتين على شكل مثلثين .

خطونا فى أرض فضاء مترية اصطفت فى طرفها أشجار جوز الهند السامقة. اتجهنا الى مبنى مستطيل من طابق واحد يتألف من عدة غرف متجاورة بدا لى مثل عنبرفى سجن أومستشفى. وخرج من الغرفة الأولى رجل نحيل قوى البنية رغم سنه التى تقترب من السبعين، يرتدى دشداشة رمادية بسيطة ويغطى رأسه بالغطاء

الظفارى التقليدى الذى يشبه الحطة الفلسطينية ويختلف عنها فى لونه الأحمر وطريقة العقد فوق الرأس.

همس لى خلف : أبو عبد الله.

رحب بى وفى عينيه نظرة شاردة وخاطب خلف قائلا : أره كيف نعد المضبى.

حمل أحد الخدم صينية امتلأت بكتل من اللحم واتجه الى حيث أقعى بلال فتبعناه . عاونه خلف فى وضع اللحم فوق الحصى الذى بدا الآن بعد تعريته وتنظيفه من الرماد متوهجا مثل الجمر.

قرفصت إلى جوارهما أتأمل الجمر وسمعتهما يتحدثان عن زميل لهما تلقى تعويضا هائلا بلغ ١٢٠ ألف ريال أى حوالى مليون جنيه مصرى أو ثلث مليون دولار أمريكى مقابل ضم أرضه لمشروع حكومى.

استوضحت التفاصيل فقال بلال:

– كل واحد فى سن السابعة عشرة يحق له التقدم لأخذ قطعة أرض مجانا تتراوح مساحتها بين ٦٠٠ و ٩٠٠ متر بالقرعة ثم يبنيها على حسابه أو بواسطة قرض إسكان . وتأتى ضربة الحظ عندما تضم الى مشروع حكومى .

انهمك الخدم فى نقل السجاجيد والوسائد وصناديق الكولمان والمياه المعدنية والغازية وترامس الشاى وصناديق المناديل الورقية والأطباق الخزفية إلى الداخل. وقلّب بلال اللحم ونقل القطع الناضجة الى صينية مخصوصة.

لاحظت أن أغلبها غير تامة النضج وقلت ذلك لبلال فقال :

– سيدى أبو عبد الله يفضلها هكذا.

نادى علينا أبوعبد الله فمضينا الى الغرفة التى فرشت بالسجاد والحشيات واجتمع بها أكثر من دستة رجال بينهم الفندى. وكانت هناك مائدة عالية بجوار الجدار وقف أبو عبد الله خلفها مشرفا على صينية ضخمة من الأرز.

وزع علينا الخدم الأطباق وأكواب المياه المعدنية والغازية ثم ظهر بلال فى المدخل حاملا صينية اللحم المشوى فوضعها أمام أبو عبد الله. وأقبل هذا يمزق اللحم بيديه ويعطى لكل منا نصيبه.

ظل أبو عبد الله يوزع الطعام دون أن يأكل الى أن فرغ طبق اللحم فرفعه الخدم ووضعوا مكانه طبقا آخر من الفاكهة .

شربنا الشاى وبدأ البعض فى الانصراف ووقف أبو عبد الله يودعهم فى مدخل الغرفة. اقترب منى الفندى بصحبة رجل مهيب المنظر أسمر اللون فى دشداشة بيضاء ويغطى رأسه بلفافة معقدة التكوين . قدمنى اليه قائلا :

– أبوعامر كان من قادة الثوار.

تأملت وجهه الحليق السمين الذى أطلت منه عينان كعيون النسور.

قلت : هذه فرصة لأن أعرف منك حكاياتهم.

قال : تلفن لى فى أى وقت وتعال لزيارتى.

قلت إنى سأفعل وتركته بحثا عن خلف وبلال فوجدتهما يأكلان الى جوار صانعة الخبز. ورآنى الفندى حائرا فعرض على أن أرافقه الى الفندق . ركبت الى جواره وقاد السيارة بنفسه فى صمت ثم دعانى لاحتساء كأس فى الشاليه.

صعدت الى غرفتى فخلعت قميصى الذى وقعت عليه حبات الأرز وفتات اللحم واستحممت ثم استلقيت فوق الفراش . وبعد قليل قمت فارتديت ملابسى وهبطت الى البهو فاحتسيت قهوة المدخل المجانية المرة وخرجت الى الحديقة .

فتح لى الخادم الفليبينى باب الشاليه وأفسح لى الطريق الى غرفة المعيشة السفلية . وجدت الفندى فى رفقة صحفى لبنانى معروف يصدر مجلة عربية من لندن. كان طويل القامة شديد بياض البشرة وبالغ الأناقة ذو صوت جهورى أحدث أثره بلا شك فى مموليه. كان يعرض على الفندى كراسة ملونة يحمل غلافها اسم قاعةسوثبى الشهيرة للمزادات فى انجلترا.

وضع الفندى الكراسة جانبا بمجرد دخولى وسألنى عما أشرب . كان طبق الفاكهة وزجاجة الويسكى المهديان من ادارة الفندق فى مكانهما على المائدة الجانبية .لكن الزجاجة كانت جديدة من نوع غير نوع الأمس. ومع ذلك لم يقربها أحد وتعاملنا مع محتويات الطاولة المتحركة .

صببت لنفسى كأسا من الجين وناولنى الفليبينى زجاجة التونيك . سألت الصحفى اللبنانى عما إذاكانت هذه أول زيارة يقوم بها لعمان فضحك. وقال الفندى إن له غرفة محجوزة على مدار السنة فى شيراتون مسقط .

استأنف الصحفى حديثا سابقا عن جولة قام بها فى الجمهوريات الإسلامية للاتحاد السوفييتى السابق . ومضى يستعرض الظروف الاقتصادية المتردية وفرص الاستثمار.

صببت كأسا ثانية وتحول الحديث إلى الوضع العربى . سألنى الفندى عما إذا كان ثمة مستقبل للعرب، ولم ينتظر إجابتى وإنما استطرد :

– القومية العربية مجرد وهم. اللغة العربية ذاتها سبب تفككنا فهى لغة الركون إلى االماضى والنوم فى أحضانه. الواقعى هوالشرق الأوسط .

سكت لحظة ثم لوى شفته فى استنكار ومضى يقول:

– أعرف ما يقال عنا. أننا خضعنا لضغط الأمريكان وأعطيناهم قاعدة . الحقيقة أننا نحن الذين ذهبنا اليهم ورجوناهم أن يأخذوها. اسمع . عبد الناصر الظروف ساعدته على القيام بمواجهات حادة مع القوى الأجنبية فماذا أفادته المواجهة؟

أصابتنى الكأس الثالثة بالاكتئاب وأدارت الرابعة رأسى فاستأذنت فى الانصراف. رافقنى الفندى حتى باب الشاليه ومضيت فى ممشى خافت الإضاءة. مشيت بين فيلات مظلمة واتجهت صوب الشاطئ وسرعان ما كنت أخطو فوق رمال ناعمة انتشرت فوقها أكوام مخروطية من صنع السراطين.

كان الظلام شاملا يتخلله ضوء خافت غامض صادرعن المحيط. تعثرت فى سيرى وأوشكت أن أقع لولا أن يدا أمسكت بى وانتشلتنى .

سألت سالم : ماذا تفعل هنا ؟

قال : أتمشى . الظاهرأنك شربت عند الفندى.

سرنا على الشاطئ فى صمت فى اتجاه الفندق .واعترض طريقنا سياج لملعب تنس يقع خلف المطعم . كان مغلقا بإحكام ولم نجد مفرا من العودة من حيث جئنا.

تخبطنا فى الظلام ونحن نبحث عن فتحة تؤدى بنا إلى الطريق العام . وأخيرا جذبنى سالم من ذراعى قائلا : تعال من هنا أسهل .

قادنى بين أشجار شوكية تخللها بصيص من الضوء حتى خرجنا الى الطريق العام على بعد مائتى متر من مدخل الفندق .

كان الطريق مهجورا وهوأمر طبيعى فلم يكن هناك غيرالفندق ثم حدائق مترامية مسورة تابعة للسلطان . مشينا فى نهرالطريق صوب الفندق . ولم نكد نخطو قليلا حتى ظهرت أنواركشافى سيارة قادمة من ناحيته فصعدنا فوق الرصيف .

وظهرت خلفها سيارة أخرى .وفجأة بدأت مصابيح السيارتين تتأرجح يمنة ويسرة كأنما فقد السائقان سيطرتهما على عجلتى القيادة . وتقدمت السيارتان نحونا وهما تتراقصان .

أمسك سالم بذراعى وجرني بالحاح وهو يصيح : أسرع . احتم بالعمود .

لم أفهم ما يعنيه إلى أن رأيته يلتصق بأحد أعمدة النور ويشيرإلى أن أفعل مثله. جريت إلى العمود التالى واحتضنته. اقتربت منا السيارة الأولى على مهل وهى ما تزال تتراقص. ولمحت داخلها عدة رجال فى دشداشات بيضاء. وجاءت السيارة الثانية خلفها غاصة بهم.

مرت السيارتان من أمامنا فى بطء وتجاوزتانا . تابعتهما ببصرى واسترخيت قليلا فى وقفتى استعدادا لمواصلة السير. ثم رأيت أنهما توقفتا. وبدا كأنمايتداول ركابهما فى أمر.

صاح سالم وهو يجرى : أسرع .

اندفع فى اتجاه الفندق ورأيت السيارة الأولى تدور وتعود من حيث جاءت فى اتجاهنا تتبعها زميلتها . تطلعت حولى بحثا عن شخص أو سيارة أو أى مصدر للعون. كان الشارع خاليا تماما ولم يكن ثمة مدخل لمبنى أو فجوة فى الأسوار الممتدة على الجانبين أو زاوية ما يمكن الاحتماء بها . كنا هدفين متاحين تماما.

إحتمى سالم بعمود النور التالى وتجاوزته جريا الى العمود الذى يليه.اقتربت السيارة الأولى منا على مهل . كنا واضحين أسفل المصباحين القويين ورأيت بابها الخلفى يفتح وتبرز منه ساق كأنما يستعد أحد ركابها لمغادرتها. لكن السائق واصل السير وتصاعدت من نوافذها ضحكات صاخبة.

تجاوزتنا السيارة بينما توقفت زميلتها وسلطت كشافيها علينا. وأصبحنا بذلك محصورين بين السيارتين . تذكرت السلاح الفلسطينى فغامرت بترك موقعى وانحنيت أجمع بعض الحصى والحجارة المتناثرة .صاح سالم : اجر.

جرينا إلى العمودين التاليين واحتمينا بهما . واصلت السيارة الأولى سيرها حتى تجاوزت الفندق وظلت الثانية مكانها. أحصيت عدد الأعمدة التى تفصلنا عن مدخل الفندق فوجدتها أربعة .

واصلنا الجرى والانتقال بين الأعمدة بينما بلغت السيارة الأولى نهاية الطريق واستدارت عائدة. وحمل إلينا الهواء أصوات نقاش حادة صادرة منها.

بقى أمامنا عمود واحد وقدرت أن السيارة تستطيع اللحاق بنا قبل أن نبلغه. لكنها تباطأت كما أننا جرينا بأقصى ما نملك من طاقة وتمكنا من أن نسبقها الى بوابة الفندق الخارجية .

لم يكن هناك أثر لسيارات التاكسى الثلاث التى كانت مرابطة دائما أمامه. ولا لأى إنسان.

عبرنا الباحة المؤدية للحجارة البيضاوية دون أن نلتق بأحد فى المدخل أوصدر البهو أوخلف المكتب الذى يستخدمه مواطنى المصرى. لم يكن هناك غير موظف الاستقبال الهندى بوجهه الجامد وحركة الرأس المألوفة.

تناول سالم مفتاحه واتجه الى المصعد قائلا:

– إنهم شبان سكارى كانوا فى بارالفندق. تصبح على خير.

ألقيت نظرة خلفي نحو المدخل والتقطت مفتاحى . تأكدت من أن صندوقى فارغ ولم تأتنى أى رسائل ثم صعدت إلى غرفتى .أغلقت الباب خلفى بالسلسة المعدنية ومضيت إلى النافذة المطلة على حديقة الفندق الخلفية. كانت ستائرها مسدلة لكن بها فرجة فى الوسط تطلعت منها الى الخارج . وقفت برهة دون حراك ودون أن ألمح أثرا لحركة أو أسمع صوتا. شددت طرفى الستارة محكما إغلاقها ثم أشعلت مصباح النور المجاور لسريرى وأدرت التليفزيون.

ظهر لى شاب فى ملابس عسكرية تبين بعد قليل أنه عميد ركن ويتولى قيادة السلاح الجوى السلطانى . كان يتحدث بمناسبة عيد القوات المسلحة العمانية عن تدعيم السلاح بطائرات هوكرالانجليزية .

ظللت أحدق فى شاشة التليفزيون إلى أن رحت فى النوم .

* * ٤

فى هذه المرة اتجهنا شرقا فوق طريق مرصوف، تشرف عليه من جهة اليسار جبال جرداء مليئة بكهوف فاغرة لا تلبث أن تمتلئ بالأغنام والناس عندما

تهطل الأمطار. كان الطريق نظيفا للغاية ومع ذلك انتحت جانبه عربة صغيرة يقودها هندى فى أوفرول ذى لون أصفر فوسفورى. وما أن لاحت له سيارتنا حتى انحنى متظاهرا بجمع فضلات وهمية.

بدت فى الجبال طرق رفيعة ملتوية ممهدة تصعد إلى القمم .وكان المحيط يتبدى بين الفينة والأخرى على يميننا. وانتشرت على شاطئه مساحات واسعة من أسماك السردين تحلق فوقها النوارس .

قال خلف :

– السردين مؤشر على انتهاء الخريف وبداية فصل جديد هوة الصرب». عن قريب تتكاثر الفراشات وتدرالأبقارلبنا غزيرا وتمتلئ المناحل بالعسل والنراجيل بماء جوزالهند .

وصلنا طاقة بعد ثلث ساعة واستوقفنا فى مدخلها بدوى حافى القدمين يحمل بندقية فى كتفه وتكلم مع خلف باللغة الجبالية . كان مكحول العينين ذو شعر أسود لامع مدهون ضمه برباط من الجلد الرفيع وتمنطق بحزام من الخراطيش فوق مئزر ملون .

أشار إليه خلف أن يركب فى الخلف . وهمس لى أنه من جنود الفرق الوطنية التى تعسكر فى الجبال . واصلنا السير دون أن ندخل البلدة وأشرفنا على مرباط بعد ثلث ساعة أخرى فترجل الجندى.

كانت البلدة تمتد على شكل هلال من البيوت الواطئة أسفل جبل يرتفع عدة آلاف من الأمتار وتطل عل خليج من الرمال الناعمة والمياه الصافية وقوارب الصيد .

سألت خلف عماإذا كان ثمة علاقة بين اسمها وكلمة الرباط التى تحملها العاصمة المغربية . وافقنى قائلا أن سيف بن ذى يزن، كما يروى ، اتخذ منها رباطا أى معسكرا استقبل فيه الفرس الذين استنجد بهم.

فكرت أن القصة دائمة التكرار: الاستنجاد بأجنبى للتخلص من أجنبي آخرثم بأجنبى ثالث للتخلص من الأخير وهكذا دواليك .

مررنا بقلعة قديمة لها ثلاثة مدافع ومسجد له قبة خضراء. ولجنا شارعا

عريضا غير مرصوف به عدة فيلات وفي نهايته عمود علق فيه جهاز تليفون أصفر اللون .

قلت مستغربا : تليفون عمومي ؟

قال بزهو : دولي .

– وكيف يستخدم ؟

– بالكارت الذى يمكن شراؤه من أى دكان .

توقفنا أمام مبنى حديث تعلن لافتته عن مركز للتأهيل النسوى. استقبلتنا سيدة بدينة فى الثلاثين أو أكثر، قصيرة القامة سافرة الوجه ترتدى ثوبا ملونا. قادتنا الى غرفة طويلة تضم مكتبا بجوار الباب وآخر فى الطرف تحيط به ثلاث فوتيات وأريكة من الجلد وخزانة. قالت إن المركز يقدم خدمات متنوعة لنساء المنطقة مثل التوعية بمضار الرضاعة الصناعية وتوفير وسائل منع الحمل والمعاونة فى رعاية الأطفال. كما تتعلم فيه النساء الحياكة وصناعة الخزف لكى يتحررن من الاعتماد على الزوج.

دعتنى الى جولة بالمبنى. واعتذر خلف عن مرافقتى قائلا إنه قام بهذه الجولة عشرات المرات وأنه سينتظرنى فى السيارة .

قادتنى الى ردهة طويلة تتصاعد ضجة من غرفة مغلقة فى نهايتها. اتجهنا اليهاوسبقتنى الى الباب ففتحته وهى تحرص على إبقائه مواربا ثم ابتسمت فى خجل :

–إنهن يعملن سافرات . أتحرج من إدخالك عليهم .

أغلقت الباب وقادتنى الى قاعة فى الناحية المقابلة تضم معرضا للمشغولات التى تنتجها عضوات الجمعية : مباخر وأزيار وقرب مياه من الجلد وأوان جلدية للحليب ومهاد أطفال تحمل على الظهروحلىّ. وكان ثمة ركن خاص لغرفة العروس يضم سريرا مرتفعا ذا أعمدة ثبتت فى أعلاها قطعة ملونة من القماش تسدل بعد الزواج لأن العروس لا تنكشف لغير أهلها طوال سنة كاملة .

سألتها عن وسائل تمويل نشاط الجمعية فقالت :

– السيدة الجليلةوالدة السلطان ووزارة الشئون الاجتماعية .

– ومن الذى يعين العاملات فى الجمعية ؟

– لا أحد . هناك لجنة قيادية تتشكل بالانتخاب. والعضوات كلهن متطوعات . الرئيسة أيضا.

عدنا إلى القاعة الأولى فجلستْ الى مكتبها بعد أن تركت الباب مفتوحا. احتللت المقعد المجاور وأنا أقول :

– هل يمكنني مقابلة الرئيسة ؟

تضوعت رائحة عطرية منعشة وظهرت عند الباب فتاة متوسطة القامة ترتدى عباءة سوداء ونقابا أسود كثيفا يغطى كل وجهها بما فى ذلك العينين .

توجهت إليها محدثتى قائلة : عندنا ضيف من مصر .

ذكرتِ اسمى وتحولت إلىّ قائلة : ها هى رئيستنا.

نهضت واقفا ولم تنبس المقنعة بشئ .

كرهت دائما الحديث إلى الأشخاص الذين يرتدون عوينات سوداء تخفى تعبير عيونهم فما بالك بنقاب كثيف يغطى الوجه كله ولا ينم عن شئ.

شعرت بالضيق وقلت :

– فى بلدى من النادر أن تجد سيدة مقنعة مثلك . حتى المنقبات أغلبهن يكشفن العيونَ على الأقل.

تحركتْ وخطتْ إلى طرف الحجرة . تبعتهامترددا بينما رمقتنا الأخرى فى فضول دون ان تغادر مقعدها.

خلتها ستجلس الى المكتب الآخروتدعونى للجلوس فى أحد الفوتيات لكنها بقيت واقفة. وفجأة فقدت السيطرة على أعصابى .

قلت فى حدة : هل جربت ان تتحدثى الى حائط؟

ظللنا متواجهين فى صمت برهة ثم رفعت يدها ببطء ونزعت النقاب .

عدت إلى الوراء خمسا وثلاثين سنة . نفس العينين الواسعتين والشفاه الرقيقة والبشرة الخمرية والنظرة المتحدية.

همست : وردة.

قالت فى جفاء : بنتها.

قلت : كنت أعرفها.

لم تعلق.

– هل هى ...

قاطعتني : لا أعرف .

استعدت توازني وقلت : قرأت جزءا من يومياتها في مسقط. وقيل لي إنك تحتفظين بالجزء الباقي .

لم تسألني من قال ولا كيف حصلت على الجزء الذي قرأته كأنما الأمر لا يعنيها . أو لعلها كانت تعرف.

سألتني : هل يمكن أن أرى جوازك؟

كنت قد توقعت شيئا من هذا القبيل فحملته معي. استخرجته من حقيبة يدي وناولته لها. قلبت صفحاته في هدوء وقرأت الاسم في روية وقارنت بين وجهي وصورتي ثم أعادته لي.

– إلى متى ستبقى في صلالة ؟

قلت : يوما أو يومين .

قالت : سأحضرها لك هنا في الغد . آه. غدا الجمعة . إذن السبت . لا. الأحد . السبت لن آتي هنا.

قلت : بعيد .

فكرت قليلا ثم قالت : اسمع . سأذهب بعد ظهراليوم إلى طبيب الأسنان في صلالة. نلتقي عنده .

قلت : أنا لا أعرف المدينة جيدا . وكل تحركاتي معروفة ولا أحب أن يدري أحد بالأمر .

قالت : لن يدري أحد بشيء . قل إن أسنانك تؤلمك أو تحتاج إلى حشو. واطلب من الفندق أن يدلك على طبيب أسنان . لاتطلب ذلك من جماعة مركز التراث . هؤلاء مخابرات.

– وكيف أضمن أنهم سيدلونني على نفس الطبيب الذي ستذهبين اليه ؟

بدا علي وجهها تعبير الاستنكار لغبائي وشرحت لي :

– أغلب الأطباء هنا هنود ويمكنك أن ترفض الذهاب اليهم بحجة أنك لا تستطيع التفاهم معهم أو لا تثق بهم . اطلب طبيبا عربيا . ليس هنا غير واحد سوري مجنون متزوج من فرنسية . هو الذي يعالجني . ستجدني لديه في الساعة السادسة .

صمتت لحظة ثم أضافت وهي تعيد القناع الى وجهها :

– لو حدث أن التقيت بعمي فلا تذكر له شيئا. كان ينوي دعوتك إلى منزلنا اليوم لكنه اضطر لمغادرة مرباط وسيعود في المساء.

– من تقصدين ؟

– أبوعامر.

صدفة أم أمرمرتب ؟

٥ * *

هبطت إلى بهو الفندق في الساعة الخامسة وأنا أدعو الله ألا تضع الصدفة أحدا في طريقي مثل سالم أو خلف . كان البهو خاليا وموظف الاستقبال الهندي في مكانه الأبدي والمكتب الذي يجلس اليه مواطني المصري خاليا .

تقدمت من الهندي وسألته عن كيفية الذهاب إلى طبيب أسنان . أعطاني دفتر التليفون وهو يقول بجفاء : عندك تليفوناتهم .

قلبت صفحات الدليل وتظاهرت بقراءة أسماء الأطباء وعناوينهم ثم قلت :

– لكن هؤلاء كلهم هنود .

نظر إلي في تحد .

قلت : ألا يوجد واحد عربي ؟

هز رأسه بتلك الطريقة الميكانيكية الزنبركية .

لمحت متولي متجها إلى مكتبه فحملت الدليل إليه . قلت له إن ضرسي يؤلمني وأريد الذهاب فورا إلى طبيب أسنان غيرهندي.

ابتسم : عندنا واحد سوري . ينفع ؟

– لا بأس . على الأقل أستطيع التفاهم معه .

كتب لي اسم الطبيب وعنوانه في ورقة صغيرة وناولها لي :

– إنه في شارع النهضة . التاكسي سيأخذك في ثلث ساعة .

قلت : وكم أدفع ؟

– سيقول لك السائق . حوالي ثلاثة ريالات .

كانت الساعة قد بلغت الخامسة والنصف. لكني لم أشأ الانتظار كي ألتقي بأحد وخرجت إلى الطريق .

أقلني سائق باكستاني إلى شارع قابوس ثم اتجهنا يسارا ومررنا بمنطقة البليد الأثرية. وبعد عشردقائق كنا في شارع النهضة الذى يشغى بالحياة والحوانيت والمبانى.

هبطت أمام دار للسينما تعرض فيلما هنديا يصور ملصقه قتالا شرسا . وجدت عيادة الطبيب في بناية حديثة من طابقين ذات تكوين معقد . اجتزت مدخلا مسورا ومضيت في ممر متعرج يؤدى إلى درج مظلم . صعدت إلى الطابق الأول فوجدت بابا مضاء تعلوه لافتة باسم الطبيب . دفعت الباب وولجت ردهة خالية مضاءة بمصباح نيون وبها مكتب وتليفون. انتظرت لحظة ثم تطلعت الى ساعتي. كانت تقترب حثيثا من السادسة .

انفرج باب من الزجاج القبيه والمعدن المدهون باللون البنى عن وجه شاحب عصابى لرجل في الخمسين يرتدى معطفا أبيض فوق قميص وبنطلون. اعتمد بيده على حافة الباب ومال برأسه نحوى :

– الأستاذ المصرى ؟

كان يتوقعني إذن . أومأت برأسى .

قال : الممرض ذهب يحضرشريط فيديو .تفضل.

ولجت غرفة كشف عادية بها الجهاز المعهود الذى بدا قديما بعض الشئ . أشارلى أن أقتعده ففعلت .

قال وهو يستند بقدمه على درجة أسفل الجهاز ويضع يده خلف رأسى فوق مسند المقعد:

– سمعت أنك تشكو من آلام في ضرسك .

أملت رأسى إلى الوراء وفتحت فمي . أشرت بإصبعي إلى ضرس كان قد بدأ يؤلمنى فعلا.

قال وهو يضع الملعقة المعدنية في فمي :

– الكل هنا يشكو من تسوس الأسنان بسبب نقص الكالسيوم.

وضع الملعقة جانبا وتناول واخزا معدنيا :

– أنا من حلب . ولى هنا بضع سنوات . هذه العيادة فتحها لى أبوعامر

مقابل المشاركة في نصف الدخل . أنا أعمل وهو يقبض . أحيانا ١٢٠٠ ريال وأحيانا ١٥٠٠ .

مائة وعشرين ألف جنيه مصرى في الشهر .

قلت : مبلغ جيد .

قال : ليس كما تتصور . على العموم أنا أفكر في المغادرة .. المنافسة صارت قوية من الهنود وغيرهم . هناك الآن طبيبات عمانيات .

بدأ يعبث في أسناني بالواخز المعدني . وتظاهرت بأني أتألم .

قال : هناك بعض الأجزاء العارية من اللثة وضرس يحتاج إلى حشو .

قلت إني أفضل الانتظار حتى أعود إلى مصر وكل ما أطلبه هوتسكين الألم.

مسد لي اللثة بزيت القرنفل وكتب لى روشتة طبية بمسكن ثم تناول مظروفا أصفر اللون من فوق مكتبه وناوله لى :

– هذا لك .

ترددت ثم سألت : هل جاءت ؟

قال : منذ ساعة.

أخذت المظروف وسألته عن الأجر.

قال : لا شئ .

قلت : كيف ؟

قال : أنا لم أفعل شيئا .ثم إنك من بلد جمال عبد الناصر وهذا يكفى.

شكرت هذا الحظ وغادرت العيادة ، وقفت في الخارج أفكر. نزعت المظروف الأصفر وأخرجت منه كراستين أصغر حجما من الكراسات السابقة وأقل سمكا شمَمت منهما روائح الرطوبة . وقدرت أنهما كانتا مدفونتين تحت الأرض . أعدتهما إلى المظروف ووضعته في حقيبة يدى وغادرت المبنى .

12

جبـال ظفـار

١٩٧٠- ١٩٧٢

٢٨ يوليو ٧٠

..وصف أول بيان لنا الانقلاب بأنه مهزلة متوقعة .

..البيان الثانى أكثر قوة . انتقده رافع قائلا إنه عصبى. ضم عبارات من قبل «.. هذا الولد المدلل الذى عاش حياة البذخ ».......هذه الشخصية الهزيلة لا يمكنها على الإطلاق أن تقدم شيئا للبلد ... وإن الثورة ترفض هذه التركيبة البشعة..» .

.. السلطان الجديد إبن الزوجة الظفارية للسلطان السابق. نشأ فى صلالة.درس فى إنجلترا. تخرج من كلية ساندهيرستالعسكرية. خدم فى الجيش البريطاني بألمانيا .تدرب على إدارة المحليات في إنجلترا. عندما عاد إلى صلالة كلفه أبوه بدراسة الشريعة الإسلامية. أرسله فى رحلة حول العالم تميزت بالتقتيرالشديد على نفقاته. رفض إشراكه فى تحمل مسئوليات الحكم ولم يكن يراه إلا مرة أو مرتين فى السنة. ظل محبوسا فى منزله بصلالة ست سنوات.

٣ أغسطس

.. الصحف الانجليزية تنشر صور عبيد السلطان السابق . بينهم من التزموا بالصمت الدائم ، فأصبحوا خرسا. وقف بعضهم محنيّ الرؤوس وعيونهم على الأرض.

.. فاينانشيال تايمز فى ٢٩ يوليو : شركة شل (مالكة ٨٠٪ من أسهم شركة دب ؤ) طلبت من الحكومة البريطانية خلع سعيد .

.. مجلس سرى حاكم برأسه السكرتير العسكرى هوج أولدمان ويتألف من قائد قوات السلطان جون جراهام ومدير التنمية دافيد أوجرام وانجليزيين آخرين من مكتب التخطيط والتنمية وثوينى بن شهاب وقيس الزواوى .

١٠ أغسطس

.. عرفنا تفصيلات الانقلاب . أشرفت عليه مجموعة مكونة من إبن والى



ظفار «بيرق بن حمود الجافرى » و أحد ضباط الاستخبارات الانجليزية فى سلاح الجو السلطانى وهو زميل سابق لقابوس فى ساندهيرست. اتصلوا بأنصارهم فى مسقط بواسطة مسئول فى د ب ؤ كان يقوم برحلات منتظمة إلى صلالة للاجتماع بالسلطان. تعاون معهم القنصل الإنجليزى العام فى مسقط. رشوا حراس القصر وأدخل بيرق بن حمود مجموعة من أتباعه من قبيلة الحواسنة الشمالية. اقتحموا جناح السلطان ساعة القيلولة . تناول السلطان غدارته وصوبها نحوهما فقال بيرق: أريد العرش لمولاى قابوس . حدث اطلاق نار. أصيب سعيد فى ساقه. استسلم ووقع وثيقة بالتنحى. نقل الى قاعدة الطيران الإنجليزية ومنها إلى البحرين ثم إلى مستشفى خاص فى إنجلترا.

.. وصل صلالة فريق انجليزى لحراسة السلطان يقوده السرجنت ماجور بوب سلاتر. يلازمون السلطان طول الوقت ويتناوبون النوم أمام مخدعه .

١٦ أغسطس

.. صرح قابوس لجريدة كويتية أنه لا يعتقد أن الثوار شيوعيون حقا وأنه يستطيع كسبهم إلى صفه .

..نبأ غريب من راديو عدن بإقالة محمد على هيثم من كافة المناصب وتعيين علي ناصر محمد بدلا منه .

.. أصدرت الجبهة أول قانون من نوعه فى العالم العربى بتخفيض المهورإلى مبلغ رمزى (١٢ ريالا ونصف ريال). تشريع آخريعتبرأن عدم التطابق فى الآراء السياسية بين الزوج والزوجة يشكل سببا كافيا للحكم بالطلاق .يمكننى الآن أن أتزوج !!

.. أعلن قابوس إلغاء القيود على السفر إلى خارج الإقليم ، وبقية القيود الصغيرة على الحريات الشخصية مثل ارتداء النظارات وحيازة أجهزة الراديو. دعا العمانيين الذين غادروا البلاد إلى العودة والمساهمة فى البناء .

.. ناقشنا دعوة قابوس فى اجتماع موسع للجنة المركزية وقادة الجيش . أجمعت الغالبية على أنها محاولة للتضليل. رافع يرى أن هناك تغييرا ما وعلينا أن ننتظر لنحكم . قال إن الحرب الشعبية تكتيك . واذا أمكن تحقيق مكاسب دون إراقة الدماء يكون هذا أفضل . وهدفنا فى النهاية هو صالح الجماهير. هاجمه فهد بشدة. اتهمه بالانهزامية. هناك رفيق أو اثنان يشاركان رافع الرأى. قلت إن ما حدث

هو انقلاب من تدبير الاستعمار.ونحن مجتمعون جاء النبأ اليقين : دعمت الـ
الحصارالمفروض على الريف وتوسعت فى سياسة قتل حيوانات ومواشى المواط
بالغارات الجوية . اتخذنا قرارا بالإجماع بمواصلة النضال وتصعيده .

٢٥ أغسطس

.. منشورات حكومية على المناطق المحررة تدعو الناس إلى الاستسلا
واحد به رسم بدائى لأشجار ومنازل أسفله هذه العبارة : «يا مقاتلى الجبهة : أليـ
هذه الحياة أفضل من الكهوف والجور والقبور؟»

..أقيمت محطة اذاعة فى صلالة ، وقيل للعبيد الذين حررناهم إ
أحرار.

..خطة حكومية لتنمية ظفار قيمتها ٦ مليون سترلينى. أقامت الحـ
فى السهل المجاور لصلالة مزرعة نموذجية و أدخلت مضخات المياه. تـ
شركة إنشاءات بريطانية توسيع ميناء ريسوت.افتتح البنك البريطانى للشرق الأ
فرعا له فى صلالة. مشروع بريطانى آخر لتطوير المدينة يتكلف ٨ مليون ستر
كل هذا بهدف تشجيع أهل الجبل على النزول منه والاستقرارفى السهل.

٣٠ أغسطس

.. منشور غريب وزعته السلطة : «يا أبناء ظفار . لقد اشترى السلطان
قربة لكنه لن يستخدمها كلها وانما سيرمى عليكم ربعها فقط ! لتدميركـ
الشيوعيون .. عملاء موسكو وبكين وتل أبيب وواشنطن ! عملاء آسيا وأفـ
وأمريكا اللاتينية» !!

.. استجاب البعض للعفو العام الذى أعلنه قابوس وهربوا إلى الجـ
الحكومى .

.. أعلنا من إذاعة عدن رفض العفو وأصدرنا تكليفا لكافة أعضاء الـ
وجيش التحرير بعدم دخول صلالة . أبلغنا كافة المجموعات بأن من يـ
الاستفادة من العفو سيتعرض لعقاب قد يصل إلى الاعدام .

٥ سبتمبر

.. بدأ كثيرون يعودون من الخليج استجابة لنداء قابوس .

١٢ سبتمبر

..انقلب عدد من زعماء القبائل في شرق ظفار على الثورة . اعتقلوا قرابة ٤٠ من كوادرنا بهدف تسليمهم للسلطان . استولوا علي أموال وممتلكات الجبهة. الشرق هوأكثر الأماكن سكانا في الإقليم، لكنه شهد أقل قتال. يتميزبقوة النظام القبلي والقوى الاجتماعية المناصرة للاستعمار. علاوة على هذا فإن أم السلطان الجديد من إحدى قبائله.

١٥ سبتمبر

..نقلنا وحدات كبيرة من مقاتلي جيش التحريرمن القطاع الأوسط إلى الشرق. تولى فهد القيادة .

.. منشورات السلطان تتهمنا بأننا شيوعيون ملحدون، نساؤهم وبناتهم عاهرات منحرفات، لا يعترفون بالله ولا بالإسلام أوأية تقاليد وقيم وطنية أودينية . طبعا عندما تتعرض أراضيهم وملكياتهم للخطر تصبح في الحال قيما وطنية وتقاليد عريقة .

٢٠ سبتمبر

.. مؤامرة أخرى : السعودية تنتهز الفرصة للقضاء على الثورة وضم شمال ظفار. دفعت الرواشيد لمحاولة احتلال أماكن استراتيجية هامة وسط وشمال ظفار. أفراد هذه القبيلة يحملون هويات سعودية كما يتلقى شيوخها رواتب منتظمة من المملكة.

٢٥ سبتمبر

.. نجحنا في القضاء على المؤامرة السعودية .

.. مذابح في الأردن . عشرون ألف قتيل وجريح . قُصفت عَمّان بمواد متفجرة تزن ١٢٠ ألف طن.

٢٧ سبتمبر

.. موقف بطولي لنميري. نجح في إنقاذ عرفات وتهريبه من العاصمة الأردنية .

.. اتفاق في القاهرة بين الحكومة الأردنية والمقاومة الفلسطينية بحضورالملك حسين وياسر عرفات والملوك والرؤساء العرب يتضمن وقف إطلاق النار وسحب القوات المسلحة الأردنية والفدائية من عمّان .

.. فاز الليندى المرشح الماركسي بالرئاسة في شيلي .

.. معارك ضارية في المنطقة الشرقية .

.. انضم كثير من شيوخ القبائل ورجالهم بأسلحتهم ومعلوماتهم إلى الجانب الحكومي . يجرى تنظيمهم في تشكيلات عسكرية أسمتها السلطة بالفرق الوطنية . يتراوح عدد أفراد الفرقة من ثلاثين الى مائة .تتولى تدريبهم وحدة انجليزية خاصة من سبعين رجلا تحمل اسما حركيا هو «بات» .الفرقة الأولى أطلق عليها اسم صلاح الدين. أعطوهم ملابس عسكرية نظامية يسمونها «دريس» لكنهم احتفظوا بملابسهم القبلية المعتادة (مئزر أسود مصبوغ بصبغة النيلة الزرقاء يلفونه حول بطونهم ويتمنطقون بصف الرصاص فوقه بينما تظل صدورهم عارية في الصيف).

٢٨ سبتمبر

..مات جمال عبد الناصر. قضينا ساعات حول الراديو نسمع القرآن وأخيرا عرفنا النبأ. أذاعه أنور السادات . ذهول . انخرطنا جميعا في بكاء متواصل . علق فهد بأن زعيم البرجوازية الصغيرة قد انزاح .ثرت في وجهه وقلت إنه لن يحلم بأن يقدم للشعب العربي شعرة مما قدمه عبد الناصر . سأطالب بأن تعلن وكافة الوحدات الحداد وتلقى المحاضرات عن مساهمته الثورية.

٣٠ سبتمبر

.. جنازة هائلة لعبد الناصر في القاهرة. شيعته الملايين هاتفة من القلب «يا حبيب الملايين» . قال كاسترو ان وفاته ضربة للحركات الثورية في العالم العربي.

١٢ أكتوبر

.. كان عنصرمن المنطقة الشرقية يدعى محمد زخينان قد تساقط وانتقل إلى العدو. حصلوا منه على معلومات عن نقاط الضعف .أرسلوا قوة كبيرة إلى موقع دوتشكا يقوده الرفيق مبارك حمد الكيتانيوحاصرته . رأى بعض رفاقه ضرورة الانسحاب لأن العدوفي القمم والمجموعة في الوادي . رأى البعض الآخرأن تبقى المجموعة وتدافع عن نفسها وعن سلاحها . كانت حجتهم أن عددهم قليل ولن يتمكنوا في حالة الانسحاب من حمل السلاح وعتاده . قال لهم مبارك : لن

تمكن العدو منا أو من سلاحنا .سلاحنا غال وأرواحنا غالية . سنسحب المضاد إلى مكان أمين ونبقى معه واذا اقترب العدو منا سنقاوم . حمل المدفع على كتفه وشق طريقه وسط الرصاص يتبعه رفاقه .استطاعت المجموعة أن تفلت من الحصاروتنضم إلى مجموعات أخرى. تمكن الجميع من تطويق العدو وإجباره على الانسحاب . أسماه رفاقه اللامرتد . عمره ٣٢ سنة . ولد فى صور، شمالى مسقط . هاجر إلى الكويت فى ٦٥ حيث التحق بتنظيم الجبهة العمانية . شارك فى عمليات الجبهة الشعبية فى الأراضى المحتلة .

٥ أكتوبر

.. نجحنا فى سحق التمرد بالمنطقة الشرقية . تم تحرير الكوادر المعتقلين.

١٦ أكتوبر

.. أثبتت الفرق الوطنية فاعليتها للعدو فى عمليات الاستكشاف والكمائن والهجوم وجمع المعلومات. أصبحت رمزا لوجود الدولة فى الجبل. ضمنت التأييد الضرورى من بقية أفراد القبيلة التى جندت منها. إعطاء السلاح للمتمردين المنشقين على الجبهة قوى شعورهم أنهم لم ينضموا إلى الجانب الخاسر. استوعبت أيضا آلاف الشبان العاطلين. تستفيد العائلات من التموين الذى يحصل عليه أفراد الفرق فضلا عن الرواتب العالية نسبيا التى تساوى مثيلاتها فى الجيش. يعملون نصف شهر ليتفرغوا لعائلاتهم وماشيتهم فى النصف الثانى .

١٨ أكتوبر

.. انقسام فى الحزب الشيوعى السودانى وفصل ١٢ عضوا.

٥ نوفمبر

.. قانون الإصلاح الزراعى الجذرى فى عدن : ٢٥ فدانا الحد الأقصى تتولى لجان الفلاحين الفقراء والمعدمين عمليات المصادرةوالتوزيع وإنشاء التعاونيات .

٨ نوفمبر

.. فصل جديد فى الصراع على السلطة فىسوريا. الأسد يستولى على السلطة كاملة.

١٦ نوفمبر

.. مجلس الثورة السودانى يطرد ثلاثة من أعضائه معروفين بصلاتهم بالحزب الشيوعى هم بابكر النور وفاروق حمد الله وهاشم العطا.اعتقال عبد الخالق محجوب ومطاردة الحزب .

ديسمبر

.. عقدنا احتفالا جماعيا لزواج ثلاث رفيقات وثلاث رفاق. بينهم رافع وأمينة. العقد تم باشراف مسئول الجبهة المحلى . اشترك فى إحياء الحفل أبو السلاسل، فارس موسيقى الدان المشهور الذى التحق بالثورة .

.. كتبت مقالا لمجلة ٩ يونيو عن دورالمرأة فى ثورة الخليج بدأته بملاحظة كارل ماركسأنه يمكن قياس درجة تقدم أى مجتمع بطريقة معاملته لنسائه، وبالمثل يمكن الحكم على الثورات. قلت: تتركز فى المرأة كل أشكال الاضطهاد والاستغلال فى أى مجتمع طبقى. فهى تتعرض لاضطهاد مزدوج : الى جانب معاناتها من علاقات الإنتاج الإقطاعية والرأسمالية تعانى أيضا من علاقة زوجية اتباعية ومن وضعها العائلى فى أسرتها الأولى ومن اضطهاد المجتمع عامة بما يفرضه عليها من تقاليد واعراف عتيقة تشل نشاطها.وتسلبها انسانيتها. المرأة الظفارية بالذات كانت تعانى من أربعة سلاطين : السلطان السياسى فى مسقط، القبلى وهوالشيخ، الدينى وهو الإمام، العائلى وهو الأب والأخ والزوج. وتتنوع أشكال استغلال المرأة حسب النظام الاجتماعى. فقبيلة الماريا السودانية عند عطبرة تضم وثنيين ومسيحيين ومسلمين وجميعهم يقدمون للضيف زوجة الرجل أوابنته . وفى كوكبان عند صعدة اليمنية قرب الحدود السعودية، وهى منطقة زيدية، تعلق المرأة فى المحراث الى جوار البقرة.

يناير ٧١

..احتفلنا بصمود صالح البنا . عبد سابق عمل فى الكويت .تعلم هناك القراءة والكتابة.انضم الى تنظيم الجبهة الذى أرسله الى بغداد فى دورة سياسية وعسكرية . عاد الى عمان فى سنة ٦٥ .اعتقل فى نفس السنة ووضع فى قلعة الجلالى . خرج من السجن فى العفو العام . لم يطق الحياة فى صلالة فهرب الى

الجبل. يمشي بصعوبة من جراء القيود الحديدية التي لم تفارق ساقيه طوال خمس سنوات . سيسافر الى عدن للعلاج .

.. ثورتنا بدأت تجذب الاهتمام العالمي . لأول مرة يزورنا وفد إعلامي سوفييتي.

.. لم أتمكن من المشاركة في لقاء الوفد السوفييتي . زارمدرسة الشعب الابتدائية في جيلوت على مبعدة ٢٥ كيلومترا من الحدود اليمنية .

.. حققنا مع مدير المدرسة التي زارها الوفد السوفييتي . نظم مظاهرة من التلاميذ استقبلت الوفد بلافتات تحمل هذه العبارة : تسقط الامبريالية الاشتراكية السوفييتية.دافع عن نفسه بأنه لا دخل له في الأمر وأن ما حدث هو صوت الجماهير !! المدير من المقاتلين الذين زاروا الصين . دافع غزال عنه . لا يخفي عداءه للتحريفيين كما يسمي السوفييت . هوّن رافع من الحادث ودعا الى تجاهله. قلت إننا ملتزمون بالحياد في النزاع الصيني السوفييتي . قال فهد إننا لا يجب أن نسمح بأي تهديد لعلاقتنا مع الاتحاد السوفييتي الذى نتلقى منه مساعدات جمة. لزم الشيخ عمّار الصمت ولم نعرف رأيه. اتخذنا قرارا بالإجماع بإنذار مدير المدرسة بألا يتخذ أي مبادرات من هذا النوع في المستقبل قبل استشارة القيادة .

.. الفرق الوطنية تكرس الانتماء القبلي . يجرى تشكيلها من أبناء كل قبيلة على حدة . ويزعم قابوس أنه يبني دولة حديثة !!

٥ فبراير

.. قادة المقاومة الفلسطينية يمارسون النقد الذاتي لأول مرة بصوت عال . أعلن أبو اياد الرجل الثاني في فتح أن المقاومة مصممة على عدم الخروج من الأردن وأن قادتها يعارضون إنشاء دولة فلسطينية من الضفة وغزة لأنها ستكون كانتا هزيلا تحت رحمة اسرائيل. قال إن بعض الشعارات التي أطلقت خلال أحداث سبتمبركانت أكبر بكثير من الإمكانيات الحقيقية للمقاومة مثل (لن نوقف المعارك قبل سقوط العرش). اعترف بأن المقاومة كانت تتمنى في اليوم الرابع للقتال وقف إطلاق النار .

١٢ فبراير

..المدفعية والدبابات الأردنية تشن هجوما جديدا على المقاومة الفلسطينية . اثنان وثلاثون قتيلا ومائة جريح من الجانبين .

.. نميري يهاجم الحزب الشيوعي ويدعو الى ضربه وتمزيقه.

أول مارس

..أثار الرفيق فهد مشكلة . وجد مقاتلا يصلي فسخر منه واتهمه بالتخلف والرجعية . تدخل الرفيق عمار الى صف المقاتل . في اجتماع اللجنة انتقد فهد تصرف عمار . قال إنه ما كان يجب أن يعارضه أمام المقاتل وكان عليه أن يحتفظ برأيه الى حين يعقد اجتماعنا. فيجب أن نبدو يدا واحدة أمام المستويات الأدنى منا وأمام الجماهير. قال عمّار بطريقته الهادئة وأسلوبه المنطقي إن هذه مسألة شكلية وإن الموضوع الرئيسي هو سخرية فهد من مشاعر وقناعات المقاتل . ثار فهد واتهمه بالتخلف والجهل . انسحب عمّار من الاجتماع غاضبا.

٢ مارس

.. اختفى الرفيق عمّار.

٣ مارس

.. حالة ذهول . تبينا أن عمّارتسلل الى صلالة وانضم الى قوات السلطة . واجهت فهد بأنه يتحمل المسئولية . قال غزال ان عمار عنصر رخو لم يتطور ولم يتخلص من تراث المعتقدات القديمة .قال رافع إنه في الغالب اتخذ القرار من مدة. اقترحت إصدار تعميم يؤكد على احترام المعتقدات الدينية وعدم المساس بها.تكونت لجنة برئاستي لاتخاذ الإجراءات الكفيلة بتلافي حدوث أضرار نتيجة هروب عمّار.

٧ مارس

..لأول مرة تعرف صلالة الكهرباء بمحطة صغيرة من مولدين كل منهما ٥٥٠ كيلوات .

..بلغ عدد الذين هجرونا الى صفوف العدو ٢٠٠ من المقاتلين .

.. فدائيو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين يهاجمون ناقلة بترول إسرائيلية وهي في طريقها إلى إيلات. هل يحاولون إثبات أنهم أكثر ثورية من جماعة نايف حواتمة؟

٢٨ ابريل

.. افتتحنا مدرسة ٩ يونيو الإعدادية (في الغيضة اليمنية التي تبعد عن

الحدود ٣٠٠ كيلومتر وعن البحر ٧٥ كيلومتر) . تضم ٣٢٠ طالبا في ٨ فصول و ٩ مدرسين.الدراسة فيها من الصف الثالث إلى الخامس الذى يوازى الثانى الإعدادى في المدارس النظامية. شربنا الشاى فى خيمة الإدارة. دكك ومناضد صنعت من أخشاب قديمة . أكد الرفيق عبد الصمد أحمد عضو هيئة التدريس أهمية التكوين الأيديولوجي للطلاب . قال إن النقد والنقد الذاتي خبز يومى للثورة. كل فصل فى خيمة ويضم ٤٠ طالبا وطالبة .أفضلية الالتحاق بالمدرسة لأبناء الشهداء . يقتسمون الكتب مثل كتاب المطالعة العربية الذى يخصص لاثنين أوثلاثة. بقية المناهج تطبع بالاستنسل وتوزع على الطلاب. الدفاتر والأقلام من البلدان الصديقة .ملابسهم متنوعة يغسلونها بأنفسهم. البنطلونات الطويلة والقصيرة والفوط أوالمعاوز.أغلبهم يرتدى طواقى كاكية. يغتسلون مرتين فى الأسبوع. المدرسون أغلبهم طلبة جامعات فى اليمن والخليج ومصر قطعوا دراساتهم وبناء على طلب الجبهة. بعضهم من الخريجين مثل متطوع سورى . الفصل التعليمى ٨ شهور يليه الفصل الثانى مباشرة.

مايو

.. استولينا على هاجليت آخر مركزللحكومة على الخط الأحمر. التقيت بالوحدة التى حققت هذا الانتصار . شعرت أن معنوياتهم منخفضة . اكتشفوا أنهم كانوا يقاتلون رفاقا سابقين لهم انضموا الى الفرق الوطنية.

.. مظاهرات جماهيرية فى الولايات المتحدة ضد الحرب الفيتنامية وضد الفقروضد القمع.

١٣ مايو

.. السادات يقوم بما أسماه حركة تصحيح ضد رجال عبد الناصر .

٩ يونيو

.. بدأت أعمال المؤتمر الثالث للجبهة فى رخيوت .

١٢ يونيو

.. تقرير رافع، يكرر أفكاره الانهزامية السابقة. يدعو الى عدم تجاهل ما أسماه بخطوات التحديث التى اتخذها قابوس . يطالب بالاهتمام بالعمل السياسى وأن العمل العسكرى ليس هدفا فى حد ذاته وإنما أداة لخدمة السياسة. مضمون رأيه هو التخلى عن هدف الاستيلاء على السلطة والاكتفاء بالمشاركة.

١٣ يونيو

.. انتقدناه جميعا. طالبناه بالتراجع عن أفكاره .قدم نقدا ذاتيا . قال إن خلفيته البرجوازية الصغيرة حرمته من رؤية الخط السليم وهو مواصلة النضال حتى النصر.

١٩ يونيو

.. انتهى المؤتمر بعدة قرارات تاريخية : إعلان الملكية الجماعية لكل الأراضى فى ظفار، تكوين مجالس شعبية لإدارة المناطق المحررة، الدعوة إلى الوحدة مع الجبهة العمانية، وإنشاء حزب ثورى جماهيرى يقود الثورة مسترشدا بالنظرية الجذرية العلمية :الماركسية اللينينية.

..ترتب على قرار تكوين المجالس إلغاء لجنة حل مشاكل الشعب. سأتولى مسئولية التثقيف.

٢٩ يونيو

..أنباء عن هروب عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعى السودانى من معتقله .

٣ يوليو

.. البعث العراقى يقوم بحملة قمع ضد الشيوعيين والأكراد.

.. قواتنا تسيطر الآن على ثلثى ظفاربينما تسيطر قوات السلطان على المنطقة الساحلية فقط .

١٣ يوليو

.. أعلنت حكومة الليندى تأميم بعض مناجم النحاس الأمريكية. علق الرفيق فهد بان الليندى اصلاحى وليس ثوريا. أيده غزال ورفيقان آخران . قال رافع إنه يستهدف التمهيد على المدى الطويل للاشتراكية عن طريق إقامة حكومة جبهة شعبية تعتمد على المؤسسات الدستورية التقليدية .قال فهد إن مثل هذه الحكومة لا يمكن أن تكون ثورية لأن المؤسسات التقليدية فى يد الطبقات الرجعية. ولن تسمح بأى تغييرولا بد من قلبها بالقوة . معه حق .

..شنت السلطات الأردنية هجوما واسع النطاق على قوات المقاومةالفلسطينية اشتركت فيه الدبابات والطيران . الضحايا بالمئات. هناك ٢٣٠٠ فدائى معتقل فى معسكرات الجيش الأردنى .

١٨ يوليو

.. نقاش حول نتائج إعلان قيام دولة الامارات العربية المتحدة.

١٩ يوليو

.. قطع راديو أم درمان إرساله في الساعة السادسة والنصف مساء وأذاع بيانا من الرائد هاشم العطا أعلن فيه عن حركة عسكرية قام بها لتصحيح مسار ثورة ٢٥ مايو، كما أعلن اعتقال نميرى.

.. أنباء السودان في كل الإذاعات . مجلس ثورة من سبعة ضباط منهم شقيق عبد الخالق محجوب برئاسة المقدم بابكر النور الموجود في لندن. أعلنوا تكوين جبهة وطنية ديموقراطية من تحالف العمال والزراع والمثقفين الوطنيين والجنود والضباط الأحرار والرأسمالية الوطنية. ألغوا الحظر المفروض على نشاط الحزب الشيوعي .

صباح ٢٠ يوليو

.. اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني تعلن تأييدها للانقلاب .

٢١ يوليو

.. قرر السادات تشكيل محكمة ثورة خاصة لمحاكمة مائة من رجال عبد الناصر على رأسهم على صبرى، شعراوى جمعة، سامى شرف، محمد فائق، ضياء الدين داوود.

٢٢ يوليو

.. عاد نميرى الى السلطة في السودان بمساعدة المخابرات المصرية والليبية والانجليزية. اعتقل هاشم أبو العطا.احتجزت السلطات الليبية في الصباح طائرة الخطوط الجوية البريطانية التي كانت تقل قائد الانقلاب بابكر النور وزميله فاروق عثمان حمد الله. أجبرتها طائرتان ليبيتان على الهبوط في مطار بنغازى خلال رحلتها من لندن الى الخرطوم .أنزل منها الضابطان السودانيان وأمتعتهما وعادت الطائرة الى لندن .

.. قبض على ٤٥ ضابطا كبيرا في العراق بتهمة التآمر على نظام البكر/ صدام.

٢٣ يوليو

.. جرت في الصباح بالخرطوم محاكمة سريعة للرائد هاشم العطا وعدد من رفاقه تم على أثرها اعدامهم رميا بالرصاص . أعلن نميرى امتنانه للسادات والقذافي على العون الذى قدماه لإحباط المحاولة الانقلابية والقبض على زعمائها. وصل بابكر النور وفاروق عثمان اليوم الى الخرطوم تحت الحراسة عل متن طائرة خاصة.

٢٤ يوليو

.. أعلن نميرى أن الحكم على بابكر النور و فاروق حمد الله سيصدر وينفذ الليلة أو صباح غد.

٢٥ يوليو

.. تم بعد الظهر تنفيذ حكم الإعدام رميا بالرصاص في الرائد فاروق عثمان حمد الله. كما تم اعتقال عبد الخالق محجوب.

٢٦ يوليو

.. تم تنفيذ حكم الإعدام رميا بالرصاص في بابكر النور وشنقا في الشفيع أحمد الشيخ رئيس اتحاد العمال في السودان وأبرزقادة الحزب الشيوعي .

٢٧ يوليو

.. أصدر المجلس العسكرى السودانى الحكم باعدام عبد الخالق محجوب.

٢٨ يوليو

.. تم في الصباح إعدام عبد الخالق محجوب شنقا.

٣٠ يوليو

.. أعلن فاروق أبوعيسى وزير الخارجية السودانى و أحد زعماء الحزب الشيوعي السابقين أن الذين أعدموا لقوا محاكمات عادلة.

.. مطاردات دموية لأعضاء الحزب الشيوعي السوداني وأنصاره.

١٣ اغسطس

.. أنهى وفد من اتحاد العمال العرب زيارته للخرطوم ببيان أكد فيه براءة اتحاد عمال السودان ورئيسه الشفيع الشيخ من أى علاقة بمحاولة الانقلاب.

.. نشرت مجلة نيوزويك الأمريكية صورة لنميرى في سيارته ليلة اعدام

عبد الخالق محجوب . قالت إن نميرى قضى الليلة بها متنقلا من مكان لآخر دون ان تتخلى يده عن زجاجة الويسكى .

سبتمبر

.. إضرابات فى مسقط ومطرح بسبب ارتفاع تكاليف المعيشة نتيجة مشاريع التنمية القابوسية .اعتمد إنشاء ميناء وطرق ومطار على العمال الأجانب المهرة. أدى ذلك الى ارتفاع صاروخى لأسعار الطعام والسكن. اتجهت أعمال التمرد ضد الأجانب ثم توقفت عند القبض على قادة الحركة .

.. السادات يتحدث عن عام الحسم .

.. انضمت البنا نبيلة سعيد (١٨ سنة) . ألحقت بوحدة من أربع فتيات و٢٠ جنديا ترأسها امرأة . أعلى منصب تبلغه امرأة فى جيش التحرير هو قائدة داورية من ثلاث وحدات .

أكتوبر

.. حضر قابوس احتفالات إيران بمرور ٢٥٠٠ سنة على عرش الطاووس فى برسيوليس. كان السادات هناك أيضا . لمّ الشاه جماعة متناسقة .

.. حملة إنجليزية باسم عملية « الفهد » تهدف الى إقامة سلسلة من المواقع على حافة الصحراء لقطع طريق الإمدادات عن المنطقة الشرقية .

.. استشهدت طفول فى غارة جوية بريطانية. أصيبت أمينة إصابة بالغة فى ظهرها.

٢٠ نوفمبر

.. استقال رئيس الوزراء طارق بن تيمور(عم السلطان). تولى قابوس بنفسه رئاسة الوزراء . شاع أن طارق كان يدعو الى قيام ملكية دستورية.

٢٨ نوفمبر

..البعث العراقى يطرح مشروعا لميثاق العمل الوطنى.أرجع أسباب الهزائم والنكسات التى منيت بها الحركة الثورية فى العراق والعالم العربى إلى نزعة تغلب التناقضات الثانوية بين فصائل الحركة الثورية على التناقض الرئيسى الدائم بينها وبين الاستعمار والصهيونية والرجعية . يدعوالمشروع إلى توفير كافة الأجواء الديموقراطية الثورية للجماهير وأحزابها الوطنية .

..بدأت محاكمة المناضلة الشيوعية الامريكية انجيلا ديفيز.

٣٠ نوفمبر

.. ايران تحتل جزيرتى طمب الكبرى وطمب الصغرى التابعتين لرأس الخيمة وجزيرة أبو موسى التابعة للشارقة . سبق لحاكم الشارقة أن وقع اتفاقية بناء على طلب بريطانيا تنازل فيها لايران عن نصف الجزيرة لمدة تسع سنوات مقابل مليون ونصف مليون جنيه سترلينى .

٢ ديسمبر

.. اغتيال رئيس الوزراء الأردنى العميل وصفى التل فى القاهرة .منظمة فلسطينية جديدة باسم أيلول الأسود تعلن مسئوليتها عن الاغتيال.

.. قرار ثورى للعقيد القذافى بتأميم الشركة البريطانية للبترول وسحب الأرصدة الليبية من بنوك بريطانيا ردا على دورها فى احتلال ايران للجزر العربية الثلاث.

.. نجحت عملية الفهد فى إقامة موقع انجليزى جديد مركزه تاقى عطار.

.. قررنا تجنب أى مواجهات نظامية وشن هجمات مضادة عندما تقيم الحكومة قواعد ثابتة.

.. احصاء : وقع ٢٩٠ اشتباكا خلال ثلاثة شهور إبتداء من أول أكتوبر، منها ١٧٠ إشتباكا فى الشرق و٤١ فى الوسط و٢٠ فى منطقة هوشى منه و٥٩فى الغرب . فقدت قوات السلطان ١٣٦ قتيلا مقابل ٣١ لنا. خسر الاستعماريون طائرتين وواحدة مروحية وعدة عربات عسكرية. لا أستبعد بعض المبالغة فى هذه الأرقام.

.. انعقد فى أهليش بالمنطقة المحررة المؤتمر التأسيسى للجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربى. تكونت من الوحدة بين جبهتنا والجبهة الوطنية الديموقراطية لتحرير عمان والخليج العربى.سار بعض المشاركين على الأقدام لمدة اسبوعين ليبلغوا مكان المؤتمر. لم يتمكن يعرب من الحضور. تم انتخابه فى لجنة تنفيذية مسئولة عن منطقة الشمال العمانى .

٥ فبراير٧٢

.. استقبل نميرى فى الخرطوم مبعوث الخارجية الأمريكية جورج بوش، أحد كبار رجال سى أى ايه .

٢١ فبراير

..فشل حملة ضارية من ألفى مرتزق ضد المحافظة الرابعة ببيحان فى الجنوب اليمنى. قائد المرتزقة هوالشيخ على بن ناجى الذى اصطدم به الجيش المصرى سنة ٦٢ .كان من ضحاياه فى صرواح والعرقوب الضابطان المصريان نبيل الوقاد وعبد المنعم سند واليمنى على عبد الغنى .

١٣ فبراير

..تقرر أن أسافر مع وفدحزبى الى عدن على بعد ١٥٠٠ كيلومترا لحضور المؤتمر الخامس للجبهة القومية. لا أستطيع النوم . سأرى أخيرا البلد الصغير الذى لايتجاوز تعداد سكانه المليون ونصف المليون وصار قاعدة الثورة فى العالم العربى.

١٧ فبراير

..قضينا ثلاثة أيام في لاندروفر وبيك أب وفوق ظهورالجمال وعلى أقدامنا. أنا وغزال وآخر من بيت الغسانى. مراع فقيرة وعيون شحيحة.الممرات الجبلية تنسد دائما بسبب قوافل من عشرين إلى ثلاثين جملاتنقل المؤن. بعض القصف العشوائى من جانب البريطانيين. صخرة رأس ضربة على التى تطل على بحرالعرب مباشرة.آخر نقطة على الحدود.ارتفاعها ثلاثة أمتار. تشبه رقم ٧ ، تقول الأسطورة إن على ابن أبى طالب شقها بسيفه إلى نصفين عندما اعترضت طريقه . سألت مقاتلا على مدفع هاون عن مصدره . قال : غنمناه من الانجليز .وجدت عليه عبارة «الجمهورية العربية المتحدة» . أشرت اليها فقال: بريطانيا أخذته من مصر ونحن أخذناه منها. نزلنا أحد الأودية ثم صعدنا الى جبل القمر. اجتزناه ليلاعلى أقدامنا . هبطنا فى الحوف . أول قرية بالمحافظة السادسة (المهرة) .وجبة من السمك المسلوق مع الشرفى مكتب الجبهة . قارب بموتور٣حصان لمركزالفتك ثم لاندروفر الى الغيضة عاصمة المحافظة السادسة . طائرة متداعية إلى مطار الريان فى المكلا. منازلها متلاصقة ومحصورة بين الجبال والبحرفى شريط ضيق. ترتفع الى ست طوابق أحيانا.بدت من الطائرة مثل صفوف من قطع الحلوى .

.. التقطنا اذاعة عربية جديدة من مونت كارلو . لها ايقاع سريع .

٢٨ فبراير

.. طائرة متداعية أخرى الى عدنالتى تبعد ٥٠٠ كم. تذكرت أيام الطفولة كان أبى يصحبنى معه فى جولاته التجارية بأنحاء المحمية الانجليزية بسلطناتها

ومشيخاتها وقبائلها. العوالقة المحاربون تسل معن عبدة القمر . تلمع صدورهم بمزيج النيلة الزرقاء والدهن. يربطون شعورهم بخرق . فى حزام كل واحد منهم الخنجر المقوس الذى يحوى مقبضه إناء الكحل. أطننا زرنا لحج التى يحتفظ سلطانها بأسد أهداه له امبراطور الحبشة .رأينا طوابير المصفحات الانجليزية ترتفع منها ساريات اللاسلكى .المخافر يحرسها جنود يرتدون الشورت . وادى القتل فى سلطنة الوحيدى. يمدون خنادق من البيوت الى الآباركى تتمكن النساء من نقل المياه دون أن يصيبها الرصاص المتطاير. صفوف طويلة من جذوع النخيل الذابلة بسبب الجازالذى صبه متقمون .حضرموت التى ترتفع فيها المنازل ثمانين قدما. قصر السلطان المهيب فى سايون. صعدت مائة سلمة الى طابق الحريم بينما كان أبى مجتمعا بالسلطان . شبوا التى ترقد فوق واحدة من أعظم مدن مملكة سبأ. عندما اقتربنا من عدن تذكرت القيظ والرطوبة الخانقة من الصباح المبكر .سباقات النوق وطقطقة الطواحين الهوائية التى تجذب مياه البحرالى أحواض الملح . ضجة الميناء .الصيادون يصلحون شباكهم المنشورة على الشاطئ . السفن العابرة بين المتوسطوالمحيط الهندى تتزود بالبترول والفحم .يتسوق ركابها من السوق الحرة .الأوروبيون بملابسهم البيضاء والسفارى.

مطار عدن صغير .كنت أتوقعه أكثر نظافة . به طائرتان واحدة أثيوبية والثانية صومالية. استقبلنا رفيقان أحدهما من الجبهة القومية والآخر ممثل جبهتنا.حملنا حقائبنا بأنفسنا من الطائرة الى جيب عسكرية متداعية. بعد هذه السنوات فى البرية تبدو المدينة محيرة ومربكة. المبانى الواطئة تبدو كالعمارات الشاهقة .السيارات تنطلق بسرعة مرعبة. الناس كثيرون. الأسلاك الشائكة فى كل مكان . منطقة خورمكسر التى كانت بها ثكنات الانجليزومساكنهم. أصبحت الآن حى السفارات وسكنى الأجانب والمسئولين. فندق كريست . مبنى كولونيالى من بقايا العهد الاستعمارى. مراوح عاطلة فى السقف. المصعد متوقف . الضوء ضعيف. العاملون من الفدائيين السابقين. أخذناموسى مسئول الإعلام فى مكتبنا الى منزله. أعطتنى زوجته شامبو للشعر وأخذت أروع حمام ساخن فى حياتى. غسلت أسنانى جيدا بفرشاتها. شربنا بيرة صيرة.يشبه مذاقها مذاق ستلا المصرية . تعشينا لوبستر.الدولة هى التى تشرف على صيده بعد ان أممت مراكب الصيد التى لم يزد عددها عن ثلاثين أوأربعين مركبا. تصدره الى المانيا الديموقراطية وروسيا.

التليفزيون كله أحاديث ثورية ومسلسل مصرى. الكهرباء والمياه تقطعان من الساعة العاشرة مساء عدا الخميس وطيلة يوم الجمعة.

٢٩ فبراير

..أفطرنا فاصوليا بيضاء و عدسا . جريدة ٦ اكتوبر والحرية وصحف الحزبين الشيوعيين السورى واللبنانى . لا توجد جريدة أجنبية أو كتاب أجنبى أوحتى عربى..

خصصت الجبهة العدنية لكل منا عدة دينارات للنفقات الشخصية لكننا رفضنا أخذها. جولة فى سيارة جيب عسكرية مخلعة . بيت كيكى الذى كان يتم فيه تجميع الأطفال المخطوفين من أفريقيا لينقلوا بعد ذلك إلى السعودية أوالخليج. اسمه الآن بيت السلطان. حى المعلا. الشريان الرئيسى الذى يلى الحى العربى فى كريتر. مكاتب جبهتنا. عدد من المتدربين الظفاريين على الرعاية الصحية .الرفيق صالح الذى أصابه السجن بشبه شلل فى قدمه. كنا قد قررنا ارساله للعلاج فى المانيا الديموقراطية لكنه يرفض السفرويصر على العودة للقتال . يعيش رفاقنا هنا فى نفس المستوى الذى نعيشه فى ظفار. يأخذون نفس الراتب (١٠ دينار) للنفقات الشخصية .تتكفل الجبهة بالإعاشة . السكن والكهرباء على حساب الدولة اليمنية. بقايا فيلات الانجليز مزخرفة بأشكال هندسية وألوان بهيجة.البنايات احتلتها جموع ريفية فقيرة. المدينة الجديدة حول الميناء : بلوكات المساكن الشعبية التى بنيها الألمان. دورالسينما الصيفية والكازينوهات والمقاهى. جلسنا فى مقهى على البحر. أراد غزال أن يشرب بيرة لكنى نبهته الى أننا فى مكان عام. غضب منى وصار يدعونى بالشيخة وردة. المرفأخال من البواخر، هامد الحركة.إغلاق قناة السويس ورحيل المستعمرأدى إلى بطالة عشرات الألوف من كوادر ومهنيين وعمال . تغدينا لوبستر وبريان أرزبالسمك. السيدات يتلفعن بما يشبه الثوب السودانى. البعض فى جوب وبلوزة. رائحة الدلكة والصندل الزاعقة. النقوش على الأيدى والأقدام .أصوات الغربان السوداء المزعجة . منتشرة فى كل مكان. جلبها الانجليز لتقوم بتنظيف المدينة كل صباح. حرموا اصطيادها أوقتلها. أكد لنا السائق أنه لوقتل أحد غرابا هاجمته بقية الغربان هو ورفاقه. حوانيت الدولة قديمة وتكاد أن تكون خالية من أى بضائع . خمس تاكسيات فى المدينة كلها. ما زالت هناك تقبيلة من الساعة الواحدة حتى السادسة. تحارب

الدولة تعاطى القات. قصرت بيعه على يومى الخميس والجمعة. يستورد من اثيوبيا بالطائرة.

أول مارس

.. عرضت نفسى على طبيبة متخصصة تخرجت من مصر. فحصتنى بدقة. لم تجد تفسيرا لما أشعر به من آلام غامضة واضطراب فى الدورة . نصحتنى بأن أتزوج وأنجب أطفالا.عجبت لأمرها. مهما بلغت المرأة من ثقافة لا تتحررمن تأثير المجتمع الذكورى. تظل تتصور لنفسها مهمة واحدة رئيسية فى الحياة.

٢ مارس

.. شهاب هنا. وفد لحضور المؤتمر. ابتهجت لرؤيته. احتضننى بقوة . لم يتغير كثيرا. فقد الكثير من شعر رأسه. تزوج من رسامة لبنانية . قال إنه يفكر فىّ كثيرا . تحدثنا طويلا. قال إن رشدى ينشر سلسلة من الدراسات عن الحركات الثورية فى العالم العربى . وإنه التقاه فى بيروت.

٣ مارس

.. قابلت أعضاء الاتحاد النسائى اليمنى . الناس تغنى فى الشوارع لسالمين. قيادة لا تتعالى أو تتطلع وليس لها امتيازات خاصة .النسبة بين الحد الأدنى والحد الأعلى للأجور والمرتبات كانت ١-١١فنزلت بها القيادة الشعبية إلى ١-٤,٥ فقط. راتب الوزير ٧٥ دينار وأقل أجر للعامل ١٥دينار(٤٥ دولار) . أما راتب رئيس مجلس الرئاسة فهو١٠٠دينار فى الشهر.

.. حماس فى المؤتمر يقوده سالمين نحو الإسراع فى إقامة الحزب الطليعى ودكتاتورية البروليتاريا . ورأى عبد الفتاح إسماعيل أن هذا الحزب لا يمكن إقامته نتيجة لضعف الأساس الطبقى والأيديولوجى.

.. التقينا سالمين فى قصر الرئاسة. بناء دائرى كان مقرا للحاكم البريطانى. دخلنا دون موعد ودون أن يعترضنا أحد .يرتدى بذلة كاملة . الملابس الأوروبية تبدو لى غريبة. عيناه دائمتا الحركة. بسيط وشعبى.

.. ذهبنا إلى عبد الفتاح اسماعيل فى بيته فوق أحد التلال المشرفة على الميناء . هادئ ورزين . شعر رأسه غزير وناعم . حاد الذكاء. سألته عن الموقف من الشيوعيين . قال إنهم رفاق جيدون ثم اضاف مبتسما: يجيدون الكلام . تذكرت حديث جيفارا عنهم .

٦ مارس

..انتهى المؤتمر بانتخاب لجنة مركزية من٣١ عضوا بدلا من القيادة العامة. انتخبت اللجنة بدورها مكتبا سياسيا من ٧ أعضاء وأمين عام هو عبد الفتاح اسماعيل . سالم ربيع رئيس لمجلس رئاسة الجمهورية وأمين عام مساعد للحزب.

.. انشقاق يسارى جديد فى الجبهة الشعبيةيدافع عن خطف الطائرات . يصفه بأنه تكتيك نضالى . يرى أن الأنظمة التقدمية العربية ليست إلا أنظمة برجوازية صغيرة آخذه فى التحول إلى أنظمة رجعية .

.. اجتمع قابوس مع الملك فيصل فى الرياض. قالت الصحف الانجليزية إن الاجتماع دبره روبرت أندرسون وزير الخزانة الأمريكية الذى التقى الأول فى لندن. اتفقا على وقف مساعدات السعودية للإمام غالب و مساندة قابوس.

.. توقيع اتفاقيات تسهيلات بحرية بين البحرين والولايات المتحدة تتيح مرابطة ٣ سفن للاخيرة فى ميناء جفير.

٧ مارس

.. سهرنا أمس فى بيت الرفيق موسى احتفالا بانتهاء المؤتمر. أعدت شغالة صومالية الطعام الذى مونه مكتب الجبهة .حضر شهاب. غازلنى بجرأة رغم صدى له. أدركت أنه يريد أن يثبت سيطرته علىّ فقاومته. لا أظن أن مقاومتى كانت جادة. ربما بسبب علاقتنا السابقة أوحاجتى الى الشعور بخد خشن وساقين قويين. ربما أيضا أنى من جانبى كنت أتلمس قدر ما لى من نفوذ عليه. وهو داخلى ابتسمت عندما تذكرت كلمات الطبيبة. الغريب أنى استمتعت . وربما السبب هو الألفة القائمة بيننا . لكنى تأكدت اليوم أننى لم أعد أحمل له ذرة عاطفة. فيتو.

١٠ مارس

..اللاندروفر من الغيضة وسط الجبال .الأغانى والأناشيد طول الوقت. اصطحبنا صالح الذى أصر على العودة دون علاج . مياه المحيط على طول النظر. هى والجبال. وصلنا دمقوت التى بدت مهجورة .بعد عناء عثرنا على دكان به نوع واحد من المعلبات. تركناها فى صنبوك متداع .شددنا على حوافه ونحن نغنى «شعبية شعبية» .قرش كبير أو دلفين قذفه البحركاد يقلبنا .صرخ صالح أنه لا يستطيع السباحة. ثم بدأت نغمة هوب، هوبل. هبطنا الشاطئ عند الحدود. استقبلنا الرفيق سعيد على عضو اللجنة التنفيذية . تفقدنا المرحلة الأخيرة من أول

مستشفى تبنيه الجبهة. استلقينا بعد العشاء فوق سطح منزله تستنشق الهواء الرحب الذى افتقدناه فى الغيضة. الحديث عن مسلم بن نواف الذى انضم للحكومة. ومضات الضوء تنبعث من كشافات بحرية السلطان على طول الشاطئ بحثا عن القوارب التى تنقل الأسلحة. فجأة انهالت علينا الصواريخ من بارجة بريطانية بعيدة. الدوى هائل لكن لم تحدث إصابات .

١١ مارس

..استأنفنا السير. فى نهاية اليوم وصلنا قرب البريطانيين فى صرفيت. رغم وجودهم قرب الحدود فإن «عنق» المناطق المحررة الذى تتسلل منه القوافل من اليمن مازال مفتوحا بسعة خمسة أميال .

٣١ مارس

..السودان يحصل من صندوق النقد الدولى على مساعدة مقدارها ٤٠ مليون دولار لمواجهة العجز فى ميزان المدفوعات.

٢ ابريل

.. أقامت الحكومة مراكز محصنة بالقرب من صرفيت . دعمت الرقابة على كافة الطرق المؤدية إلى الجبل من الساحل. أطلقت على هذه الخطوة اسم عملية سيمبا . شملت العملية هجمات جوية على اليمن الديموقراطى ذاته بما فى ذلك قرية الحوف .

٨ ابريل

.. نبأ صاعق . بعد ان تركنى صالح وواصل الطريق الى وحدته عرف أن محكمة الثورة أعدمت والده بتهمة التعاون مع العدو. جن وانهار. انضم للفرق الحكومية وأخذ يدلهم على أماكن قواتنا وأسلحتنا.

.. المؤتمر الأول للاتحاد الاشتراكى العربى فى ليبيا (٥٣٠ عضو بينهم ٤٠ امرأة) . القذافى يقول أنه تنظيم جماهيرى يجمع الرأسمالية الوطنية والفلاحين والعمال والمثقفين والجنود كى ينصهروا مع بعض . قال إن النظرية الثالثة التى ابتدعها تقوم على أسس ثلاثة : الاشتراكية والدين والقومية . وإن الاشتراكية التى يعنيها تختلف عن الماركسية والرأسمالية.

١٥ ابريل

.. تقصيت أمر الحكم الذى أصدرته محكمة الثورة على والد صالح. كل ما فعله أنه قدم الحليب لدورية حكومية طبقا لتقاليد الضيافة. هناك عشرات من الأحكام المماثلة التى تم تنفيذها فى مناطق مختلفة . كتبت تقريرا الى اللجنة التنفيذية طالبت فيه بمنع تنفيذ أى حكم بالإعدام الا بعد عرضه على اللجنة المركزية بكامل هيئتها.طالبت ايضا بتصحيح الموقف بالنسبة لوالد صالح.

٢٨ ابريل

.. ما زال الهجوم الفيتنامى الكبيرفى أوجه . أربك خطط الولايات المتحدة العسكرية وأدخل الثوار الى المدن .

٦ مايو

.. محاولة لضرب اليمن الديموقراطى. حشود عسكرية على حدوده. مشاريع أمريكية اسرائيلية للسيطرة على مداخل البحرالأحمر.استفزازات على الحدود بين الدولتين اليمنيتين .

.. الثوار الفلسطينيون يختطفون طائرة ركاب بلجيكية ويهبطون بها فى مطاراللد. طالبوا بالافراج عن عدد من زملائهم المعتقلين فى السجون الإسرائيلية. القيمة المعنوية للعملية تتمثل فى الوجود الفلسطينى فى قلب إسرائيل ذاتها .

٢٤ مايو

..أسقط العدو ٢٠٠ رجلا فوق خال - أروط على مبعدة عشرة أميال شرقى حوف .

٢٥ مايو

..شنت الطائرات الإنجليزية هجوما على الحدود اليمنية استمرطول اليوم. قصفت أهدافا مدنية : المدرسة والمركزالطبى و مركز مكافحة الأمية ومساكن الأهالى. قتلت خمسة من رجالنا و نساء وأطفالا .أسقطنا طائرتى سترايكماستر.

.. القذافى يعرض المساعدة على السلطنة ضدنا.

.. افتتاح مستشفى الشهيد حبكوك فى منطقة الحدود . يتكون من ١٤ عنبرا: عيادتين، ثلاثة كهوف، ثلاث خيم ، أكشاك من الزنك والخشب .تشرف عليه لجنة صحية من الذين تدربوافى اليمن الجنوبى .العيادة صيدلية فى نفس الوقت. يتردد عليه بين ستين و ثمانين مريضا من الرجال والنساء والأطفال .

صاحبتنا مريضة بالسل في السبعين تحمل الكلاشينكوف. تشارك فى الحراسة. النزلاء يفترشون الأرض فوق الكنابل والملاءات .قرب المستشفى أقيمت مزرعة خضراوات .يعمل بها القادرون من المرضى.المساعدون الصحيون ينتقلون إلى المناطق السكنية للعلاج والتثقيف الصحى . يتولون الإسعافات الأولية ثم تنقل الحالات الحرجة إلى المستشفى . الطبيب الوحيد وليد يبدو عليه الإرهاق. يحمل الكلاشينكوف على ظهره طول الوقت. حافى القدمين مثل مرضاه. انتدبته الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. فلسطينى فى الثلاثين. أصيب فى عملية بالأرض المحتلة نتج عنها تشوه وجهه .سألته إذا كان يشعرأن فلسطين تحتاج اليه أكثر منا. قال وهو يلف دخينة تبغ : المعركة واحدة فى كل مكان. المشكلة هنا هى في درجة الوعى. له هنا عدة شهور. طوف بكثير من القرى . كان يعتمد طول الوقت على المسكنات البسيطة بسبب نقص الأدوية . يعطى للمريض بضعة أقراص ويقول له خذ اثنين منها ثم يصرفه . أغلب المرضى لم يفهموا أن المطلوب هو ابتلاع الدواء فكانوا يربطونه بقطعة قماش فوق المكان الذى يعانى من الألم . الأغرب من هذا أنهم كانوا يشعرون بالتحسن.

..هاجم ثلاثة يابانيين مطار اللد تعبيرا عن التضامن بين القوى الثورية العالمية .

أول يونيو

..وزير الارشاد السودانى يزور أمريكا ويؤكد عودة العلاقات بين البلدين .

المليونير السودانى خليل عثمان يقول: «رأس المال الأجنبى دلوقت بيقبل على الاستثمار فى بلدنا. بعد أربعة أيام سيصل رجال الأعمال من اليابان وأمريكا وبريطانيا علشان يشوفوا المشروعات الممكن يساهموا فى تنفيذها»

٧ يونيو

.. أصيب ١٢ ضابطا إنجليزيا عندما أطلق مقاتلونا قذيفة مباشرة على ميس الضباط فى صلالة .نقل الجرحى بطائرة خاصة إلى قبرص .

٢٨ يونيو

.. عندما بدأ موسم الأمطار كانت المبادرة فى أيدينا . أجبرنا العدو على إخلاء مركز ثقبيت. تمركزوا فى موقع سيمبا على ارتفاع ٤٥٠٠ قدم، على مبعدة سبعة كم من الحدود اليمنية . هذا الموقع يتحكم فى الطريق بين الجانبين .

فشلوافى اختراق التلال إلى البحر. أصبحوا أسرى موقعهم . لديهم كتيبة واحدة ستضطر للبقاء طوال الشهور الخمسة التالية. دمرالقصف المتواصل من جانبنا الممر الجوى الذى كانت تستخدمه طائرات سكاى فان وكاريبو. يعتمدون الآن كلية على إمدادات الهليكوبتر.

.. فى معركة استمرت ١٤ ساعة فى وادى كوهوت تحت صرفيت، قتل الشيخ محمد أحمد هاشيت خال قابوس .

.. ارتباك فى صفوف السلطة : تشكل مجلس للدفاع الوطنى يضم وزير الخارجية ، نائب وزير الدفاع الذى هو السلطان ،القائد البريطانى لقوات السلطان،المديرالبريطانى للمخابرات والمستشارالبريطانى لشئون الأمن والمستشارالاقتصادى ورئيس البوليس وهو سيلانى يحمل جوازا بريطانيا.

٤ يوليو

.. أعلن الملك حسين عند استقباله لقابوس إنه سيرسل بعثة عسكرية أردنية من الجيش و الطيران إلى السلطنة لمقاتلة الثوار. الشبه بين الاثنين غريب : تقريبا نفس السن والقامة ونفس الدراسة فى انجلترا ونفس التاريخ فى العلاقة بالأب ونفس الارتباط بالأجنبى .

٨ يوليو

.. السادات يتخذ قرارا بإنهاء مهمة المستشارين والخبراء العسكريين السوفييت فى مصر. كشف بذلك عن عدم جديته فى خوض معركة التحرير.

.. اجتماع لمناقشة اقتراح فهد بالاستيلاء على بلدة مرباط. نتائج الاستطلاع : ٤٠ رجلا فى القلعة وبعض رجال الفرق القبليين فى البلدة وثمانية ضباط من القوات الخاصة الأنجليزية ومدفعى عمانى فى حفرة إلى جانب القلعة . القائد الانجليزى اسمه الكابتن مايك كيلى. بمنزله رشاشان براونتج وهاون نصبت فى دشم من زكائب الرمال. اعترضت على الفكرة على أساس قرارنا السابق بعدم الدخول فى مواجهات نظامية .صاح فىّ فهد حانقا: نظامية ايه ؟ سنفاجؤهم وهم نيام.نوه بالأهمية السياسية لأن تتم العملية فى ذكرى انقلاب قابوس.

٢٣ يوليو

.. هجوم واسع النطاق على مرباط بقوة من مائة مقاتل يقودها فهد . بدأ فى الخامسة والنصف صباحا.

٢٤ يوليو

..احتفظت قواتنا بمرباط لمدة ١٤ساعة.

٢٥ يوليو

..فقدنا سبعين مناضلا فى كارثة مرباط. استمعت الى شهادات الناجين. تقدمت جماعة من عشرين رجلامن السلك الذى يحيط بثلاثة جوانب من البلدة. خلفهم مجموعات من عشر إلى ١٢ رجلا ملأوا السهل . جروا فى خط متباعدين عن بعضهم البعض ،رافعين أسلحتهم إلى أكتافهم. فاجأتهم زخات قصيرة حادة من النيران صادرة عن منزل القائد الانجليزى. بلغ رجالنا السلك .شرعوافى تمزيقه. بعضهم فعل ذلك بأيديه العارية. البعض الآخرألقى بطانية فوقه واعتلاه.إنفجرت فيهم الدانات ٧,٦٢ مم المنطلقة بسرعة أكثر من ٣٠٠٠ قدم / ثانية . قذفت بالبعض بعيدا عن السور. اشتبك آخرون بالسلك وجعلوا يتأرجحون مثل الدمى . صرخ فهد فى الناجين ولوح بيديه يحثهم على عبوره . تعرضوا لدفعة نيران جديدة . تمكن البعض من عبورالسلك وجروا صوب القلعة على مبعدة أربعين ياردة منه، بينما علق به آخرون. مقاتل تدلى فوق السلك مثل دمية من القماش. آخرتعلق به ورأسه إلى أسفل وأطرافه مبسوطة فى كل الاتجاهات كالمصلوب. عبرآخران السلك .سقطا على الفور وساق أحدهما تتأرجح. اندفع رفيقان لإسكات المدفع. بعد مائة ياردة دوت بينهما زخة رشاش. ارتميا فوق الأرض. اندفع أحدهما فى خط متموج نحوحفرة المدفع فقفزفوق جدارها. جرى الباقون نحوالقلعة وهم يقذفون بالقنابل . ثم جاءت الطائرات.

.. تخيلت فهد فى بذلته الكاكية وقبعته المدببة وحزام الطلقات حول صدره، منتصبا عند السلك يصرخ ويلوح بذراعيه، وبندقيته مرفوعة أفقيا فوق رأسه. ربما تخيل نفسه مثل أبطال الملصقات الصينية!

.. وليد ومساعدوه يعملون ٢٤ ساعة لعلاج الجرحى.

٢٧ يوليو

.. مقاتل فقد ساقيه . طارتا أسفل الركبة مباشرة نتيجة إنفجار. روى لى كيف استشهد رفيق له يدعى مسلم. انسحب فى اتجاه الشاطئ حسب الأوامر.

لحقت به مجموعتان من الجنود الانجليز. خاض في الماء حتى خصره . نادوا عليه ليلقي بندقيته ويستسلم. استدار وأطلق عليهم النار فصرعوه.

.. وزعت قوات العملاء منشورا به صورالأسلحة التي غنمتها. جاء به : «إن القادة الشيوعيون توقعوا سهولة النصر في عملية مرباط الأخيرة . والحقيقة كانت هزيمة للشيوعيين منكرة وعظيمة . لقد هرب الشيوعيون تاركون في يد قوات السلطان المسلحة المنتصرة : تسعة وعشرين قتيلا واثنى عشر أسيرا وكثير من الأسلحة . ان هذه الصورة ليست كل ما غنمناه ولكنها نموذجا حيا للأسلحة التي خلفها الشيوعيون وراءهم». تحسن مستوى كتابتهم وإن ظلوا يرتكبون أخطاء نحوية!

.. منشور آخر بعنوان يد الله تحطم الشيوعية يصور قبضة ساذجة موسومة بعلم السلطنة تعتصر جسما بشريا ضئيلا لا تبدو منه غير اليدين في أعلا القبضة ونجمة في أسفلها وتتساقط منه قطرات من الدماء !!

..أخذوا بعض الأسرى إلى صلالة حيث تعرضوا للضرب والتحقير بواسطة الضباط الإنجليز أمام الجمهور .

أغسطس

.. بمبادرة لم تعرض على القيادة ، هاجمت مجموعة من المقاتلين بلدة طاقة. نجحت في احتلالها لمدة أربع ساعات. انسحبت بعد أن استولت من التجار على كميات كبيرة من الأطعمة وعوضتهم نقدا .

.. اتخذنا قرارا حاسما بوضع حد لعمليات الهجوم على نطاق واسع.

13

صــلالــة

ديسمبر ١٩٩٢

دق جرس التليفون فوضعت أوراق وردة جانبا وتناولت السماعة .

عرفت صوته على الفور : زيد!

ضحك : كنت تتوقعني ؟

قلت : نعم .من أين تتكلم ؟

قال: من مسقط. اسمع. الى متى ستبقى عندك ؟

قلت: حتى بعد غد.

قال : هل يمكن أن تنتظر يوما آخر ؟ أريد أن أراك .

ترددت . كنت قد بدأت أشعر بالضجر وأتلهف على العودة لا الى مسقط وانما الى القاهرة.

قلت : يمكنك أن تراني في مسقط.

قال : لا . أفضل عندك . سأتصل بك بمجرد وصولي.

وضع السماعة وأعدت سماعتي في ضيق . كنت قد طلبت من خلف أن يرتب لي حجز الطائرة وسأضطر الآن الى طلب تأجيله.

مددت يدى الى أوراق وردة لأواصل القراءة وإذا بجرس التليفون يدق من جديد.

جاءني صوت سالم:

– ماذا تفعل ؟

قلت : أقرأ. ماذا هناك ؟

قال : رتبت لك موعدا . أيمكنك أن تنزل ؟

قلت : الآن؟ أنا لم أتعشى بعد.

قال : لا تقلق . سنأكل .

ارتديت ملابسي وأعدت الأوراق الى كيسها. أزحت المقعد المجاور للفراش ودسست الكيس أسفل السجادة ثم أعدت المقعد الى مكانه .

وجدت سالم ينتظرنى فى البهو وقادنى على الفور الى الخارج حيث كان زوج أخته ينتظر فى سيارة مازدا قديمة مركونة على الناحية الأخرى من الطريق ومقدمتها فى اتجاه وسط المدينة .

عبرت الطريق خلفه وأنا أتساءل: ايه الحكاية ؟

قال وهو يفتح لى باب المقعد الخلفى : اركب أولا.

جلس الى جوار قريبه الذى انطلق على الفور.

قال: هل تعرف أن لأخت صديقك ابنة هنا ؟

تجنبت الرد بالايجاب أو النفى ووجهت اليه سؤالا بدلا منه :

– هل نحن ذاهبون اليها؟

قال : لا طبعا. سنقابل شخصا آخر. واحد من الجبهة كان فى السجن .

التفت نحوى وقال: ألم تقابلها عندما ذهبت الى جمعية المرأة؟

لا شئ يخفى هنا.

قلت : قابلت واحدة اسمها وعد لكنى لم أعرف صلتها بوردة.

قال : إنها هى . كيف وجدتها؟

– لم أتوقع أن تكون مهووسة دينيا.

– كيف ؟

– تغطى وجهها بنقاب أسود كثيف يخفى حتى عينيها.

– آه . هذا نقاب الأشراف ولا علاقة له بالدين.

مضى فطوم فى شارع قابوس الموازى للشاطئ، وأدار الراديو فاستمعنا الى نشرة أنباء تصدرتها إشارة الى اغتيال أحد قادة الحزب الاشتراكى اليمنى فى عدن.

علق سالم : أظن هذا هو الحادث الخمسين من نوعه منذ الوحدة بين الشمال والجنوب.

قال فطوم وهو ينطلق بجوارمحمية للطيور:

– الحمد لله أن العدوى لم تنتقل الينا.

قال سالم مستنكرا: هل نسيت سهيل ؟

تدخلت فى فضول : من هو؟

قال : أحد القادة الأوائل للجبهة وتوفى أمس فى حادث مرور فى نزوى. حادث مريب . ترك زوجة وسبعة أطفال .

قال فطوم مهونا: حادث واحد .

رد سالم كأنما يستأنف نقاشا سابقا :

– وماذا عن الاعتقالات؟ أبو سكحة الذى تخرج من جامعة كييف وعاد فى أواخر الصيف الماضى ما زال معتقلا. مسلم بن نوفل أحضروه مكبلا من الإمارات وسحبوا منه جواز سفره.

ولماذا لم يعتقلوك أنت أيضا يا عم سالم ؟

اعترض فطوم فى حدة: مسلم قبض عليه بسبب ما عليه من ديون.

قال سالم: أية ديون؟ منذ انضمامه الى السلطة سنة ٧٠ وهو يحصل على مبالغ طائلة آخرها ٨٠٠ ألف ريال وقطعة أرض بالإضافة إلى راتب مدير فى الحكومة وألف ريال شهريا من الديوان السلطانى ومواد غذائية من مكتب محافظ ظفار، وأخيرا بدأ يدخل فى النفط فوقع مع اليمنيين اتفاقية للتنقيب ممثلا لإحدى الشركات.

تحول فطوم الى طريق مترب شبه مهجور وتوقف أمام منزل قديم من طابقين تحيط به حديقة مهملة. كان بابها مفتوحا على مصراعيه فاجتزناه بالسيارة.

صعدنا بضع درجات متآكلة وطرق سالم بابا خشبيا . فتحه لنا رجل متوسط الطول عصبى القسمات عارى الرأس. أشار لنا بالدخول وتقدمنا الى قاعة واسعة كالحة الجدران فرشت أرضها بالحصير وتوسطتها أريكة وبضعة مقاعد.

تبادلنا التحيات والسؤال عن الأهل والصحاب وأحضر صبى مراهق زجاجة عرجى قادمة من الجنوب اليمنى، وطبقا من الزيتون ثم تتابعت الأطباق : كبدة بالشطة وسمك مشوى و جبن أبيض.

قال سالم : أخ مسعود. الأخ المصرى يريد أن يسألك عن وردة.

تحول الىّ فى حدة قائلا: وردة ماتت.

قلت : متى ؟

ظهرت نظرة ساهمة فى عينيه .

قال : استشهدت أثناء معركة مرباط.

تساءلت : مرباط أم طاقة ؟

بدا عليه الارتباك. وتطلع ناحية الباب. وفجأة تبدلت ملامحه وبدا عليه التوتر.

سألنا دون أن يرفع عينيه عن الباب : هل سمعتم ؟

تبادلنا النظرات أنا وسالم .

قال فطوم: ليس هناك أحد.

تحول الينا وما زال ذهنه عالقا بالباب .

سألته : هل تعرف أخاها؟

هز رأسه : لم يكن لها إخوة.

قلت : هل قابلتها؟

التفت مرة أخرى ناحية الباب وأومأ الينا أن ننصت .

سمعنا صوت نباح كلب و تصلب جسده ثم همس :

– جاءوا.

احتسيت كأسي في صمت و التقطت حبة زيتون .

تكرر النباح ثم ابتعد. والتفت نحوى مائلا بجسده الى الأمام :

– الحقيقة لها وجهان .

لم أفهم ما يعنيه واستطرد هو:

– سأحكى لك نادرة من نوادر جحا. جاء إليه رجل وأعطاه مصباحا وطلب عشاء فأكرمه جحاوفى اليوم الثانى أتاه رجلان وقالاله إنهما صديقا صاحب المصباح وتناولا العشاء وفى اليوم الثالث أتاه ثلاثة وقالوا له إنهم أصدقاء الرجلين صديقى صاحب المصباح ويريدون عشاء فأكرمهم كذلك وفى اليوم الرابع جاءه أربعة وقالوا إنهم أصدقاء الثلاثة أصدقاء الاثنين صديقى صاحب المصباح وطلبوا عشاء فقدم لهم جحا الماء فقط وقال إن هذا الماء صديق ماء الثلاثة أصدقاء الرجلين صديقى الرجل الذى أعطاه المصباح .هل فهمت؟

اعترفت بأنى لم أفهم فقال:

– هذه نادرة عن الكرم الذى اشتهرت به القبائل العربية . لكنها تريك أيضا ما يتصفون به من جشع وطفيلية. الحقيقة لها وجهان.

ملأ لنفسه كأسا وأضاف:

– قبل أن تظهر الجبهة لم يكن الرجل يخرج من منطقته إلا بعد إبرام اتفاقيات هدنة مؤقتة مع القبائل التى سيمر عليها . وذهب رجل ليأتى بزوجته من

منزل أهلها فأطال البقاء وانتهت مدة الهدنة ثم نفد تبغه فخاطر بحياته ودخل قرية له عداوة مع قبائلها فتعرفت عليه امرأة من قبيلته . من حسن حظه أنها لم تشى به فأفلت بحياته.

تطلعت اليه حائرا فابتسم :

– هذه حكاية عن القدر . فقد عاش ليقتل فى يوم آخر.

أدركت بعد حكايتين أخريين أننى لن أحصل منه على شئ فاسترخيت وتركتهم يتبادلون الروايات .

14

جبـال ظفـار

١٩٧٢ - ١٩٧٥

أغسطس٧٢

.. مناقشات مستمرة حول مأساة مرباط . التفكير في تنشيط الجبهة الشمالية لتخفيف الضغط على الجنوب .

.. قال السادات إن خطة العدوان الإسرائيلى في يونيو٦٧ عرضت على الرئيس جونسون في حضور مدير المخابرات الأمريكية، وإنه وافق وأعطى مباركته..

.. وصلتنا نظارة طبية خصيصا لفهد. كان الرفاق قد نصحوه بأن يهتم بالقراءة وتثقيف نفسه فاحتج بضعف بصره.

٥ سبتمبر

.. تصريحات صينية عن مؤامرة لين بياو لاغتيال ماو ثم هروبه وسقوط طائرته في منغوليا .

..احتجز الفدائيون الفلسطينيون (أيلول الأسود)سبعة من أفراد البعثة الرياضية الإسرائيلية في ميونيخ.طالبوا بالإفراج عن مئة معتقل فلسطيني في السجون الإسرائيلية. اتبع البوليس الألماني نصيحة الخبراء الإسرائيليين فانتهى الأمر بمقتل الفدائيين والرهائن.

٧ سبتمبر

.. مناقشة حادة مع وليد . أبديت عدم ارتياحي لحادث ميونيخ وخطف الطائرات. لم أعرف كيف أصيغ افكاري. كنت منزعجة للدماء المراقة. قلت إنه يتعين الامتناع عن القيام بعمليات يعتبرها البعض سيئة كي لا نخسرالرأى العالمي. انفجر في : خرابا على الرأى العام العالمي! لقد كان مرتاحا تماما لما يتعرض له الفلسطينيون من موت بطيء في معسكرات الاعتقال. ماذا فعل هذا الرأى العام العالمي عندما أباد الملك حسين ٣٠ ألف فلسطيني في عدة أسابيع؟. توقف النقاش عندما استدعته صرخة من أحد الجرحى .

٨ سبتمبر

.. عندما رآني وليد هذا الصباح استأنف نقاش الأمس على الفور.قال لي بهدوء إن الهجوم الفلسطيني نجح في جذب أنظار العالم لمدة ٢٤ ساعة. قلت لي إني تابعت الإذاعات الغربية وتركيزها كان على إدانة العمل الفدائي الفلسطيني ووصفه بالمغامرة والإرهاب. قاطعني: لكن نغمة جديدة ظهرت بعد مصرع الرهائن. أكثر من صحيفة اوروبية قالت إن الناس نسيت كيف قامت دولة اسرائيل وكيف استخدمت أبشع وسائل الإرهاب لتحقيق غاياتها لمدة ٢٥ سنة . بدأت العقلية الأوروبية تتساءل عن الدافع لقيام ثمانية شبان في ربيع العمر بهذا الهجوم الانتحاري. وجدت ثغرة في دفاعه . قلت : ها أنت مهتم بالرأي العام العالمي. فكر قليلا في وجوم ثم قال: معك حق. ثم انفعل من جديد: لقد قتل الإسرائيليون في اليوم التالي في صمت ٢٠٠ فلسطيني بينهم نساء وعجائز وأطفال ولم يتحرك أحد. اتجهنا الى الكوخ الصغير الذي يقيم به . قلت: دعنا من الرأي العام العالمي. هناك نقطة جوهرية . في رأيي ان المقاتل في حرب تحريرشعبية لايهاجم سوى الأعداء المباشرين للشعب .استنفرت هذه الكلمات عدوانيته فصاح :اسمعي.. أبي مات في خيمة أحقر من هذا الكوخ بينما كان لنا بيت كبيرله حديقة من أشجار الزيتون..هناك ١٨ ألف فلسطيني في سجون‌اسرائيل. العالم لا يهتم . ماذا يجب ان نفعل ؟ خيل الى ان الدموع طفرت من عينيه. وجدت نفسي أمد يدي اليه. تحسست آثار الجراح التي تملأ وجهه. ما حدث بعد ذلك كان أمرا طبيعيا سوى أنه أخذ يبكي في أحضاني. أظن أني ساعدته على أن يدخلني . لكنه قذف في الحال وضاعت اللحظة . لن يتكررما حدث.

١٥ سبتمبر

..غارات انتقامية اسرائيلية على المواقع المدنية في سوريا ولبنان.

.. وفد فيتنامي في الحوف وغرب ظفار.رافقه حسين موسى من مكتب عدن. شارك في المباحثات عامر علي عضو اللجنة المركزية واثنان من أعضاء القيادة المحلية هما طلال سعد وعلي الحاج.

.. فهد يرتدي النظارة طول الوقت رغم أنها للقراءة فقط.

٢٠ سبتمبر

..العدالة الأمريكية : أفرجت السلطات الأمريكية عن الضابط كالي بطل

مذبحة ماي لاي .كان قد حكم عليه في سبتمبر ٦٩ بالسجن مدى الحياة . التحق بالعمل في شركة تأمين على الحياة !!

٢٦ سبتمبر

..بدأ الهجوم من الشمال اليمني على جنوبه بدعم من السعودية.

١٢ اكتوبر

.. اندحار الهجوم على اليمن الجنوبي .

١٧ اكتوبر

.. توفي أمس السلطان سعيد في فندق دورشيستر بلندن حيث أقام منذ خلعه.

١٨ اكتوبر

..افتتاح سفارة للولايات المتحدة في مسقط.

٢١ اكتوبر

..استشهدت خيار مسعود في مرتفعات ناشب شرق الخط الأحمر في معركة قتل وجرح فيها ١٥ من أفرادالعدو.

٢٨ اكتوبر

.. دمرت الطائرات مستشفى الشهيد حبكوك.مرت خمسة شهورعلى إنشائه. تقرر تحويله الى نكنات متنقلة.

..التوقيع في القاهرة على مشروع الوحدة بين اليمنين . انتهت بذلك الحرب غير المعلنة التي دارت بينهما طوال ثلاثة أسابيع . عجيبة!!

نوفمبر

.. استقبل كاسترو في هافانا اثنين من قيادة الجبهة في رفقة عبد الفتاح اسماعيل. بيان مشترك من راديو هافانا يدعم نضالنا .

.. هانوي تذيع نص اتفاقية مع الولايات المتحدة . الاتفاقية تدشن الانتصار على أعتى امبريالية في التاريخ . تتعهد الولايات المتحدة باحترام استقلال وسيادة ووحدة وسلامة أراضي فيتنام وبالانسحاب من أراضيها .

.. أعلن ياسر عرفات أن المقاومة فقدت ٧١ألف رجل خلال ٩ سنوات منهم ٣٠ ألف شهيد و١٧ ألفا بسجون اسرائيل و١٣ ألفا معظمهم من النساء والأطفال في معتقلاتها و٧ آلاف بسجون الأردن.

ديسمبر

.. فقدنا السيطرة الكاملة على مناطق شرق جبل سمباري .

.. السلطات البريطانية تعتقل في مسقط الرفيق مبارك حمد اللامرند .

.. حملة اعتقالات لتسعين شخصا. استولت السلطات على كميات من الأسلحة .لا أنباء عن يعرب . بين المعتقلين عضوات جمعية المرأة العمانية الرسمية في مسقط : رحيمة القاسمي، ثبات فليفل ، زعيمة الكندي بالاضافة إلى مريم وفاطمة الحشار وغيرهن ..

.. الملك حسين يعدم ستة فدائيين من أبناء الشعب الفلسطيني المحتجزين منذ مجازر سبتمبرالاسود .

... جولدا مايير تشيد بشجاعة الملك حسين وفروسيته .

.. تعيين خليل عبد الدايم، رئيس الأركان الأردني السابق، سفيرا في مسقط .

يناير٧٣

.. وزعت السلطة منشورا تتصدره صور ثلاثة رفاق وفوق كل صورة رقم الأولى ٥٠٠٠ريال والثانية ٣٠٠٠ريال والثالثة ٥٠٠٠ريال. يقول المنشورانهم مطلوبون لعلاقتهم بتنظيم خلايا غيرشرعية واستيراد اسلحة صينية من جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية وهي الأسلحة التي استولت عليها قوات السلطان المسلحة الباسلة في ٢٣ ديسمبر. تحت ذلك بخط عريض : الشيوعية = اضطهاد= وحشية = موت.

..تعرض الرفيق مبارك اللامرند ورفاقه (حمد ماجدومحمد طالبوغيرهم) لتعذيب وحشي علي يد المخابرات الأردنية والبريطانية . طال التعذيب المعتقلات . جرى التشهيربهن ومحاولة تجنيدهن في صفوف المخابرات .

.. إنهم يتحدثون في مصر عن المتغيرات الدولية ليبرروا التنصل من التزاماتهم . أليس انتصارفيتنام من هذه المتغيرات ؟ لكنهم حريصون على التقليل من شأنه.

.. جولدا مايير تتحدث عن حدود جديدة وأنها لا يمكن أن تنسحب من القدس وشرم الشيخ .

٢٧ يناير

.. توقيع الاتفاق على وقف إطلاق النار في فيتنام .

.. أقامت الحكومة شبكة تليفونية في صلالة(٢٥٠ خطا) .

.. أعلن الماجور راي باركرسكوفيلد رئيس الجندرمة الظفارية في حديث تليفزيوني: عمان هي آخر مكان في العالم مازال الانجليزي يلقب فيه بالصاحب (السيد).

٢ فبراير

.. المناطق المحررة تتعرض للقصف . السكان يهربون منها . بعضهم اضطر الى الحياة في كهوف بعيدة عن خطوط النيران. كل من قابلته فقد حيواناته في القتال الأخير. الكثيرون فقدوا أقاربهم. انتقل عدد متزايد من اللاجئين إلى الجانب اليمني من الحدود. بالإضافة إلى ذلك أدى الحصارالاقتصادي إلى سوء تغذية بالغ نتيجة لقطع الواردات من الشاطئ والحرق المنتظم للمحاصيل.

.. صحيفة هاعولام هازية الإسرائيلية تقول: احتلال ايران للجزر العمانية أمّن استمرار تدفق النفط الايراني إلى ايلات .

١٥ فبراير

.. وصلتنا من عدن النشرة المركزية للجبهة ٩يونيو .على صفحتها الأولى صور المعتقلين في عمان : يحي محمد الغساني، مرشد الشحي، أحمد حميدان، سيد محمد السليم.

.. ذكر الرفاق العائدون من كوبا أن جيفارا ذهب الى الكونغو في نوفمبر ٦٥ لتدريب الثوار وفشل في قيادتهم .اصطدم بمعتقداتهم العجيبة. كانوا يؤمنون بأن الطائرات البلجيكية لن تؤذيهم اذا ماسكبوا على أجسادهم سائلا مصنوعا من الأعشاب المنقوعة يسمونه الداوا ورسموا بعض العلامات القبلية بالفحم على وجوههم. تحدثوا ايضا عن اتهام بعض الشيوعيين له بالتهور والاندفاع .وأنه رفض الاستماع الى نصيحة الحزب الشيوعي البوليفي الذى كان يرى أن الظروف السياسية في بلاده غيرناضجة لحرب العصابات. اعتبر جيفارا الحزب متخاذلا فاقد الثورية. ثم غير قادة الحزب موقفهم وأيدوا حركته متوقعين ان تكون تحت قيادتهم. لكنه أصرعلى الانفراد بالقيادة.

مارس

.. كونا لجنة للتحقيق فى ضربة مطرح. اعتذرت عن عضويتها بسبب علاقتى بيعرب. تبين ان محمد بن طالب أحد القادة الرئيسيين للجبهة العمانية كان مراقبا قبل أسابيع من حملة الاعتقالات . كان يقيم مع يعرب فى منزل واحد.

٥ ابريل

.. تسلم رتشارد هيلمزرئيس المخابرات الأمريكية مهام منصبه سفيرا للولايات المتحدة فى طهران.

.. تأكدنا أن يعرب لم يعتقل . لكنه اختفى . هل هو مطارد؟

١٠ ابريل

.. اغتالت مجموعة اسرائيلية ثلاثة من قادة المقاومة الفلسطينية فى قلب بيروت. تحركت القوة الاسرائيلية بحرية لمدة ساعتين ونصف ثم اختفت فى السفارة الأمريكية .

.. قال شاه ايران لمجلة نيوزويك إنه مسئول عن حماية وحراسة منطقة الخليج العربى التى يوجد بها ٦٠ بالمئة من احتياطي البترول العالمى، والجوهرية بالنسبة لأمن الغرب. اعتمد ٣ مليارات دولار لشراء الأسلحة .

..الاحتفال بذكرى إقامة المدرستين .جرى الاحتفال فى مخيم المدرستين داخل حدود اليمن الديموقراطى .هناك الآن ألف طالب وطالبة (الربع إناث). ألقى الرفيق سعيد عسكرى كلمة الجبهة القومية اليمنية .طالب الأخ سيد عضو مكتب فتح فى عدن بوحدة الفصائل الفلسطينية . ألقت أمينة محسن كلمة اتحاد نساء اليمن . أكد سعيد دبلان ممثل الجبهة ترابط النضال والمصير بين ثورتى ١٤ أكتوبر و٩ يونيو . فى المساء أغان وأناشيد(يا نجمة أكتوبرالحمراء يا موقد القناس والمنجل) وفيلمان عن الثورة فى الخليج والثورة الفلسطينية. قدمت الطالبات أغنية باللغة الحميرية تميزت برقة وعذوبة ووقع حزين تتحدث عن محاولة العدو السيطرة على الممر الذى يصل المنطقة الغربية بالمناطق الداخلية: «بالدم سنروى كل التلال/ وكل خطوط المعارك /سنجعله يشق طريقه فى الوديان /والقمم/ لننتزع الحياة من العملاء بالعنف» . توافدت جماهير القرى المجاورة على الساحة الرملية الواسعة . أعلام الثورة واليمن الديموقراطى على بوابة الساحة والتلال المحيطة

بها.مجموعات الحراسة فى مواقعها. هتافات: بالروح بالدم الأبى ، نفديك ياخليج العربى، القومية والشعبية ثورة مبادئ فكرية. الجميع حفاة الأقدام ما عداى.

أحضر رفيق من عدن مسجلة وضعنا فيها شريط «النانا» وهى الأغنية الشعبية فى ظفار التي تغنى بالحميرية. يضم أيضا مناظرة بين سالم العطار وأحمد جلال يقول فيها الأول ما معناه بالعربية : لايوجد تهرب من الصراع القائم بيننا وبين الاستعمار. يتابع الثانى: لذلك تهب كل طبقات الشعب وفئاته الوطنية لتناضل ضد الاستعمار.وفى أغنية ثانية مناضل من جيش التحرير يقول لجندى من العدو : ماذا ترى كل صباح ؟.. نحن نتحداك أن ترفع رأسك من المتراس فجيش التحرير لك بالمرصاد .

وأنا أتصفح وجوه الطلبة والطالبات أفكر أنهم سيتأهلون للثانوية العامة قبل نهاية العام القادم . بعد ذلك سيلتحق بعضهم بمعسكرات الثورة أو يواصلون الدراسة فى الخارج بمنح .

٢٥ ابريل

..وصول قائد حلف الأطلنطى إلى ايران .

..منشور حكومي بخط يد ركيك تتوسطه نجمة داخلها رسم بدائي لرجل يرفع يديه مستسلما وأخر ملقى إلى جواره على الأرض والعنوان : ان حكومة جلالة السلطان تمنح مكافآت مقابل إحضار قادة الإرهاب الشيوعى أحياء أو أمواتا .

أول مايو

.. احتفلنا بعيد العمال العالمى .

.. الحكومة توزع منشورات تباع كاليانصيب . الواحد بريال سعيدى : ادفع ريالا واربح خمسة آلاف هى قيمة الثائر. القائد العسكرى قيمته ٤آلاف ريال والمرشد السياسى ٢٥٠٠ ريال .قلت للرفاق إنى سأطالب بالعودة الى الجيش حيث ثمنى أعلى .

٣ مايو

.. مشاكل فى التموين .القوافل القادمة من عدن تناقصت إلى ست جمال فى الأسبوع.

.. هناك علامات استفهام عديدة بشأن سلوك يعرب قبل حملة الاعتقالات.

١٠ مايو

.. انضم الينا أحد رجال سلاح الطيران السلطاني اليمنيين.الرقيب محمد عامر(٢١ سنة). هاجر من سوقطرة إلى السعودية فى ٦٨ وعمل فى الدمام ماسحا للأرض فى مطعم أميركى لموظفى أرامكو. فى ١٩٧٠أجبر على الانضمام إلى الجيش السعودى وأرسل مع ثمانين سوقطريا إلى قاعدة الشارورة قرب الحدود اليمنية. فى بداية ٧١ أرسلت المجموعة السوقطرية إلى تمريت شمال ظفار. كانوا يحصلون على رواتب سعودية بينما يرتدون الملابس العسكرية العمانية. أرانى جوازا عمانيا رقم (٠٠٧٧٩٦) أصدر له ليسافر فى العطلات إلى دبى والبحرين. جلب معه مجموعة أوامر موقعة بحروف عربية ركيكة من ضابط إنجليزى يدعى ماكنيل.

١٧ مايو

.. يتكون المستشفى المتنقل الجديد من عدة أكواخ. به أربعون مدنيا من الاقليم الغربى وبعض العسكريين. قلة الأدوية أدت الى سياسة تقوم على علاج عدد قليل من المرضى علاجا سليما بدلا من محاولة توزيع الإمكانيات المحدودة على عدد كبير.

٢١ مايو

.. نيوزويك تقول ان شاه ايران يبنى فى بلوخستان بواسطة مقاولين أمريكيين أكبر قاعدة عسكرية فى المحيط الهندى . سيتم البناء خلال سنتين .

..صدامات بين الجيش اللبنانى والمقاومة الفلسطينية .

٢٢ مايو

.. الموند تنشر تصريحا للناطق الرسمى باسمنا قال فيه : اذا استبعدنا الصحراء فنحن نحتل سدس السلطنة. مساحة السلطنة ثلاثة أضعاف مساحة الكويت والبحرين وقطر والامارات وعدد السكان عندنا يبلغ أربعة أضعاف سكان هذه البلاد مجتمعة وعندما تسقط عمان فى أيدينا لن يستطيع أحد فى الخليج أن يقف فى وجهنا .

يونيو

.. شرع العدو فى اقامة سلسلة مخافرمن المخسيس حتى وادى قيم شمالا تربطها الأسلاك الشائكة والألغام وأجهزة التنصت الالكترونية. ستمكنهم من

مواصلة مطاردتنا خلال موسم المطر ولن نستطيع استخدام غطاء الضباب والمطر لاعادة تموين قواتنا.

.. قررنا الرد بهجوم على صلالة بالصواريخ .

..نتيجة للهجوم أقام العدو مخافر جديدة فى عدامى وحتال وعتبات الشيخ. أصبح من العسير علينا مهاجمة صلالة .

٢٨ يونيو

.. أسقطت الطائرات الانجليزية منشورا بعنوان تحذير أسفله رسم بدائى لتلال بين وادى تحيزالى اليمين ووادى تمرين الى اليسار . ومنطقة محددة بمدفع هاون تعلو رسما بدائيا لمجموعة بيوت بين سهمين كتب فوقها صلالة .أسفل ذلك الكلمات التالية : «تشير الأسهم فى الصورة العليا إلى الطرق الآمنة التى يمكن للمواطنين ومواشيهم أن يسلكوها إذا أرادوا الوصول إلى صلالة . وعلى المواطنين عدم الاقتراب من النقطة الممنوعة الواقعة بين السهمين لأنه يوجد بهذه المنطقة مواقع لمدفعية الهاون المستعدة لإطلاق النار دائما ليلا ونهارا . تذكر هذا التحذير دائما .من أجل سلامتك وسلامة أغنامك وإبلك وأبقارك».

.. تصريحات غريبة لوزير الخارجية الصينى فى طهران. أعلن تخليه عن مساندة جميع الحركات التخريبية التى تحاول تعكير السلام فى الخليج !!

..كونسرتيوم دولى للنفط تقوده سن أويل و إلف كويتيان يحصل على امتياز تنقيب فى مضيق هرمز .

يوليو

.. القذافى يقول أن الثورة الليبية تمثل اليسارالعالمى الجدى الذى يقف ضد الرأسمالية وضد الشيوعيين الرجعيين الذين يتمسكون بقوالب جامدة من القرنين ١٨ و١٩ .

١٧ يوليو

..الرئيس العراقى البكر يوقع مع عزيز محمد سكرتير الحزب الشيوعى العراقى ميثاق العمل الوطنى وقواعد العمل فى الجبهة الوطنية والتقدمية . إلى متى ؟

.. ظهر يعرب فى بيروت. ستحاول الحصول على شهادته بالنسبة لاعتقالات مطرح.

١٨ يوليو

..تأكدنا من مصرع الشهيد مبارك حمد اللامرتد (٢٥ سنة) من جراء التعذيب الوحشي . رفضت السلطات تسليم جثته لأهله.دفنته مع رفاقه فى مكان سرى ومنعت أهله من استقبال المعزين .

٥ اغسطس

..على عكس السنة الماضية تمكن العدو من الحفاظ على المراكز التى أقامها على طول حدود الإقليم الغربى عدا طاوى عطار . تمكنوا أيضا من الاستيلاء على كثير من الأسلحة والمستودعات التموينه . ارتفع معدل الاستسلام .بدأت أشعر بالقلق .

.. ناقشنا فى اجتماع للجنة المركزية سلبيات التشكيل العسكرى الحالى حيث تقسم الكتيبة الى سرايا وتوضع كل سرية فى منطقة ثم يوزع أعضاء القيادة على السرايا. تقرر اعتماد تشكيل جديد يضمن تركيز القوات تحت سيطرة قيادة واحدة مباشرة. عارض فهد عندما شعر أنه لن يكون القائد الأعلى فى التشكيل الجديد.

٢٩ اغسطس

.. أدان المؤتمر العاشر للحزب الشيوعى الصينى طغمة لين بياو المعادية للحزب. وصفه بالطماع البرجوازي والمتآمر والمنافق المعادى للثورة والمرتد والخائن للحزب إلى الأبد. طرد ايضا السكرتير الخاص لماو الذى وصف بالكومنتانجى المعادى للحزب الشيوعى والتروتسكى والخائن وعميل العدو والمحرّك .

١١ سبتمبر

.. انقلاب عسكرى دموى فى شيلى ومصرع الليندى .

٦ اكتوبر

..انهارت أسطورة السوبرمان الاسرائيلى . الساعة الثانية عبرالمصريون خط بارليف . صواريخ سام أسقطت فانتوم .فى البداية رفضنا أن نصدق ثم توقعنا أن يفشل الهجوم المصرى كالعادة . بعد ساعات تأكدنا أن الأمر جد . اللهجة الرصينة للمذيعين المصريين تختلف عن هستريا ٦٧ وتوحى بالثقة .

٧ اغسطس

.. خسرت اسرائيل ٣٠ طائرة و٢٢ دبابة .

٨ اكتوبر

.. تحرير القنطرة .خسائر اسرائيل فى ٣ أيام ٨١ طائرة و١٢٨ دبابة ،١٢٣ أسيرا، استولى المصريون على الضفة الشرقية كاملة. راديواسرائيل يقول إنها تخوض حربا دفاعية. القوات السورية تتقدم داخل الجولان .

٩ اكتوبر

..تدمير لواء اسرائيلى مدرع فى سيناء .استسلام قائده وتدمير ١٢٠ دبابة .

١١ اكتوبر

.. أمريكا تبدأ فى شحن طائراتها بالصواريخ والقنابل لإرسالها إلى اسرائيل أعلن رئيس اسرائيل أنها حصلت على ٤٨ فانتوم جديدة .

١٢ اكتوبر

• ١٥٠ طيارا أمريكيا من طيارى الفانتوم مروا بمطارمدريد فى طريقهم إلى اسرائيل.

١٤ اكتوبر

..القوات المصرية تشن هجوما شاملا على طول الجبهة وتشتبك فى معرك مدرعات ضخمة تستمر ١٢ ساعة تدمر خلالها ١٥٠ دبابة . دايان يقول: إننا نقاتل بقلوب كسيرة ولا نعرف إلى متى يستمر هذا . سفير اسرائيل فى لندن يدعو إلى وقف إطلاق النار.

١٧ اكتوبر

.. وزراء البترول العرب يقررون خفض الإنتاج فورا بحد أدنى ٥ بالمئة تزد بنفس النسبة كل شهر إلى أن يتم الجلاء عن الأراضى التى احتلتها اسرائيل ع ٦٧.

١٩ اكتوبر

..قوات اسرائيلية تتسلل ليلا عبر البحيرات المرة .

٢٢ اكتوبر

..السادات يصدر قرارا بوقف اطلاق الناراستجابة لقرار مجلس الأمن .

.. سأرأس وفدا الى موسكو لحضور الاحتفال السنوى بذكرى الثورة البلشفية في ٧ نوفمبر. قال الرفيق أمين اللجنة التنفيذية : نريد أن نريهم أننا مثلهم نقدر المرأة. داعبنى الأمل ان نتوقف في بيروت خلال الطريق كي أرى يعرب وعماد.

٧ نوفمبر

.. مازلنا في ظفار. تأخرت إجراءات سفرنا.

.. بدأ بث اذاعة الجبهة من المكلا. بين السادسة والثامنة مساء بتوقيت عدن. تبث على موجة طولها٤٩ و٢٥ مترا أى بذبذبة قدرها ١١٧٧٠ كيلوسايكل / ثانية.

١١ نوفمبر

.. ركبنا طائرة اليوشن من مطار عدن . أحمل جواز سفر يمنيا .أنا واثنان من أعضاء اللجنة التنفيذية . عاملانى برقة واهتمام ثم نسيانى تماما عندما ظهرت المضيفات الروسيات الشقراوات. تسلحت بملابس ثقيلة (معطف صوفي بياقة وكاب من الفرو الصناعي وكوفية طويلة) أخذتها من زوجة أحد الدبلوماسيين. توقفنا ساعتين في القاهرة. لم نخرج من الطائرة. استقبلنا الرفاق السوفييت في المطار وأخذونا الى فندق روسيا قرب الميدان الأحمر. معنا مرافق شاب وسيم اسمه بوريس يتكلم اللغة العربية بلهجة سورية.

١٢ نوفمبر

.. الدنيا برد . لكني لم أر ثلجا كما توقعت .المباني الحديثة في كالينين بروسبكت. الطوابق ال٣٢ لجامعة موسكوفوق تلال لينين. منتزه جوركي. قال لنا عمدة العاصمة أمام خريطة كهربائية إن هناك خطة لتطوير موسكو لتكون عام ٢٠٠٠ نموذجا للمدينة الحديثة . يجرى بناء نصف مليون شقة جديدة سيسكنها ٢مليون من أهالي المدينة. يسكنها حاليا ثمانية ملايين . خطة أخرى تتكلف حوالى ٣٠٠مليون دولارلمبانى مرتبطة بدورة ١٩٨٠ الأولومبية. مترو الأنفاق الهائل. كل محطة تحفة فنية رائعة. يربط أنحاء العاصمة بخطوط طولها مئة ميل. ستتضاعف بحلول عام ألفين. زرنا ضاحية جديدة جنوب المدينة بها بنايات سكنية ترتفع ١٢طابقا. مجتمعات متكاملة من مدارس وأسواق وساحات رياضية وفندق. سينتقلون خلال سنوات الى بناء عمارات من ١٦ طابقا. في المساء دخلنا

البولشوى أعظم مسرح في العالم . شاهدنا باليه بحيرة البجع لتشايكوفسكي. روعة الاحتفاء بالفن والثقافة . بوريس شاب ظريف.يقيم معنا في نفس الفندق.

١٣ نوفمبر

.. الأطفال هم ملوك الاتحاد السوفييتي. كل شئ متوفر لهم .الرعاية الصحية المجانية والكتب واللّعب. يلتحقون باكثر من ألفى دار للحضانة في موسكو وحدها. ثم ألف مدرسة ابتدائية وثانوية بينها عشرات من المدارس المتخصصة .قال لنا رئيس الإدارة التعليمية إن المناهج تغيرت ويجرى إدخال الرياضيات الحديثة والفيزيا الجديدة. لكن مناهج الماركسية اللينينية لم تتغير. تستمر عشر سنوات من الدراسة . يذهب الطلبة الموهوبون الى مدارس خاصة في الموسيقى والعلوم والرياضة البدنية وغيرها. في المدرسة المتخصصة للتربية الرياضية رقم١(من ١٧٢مدرسة رياضية) شاهدت كيف يتم إعداد الأبطال العالميين . فتيات سن ١٢و١٣ سنة . قالت لي مديرة المدرسة عندمارأت انبهارى : الجمباز نصفه رياضة ونصفه فن . لا بد أن يكون هناك احساس بالجمال ولهذا نعمل دائما بمصاحبة بيانو..صورة لينين في كل مكان. في المكاتب والمدارس والمنتزهات ومحطات المترو. يبدو أحيانا مثل عم عطوف وأحيانا أخرى كأب صارم. ضريحه من الجرانيت الأحمرفي الميدان الأحمر قرب سورالكرملين. طابورطويل من الزوار. تقدمنا في بطء مرورا بنصب الجندى المجهول. شرطى بميكروفون يحافظ على نظام الطابور.تركنا الكاميرات وحقائبنا في غرفة مخصوصة بالمدخل . مسحنا أقدامنا في قاعدة خشبية. خلع الروس الذين يتقدموننا قبعاتهم وأغطية رؤوسهم . دخلنا الضريح ثم تحركنا بسرعة. دورة الى اليمين ثم الى اليسار. عدة درجات الى أعلى ثم أسفل ثم وجدنا أنفسنا في الخارج نحاول ان نتذكر الجسد المسجى في تابوته الزجاجي.. بعد الظهرمتحف بوشكين للفنون الجميلة. في المساء مسرحية كوميدية لم أفهم منها شيئا. عند العودة ليلا رأينا زحاما في الشارع. طابور طويل أمام مكتبة! سينتظرون حتى تفتح أبوابها في الصباح ليشتروا طبعة جديدة من كتاب قديم . هناك٣٥٦٠ مجلة و٣٠ صحيفة تنشر في موسكو.

١٤ نوفمبر

.. قضينا الصباح في متحف الثورة في شارع جوركي. زرنا مقر اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي . استقبلنا مسئول عجوز حدثنا طويلا عن

التاريخ. قال : جيلي يعرف ما هو الجوع . كانت هناك الحرب وبعدها كانت الظروف صعبة جدا . حتى سنة ٥٨ كنت أعيش في غرفة واحدة مع زوجتي وابني وأمها وأشارك ٣٠ شخصا في المطبخ والتواليت والحمام. كان الجميع هكذا. الآن الوضع مختلف . ربما تكون المنازل غير متقنة البناء لكن غالبية الناس الآن لديها شقة لكل عائلة .والكثيرون يمكلون سيارات أيضا. كما أننا نساعد بلدانا كثيرة. مشكلتنا الآن هي إنتاجية العمل فنحن متخلفون عن الولايات المتحدة في هذا المجال وفي نوعية السلع المنتجة أيضا. بعد المحاضرة الطويلة بدا عليه التعب. تركنا لزميل له أصغر سنا. شرحت الوضع السياسي والعسكري في عمان والخليج. عرضت استراتيجيتنا في مناوشة العدو وملاحقته بهدف استنزافه وإرهاقه. قلت : سيجدون أنهم يبددون موارد طائلة للاحتفاظ بأراض لا تعطيهم ميزة عسكرية فينسحبون. سألني مبتسما :هل تظنين أنكم ستطردونهم تماما ؟ اجبت إن الفيتناميين يفعلون ذلك الآن . قال : هذا وضع مختلف. وجدت فرصتي أخيرا فقلت : طبعا . فهم يحصلون منكم على أحدث الأسلحة وخصوصا صواريخ سام المحمولة. هذا هو السلاح الوحيد الذي يمكن الفدائيين من مقاومة الطائرات والهليكوبتر. كما أننا في حاجة الى شبكة اتصالات حديثة.

١٥ نوفمبر

.. سلسلة لقاءات مع ممثلي اتحاد النقابات، اتحاد النساء، قدامى المحاربين، مجلس السلام، منظمة التضامن الاسيوي الأفريقي، محرري الشئون العربية في جريدتي ازفستيا وبرافدا، موسكو نيوز، وكالة نوفوستي للانباء، القسم العربي في الإذاعة .عندما غادرنا الفندق في الصباح رأيت مشهدا غريبا. شرطي ينقض على شاب طويل الشعر ويقيد يديه خلف ظهره في وحشية. استفسرت من بوريس عن الأمر فأشاح بيده قائلا إنه من «الهوليجانز». عرفت من رفيق يمني يدرس في جامعة لومومبا إن هذا التعبير يطلق على المتشردين والأفاقين والشبان المتأثرين بالموسيقى والزى الغربيين والمعارضين السياسيين.

١٦ نوفمبر

.. صحبني بوريس الي المستشفى الخاص باللجنة المركزية في الضواحي، مبنى فخم مزود بأحدث الأجهزة وحديقة هائلة .مناضلون عديدون من أماكن مختلفة في العالم يعالجون من مختلف العلل . صادقت شيوعيا عجوزا من فنزويلا

مهددا بالعمى. ارتبك عندما حدثته عما سمعت من خلاف بين الشيوعيين وجيفارا.تهرب من التعليق. فحصني طاقم كامل من الأطباء.أجروا عديدا من التحليلات والأشعات . تدخل بوريس لنحصل على النتائج بعد ساعات قليلة. أكدت لي طبيبة عجوزذات ملامح صارمة أن صحتي جيدة وأن الاضطرابات والآلام التي أشكو منها تعود الى أسلوب حياتي. نصحتني بالزواج والإنجاب . قالت إن العمل الثوري لا يتنافى مع تكوين أسرة . أضافت في حزن : ربما يعوض ذلك إحباطات الحياة . لعلها فقدت عزيزا في الحرب أومعسكرات الاعتقال الستالينية. في المساء تعشينا في مطعم أوزبكستاني . جاريت بوريس في الشراب . أردت أن أثبت له أنني متحررة . عندما عدنا الى الفندق دعاني إلى غرفته. ابتسمت المناوبة العجوز التي تحتل مقعدا في نهاية الطرقة في عطف وتواطؤ. حصل منها على زجاجة فودكا وحبتين من الطماطم والخيار. قطع الخيار بالطول وقسم الطماطم الى أربعة أجزاء ثم رش عليها الملح.اكتفيت بكأس واحدة بينما كان يجرع من الزجاجة . احتقن وجهه وأخذ يتلعثم . روى لي نكتة عن لينين وكيف أنه استيقظ في قبره وخرج منه وعندما رأى ما حوله عاد اليه ثانية قائلا: ليس هذا ما كنت أعنيه. لم أرفع عيني عن شفتيه الحسيتين. قال إنه معجب بي ويريد أن يقبلني. لم أمانع . تمنيت فعلا أن يحتضنني. مال ناحيتي فوقع على الأرض. كان ثملا تماما. تركته ممددا على السجاد محتضنا الزجاجة الفارغة. سأزور غدا الطلبة اليمنيين والعمانيين في جامعة لومومبا.

٢٣ نوفمبر

.. بمجرد وصولي الى المعسكر في ظفار شعرت كأني عدت الى بيتي. الغريب أني هنا في أقصى الدنيا أكثر اتصالا بالعالم الخارجي عن طريق الراديو مما كنت في موسكو.

أول ديسمبر

.. تعيين قيس الزواوي صاحب توكيل مرسيدس وزيردولة للشئون الخارجية. مسقطي من أصل سعودي تعلم في الهند .

.. حصلت الحكومة على نصيب ٢٥ بالمئة في ب د أو. الحرب تستهلك جانبا كبيرا من ميزانية عمان : ٣٠ مليون ريال (حوالى ثمانين مليون دولار) في العام الماضي .

.. طوال الأسابيع الماضية عمليات ناجحة في كافة المناطق استهدفت قواعد العدو في صرفيت والممر . نجحنا في تدميرممر وعدة أبراج مراقبة في قاعدة صلالة الجوية. قاد العملية الأخيرة مناضل صلب يدعي دهميش.

١٣ ديسمبر

.. احتفلنا في المنطقة الوسطي بعودة عدد من الإخوة إلى صفوف الثورة: دامس سالم جعبوب، أحمد سهيل سالم، أحمد سهيل شرخ، سالم أحمد مجحيد، مسلم أحمد يطيشوت، سالم أحمد مكيعاف البرعمي .كانوا في الفرق الوطنية. فروا من مركز العدو في المعمورة وبحوزتهم لاندروفر وأربع آليات وسبعة بنادق أيفن.

.. حددت السلطة سبعة الاف ريال ثمنا لرأسي !

٢١ ديسمبر

.. كيسنجر يلوح بعلامة النصر عند وصوله إلى مكان انعقاد مؤتمرالشرق الأوسط في جنيف.

.. العدو يعمل بنشاط في بناء خط هورنبيم غرب صلالة. يمتد شمالا بطول ٨٥ كيلومترا في محاذاة الخط الأحمر. عبارة عن أسلاك شائكة مكهربة وملغومة ودوريات ليلية.

٣٠ ديسمبر

..يتتابع وصول القوات الايرانية .وضعت في جزيرة حلانيا الخالية من السكان. حظر علي أفرادها الظهور في شوارع صلالة ومسقط .قدرت الدفعات الأولى بثلاثة آلاف ضابط وجندي . عهد اليها باعادة فتح الخط الأحمر، الطريق الاستراتيجي (٧٢كيلومترا) الذي يربط صلالة بثمريت ويصلها بمسقط.

.. أعلنا حالة طوارئ قصوى.

..نجح خط هورنبيم في وقف هجماتنا علي صلالة والمناطق المحيطة بها وفي وقف مرور الأسلحة الثقيلة والذخيرة الي المناطق الشرقية .

.. بدأنا تحقيقا حول اتهامات تبادلها رفيقان بشأن التبرعات التي تأتينا من لجان المناصرة في الخارج. تقررأن نعقد مؤتمرا داخليا في بداية العام الجديد.

يناير ٧٠

..صوت «الجبهة الشعبية لتحرير عُمان والخليج العربي» من عدن بين الساعة

٧،٥٦ والساعة ٧،٤٥ كل يوم. ضمن البرنامج اليومي الموجه إلى منطقة عُمان والخليج العربي الذي يبدأ الساعة السادسة وينتهي في الثامنة .

..العدد الجديد من ٩يونيو التي تصدر الآن كل شهرين .به قوائم تبرعات لجان المناصرة في أوروبا وأمريكا وقصيدة لبريشت:

أيها الجنرال، إن دبابتك قوية ،
تسحق الغابة وتقتل مائة إنسان .
لكن بها خطأ،
انها تحتاج إلى سائق .
أيها الجنرال ، إن قاذفة قنابلك هائلة ،
تسبق العاصفة وتحمل أكثر من فيل ،
لكن بها خطأ،
انها تحتاج لمن يصلحها .
أيها الجنرال ، إن الانسان عظيم الفائدة ،
يستطيع أن يطير وأن يقتل ،
لكن به خطأ ،
انه يستطيع أن يفكر.

فبراير

..نجحت القوات الإيرانية في فتح طريقثمريت . هاجموا في وقت واحد من صلالة في الجنوب وثمريت في الشمال .

..أنشأت السلطة محطة كهرباء جديدة قوتها ٨٤٩٧ كلوات وفرت لأهالي جيبجات ومدينة الحق آبار وعيادات ومدارس وحوانيت .

.. قال شواين لاى أمام المؤتمر العاشرللحزب الصيني في أغسطس الماضي إن لين بياووزير الدفاع السابق استلهم أفكار كونفوشيوس كما فعل ليو شاوتشي رئيس الجمهورية السابق وسعى مثله إلى إعادة الرأسمالية، لكنه يختلف عنه في أنه كان يردد دائما أقوال ماوتسي تونج. قال أيضا إن بياومنذ البداية كان متشائما من مستقبل الثورة...قبل المؤتمرالتاسع للحزب كتب بالاشتراك مع شن بوه دا سكرتيرماوتسي تونج تقريرا سياسيا عارضا فيه مواصلة الثورة في ظل دكتاتورية البروليتاريا وأكدا أن المهمة الرئيسية هي تنمية الانتاج . وبذلك كان التقرير صورة

طبق الأصل للسفسطة التحريفية التي دسها ليو شاوشي في قرارات المؤتمر الثامن وزعمت أن التناقض الرئيسي في الصين ليس بين البروليتاريا والبرجوازية وإنما بين النظام الاشتراكي المتقدم والقوى المنتجة المتخلفة . اتهمه بأنه هاجم إفراط النضال ضد التحريفية وهاجم اشتراك كوادر الحزب في العمل الجماعي المنتج باعتباره بطالة مقنعة وافترى على ذهاب الشباب والمثقفين إلى المناطق الريفية باعتباره نوعا من الأشغال الشاقة .

مارس

.. زار السلطان إيران . وعند عودته أمربإنشاء قاعدة جوية تضم ممرا طوله ٤٠٠٠ متر في ثمريت تكون جاهزة في نهاية العام مهما كانت التكاليف التي بلغت أكثر من ٥٠ مليون ريالا أي ١٤٥ مليون دولارا.

.. تكفي دقيقة من وقت السلطان عقب اجتماعات مجلس الوزراء للترخيص بمشاريع هائلة. أعد عبد الحفيظ سالم رجب وزير المواصلات مشروعا لتحلية المياه وتوليد الكهرباء يتكلف ٥٧ مليون دولارا. وفي الدقيقة الثمينة أشارالوزيرإلى أن المشروع سيزود حديقة السلطان في السيب بمليون جالون مياه في اليوم وأنه سيفتتح في العيد الوطني القادم الذي يوافق عيد ميلاد السلطان. حصل على الموافقة دون مراجعة أو دراسة .ارتفعت تكلفة المشروع على الفور الى ٣٠٠ مليون دولار.

٢٧ مارس

.. تستفزني سلاطة لسان المعلق الشعبي في إذاعة صلالة المدعو أبونبيل.

ابريل

.. السادات يقرر تنويع مصادر السلاح. عيب السلاح السوفييتي أنه غير مصحوب بعمولات!!

مايو

..تم استبدال القوات الإيرانية بعدثلاثة أشهر. الغرض هوتعميم الخبرة القتالية. لم يثيروا عداء الأهالي لأنهم لا يحتكون بهم . تأتيهم احتياجاتهم من مياه الشرب والوجبات الثلاث من إيران بالطائرة يوميا.

يونيو

..قصفت الطائرات العراقية ١٤ بلدة و٢٠٤ قرية في المناطق الكردية .

الضحايا ألف وخمسمائة قتيل. تم اعتقال مجموعة من العسكريين الشيوعيين . لم تمض غير شهور قليلة على اتفاقية الجبهة والحكم الذاتي.

٧ يونيو

.. نستعد لعقد المؤتمر الرابع .

..استشهد الرفيق البطل أحمد مسلم قيعي (٢٦ سنة) في مرتفعات أذ قرضيت بالممر أثناء معركة استمرت ساعة ونصف ساعة. خسر العدو ٩ من جنوده بين قتيل وجريح . كان الشهيد عائدا لتوه من دورة تدريب في الاتحاد السوفييتي على صواريخ سام . ولد في ظفار لأب من الرعاة .سافر في ٦٤ بحثا عن عمل واستقر في الكويت لمدة ست سنوات وانضم الى الجبهة الشعبية. عاد سنة ٧٠ والتحق على الفوربقوات الثورة.

١٣ يونيو

.. انقلاب عسكري في اليمن الشمالي. المقدم ابراهيم الحمدي يستولي على السلطة. حركة برجوازية عسكرية ضد تحكم الإقطاع والقبلية وضد عقلية القرون الوسطى التي لم تتغير بعد قيام الجمهورية. كانت للحمدي في الماضي علاقة بتنظيم «القوميون العرب» .

.. أخذنا الحنين وطغت علينا الذكريات والكآبة. نفذنامن الهضاب والقمم والوديان. انتهينا من الغابات.انبسط أمامنا الأفق الواسع الرحب.استنشقنا نسيم الشمال النقي. توزعت مجموعتنا على ديار المواطنين لنأخذ قسطا من الراحة قبل الاجتماع . جاء نصيبنا أنا ودهميش وعوض في كوخ عجوز وحيد.أشعلنا النارلنتدفأ ونجفف ملابسنا. قدم لنا العجوز لبنا محلوبا في قربة. ثم ناولني قدرا معدنية قائلا : إغليه . عندك النار.سكبت الحليب في القدر ووضعته على النار. هل قال ذلك عن اقتناع باهمية الغلي أم مجاملة لنا؟ في كلتا الحالتين نكون قد حققنا شيئا. قال إنه قادم لتوه من المدينة. سألناه عن أخبارها. قال إنه عجوزولا توجد عنده أي أخبار. سأله عوض عمااذا كان لديه تبغ. أشارالى ركن قائلا إن به قليلامن التمباك .تناول عوض العلبة وسحق قطعة من التمباك .ناوله العجوز غليونه الكبير المصنوع من الطين. عبأ الغليون ووضع فيه قطعة من الجمر.تبادلاه عدة مرات في صمت. دهميش لا يدخن . يتابع ما يجري في صمت . يتطلع نحوي كثيرا. يتضرج وجهه مثل الصبية اذا التقت عيوننا. هناك شئ في عينيه يثير فيّ الحرج . بعد قليل قال

العجوز مشيرا الى أسلحتنا : هذا الكلاشن الذى في أيديكم يا أولادى أمسكوا به جيدا واحذروا أن تنزلوا به إلى المدينة . إذا عجزتم عن حمله فى الثورة اتركوه هنا في الريف. هذا السلاح لم يخلق للذين تحت. لقد رأيته مع أنذال كانوا معكم هنا من قبل. سألناه عما شاهد أيضا فى المدينة . قال: أنا عجوز ولا أدخل فى السياسة. ليس لى أهل ولامال هنا .. على الرغم من أنى لا أسمع فأنا أرى وأعرف كل شيء. ما يجرى هنا وما يجرى هناك ..أوصيكم لا تسلكوا مسلك الأنذال ..الشعب كله معكم...اصمدوا. عندما هممنا بالانصراف ودعنا قائلا : الله ينصركم.

.. دهميش ظفارى صميم من مرباط. من بيت كثير. يصغرني بخمس سنوات. هرب الى الكويت وعمره ١٨ سنة . اشتغل عاملا فى شركة النفط بالخافجي . كان هناك آلاف من العمانيين ولا حديث لهم إلا تردى الوضع فى بلدهم .تكونت منهم مجموعة للدراسة والتثقف. كانوا يقرأون بنهم كل ماتقع عليه أيديهم من كتب ومجلات. ثم تعرفوا بالدكتور الخطيب وجماعته من القوميين العرب. كان يتردد عليهم أو يذهبون اليه فى عيادته . قال لهم إن مهمة الظفاريين هى إشعال حريق العنف الثورى فى جنوب الجزيرة وإنه وجماعته كفلاء بشمالها. بعد سلسلة من اللقاءات تم تجنيدهم للعمل المسلح .حمل رسائل لأشخاص فى البحرين وقطر ودبى وبعدها جاء إلى ظفار وقام بتجنيد أخيه وعدد من أقاربه. أخوه كان يقاتل فى المنطقة الشرقية ثم نزل الى صلالة .سألته عن تفاصيل حياته فى الكويت وعن تجاربه النسائية. ضحك هازارأسه بالنفى . لا أعتقد أنه برئ الى هذا الحد .

.. انعقد الاجتماع الموسع للقيادات المحلية والمركزية فى المعسكرالمؤقت للكتيبة التاسعة. قال الرفيق رافع إن الثورة تملك ملاكات عسكرية تمرست من خلال الممارسة العملية ولديها بعض المعلومات العامة حول الحرب التقليدية حصلت عليها من عملها السابق داخل الجيوش المرتزقة فى الخليج. إلا أن فهم القوانين العامة للحرب التقليدية محدود. وغياب هذا الفهم يجعلنا غير قادرين على رسم خطة عسكرية صحيحة لمواجهة خطط العدو وتكتيكاته. والحل هو إرسال مجموعة من كوادرنا الأساسية المجربة للدراسة العسكرية الأكاديمية فى الخارج . اعترض فهد باننا أرسلنا فعلا العديد من

المجموعات الي الاتحاد السوفييتى . قال رافع إن كل هذه المجموعات كانت تتدرب على الأسلحة . ما نريده هو كادرمن الدارسين فى الكلية العسكرية يتخرجون ضباطا. أيد دهميش هذا الاقتراح بقوة.

يوليو

.. أراد التليفزيون البريطانى أن يصور تلاميذ مدارس السلطان فطلب منهم أن يغنوا وإذا بهم يرددون نشيد الجبهة: دقت ساعة التحرير !!

.. منحت الكويت خمسة ملايين دولار لليمن الديموقراطى. طرد قابوس القائم بالأعمال الكويتى .

.. انتقد البرلمان الكويتى المساعدة العسكرية الإيرانية لقابوس . اعتبرها أحد المتحدثين تهديدا للعالم العربى كله .

.. عقدنا المؤتمر الرابع للجبهة فى بلدة الحوطة اليمنية التى تبعد سبعين كيلومترا شمال عدن. لم يتمكن عدد من أعضاء اللجنة المركزية من الحضور. اثنان منهما اختفيا تماما وفى الغالب انضما الى السلطة. ثلاثة محتجزون فى مسقطبين هارب ومعتقل. لم يحضريعرب. لعله خشى إثارة أمراعتقالات مطرح. استعرضنا تقريرا عن عدد الفارين إلى الجانب الحكومي وآخرعن نقص الإمدادات وانقطاع الاتصالات. ثالث عن معاناة الجماهيربعد إغلاق قطاعات كبيرة من الحدود مع اليمن الديموقراطى نتيجة المعارك والقصف والألغام. عجزت جماعات بدوية كثيرة عن الوصول إلى مراعيها الطبيعية فى الأراضى اليمنية . توقفت واردات السردين المجفف كعلف للماشية خلال فصل الجفاف مما أدى إلى نفوق أعداد كبيرة منها. اضطر الجباليون لأن يأكلوا حبوب البذاربعد تعذر الحصول على الحبوب من السهل الساحلى.

..ذكر التقرير العسكرى أن قوات العدو متفوقة فى الطيران والمدفعية وسرعة التحرك والإمدادات فى كل المناطق وكل الظروف بما فى ذلك فترة الأمطار. أما نحن فلم يتم تركيز القوات الذى تقرر منذ سنة إلا من الناحية الشكلية بسبب التنافس بين القادة العسكريين. أشار التقرير الى ضعف التخطيط العسكرى ونقص الأعتدة والذخيرة . ندد بالأسلوب القتالى فطابعه العام هوالقصف المدفعى الذى لا يؤثر كثيرا بسبب نوع المدافع ونقص الخبرة والذخائر. أقر الوثيقة التى وضعتها الكتيبة التاسعة. دعا الى تركيز القوة فى ثلاث كتائب تكون غالبيتها فى خط

عسكرى رئيسى يمتد من المنطقة الغربية الى غرب الممرمع بقاء مجموعات صغيرة متنقلة تشن حرب عصابات على المراكز الحكومية. الهدف هوالاحتفاظ بالمنطقة الغربية ومركزها الرئيسى رخيوت كقاعدة ثابتة للثورة محرمة على العدو.

..ثارت مناقشات طويلة حول الاستراتيجية السياسية السليمة . أكد رافع استحالة تحقيق انتصار عسكرى، دعا الى التركيز على العمل السياسى وتجنب الاصطدام المباشر بقوات السلطان. عارضه فهد بشدة بتأييد من الظفاريين وأحمد سعيد سيلمان الأمين العام السابق . يخشون أن يؤدى ذلك إلى التخلي عن المقاتلين المعزولين فى الجبال.تبادل الطرفان الاتهامات. صدرت تلميحات عن تصرفات مالية غير سليمة. تصاعد الخلاف عندما ذكر الأمين العام أن القذافى وافق على فتح مكتب تمثيلى لنا فى ليبيا بعد أن تم إقناعه بأن الجبهة ليست ماركسية فى الأساس. أبدى استعداده لتقديم المساعدات المالية. قال الأمين العام إننا فى أشد الحاجة الى هذه المساعدات بالنظر الى الصعوبات الاقتصادية التى تعانيها عدن والضغوط التى تتعرض لها . (اشترطت أبوظبى لمساعدتها ان تقلل من مساندتها لنا). اقترح إسقاط عبارة «تحرير الخليج العربى» من اسم الجبهة وبرنامجها. فاز الاقتراح بأغلبية ضئيلة. كنت بين المؤيدين. لم يشترك دهميش فى المناقشات وان تابعها باهتمام .انتظر حتى رفعت يدى مؤيدة ففعل مثلى . أظن أنه يؤيدنى أنا!

.. استفسرت من الرفيق عوض عن رجال فرقته . لم يغادرها سوى عدد قليل. فقدت ستة مقاتلين فى معارك مختلفة. قال إنه قلق بشأن عبد اللهو سويد. الأول شديد الانطواء لا يتحدث عمليا مع أحد غير سويد. الاثنان متلازمان طول الوقت حتى أثناء النوم. ألمح الى وجود ما أسماه علاقة غير طبيعية بينهما .قال إن انهيار المقاتل يبدأبإعادة بالانطواء والاكتئاب. استعدت ملامح عبد الله الوادعة المستكينة وذكورة سويد الطاغية . هل هوانهيار فعلا: ذعرمن الموت والهزيمة يدفع كل منهما الى أحضان الآخر؟ يتلوه فرارأواستسلام ؟ أم تحقيق طبيعى لمشاعر طبيعية تبحث عن متنفس لها؟ يتمخض عن قدرة أكثر على المقاومة والاستمرار؟ هل يفقد الإنسان ثوريته عندما يستجيب لأسمى وأروع غريزة لديه؟ قارنت بين صرامة فهد الذى لم تعرف عنه أية علاقة بامرأة أو رجل وبين وداعة رافع الذى ترافقه زنزبارية سوداء منذ اصابة أمينة . من منهما أكثر ثورية ؟ من منهما أكثر فائدة للثورة ؟

.. أقمنا حفلة سمر فى ختام المؤتمر. اقترح عوض رقصة ظفارية تسمى الربوبة. كونا مجموعتين متقابلتين. صفق الباقون ودقوا على الأوانى. تحرك الصفا الواحد تجاه الآخر. مركل واحد من صف بين اثنين فى الصف المقابل. استدر وكررنا الحركة. ارتفع صوت عوض بشعر جمعان :

يعدت ياصولى ... قرب حمران بشوية
تعبت ما معى قدرة ... م السير والجية
مسا قلبى تتحول .. الى الديرة الشرقية
لعمامى وصهورى .. كل واحد جنبيه

بدلا من الفرح ساد الوجوم . لم يكن الشعر مناسبا. واضح أن المعنويات منخفضة .

أغسطس

.. اتفق نميرى مع قابوس على تزويده بخبراء سودانيين فى مكافح الشيوعية!!

..حصل لورد بزويك رئيس ايروسبيس البريطانية خلال زيارته لمسقط على عقد توريد بطاريات رابير لصواريخ الدفاع الجوى و١٢ طائرةجاجوار من أحدث طراز بالإضافة إلى شبكة اتصال وإنذار مبكر .

سبتمبر

.. انقلاب عسكرى فى اليوبيابعد حركة جماهيرية واسعة. عزل الامبراطو هيلا سلاسى بعد حكم دام ٤٤ سنة .

أول أكتوبر

.. تقرر إعادة فتح الجبهة الشمالية. ما زال يعرب فى عدن.

..أعلن الرئيس سالم ربيع على فى العيد السابع للاستقلال أن اليم الديموقراطى يسعى لإقامة علاقات دبلوماسية مع الإمارات وقطر والبحرين. قال ف خطابه: «ماهى امكانياتنا المادية ؟ ماذا خلف لنا الاستعمارمن منشئات اقتصاد زراعية أوصناعية حتى نوفر منها المبالغ من أجل التنمية الاقتصادية؟...».

٢٩ أكتوبر

.. ضربة جديدة لنا فى الشمال. اعترضت الشرطة سيارة لاندروفر عندحا قرب بلدة الحزم. جرى تبادل لإطلاق النار أسفر عن مصرع أحمد على زاه

المياحي عضو اللجنة التنفيذية. أصيب الرفيقان سعيد المرزوقي عضو القيادة المركزية وسرحان بجراح عميقة وتمكنا رغم ذلك من الهرب . عثرت عليهما السلطات في اليوم التالي في حالة اغماء. تبين أن السيارة تحتوى على أسلحة وكمية ضخمة من النقود.بينت التحقيقات أن الجبهة نجحت في التغلغل داخل الجهاز الحكومي للسلطنة.

.. جرحت الرفيقة نبيلة سعيد (٢٠سنة) في فخذها في عملية قرب الحدود اليمنية. نقلت هي وزوجها إلى الميليشيا.

نوفمبر

..السلطان يعلن في احتفالات العيد الوطني إدخال التليفزيون الملون.

.. أعادت الحكومة احتلال الجبل. انشأت فرقة «أبو بكر الصديق» في كفتاويت.

..المجلس العسكري الحاكم في أثيوبيا يعلن تبنى الاشتراكية .

..ثوار فيتنام يقتربون من سايجون.

ديسمبر

.. نجحت الحكومة في إقامة مواقع فرق في زيك، أيوم، بورج، كشعات، أشينهيد.

.. بدأت العمليات الايرانية الرئيسية في المنطقة الغربية. ركزنا قواتنا في رخيوت. تكونت لجنة قيادية للبلدة من فهد، عوض، أنا. انهمك الاثنان على الفور في توزيع مدافع الهاون في الأماكن الاستراتيجية . أتولى العمل السياسى والدعائي.

.. بلغ عدد المنضمين للحكومة أكثر من ٧٠٠ مقاتل.

.. كنت وسط درس سياسى للسكان في مسجد البلدة عندماسمعت دهميش يناديني بانفعال . اسرعت اليه . قال وهو يسبقني جريا الى مقر القيادة : أسرعي . فهد يريد إعدام ثلاثة رفاق. شبان صغار. صحت : أين عوض؟ قال وهو يسبقني : في الجبل.جريت الى المقر.وجدت فهد واقفا أمام ثلاثة مراهقين ربطت أيديهم خلف ظهورهم بالحبال . كان يوجه اليهم السباب ويبصق على وجوههم. شعرت أنه في أقصى حالات التوتر والانفعال. عيناه محتقنتان. سيطرت على مشاعري. سألت وأنا ألهث من أثر الجرى: حصل ايه ؟ . نظر الى لحظة مستهجنا

تدخلي ثم قال : هؤلاء الكلاب يريدون الهرب. سأجعلهم عظة لكل الخونة والمنهارين. نظرت اليهم . يرتعدون من الذعر.لا يزيد عمر الواحد منهم عن ١٦ سنة.واحد منهم لم ينبت له شارب بعد. لابد أني التقيت بهم من قبل في مدارس الثورة . ربما أكون قد تحدثت معهم .قلت إن هناك قرارا سابقا من اللجنة المركزية بعدم إصدار حكم بالإعدام الا بعد عرض الأمر عليها. قال : نحن في ظروف استثنائية .البلد مهددة بالسقوط وأنت تقولين لجنة مركزية ؟ هؤلاء الكلاب سيبيعوننا للعدو بحفنة سردين عفن. قلت: القرار واضح. رأيت من ملامح وجهه أنه متشبث بموقفه. قلت : على الأقل ننتظر عوض ونناقش الأمر. قال : لا أعرف أين هو. وليس لدى وقت. قلت : نحن مناضلون ولسنا جزارين . هؤلاء كل جريمتهم أنهم استسلموا للخوف. قال: أنا أتحمل المسئولية. قلت: ليس في أمر يمس الحياة. قال : لن يجرؤ أحد على منعي. قلت : أنا سأمنعك. دهشت أنا نفسي من لهجتي ومن الحركة التي قمت بها. وضعت يدى على الكلاشينكوف وأنزلته من فوق كتفي. تطلع الى غير مصدق. ثم نظر الى سلاحه الملقى على الأرض. سمعنا صوتا فالتفتنا الى الباب . كان دهميش قد أعد سلاحه للإطلاق . نقل فهد بصره بيننا ثم تناول سلاحه وغادر المكان . التقطت أنفاسي . كنت أرتعش . أمرت دهميش أن يفك وثاق الشبان. كانوا مذهولين . خاطبتهم بصوت هاديء: الثورة ليست نزهة. هناك لحظات يبرز فيها معدن الرجال. نحن نمر الآن بفترة عسيرة . لكن النصر محتوم. اذا أردتم تركنا لن أعترض . فقط تعدونني بألا تنضموا الى العدو ولاتتصلوا به أو تزودوه بأى معلومات. قال أكبرهم سنا فيمابيدو: لن نتخلى يا رفيقة . أنا أنقد نفسي على ضعفي. انضم اليه زميلاه في أجمل نقد ذاتى سمعته في حياتي. صافحتهم في قوة . أمرتهم بأن يلتحقوا بوحدتهم في الحال. قلت لدهميش: لماذا اعتقدت أننى سأقف ضد الإعدام ؟. هربت عيناه من مواجهتي . قال: لأنك وردة.ربما كانت لهجته هي التي جعلت الدم يندفع الى وجهي كأني عذراء تسمع كلمة غزل .قلت في ارتباك: لولا وجودك معي ما أمكنني أن أفعل شيئا. خطوت نحوه وقبلته في فمه.

.. الشبان الثلاثة من قبيلة الشحرة. أبناء هذه القبيلة مشهورون بالجبن وضعف الشخصية. يستسلمون بسهولة لأعدائهم أويفرون أمامهم دون مقاومة .لا

يدافعون حتى عن أنفسهم. قال لي عوض أن مشكلتهم الأساسية هي الفزع من رؤية الدماء ولهذا السبب لا يمكن أن يسفكوا دم انسان . هل يدمغهم هذا بالجبن؟

.. قررت أن أشركهم في احتفالات رأس السنة .

أول يناير ٧٥

.. نجح احتفالنا بالعام الجديد. قدمنا رقصة عُمانية. كونّا دائرة واسعة توسطها رفيق يجيد الغناء. تحركنا : خطوة بالقدم اليسرى إلى الخلف ثم دورة كاملة بالجسم وانحناءة بسيطة إلى الأمام ثم التصفيق بالكف أربع مرات متتالية. كنا نرد على المغني بعبارة «ياعين سهرتيني» . ثم جاء دور الشبان الثلاثة. دخلا الحلقة وقد تقمص اثنان منهما شخصيتي نمر وغراب. ومع الغناء دار الصراع بين الطرفين. انتهى بانتصار الخيرعلى الشروالعقل البشرى على قوة الحيوان الوحشي.

.. قابوس يزور الولايات المتحدة . ينوى شراء قاذفات صواريخ ثمنها مليون ونصف مليون دولار.الأمريكان يطلبون حق الهبوط فى القاعدة البريطانية فى مصيرة.

.. يتجنب دهميش الانفراد بي. لكنه يلاحقني بنظراته . تشعرني هذه النظرات بالدفء. يحمر وجهه كالعذارى إذا التقت عيوننا صدفة.

٣ يناير

.. نجح الرفيق سعيد المرزوقي في تسريب القصيدة التالية من سجنه:

أنت شيوعي

أنت كافر

أنت ملحد

سنحرقك

سنعدمك

لتنتهي وتستريح

وتنتهي القضية

هيهات ..

لن تنتهي القضية .

٥ يناير

.. الساعة الخامسة صباحا أيقظتنا طلقات الرشاشات دوشكا . اندفعت طائرتان ايرانيتان من البر وأطلقت صواريخها على مبعدة كيلومترين شرقا. تصايح الجميع. لجأوا الى الكهوف. أصبح الأهالي خبراء في تحديد أنواع الطائرات من كثرة الغارات اليومية : هذه استطلاعية والأخرى ناقلة والثالثة قاذفة. جريت الى مقرالقيادة .لا أحد. فهدوعوض يشرفان على إطلاق مدافعنا وتغيير أماكنها باستمرار.دهميش معهما. صرخت فيمن كان حولي:بين دخان الطائرة وانفجار الصاروخ عشر ثوان. تكفي لكي تلتصقوا بأقرب صخرة. بدأ قصف مدافع الهاون. صحت من جديد: ١٧ ثانية بين دوى إطلاق الهاون وانفجاره. القنابل تتساقط بالعشرات. لوسقطت رخيوت ضاعت المنطقة المحررة . بل ضاع كل شئ. الطائرات تقترب على علو منخفض. نحتمي بالجدران . يسقط جدار على أربعة مقاتلين احتموا خلفه. أصابت قذيفة علم المستشفى المتنقل. جريت وسط القنابل المتساقطة. صراخ الاطفال وعويل النساء. صيحة: إنزال. صحت بأعلى صوتي : أطلقوا النار على أى شكل غريب. توقف القصف . جثث تحت الأنقاض. امرأة ميتة على شجرة .طفل في الثالثة من عمره ينادى أمه. الجرحى يزحفون نحو المستشفى. ناداني صوت باسمي . أحد الشبان الثلاثة الذين أنقذتهم من الإعدام يئن من جرح في بطنه .بكاء وعويل. الإنزال سحابة من المظلات ثم سحابة من الرجال ثم سحابة من دخان البنادق والرشاشات ثم أكوام من الجثث.

.. أصدرنا الأمر بإخلاء البلدة والانسحاب نحو الحدود اليمنية .

15

صـــلالـــة

١٩٩٢

كان ثمة شئ محير في الجزء الجديد من يوميات وردة . لم يكن لدى شك في أنها الكاتبة فهو نفس الخط الذي طالعني في الكراسات السابقة : الكلمات الكبيرة الحجم بالحروف الواضحة التي تنطق بالجرأة والتحدى، العبارات المقتضبة، الدقة في نقل المشاهدات والسماعيات، التمحيص الصارم لسلوكياتها وعالمها الداخلي، المتابعة الواعية لما يجرى في العالم من تطورات، التساؤلات المستمرة حول كل شئ. ومع ذلك خالجني شعور بأن شيئا ما ينقصها.

أغلقت الكراسة ودققت النظر في غلافها المهترئ ثم عدت أقلب الصفحات. رغم غياب الترقيم لم يبد أن شيئا اقتطع منها أو أضيف اليها فقد كان الانتقال من صفحة الى أخرى سلسا ومنطقيا ومتفقا مع التواريخ المثبتة في بداية كل فقرة . كما أن دبوس الوسط كان في مكانه وليست حوله أية علامة تشير الى أن أحدا عبث به أو حاول انتزاعه من مكانه.

أعدت قراءة بعض الفقرات وتوقفت عند السطورالأخيرة ثم استعرضت في رأسي الأجزاء السابقة . وأخيرا أودعتها مخبأ السجادة وغادرت الغرفة.

بحثت عن مواطني المصرى فوجدت أنه يؤدى صلاة الجمعة في إحدى غرف الطابق الأول. انتظرته في البهوحتى جاء فلجأت اليه:

– هل تعرف أبو عامر ؟

ضحك : الغميرى ؟ من هنا لا يعرفه . إنه من شيوخ الأفخاذ .وأغلب بقالیات صلالة وصيدلياتها ملكه .

قلت : هل يمكن أن تحصل لى على رقم تليفونه؟

– غالى والطلب رخيص.

مضى الى الاستقبال وفتش في أحد الأدراج ثم نقب في بعض الدفاتر و عاد اليّ بالرقم . تذكرت زكريا الذى حذرنى من سعر المكالمة التليفونية لكن لم يكن هناك مفرمن التهور.

رد عليّ صوت ذو لكنة غريبة : بيت الغميرى .

قدمت نفسي فطلب مني صاحب الصوت الانتظار. مضى وقت طويل حسبته بالريالات ثم جاءني صوت فخم عميق القرار:

– معك أبو عامر.

ذكرته بأننا التقينا في مخيم أبي عبدالله وأنه وعد بمقابلتي .

قال على الفور : أهلا بك وسهلا في كل وقت . هل أنت حر الليلة ؟

لم أتمكن من إخفاء اللهفة في صوتي : نعم.

قال : إذن سأبعث اليك بسيارة فى السابعة مساء . يناسبك الموعد ؟

قلت : عظيم.

كنت أعرف أن سالم مع أخته واستبعدت مقدم خلف فى يوم العطلة الأسبوعية ومع ذلك تجنبت المطعم واستطعت أن أحصل من خدمة الغرف على طبق من الاسباجيتي بصلصة الطماطم والجبن وبضع سلطات.

استرحت قليلا بعد الغداء ثم استحممت وغامرت بطلب القهوة . وقضيت الوقت بين الشرفة والتليفزيون الى أن دق التليفون فى الساعةالسابعة.

وجدت فى انتظارى سائقا هنديا أو باكستانيا أو بنجلادشيا ، فلم أتمكن بعد من التمييز بين الجنسيات الثلاث ربما لأنهم فى الحقيقة عنصر واحد . انطلقنا الى مرباط وفى هذه المرة تمهلنا فى الجزء القديم من البلدة حيث يسكن صيادو السمك ورجال الفرق الوطنية. ومررنا ببضع بيوت مهجورة تركها أصحابها إلى منازل حديثة متواضعة بنيت بشكل عشوائي وبرزت من سطوحها المزاريب المتعددة شاهدة على ما تفعله الأمطار.

توقفنا أمام منزل قديم من طابقين محاط بسور حجرى مرتفع به بوابة حديدية تزينها كتابة قرآنية. انفرج باب صغيرالى جانبها عن هندى اقتادنى فى صمت عبر ردهة مبلّطة بالسيراميك الى باب آخر مفتوح على باحة غير مسقوفة. اجتزناها وولجت قاعة واسعة عبقت برائحة زكية وتكدست بها الفوتيات الضخمة فوق سجاجيد سميكة. وتصدرها جهاز تليفزيون كبير الحجم داخل قطعة أثاث خاصة به يعلوه جهاز فيديو.

جلست فى إحدى الفوتيات أمام مائدة صغيرة مذهبة الحواف تحمل صينية مدورة عليها ابريقان من العصائر أحدهما لجوز الهند والآخر للبرتقال ، وأطباق

عديدة لسلاطة الفاكهة والموز والفافاى والفستق والبومبون والفطائر والبسكويت والكعك .

أقبل على أبو عامربعد لحظات فاحتضننى وقبل كتفى الأيمن ثم اتخذ المقعد المواجه لمستندا بذراعه اليسرى إلى المسند ومسلطا على عينى النسر.

علقت على الرائحة فأبدى دهشته:

– ألم تشم خشب العود من قبل؟ إنه بخور نادر . قطعة صغيرة فى حجم الليمونة يمكن أن يصل ثمنها الى مائة ريال.

هززت رأسى متعجبا فمائة ريال تعنى ثلاثمائة دولار بسعرماقبل حرب الخليج أو٨٠٠ جنيه مصرى أى راتب شهر لموظف محترم .

أشاح بيده فى غير مبالاة: هذا لا شئ . فى قصرسيدى السلطان يحرقون كميات هائلة منه كل يوم.

دخل الهندى الذى استقبلنى وصب لى كوبا من عصير جوز الهند . شربت جانبا من الكوب ثم وضعته جانبا.

قال : جرب هذه الفطائر.

قلت إنى لست جائعا.

أطرق برأسه ولاحظت خاتما ذهبيا كبيرا فى بنصر يده اليسرى التى طوقتها ساعة ذهبية كبيرة الحجم .

استجمعت شجاعتى وقلت :

– أمس زرت مركز التأهيل النسوى والتقيت بابنة أخيك .

قال وهو يجمع ثوبه تحت فخذيه ويعتدل فى جلسته :

– سمعت.

كنت حائرا بشأن الأسلوب المناسب لطلب رؤيتها. وأغنانى هو عن المحاولة .

نهض واقفا وهو يقول :

– سأدعوها لتنضم إلينا.

غادر الغرفة فجلت ببصرى فى أنحائها . كانت لها نافذة تشرف على الباحة التى تتوسط المنزل ولا يوجد بها منفذ يطل على الشارع . ولمحت عدة مجلدات فى خزانة مجاورة للتليفزيون فنهضت ومضيت اليها. تصفحت العناوين: تاريخ

البوسعيديين لابن زريق، البداية والنهاية لابن كثير ، والموسوعة العتيدة التي تخبرك بالسبب في تسمية ابنك زيد أو علي.

عدت إلى مقعدي واضجعت فيه ورفعت عينيَّ إلى السقف المرتفع الذي توسطته مروحة كهربائية. كانت هناك كتابة بماء الذهب حول السقف ميزت فيها آية قرآنية. وهبطت عيني إلى صورة قديمة للسلطان في مقتبل شبابه تختلف تماما عن صوره الحالية . فقد بدا شابا نحيفا قصير القامة عديم الثقة بالنفس يبتسم في خجل.

عاد أبو عامربعد قليل واستقر في مجلسه وجمع ثوبه تحت ساقه التي ثناها أسفله ومد يده إلى أصابع قدمه العارية.

قال : ابنة أختي تعتذر لأنها متعبة .

نظر إلي في دهاء فأخفيت خيبة أملي .

قال : لم تشرب العصير . لعلك تود شيئا آخر؟

لم ينتظر إجابتي وقال: سأصلي أولا.

أحضر له الهندي سجادة الصلاة وفرشها في ركن القاعة بزاوية تواجه القبلة وتجعله قادرا على رؤيتي بطرف عينه. هكذا تجمدت في مكاني حتى انتهى من الركعات الأربع وختم الصلاة بالسلام الموجه الى ملاكي الكتفين.

التقط الخادم الهندي السجادة وطواها ثم خرج وعاد يحمل صينية فوقها زجاجة ويسكي وإناء ثلج .

قال : نشرب كأسين قبل أن نتعشى .

قلت : لا أريد أن أثقل عليك .

قال وهو يصب كأسين ويناولني أحدهما:

– إننا لا نلتقي بأحد من مصرالشقيقة كل يوم . حدثني عنها. لقد زرتها مرة واحدة منذ ثلاثين عاما .

قلت : لقد تغيرت كثيرا.

قال : نحن أيضا تغيرنا.

لم أفهم هل يشير الى تقدمنا أنا وهو في السن أم الى أوضاع بلاده فاخترت تعليقا دبلوماسيا:

–التغيرات واضحة في كل مجال .

– قل لي . هل جربت لحم الضبع ؟

فوجئت بالسؤال ولعل بعض التقزز بدا علي فضحك وأشار إلي بأصبعه :

– أنت منهم إذن .

قلت : من هم؟

– بعض سكان الجبال عندنا يحرمون قتل الضبع لأنهم يعتقدون أنه فرس الساحر ومن يعتدي عليه يصاب بنوع من القصاص . والبعض الآخريؤمن بأن الضبعة هي فرسة النبي وأنه عاقبها مرة بضربها على رجليها الخلفيتين فالتوتا وبعد ذلك أصبح لحمها حلالا. صدقني أنه شهي جدا . وله فوائد جمة : فمن يشكو من ألم في ظهره عليه أن يأكل من لحم ظهر الضبع والذي يشكو من ألم في القدم اليمنى عليه أن يأكل من لحم القدم اليمنى وهكذا .

قلت : كان لدى أبي نفس الاعتقاد . لا بالنسبة للضباع وإنما بالنسبة لحكاية الأجزاء المتماثلة . عندما بلغ سني الحالية كان يحرص على أكل بيض الغنم .

ضحك وصب لي كأسا ثانية.

أحضر الهندي تنورا مشتعلا وضعه على الأرض بالقرب من قدمي أبي عامر. ثم غادر الغرفة وعاد بمائدة صغيرة تحمل صينية بهاعدة لفافات من الورق المفضض وإناءً زجاجيا كبيرا به مادة سوداء لينة. وضع المائدة أمام أبي عامر مباشرة وجلس على الأرض بينها بين التنور.

– لا تخف . أعفيناك من أكل الضباع . سنأكل أكلة ظفارية معتبرة .

شمرعن ساعديه وفك غلاف إحدى اللفافات كاشفا عن كومة من أوراق الموز. واحتوت اللفافة الثانية على قطع من اللحم المتبّل . تناول قطعة وأزال ماعلق بها من بصل ثم لفها بعدة طبقات من أوراق الموز. ومد إصبعه إلى الإناء فغمسه في المادة السوداء ودهن بها أوراق الموز. كرر هذه العملية عدة مرات حتى أصبحت قطعة اللحم المغلفة جسما غليظا أسود اللون ثم ناولها للهندي الذي وضعها في النار .

أشار إلى المادة السوداء قائلا : هذا الطين يتصلب في النارفينضج اللحم داخله .

تناول قطعة جديدة من اللحم وشرع في تغليفها بأوراق الموزوهو يتكلم:

– هذه المنطقة لم تكن شيئا أيام السلطان السابق . كانت لقبيلتنا أراض واسعة لكننا كنا نجد صعوبة فى الحياة . ذهب أخى الى الكويت وعند عودته انضم الى الثوار وانضممت اليه .

غلف القطعة بالطين فى عناية وناولها للهندى الذى وضعها فى النار.

– فى صيف ٧٠ جاء سيدى قابوس إلى السلطة وبدأت عملية البناء. نزل شباب كثير من الجبهة الى صلالة وبعد أن تأكدت الحكومة من حسن نواياهم سلمتهم وظائف فى المؤسسات الجديدة . وبدأنا نجنى ثمرات التغيير فابناؤنا يذهبون للمدارس فى مراكز الجبل وابلنا ومواشينا يصلها الماء بعد أن كنا نسير عدة كيلومترا ت حتى نصل إليه ، والمؤن تصلنا ونتسلم مخصصات من الكساء تقينا الحر والبرد. وبدأت مطالبنا التى كنا نحاول تحقيقها من خلال الكفاح المسلح تجاب . فماذا تبقى أمامنا ؟

انتهى من دهن القطعة الأخيرة فاعطاها للهندى الذى وضعها فى التنور ثم ثبت فوقه الغطاء الفخارى ورفع الصينية وما تبقى بها من أوراق الموز والطين وحملها الى الخارج. عاد بصينية أخرى تحوى إناء الأرز المحتوم وطبقين وأدوات مائدة لاثنين وضعها فوق المائدة الصغيرة . اقتعد الأرض تحت أقدام أبو عامر وتحول إلى تمثال جامد ثبتت عيناه على التنور المغطى.

رآنى أنظر إلى الهندى فقال : أسميناه طاغورعلى اسم الشاعر العظيم فهو يتمتع بالحكمة. لا يفتح فمه أبدا.

أعدته الى الموضوع : لكن الثورة استمرت مدة بعد ذلك .

ملأ لنفسه كأسا وصب لى :

– هؤلاء كانوا نفرا قليلا من الشيوعيين أواهم اليمن الجنوبى . ظلوا يرفعون شعارات العنف الثورى والمجتمع اللاطبقى وحكم البروليتاريا . الناس هنا قوم بسطاء لا يفهمون إلا ما يحسونه ويلمسونه .

سكت لحظة وهو يتأملنى بتركيز ثم وضع يده على صدره عند القلب تماما :

– أما أنا فما فى القلب يظل فى القلب .

فكرت فى مغزى العبارة الأخيرة . وجرع هو كأسه ثم التفت إلى الهندى وأومأ برأسه. كشف هذا غطاء التنور وكانت النار قد همدت وبرد الجمر. مد الهندى

أصابعه والتقط إحدى القطع بسرعة وكسر الطين المتحجرحولها ثم ألقى بها فى الصينية.

قلت : فى نهاية الخمسينيات تعرفت فى القاهرة بمجوعة من الطلاب العمانيين كانت أم وعد بينهم . هى وأخوها . كان اسمها شهلا وكنا ننادى أخيها باسم يعرب.

ظل يحدق فى محتويات التنور دون أن يعلق .

استطردت : ماذا جرى لهما ؟

تناول قطعة اللحم وأزال أوراق الموزالتى تغلفها ووضعها فى أحد الطبقين ثم قدمه إلى دون أن ينظر ناحيتى. تناولت الطبق وأمسكت اللحم بأصابعى ثم أسقطته على الفورمن فرط سخونته.

استغرق فى نزع أوراق الموز عن قطعة ثانية ثم قال :

– هناك الكثيرون الذين فقدوا فى الحرب وضاعت آثارهم . لا أعرف ماذا حدث لوردة . فهذا هو الأسم الذى اشتهرت به . كنت تعرفه؟ أنا نفسى لم أقابلها مطلقا . أما أخى فقد ركب رأسه وظل مع الجبهة إلى النهاية.

– استشهد ؟

– فى الغالب . اختفى معها .

– وخال وعد .. يعرب ؟

– لا أعرفه.

– لم تسمع عنه ؟

تردد لحظة ثم قال :

– وردة أصلا من الباطنة فى الشمال ثم نزح أهلها إلى صنعاء. وعندما جاءت إلى ظفاركنا نقاتل فى منطقتين مختلفتين فلم نلتق . ثم تركت أنا الجبهة وافترقت عن أخى ولم أره بعد ذلك أبدا.

أمسك بإصبع اللحم ووضعه فى فمه وحذوت حذوه. كان اللحم طريا شهيا طيب المذاق .

انهمكنا فى الأكل وهويحدثنى عن طفولته والحياة فى مخيمات الجبل. وأحضر لنا الهندى الحلوى لكنى اكتفيت بكوب من الشاى الأخضر. وعندما فرغت من احتسائه تطلعت إلى ساعتى فوجدتها تقترب من الحادية عشر.

قلت : الوقت تأخر ويجب أن أرحل .

قال دون أن يتحرك من مكانه:

– ستقضي الليلة عندنا .الوقت تأخر فعلا والسائق نزل صلالة وسيقضي الليلة هناك . سيعود في الصباح ويأخذك إلى فندقك .

قلت : ليس هذا ضروريا . يمكنني أن آخذ تاكسي.

– ليس في هذا الوقت .

– ألا يمكن أن نستدعي واحدا بالتليفون ؟

قال : لم يدخل عندنا هذا النظام بعد.

داخلني قلق مبهم فأصررت على الانصراف.

قلت وأنا أنهض : لا أريد أن أسبب الإزعاج.

نهض بدوره وهو يقول : عندنا غرف كافية وكل ما تحتاج اليه .

قادني من ذراعي إلى الخارج والهندى من خلفنا. قال ونحن نجتاز الباحة:

– قبل عصر التكييف والمراوح كنا نفترش الأرض هناباالليل.

توقف أمام غرفة مغلقة ففتح بابها ومد يده فأشعل النور الكهربائي ثم استدار وأشار الى باب مجاور:

– هذا هو الحمام. إذا احتجت إلى شئ نادى على طاغور. تصبح على خير.

انتظر حتى ولجت الغرفة ثم انصرف والهندى في أعقابه. أغلقت الباب ووضعت حقيبة يدى بجواره على الأرض وأجلت النظر حولي. كانت الغرفة متوسطة الحجم يشغل طرفها القصى فراش مثل الذى رأيته بين معروضات جمعية المرأة ، يرتفع عن الأرض بحوالي متر ونصف متر ويعلوه لحاف سميك بألوان مشرقة وملاءة من نفس النسق اللونى مطوية برقة بالغة وبجوارها دشداشة بيضاء مكوية ومطوية.

خلعت حذائى وجوربى عند الباب بجوار خف من القماش وصندوق مزخرف كبير الحجم استقر فوقه دورق مياه وكوب. خطوت نحو مقعد متحرك من الجلد بمسندين من النوع الدوارالذى يوجد في مكاتب الشركات الأجنبية. جلست وأسندت مرفقىّ ثم حركته في نصف دائرة وأنا أتفحص الغرفة .

كانت الأرض مغطاة بموكيت بنى اللون وبجوار الجدران أقيمت وسائد بصورة عمودية. ورصت بعض الملابس في فتحة خلفها في الجدار تعلوها فتحة

أخرى على شكل مصباح زيتي ضمت أواني خزفية موحدة النقوش.وكانت هناك فتحة مماثلة فوق الفراش صفت داخلها أكواب زجاجية مذهبة.وبين الفتحات علقت أكثر من عشرين صورة تايوانية لحيوانات وطيور في إطارات صغيرة . وتدلت من مسمار بارز عباءة بنية اللون لمس طرفها جهاز تكييف مغلق.

نهضت واقفا وخلعت قميصي وبنطلوني وعلقتهما فوق العباءة ثم ارتديت الدشداشة . انتعلت الخف وفتحت الباب وخرجت الى الممر المطل على الباحة.

كان المنزل غارقا في ظلام لم تنجح في تبديده إضاءة خافتة صادرة عن مصباح كهربائي صغير فوق باب الحمام . وكان بوسعي أن أتبين جانبا من الطابق العلوى الذى يدوربه سياج خشبي . وقفت أنصت لكن السكون كان شاملا.

دفعت باب الحمام ودخلت. وكأني انتقلت من قرن الى آخر. فقد كان مجهزا بكل الأدوات الحديثة من السيراميك الى صندوق طرد المياه و السخان الكهربائي. اغتسلت واستخدمت منشفة نظيفة وردية اللون وعدت الى غرفتي. أردت أن أغلق الباب بإحكام فاستعصى علي. كان له رتاج خشبي بلسان عريض ميزت منه جزءا ثابتا به عدد من الثقوب وآخر منزلقا به أصابع خشبية متحركة مطابقة لها. وكان ثمة عصا منحنية بها أصابع خشبية بارزة تشبه المفتاح.

عجزت عن استخدام المفتاح وإغلاق الرتاج فتركته موصدا دون قفل. أخذت أدوية المعدة و الضغط التى أحملها معي دائما وابتلعتها بقليل من مياه الدورق ثم أطفأت النور وانتظرت حتى ألفت عيناى الظلام. تقدمت من الفراش وثنيت ركبتي واعتليته بحذرخوفا من تمزق العضلات الذى تعرضت له عدة مرات في الآونة الأخيرة. تمددت وأغلقت عيني ثم فتحتهما من جديد. كنت قلقا بشأن الباب المفتوح وكان في مجال رؤيتى فثبّت عينىّ عليه وعلى الشعاع الخفيف الذى تسرب من بين مصراعيه. بدأت أسمع أصواتا غامضة فحبست أنفاسي حتى ميزت نباح كلاب في الخارج وطقطقة أخشاب وهسيسا غامضا. قدرت بعد لحظة أنها أصوات الليل العادية في أى منزل قديم. ولا بد أني غفوت إذ تنبهت على حركة خفيفة عند الباب. ورأيت مصراعه ينفرج في بطء بالغ. وظهر في ضوء الممر جسم غامض انفلت داخلا.

وربما كانت الرائحة هي التى نبهتني وعلى أية حال فقد أنبأني لاشعوري بهوية الزائر قبل أن يشع نور المصباح الكهربائي فجأة . ثم تركز اهتمامي على

الكيفية التى أغلقت بها وعد الباب متعجبا من بساطتها. فلم تستخدم المفتاح وإنما حركت الجزء المنزلق من القفل فسقطت الأصابع المتحركة فى ثقوب الجزء الثابت.

اعتدلت جالسا واستدرت مدليا ساقىّ وأنا أسوى الدشداشة لأغطى فخذىّ. وواجهتنى على بعد ثلاث خطوات بعينين ناريتين جامحتين. كانت سافرة الوجه عارية الرأس، ينساب شعرها فوق رداء حريرى ملون بنقوش صينية يبلغ قدميها الحافيتين .

خاطبتنى فى حدة :

– ماذا جاء بك ؟

وجدت لسانى أخيرا فقلت :

– لأراك.

– لماذا ؟ ألم تحصل على اليوميات من الطبيب؟

– أخذتها. جئت من أجل البقية.

وضعت يدها اليمنى فى وسطها متحدية.

– ما ذا تعنى ؟

– ما زال هناك جزء آخر.

رفعت يدها إلى عنقها وأخذت تعبث بفتحة ردائها فى عصبية .

– من قال لك ؟

– المنطق. ما قرأته حتى الآن لا يجيب على أسئلة كثيرة. ثم إنك لم ترددى فى إعطائى اليوميات . لماذا؟ لأن وردة أوصت بذلك فى يومياتها . لكن ماقرأته منها حتى الآن لا يشير الى ذلك بكلمة . إذن لا بد أن تكون هناك بقية.

امتدت أصابعها الى الزر الأعلى من الرداء وأخرجته من عروته دون أن ترفع عينيها عن وجهى. استقرت عيناى على أصابعها وهى تنتقل إلى الزر التالى . وعندما فكته انحسر الثوب عن صدر عارلا يستره شئ. بسطت ذراعيها جانبا فتجلى نهداها فى كامل بهائهما.

قالت : كانت أجمل منى ؟

– من هى ؟

قالت : وردة.

كيف يمكن الرد وأنا لم أر من وردة غير وجهها ؟

– ألا تتذكرينها؟

خطت نحوى دون أن ترفع عينيها عن وجهى أو تغطى نهديها المشرئبين اللذين انتفخت حلمتاهما.

– لم أرها. لا هى ولا أبى.

لمس ثوبها ركبتىّ ومدت يدها فجذبت يدىّ فى عنف ووضعتهما فوق نهديها.

– قل لى.

لم أقل شيئا لا لأنه لم يكن لدى ما أقوله وإنما لأن الفرصة لم تتح لى . ففى لحظة كالحلم كانت قد تخلصت من الرداء وتجلت بكل عريها دون ساترثم دفعتنى على ظهرى واستقرت فوقى. كانت هناك ملاءة داكنة اللون مثبتة فى السقف تحجب منظر قضبانه الخشبية، لكن وجهها حجب كل شئ.

أحاطتنى بذراعيها وأخذتنى بين فخذيها ومضت ترجنى وقنعت بأن أبقى معتقلا دون أن أفكرفى اقتحامها مستسلما لهدهدتها كطفل متخففا من الدفاعات التى قضيت عمرى فى بنائها لأثبت ماذا ؟محلقاعلى مبعدة ملايين السنين الضوئية من هنا والآن. و شرعت أتأوه مدركا أنى لم ألتذ الى هذه الدرجة من قبل وواعيا بأن أبتعد عنها فى اللحظة المناسبة.

هل كنت أضاجع وردة ؟ أم أضاجع نفسى؟

ظلت فوقى تتأملنى بتركيز. وشعرت بضغط ردفيها الثقيلين فأنزلتها برفق الى جوارى واستدرت أواجهها متغاضيا عن آلام الرقبة:

– أي بارفان هذا ؟

ابتسمت فى بهجة طفولية وهى تقلد لهجة الأفلام المصرية:

– بارفان ايه يا أستاذ؟ دا زيت للشعر. غالى جدا. خشب صندل مطحون ومسك وزعفران مع زيت ورد .

بالإضافة الى عبير فواح لا يضارعه عطر آخر فى الوجود.

مررت بيدى على جسدها استكشف طياته وبعد لحظة همست فى أذنها:

–ما هو الاسم بلغة الجبل ؟

دفنت رأسها فى صدرى بخجل : حب .

أهناك تعبير أكثردقة ورقة ؟

أبديت دهشتى لأنها غير مختونة فضحكت قائلة :

– حظ.

واصلت أصابعى رحلتها ورأسها مدفون فى صدرى ورائحتها تحف بى وتسكرنى الى أن انتفضت مرة أخيرة وأزاحت يدى.

– هل ستعودإلى مصر ؟

– نعم .

– حدثنى عنها . هل تشاهدون التماسيح فى النيل ؟

– ونركبها أيضا.

– خذنى معك . أنا أموت هنا كل يوم .

– كيف؟ عمك رجل معقول. أوحى لى أنه ما زال على مبادىء الجبهة. ولم يجد بأسا فى أن يدعوك للجلوس معنا.

ضحكت ساخرة :

– لا يوجد من هو أكثرمنه رجعية.إنه لايسمح لبناته بالخروج من المنزل. ومنعنى من مواصلة تعليمى بالجامعة الجديدة فى مسقط. أنا التى انتزعت حق العمل فى جمعية المرأة يومين فى الأسبوع. وافق كى يكسب ودى ويحصل على اليوميات. وعدا ذلك نبقى فى البيت بجوار زوجته . هناك فى الطابق الأعلى قاعة طولها ٣٥ متر مفروشة بالسجاد ومحاطة بالوسائد . هل تعرف كم عددها ؟ أنا أحصيتها فى لحظات الملل : ٦٥ وسادة . تغلق النوافذ ويضاء النور الكهربائى فى عزالنهار. كل يوم تجلس بها زوجة عمى فى فستان واسع طويل من القطيفة محلى بورود ذهبية صغيرة وفصوص من الفضة يستغرق تطريزها باليد شهرا كاملا.

وضعت يدى على فمها اذ خيل لى أنى سمعت صوتا بالخارج . أنصت برهة وعندمالم أسمع غير دقات قلبى قفزت الى الأرض واقتربت من الباب ووقفت عنده أتنصت.

كان هناك حفيف ما فى الخارج بالتأكيد. التفت ناحيتها فوجدتها قد توارت تحت اللحاف . توقف الحفيف و عادت الأصوات المألوفة. مددت يدى فأطفأت النوروقفت النظر فى شعاع الضوء الخفيف القادم من الخارج . ظل ثابتا دون أن يعترضه شئ.

عدت الى الفراش واندسست الى جوارها. استدرت على جانبى الأيمن ووضعت يدى تحت رأسها واحتضنتها بالذراع الأخرى. انكمشت فى حضنى وألصقت جبها المبتل بفخذى وهمست:

– لعلها القطة.

– أو عمك؟

فكرت ثم قالت :

– لا أعتقد . انه ينام فى جناح بعيد.

ضممتها إلىّ وقبلت رأسها.

كأنما أضم ابنة لى.

– كنت أحكى لك عن المجلس اليومى. تدعو زوجة عمى بناتها فيجئن جميعا فى نفس لباسها. مطلوب أن يبقين هكذا طوال اليوم مهذبات مؤدبات ثم يرقدن فى أى مكان. تصيح فيهن : الكنادر. فيخلعن أحذيتهن. لكنها لا تتركهن فلابد ان تؤنبهن: يا عيب الشوم. يتربعن على الأرض. هل لاحظت أن قدمىّ ليستا مشوهتين ؟ جميع الأقدام هنا مشوهة نتيجة التربع على الأرض . ثم تقود السّمر ونحن نقدم اليها الفاكهة أوالمرطبات والمكسرات . كلما قدمنا لها شيئا قالت إنها صائمة لأننا فى يوم ١٣ أو١٤ أو ١٥من رجب أوشعبان أو يوم الثنين أوخميس...هل رأيت التليفزيون والفيديو ؟ نحن لا نشاهد إلا صلاة الجمعة والبرامج الدينية. تعرف ما هى تسليتنا الوحيدة؟ عندما تمرض واحدة ويتعسرشفاؤها يأتون بعرافة بدينة تتكلم من بطنها. تقول إنها حامل منذ عدة سنوات وإن الجنين هو الذى يتكلم . يتجمعن فى غرفة مظلمة امتلأت بدخان البخور وتجلس المريضة وسطهن ويبدأن فى هز رؤوسهن وهن يرددن ألغازا وطلاسم حتى تدوخ المسكينة وتهذى بكلام غيرمفهوم وتتلوى على الأرض .

اعتدلت على ظهرها ودفعت ساقها اليسرى بين ساقى ثم قالت :

–احكيلى عنها .

حكيت لها كيف تعرفت بوردة . طلبت منى أن أصفها ففعلت . وبعد لحظات اكتشفت أنى لا أعرف عنهاحقا شيئا ذا بال .

سألتنى : هل كنت تحبها ؟

قلت بعد تردد : أظن ذلك .

جاء دورها في التردد:

– هل..هل نمت معها؟

أجبت بالنفي.

شعرت بها تهز ساقها في عصبية .

– تعرف أني كنت أكرهها الى أن قرأت يومياتها؟ تصورتها امرأة بلا قيم ولا شعور بالمسئولية. كنت أعتقد أنها تخلت عني .

سألتها عن يعرب فقالت :

– لم أره ولم يأت الى هنا أبدا وإن كنت أعتقد أن عمي على اتصال به. أظن أنه في مسقط.

– واليوميات؟

– وقعت في يدي بالصدفة . منذ سنة . جاء بها واحد من البدو وأعطاها لطاغور الذي أحضرها لي وأخفيتها بعد أن انتزعت منه وعدا ألا يقول لعمي . لكن عمي عرف. ربما منه أو من البدوي .طلبها مني وفي البداية أنكرت . كنت أريد الاحتفاظ بها لنفسي. ثم ضغط علي فأعطيته جزءا وأخفيت الباقي . لكنه شك في الأمر ومن لحظتها وهو يراقبني بدقة ويفتش حاجياتي باستمرار. لكني كنت أشطر منه.

– ولماذا حجبت عني هذا الجزء ؟

– السبب الأول هو ما جاء به حول ظروف ولادتي . أبي وأمي لم يتزوجا رسميا. كثيرون تزوجوا وقتها على قانون الجبهة أي أمام مسئول سياسي، حتى هذالم تفعله. وبعد انتهاء الثورة تم توثيق زيجات الجبهةلتكسب الشرعية. وتمكن عمي بنفوذه من إدراجي في هذه العملية. لكني ما زلت أشعر بالحرج. كثيرا ما يصمني بأني ابنة حرام .

– والسبب الثاني ؟

– السبب الثاني أني أريد استخدام هذا الجزء للحصول على حريتي . أشعر أن به شيئا يتحرقون لمعرفته . لا أعلم ما هو . ربما استطعت إجبار عمي على إرسالي للتعليم في بيروت أو مصر أو لندن .

– من هم ؟

– لا أعرف. حاولوا معي بشتى الوسائل . لم يتركوا ثقب ابرة دون أن يفتشوه .

تخيلات وأوهام ؟هستريا؟

– قال لي شخص في مسقط انك ترفضين تسليم هذا الجزء لأحد غيري فكيف عرف؟

– صديقة لي أخوها في الجبهة. قالت إنهم قرأوا الأجزاء الأولى ويريدون الجزء الأخير. قلت لها إني لن أسلمها إلا لك أو لواحد لبناني. صرت أنت محور حياتي لفترة طويلة. كنت واثقة من مجيئك.

تجمدنا فجأة فقد تكرر الصوت الغامض . أزاحت ذراعي واللحاف وهي تقول : يجب أن أذهب الآن .

قفزت الي الأرض في خفة واستدرت أتابع حركتها في الظلام وهي تبحث عن ردائها حتى وجدته. عبثت لحظة بطياته ثم التفتت نحوي وطوحت بيدها. استقرت الكراسة الصغيرة على صدري فالتقطتهابينما ارتدت ثوبها وسوت شعرها ثم اقتربت مني وانحنت فوقي فقبلتني .

قلت : كيف سأعيدها اليك ؟

قالت : لا تقلق . عندي صورة منها .

هبطت من الفراش ورافقتها حتى الباب . عبثت قليلا بالمرتاج وأظنها أدخلت فيه المفتاح وفي النهاية سحبت المزلاج.

همست : سأشعل النور لأكتب لك تليفوني في مسقط وعنواني في مصر.

– لا . هات قلم . يمكنني أن أكتب في الظلام .

تذكرت أني وضعت حقيبة يدي بجوار الباب فالتقطتها وبحثت داخلها حتى وجدت قلمامن الحبر الجاف . ناولتهاالقلم فسجلت التليفون والعنوان فوق راحة يدها ثم جذبت المصراع وتسللت خارجة.

أوصدت الباب خلفها في رفق ووقفت أتنصت. وعندما لم أسمع صوتا غير عادي أضأت النور وتفحصت الرتاج. حركت المزلاج حتى انزلقت أصابعه في الثقوب الثابتة وتأكدت من إحكام الغلق . ثم مضيت الى المقعد الدوار وأنا أقلب صفحات الكراسة الصغيرة ذات الغلاف الأسود وأتأمل الخط المتحدي المألوف.

16

الربع الخالى

١٩٧٥

٧ يناير

.. نسير ونسير .الحقائب على الظهور وفوق الإبل .الكلاشينكوف في الكتف. الترانزستور رفيق لا يقدر بثمن .الهضاب الشاسعة تلونها الخضرة والزهور. طيور الجنة صائدة الذباب بألوانها البنية الحمراء والسوداء والخيوط البيضاء الطويلة على ذيولها . الطرق الجبلية غير المطروقة بها علامات عبارة عن أكوام من الأحجارفي جانب.آثار قبيلة كانت تنصب خيامها على السفوح. انتقلت منذ شهر الى أسفل الجبل وجمعت ماشيتها في حظائر كبيرة . هل هبطت هربا من القصف أم استعدادا لموسم الأمطار؟ يا رفاق .. يا رفاق. التفتنا نبحث عن مصدر الصوت. صبي في العاشرة يحمل إناء نحاسيا بين يديه يمده لنا لنشرب الحليب الطازج . تأمل ملابسنا وأسلحتنا باهتمام. سألني في انفعال: وردة ؟ احتضنتني وقبلني في خدى.قال بزهو: اشربي.الحليب مغلى. عندما ابتعدنا رفع أصابعه في خجل بعلامة النصر. لم يضع إذن كل شئ . فلن ينسى هذه اللحظة. ماذا لو عرف أننا ننسحب؟ عند العين نشرب ونغتسل . أزيز الطائرات . يتفرق الموجودون بين الجذوع العالية للوبيا. عيون الماء هدف دائم لقصف الطيران المعادى . بعد الغارة يعود الجميع لذبح الماشية المصابة قبل أن تنفق. كالعادة اشترينا كمية من هذه اللحوم لمساعدة أصحابها والتخفيف عن خسارتهم. امرأة عجوز تغطي رأسها برقيقة من المعدن داخل قماش خفيف أحمر. حلقة من الذهب في أنفها. قدمت لنا الطماطم . أصرت أن نأخذها وهي تضحك في ود . إلى متى سيستمر هذا التعاطف؟

٨ يناير

.. شاه ايران في القاهرة . دبر له السادات استقبالا حافلا. لم يرتفع صوت معارض. وهبة ٧ يناير انطفأت على الفور . المصريون هكذا : يصبرون طويلا ثم

ينفجرون في فورة حماس سرعان ما تنطفئ . ويعود كل شئ الى ما كان عليه. ترى ماذا يفعل رشدى ؟

١١ يناير

.. نجحت القوات الحكومية غرب خط هورنبيم في الاستيلاء على مقر قيادة وكمية كبيرة من الأسلحة والذخيرة.

.. قضينا الليلة في مغارة زوج من المقاتلين محاطين بقطيع من الأولاد . لم أتمكن من النوم .ظل أحد الأطفال يتقلب ويسعل ساعات طويلة . في الصباح ألفينا عينيه ملتهبتين بحمى السل . لجان المناصرة في أوروبا تجمع الأدوية والأموال والأدوات الطبية والجراحية . هل يمكن الآن أن تصل الى هنا ؟

١٥ يناير

.. القذافي يتحدث عن كتاب أخضر سيسهم به في إقرار نظرية متكاملة للعمل الثوري العربي.

.. أنباء عن خط دفاعي مكهرب جديد يقيمه الإيرانيون غرب خط هورنبيم وفي موازاته . أطلقوا عليه اسم دامافاند. يمتد من رخيوت في اتجاه الشمال . الهدف منه حصرنا في منطقة الحدود اليمنية.

.. التقدير المبدئي لضحايا رخيوت قرابة الألف قتيل .

٢٠ يناير

..استضافنا أحمد مسلم . من رجال المليشيا وله ابن من المقاتلين. أشعلت زوجته نارا في الداخل لإعداد الأرز لأن ذلك في الخارج يمثل خطرا شديدا . فمن البحر تلتقط السفن الايرانية أضأل ضوء وتنقله إلى الطائرات التي تغير مع مطلع اليوم الجديد . في أحد الأركان صناديق الذخيرة الروسية الخضراء . فوق الأرض شكات من البلاستيك ومصباح عاصفة .

.. انتقلنا الى كهف كبير تجمع به قرابة ثمانين امرأة وطفل. الرجال في مكان ما يقاتلون. أنصتنا للبلاغات العسكرية للجبهة من إذاعة صوت الثورة التي تغير نقطة إرسالها يوميا. شرحت لهم التطورات الأخيرة. أعقبني سعيد زينان المسئول الاقليمي للميليشيا. أبلغهم قرارات المجلس الشعبي بشأن الإعاشة والكهوف المختارة للتخبئة وكيفية إخفاء المزروعات عن الطائرات. في النهاية هتف : عاشت حرب التحرير الشعبية والنضال من أجل الديموقراطية. رد الجالسون وأنا معهم :

عاش. عاش نضال الشعب العربي في فلسطين. عاش. تسقط الامبريالية والرجعية. تسقط . تسقط الصهيونية . تسقط . يسقط الخدم والمرتزقة . يسقط. عشت طويلا أيها الشعب و الحياة الطويلة لك أيها الشعب!. كيف ؟ لوكانت الشعارات تتحقق بسهولة ! تفرق الجميع بسرعة دون أسئلة أواستفسارات . التجمعات الآن إذا طالت تصبح خطرة . صواريخ . قذائف مدفعية . قنابل وألغام .كل أسلحة الدمار عدا النابالم، فهل هو قادم ؟

٢٤ يناير

.. واصلنا السير حتى المساء . قادنا أحد الرفاق إلى كهف قريب لنتعشى لدى أسرة. دخلناه على أربع لأن ارتفاع المدخل لا يتجاوز نصف المتر. جلسنا نشرب الشاي الأحمر. نيران الموقد تبعث فينا الدفء بانتظارالعشاء .حضر الجيران للترحيب وشاركونا الأكل وأكواب الشاي والحليب . قرصات الناموس. أعدوا لي مكانا مريحا . غلبني النوم بسهولة.

٢٨ يناير

..نهبط نحو السهل الساحلي . الكوفيات تحمينا من النسيم الرطب الذي يهب من البحر. لا يخلو بيت أوكهف هنا من بعض المقاتلين يرتاحون بضع ساعات . غارات جوية طول اليوم يتخللها قصف مدفعي وقصف بحري ابتداء من المساء .

أول فبراير

..الخوف. اللاجئون العمانيون يعيشون في الكهوف المحيطة بالبلدة . حصيرة على الأرض وعدة حقائب أو صناديق للأشياء الشخصية .ترموس وأحيانا راديو ترانزستور. نتجمع في المساء للإنصات إلى إذاعة الجبهة من عدن التي تستمر ٤٥ دقيقة. يتعين المشي أحيانا عدة ساعات للوصول إلى مصدرماء للإنسان والحيوان. أقيم مع أسرة من ١١ شخصا كانت تعيش داخل ظفار ممتلكة ٢٥ جملا و ٥٠ من الماعز. قتلهم القصف البريطاني ودمرقريتهم .سأبدأ من الغد في إعادة تنظيم القوات والأهالي المنسحبين. فهد في المكلا ينتظر طائرة الى عدن ليعالج من إصابة خطيرة في العمود الفقري.دهميش في الغيضة . يعرب إما في عدن أو ذهب الى بيروت.

٢ فبراير

.. فى المعسكر الذى يحمل اسم الشهيد بخيت بن حيجلا. أربعون رجلا يقودهم على. ينامون فى كهف ضخم يتسع لـ ١٢٠ إنسانا . الذخيرة والأسلحة وبضع علب من التونة. على ثائر بسبب اختفاء بعض المعلبات . نظر إلى و قال : ما زال بيننا برجوازيون صغار! فوق قماش رقيق قطع من لحم الإبل تجف فى الشمس . الجمل ذبح فى الصباح . يتم التهام القطع الممتازة : الأقدام والكبد والقلب والأوراك . يؤكل لحمه مسلوقا مع أرز مطبوخ بسمن هولندى. جربناه مرة فى القاهرة وكرهت رائحته القوية التى تتسلل إلى الأيدى والملابس. الآن لا أعبأ. نحن محظوظون. الجمل مقطع وموزع باقتصاد يسمح بإطعام الجميع لمدة يومين.الأرزحمّرته صلصة الطماطم .بعد ذلك إطفاء كافة النيران . فقط أطراف السجاير المتوهجة .

..تحدثت عن الموقف العسكرى وضربت مثالا من مسيرة ماو. عندما حوصرجيشه الأحمر سنة ١٩٣٤ ، لم يجد مفرا من الانسحاب فتراجع مع مائة ألف من أتباعه إلى الشمال . ساروا مسافة عشرة الاف كم واجهوا خلالها الجوع والعطش والمعارك والأمراض. انتهت المسيرة الطويلة بعد سنة وقد تبقى من رجاله خمسة الاف فقط . وبعد ١٤ سنة حقق النصرالتام وأسس الصين الشعبية . وأنا أتحدث بدت لى الأرقام غريبة: ١٥ سنة أخرى؟ مائة ألف يبقى منهم خمسة الاف؟ عددنا كله لا يبلغ هذه الآلاف الخمسة نزل منهم أكثر من ألف وخمسمائة إلى صلالة. ثم أين نذهب ؟ الشمال هو الربع الخالى. اليمن الجنوبى بلد آخر. العدو فى الشرق والبحر من ورائنا. فضلت مثال كاسترو. دخل هافانا بعد ثلاث سنوات من فشل ثورته الأولى.

.. أهم شئ الآن هورفع الروح المعنوية للمقاتلين . لابد من مواصلة العمليات العسكرية داخل ظفار.

٣ فبراير

.. توفيت أم كلثوم. خسارة كبيرة . عبرت عن عصرها بكل ما فيه من جوانب . من تطريب إقطاعى الى أناشيد ثورية . لعبت دورا هاما فى تعبئة المقاومة بعدهزيمة ٦٧ .

.. وضعنا نظاما صارما للتدريب العسكرى .

١٣ فبراير

.. وفد عسكرى أردنى برئاسة زيد بن شاكر رئيس الأركان فى مسقط.

.. أقنعت الرفاق بأن أقود هجوما على الموقع البريطانى الإيرانى فى صرفيت.

١٥ فبراير

..نهضنا فى الفجر . تجمعنا حول إناء الشاى فوق نار الحطب . تناولنا بالتناوب أكواب البلاستيك والألومنيوم . قمت بتوزيع الكمية الضئيلة المتوفرة من أكياس التتن وعلب الكبريت. كنا نوزعها فى السابق بواقع كيس وعلبة كبريت كل صباح. يصنعون سجائرهم اللف . تركت عشرة رفاق بالمعسكربقيادة على . سيتناوب بعضهم الحراسة بينما يطوف البعض الآخر على المدنيين القلائل فى المنطقة للتوعية وتعليم الأبجدية والتأكد من الأمان. عندما غادرنا المعسكر غنينا: «جيش تحريرالشعب هو أطفال الشعب». أحد المقاتلين حمل على ظهره مدفع هاون ٨٢ ، صناعة سوفييتية . حمل آخر الحامل . توزعت القذائف على الباقين. لم يعد هناك لاندروفر أو نصف نقل تيوتا أوقوافل الجمال .الطابور يتسلق نحو الهضبة .اثنا عشر مقاتلا يقفزون من صخرة إلى صخرة فى خفة وبراعة الماعز. مرت بنا سيارة عسكرية كبيرة بها عشرات المواطنين فى طريقهم لزيارة أبنائهم فى المدارس والمعسكرات عبر الحدود. السائق يلتقط المواطنين فى الطريق. أكوام السردين على الساحل . ننتظر قاربا يقلنا إلى نقطة قريبة من صرفيت. لم يعد من الممكن الوصول بغير البحر. نتأمل السماء باستمرار.نرهف السمع لأزيز الطائرات. ينتظر معنا عدد من النساء والشيوخ والأطفال يحملون السلال والأكياس .لا أستطيع أن أفهم ما في عيونهم .هل يحملوننا مسئولية المشقة التى يعانونها ؟ نمشى خطوات فى المياه لنصل الى القارب . أكثر من أربعين شخصا يحملهم القارب القديم. القاعدة تبعد عشرة كيلومترات عن الحدود. مساحة هائلة مربعة يحتلها ٨٠٠ جندى ايرانى وبضع عشرات من الانجليز. تحميها أربع بطاريات مدفعية مسنودة بالهليكوبترات. من هذه القلعة المحمية يتم القصف المنتظم والأعمى للأهداف المدنية والعسكرية فى غرب ظفار. قام الرفاق بتركيب الهاون فوق حافة نتوء مجوف فى الصخر . وزعنا أنفسنا بحيث نشرف على الموقع من عدة جهات . كان بوعارف بجانبى ومعه اللاسلكى والمنظار . سيتولى توجيه

قذائف المدفعية. ناولني المنظار. شاهدت تحصينات الموقع . دشم عسكرية من الحجارة والأسمنت لا يبين شئ من خلفها. بدأت العملية بقذيفة آربي جي مباشرة في أكبر الدشم ثم اختلطت النيران من الرشاشات المختلفة .ظل العدو يتلقى القذائف دون رد . كان بو عارف يشعر بالنشوة كلما أعطى إشارة صائبة .يجد متعة في التحدث باللاسلكي مع موقع الهاون. بعد إطلاق قذائف الهاون الـ ١٦ استلقينا تحت سفح عمودي لصخرة . وزع مسالم علينا محتويات صندوق من البلح المضغوط .بعد نصف ساعة ظهرت طائرتا ستراكماستر وألقتا بقذائفهما . ظللنا في مواقعنا والطائرات تروح وتجيء فوقنا بينما جلس حسين في العراء فوق كومة من الحجارة مرتديا قميصا أحمر. رفض الانضمام الينا تحت الصخرة . قال إن الطائرة لا ترى الأشياء الثابتة . عندي شك أني السبب في هذا الاستعراض من جانبه . لايستطيع أن يحول عينيه عن صدري . بعد رحيل الطائرات بدأنا رحلة العودة .تناثرت القذائف حولنا . بدأت القاعدة ترد علينا. أعددت تقريري في رأسي : قصفنا القاعدة لمدة ساعة . الهدف هو إرهاق العدو وإجباره على إخلائها كما حدث في ثقبيت منذ عامين . هذه المرة أتساءل : من يرهق من ؟

١٧ فبراير

.. أهدت الأردن لقابوس ٣١ طائرة هوكرهنتر .

٢٠ فبراير

.. دخلت القوات الحكومية لأول مرة منطقة وادي ريشم بعد مقاومة خفيفة.

.. تصاعد القتال بين الحركة الوطنية الاريترية والنظام الاثيوبي الجديد. المجلس العسكري يطلب من أمريكا إمداده بالسلاح لمواجهة متطلبات القتال. من يقع في فخ قمع المطالب المشروعة للشعوب والقوميات لابد أن ينتهي به الأمر في أحضان الامبريالية.

٢٢ فبراير

.. الغيضة داخل اليمن ب١٠٠كم . على الطريق الترابي سارية تحمل علم اليمن الديموقراطي. جنود يمنيون . منطقة المدارس. استقبلنا المدير وبعض المقاتلين /المدرسين . المدير القديم الذي نظم مظاهرة الأطفال ضد الامبريالية السوفييتية استشهد منذ فترة . تلاميذ المدرسة الابتدائية يقفون في سبعة صفوف

والكراريس تحت سواعدهم . بعضهم مشى٥٠٠كم حتى وصل الى هنا. فجأة تركوا الكراريس تقع على الرمل وتفرقوا. أسرع المدرسون والبالغون من التلاميذ الى الآليات المنصوبة حول المدرسة . جاجوار إيرانية تطير على ارتفاع منخفض للغاية. الفناء تغطى بالأطفال الذين انطرحوا أرضا. كان من الممكن أن تحدث مذبحة لكن الطائرة لم تقصف. أتردد الطيار عندما رأى الأطفال ؟ أم أنه في طلعة استكشافية ؟

.. أقمت مع أسرة عرجون أحد أعضاء المجلس الشعبي اليمني.

..دهميش في مهمة على الحدود ويعود غدا . لم أره منذ سقوط رخيوت.اشتقت إليه .

٢٣ فبراير

.. في الغيضة ثلاثون اسرة تجتمع لتزرع سويا عدة مئات من الهكتارات. يتم اقتسام الناتج حسب الحاجة . لاشئ يخضع لقواعد التجارة : اكتفاء ذاتي اقتصادي تام . يتولي رجال المليشيا تقديم الارشادات الزراعية وتوفير الأدوات اللازمة . قال لي أحد مسئولي التعاونية : مشكلتنا الآن هي الأمان . العدو يقصف حقولنا أثناء البذار والحصاد بقنابل حارقة .

٢٤ فبراير

.. عاد دهميش ظهر الأمس . سألته اذا كان استوحشني . ابتسم في خجل. لا يعبر عن مشاعره بحرية . استحممت وغسلت شعري بالشامبو.أعطتني زوجة عرجون قليلا من الطيب وهي تبتسم في تواطؤ. دهنت جسدي . أقرضتني بلوزة بيضاء بكمين قصيرين وجوبة ملونة وصندلا. تعشى دهميش معنا ثم صحبته الى الخارج . تمشينافي الطرقات المتربة المظلمة. طاردتنا الكلاب. حكيت له مغامرتي في صرفيت. تحدث عن محاولات تجميع المنسحبين على الحدود. ناقشنا الاحتمالات. أصبحنا خارج البلدة . توقفنا بجوار بستان صغير بلا سياج . التفت اليه وسألته : ألا تريد ان تقبلني؟ بهت. شعت عيناه السوداوان بضوء غامض. كشف عن قلة خبرة بالتقبيل .ترك شفتيه فوق فمي وفقط. التهمتهما التهاما . امتصصت لسانه وأعطيته لساني.احتضنني . تعثرنا وسقطنا فوق العشب . عندما أردت أن أركب فوقه أصر على أن يجعلني تحته. شل حركتي بساعديه. نفرت من القيد. قاومته لحظة ثم استرخيت. وجدت متعة في أن أكون امرأة ، رقيقة وخاضعة

ومتلقية. لكنى كنت قادرة على أن اعتقله بين ساقي في قوة تمنعه من الحركة. ساعدته على ان يدخلني بعد محاولات مرتبكة كشفت لى نقص خبرته ودفعت بى الى الذوبان .وضع يده على فمى ليكتم تأوهاتى .

أول مارس

.. عمليات جديدة للعدو فى المناطق المركزية والشرقية . لم نعد قادرين على مواجهة الحكومة شرقى خط هورن بيم. القوات الحكومية تتمتع الآن بحرية تامة في الحركة.

.. وافقنى دهميش على أن الوضع أكثر من حرج وربما ميئوس منه .

١٠ مارس

.. ضربة قاصمة : الاتفاق الإيرانى العراقى .

.. تحدثت مع بعض الرفاق عن الوضع . قلت ان حرب العصابات حرب شعبية أى حرب الجماهير.ادعاء القيام بها دون تأييد الأهالى يؤدى الى كارثة محققة . العصابات هى طليعة الشعب المقاتلة المتمركزة فى مكان معين والمستعدة للقيام بسلسلة من العمليات الحربية بهدف استراتيجى ممكن هو الاستيلاء على السلطة . لكنها يجب أن تكون مؤيدة طول الوقت من جماهير الفلاحين والعمال في المنطقة. أضفت أن جيفارا أشار فى كتاب منهج لحرب العصابات سنة ٦٣ الى أن العصابات ليست الصيغة الوحيدة لانتزاع السلطة فى كل أمريكا وإنما واحدة من الصيغ الممكنة للكفاح. أيدنى محمد أحمد عضو اللجنة المركزية بطريقة غير مباشرة . قال : الصراع العسكرى محدود بظفار. فى بقية عمان تخوض الجبهة معركة سياسية. الشعب العمانى باكمله ليس مستعدا للكفاح ضد قابوس نتيجة الإصلاحات . هناك أيضا تناقص التأييد العالمى.

رد سعيد مسعود بحدة : لقد قلنا دائما إننا يجب ألا نعتمد على أحد. تساءلت: هل تكفى بطولة وتضحيات المقاتلين ؟ إنها ليست فيتنام اخرى. أضفت : علينا أن نفهم مطالب الجماهير ونبلورها ونقود من خلف وليس من أمام فإذا غيرت الجماهير رأيها لسبب مايجب الانصياع لها. عارضنى سعيد مسعود : علينا أن نقود من أمام ولا نكون ذيليين وإذا غيرت الجاهير رأيها يجب ألا نكف عن محاولة توعيتها بخطئها. لا بد أن نظل دائما متقدمين عن الجماهير بخطوة. انفعل

وصاح : ماذا نفعل بالمقاتلين الموجودين فى الجبل ؟ هل تطلبين الاستسلام ؟ قلت إنى اطلب تقديرا موضوعيا للوضع ومواصلة الكفاح بالشكل المناسب. قال إنه مفاجأ بموقفى.

١٥ مارس

.. وصل يعرب من عدن. أحضر لى تفاحا وسفن أب وشامبو للشعر. قال إن سلعا كثيرة تدخل من اليمن الشمالى مع الانفتاح فى العلاقات مع دول الخليج . علم أن العقيد القذافى سيتولى تمرير الصواريخ السوفييتية إلينا. أحضر معه العدد الجديد من مجلة ٩ يونيو . بها نص الرسالة التى بعث بها القذافى الى قابوس. تضمنت سطورا طريفة : «... واستغربنا يا أخى كيف تسمح لنفسك وكرامة شعبك وشرف أمتك أن تحمق إلى درجة السماح لجيوش أجنبية نظامية باحتلال مسقط أولا ثم ظفار ثانيا . إننا نهيب بك لآخر مرة أن تطلب سحب الجيوش الأجنبية فورا واذا رفضت طلبك فبلغنا برفضها لنقاتلها معك جنبا إلى جنب وإذا لم تفعل فتذكر بحرب قد تكون أنت فيها فى صف الأجانب الغزاة ونحن فى صف شعبنا العربى هناك ....أرجو أن تعود إلى رشدك ..والى حظيرة أمتك قبل أن تجد نفسك مذموما مدحورا . إننا نتذكرك ونعطف عليك فى نفس الوقت، نتذكرك لأنك أتيت شيئا فريًا ونعطف عليك لأن مصيرك سيكون مصير البعير الأجرب وما كنا نتمنى لك هذا ولا ذاك» .

.. سألته عن اعتقالات مطرح. ثارفى وجهى . وجه الى السباب. قال إنه لم يتوقع هذا منى أنا بالذات. هل أتصور أنه خان رفاقه وسلمهم الى السلطة ؟ هدأت روعه . قال إنه ربما أهمل بعض الشئ فى احتياطات الأمان . لكن هذا هو كل شئ.

١٦ مارس

.. حال يعرب تذكرنى بأيام القاهرة عندما عاد من مسقط بمعنويات منخفضة . تحدث عن الوضع فى عدن . هناك صراع مكتوم بين اليمين واليسار داخل الجبهة.شوكة اليمين تقوى بسبب المصاعب الاقتصادية . رغم إلغاء الاتحاد السوفييتى لديونه (٥٠ مليون دولار فى يوليو ٧٤) ورغم المعونة التى تقدمها كوبا. يتطلع كثيرون فى السلطة إلى أموال البترول. البعض يعتبر كفاحنا فى ظفار عقبة فى سبيل ذلك .

.. وزعت السلطنة منشورا به اسمي ومكافأة عشرة آلاف ريال لمن يأتي بي حية أو ميتة. قلت ليعرب : ارتفع ثمني ثلاثة آلاف ريال.تأمل المنشور طويلا. قال: لم يحددوا لرأسي ريالا واحدا . يبدو أني بغير قيمة عندهم. شعرت بعدم الارتياح . كأنما ضايقه أن تكون لي كل هذه الأهمية .

١٨ مارس

.. يعرب لا يستريح لدهميش. يعامله بجفاء. لم أحدثه بشيء عن علاقتنا . لكنه لابد لاحظ أن هناك شيئا بيننا. تذكرت موقفه من شهاب.

٢٥ مارس

..اغتيال الملك فيصل .لا أستبعد يد الموساد أو المخابرات الأمريكية في الأمر. هل لأنهم فقدوا السيطرة عليه عندما ركبته فكرة تحرير القدس؟

.. بلغت عائدات البترول العربي في العام الماضي أربعين ألف مليون دولار وضعت في مصارف أوروبا وأمريكا واليابان .

٢٦ مارس

.. أقامت السلطنة مراكز جديدة غرب خط داماڤاند . هناك الآن خط من هذه المراكز بين صرفيت والبحرتربطها أسلاك شائكة . مما أدى إلى إغلاق غرب ظفار في وجهنا تماما.

.. عددنا يتناقص . كل يوم نكتشف اختفاء أحد المقاتلين .

..أعددت تقريرا طالبت فيه بإعلان وقف العمل العسكري والتركيز على العمل السياسي.

٣ ابريل

.. أصدرنا بلاغا عسكريا هذا نصه : «بتاريخ ٢ أبريل ٧٥ انفجر لغم أرضي في سيارة عسكرية من نوع بيدفورد على متنها حوالي ٢٠ جنديا أردنيا في الطريق من صلالة إلى الخط الأحمر على الشريط الساحلي على مسافة ٨ كم من صلالة وذلك في تمام الساعة الثامنة صباحا» .. ابتهج دهميش وارتفعت معنوياته. لم أشأ إحباطه . لا أظن ما حدث عملية جديدة .في الغالب لغم قديم .

٥ ابريل

.. المناقشات مستمرة حول تقريري. هناك تردد كبير بين زملاء اللجنة التنفيذية. لا يستطيعون اتخاذ قرار. هل ينتظرون رأي الرفاق العدنيين؟

..توصلنا الى حل وسط. هو إعادة بناء الحركة في الشمال على أساس العمل السياسي . سنتولى أنا ودهميش ويعرب المسئولية.

..ملاحظات على الوضع في عمان : انتقلت السيطرة التامة على أموال الدولة من يد السلطان إلى أوليجاركية من رجال الأعمال . برزت مجموعات رئيسية من رجال الإدارة العليا استبعدت المستشارين الأوروبيين من كل مكان عدا الجيش: * أعضاء الأسرة الحاكمة الذين حصلوا على أهم المناصب بصرف النظر عن مؤهلاتهم. *كبار الموظفين التقليديين من اسرة بوسعيد كالولاة والسكرتيرين ذوي الخبرة. * أعضاء المؤسسة القبلية.*التجارالعمانيون العرب. استبعدمن السلطة: * الزنزباريون بسبب عجز الكثير منهم عن معرفة اللغة العربية بالإضافة إلى لغتهم الأصلية السواحلية والانجليزية والشك في ولائهم السياسي حيث تعلم بعضهم في تنزانيا. * البلوشيون بسبب وضعهم التقليدي كمواطنين من الدرجة الثانية وندرة المتعلمين بين صفوفهم .* العمانيون من أصل هندي (خوجة وهندوس) الذين يشكلون العمود الفقري التجاري للبلاد. أتاح لهم ثراؤهم تعليم أطفالهم في الخارج لكن الدين والعرق وقفا في طريقهم . هذه هي الفئات التي سنبدأ منها.

.. أشعر بالقلق والرهبة . المرحلة القادمة مختلفة وربما أكثر خطورة .

٦ ابريل

..كان فوقي. كنت قد شرحت له مواعيد الأمان لكنه لم يستوعبها أبدا. ترك لي الأمر. سألني لاهثا: هل أنت آمنة؟ عددت على أصابعي: اليوم الثالث عشر . أخطر يوم . البويضة تتحرق شوقا للنزول. في أوج حيويتها واستعدادها للالتقاط. كنت على وشك أن أقول هذا. فجأة أمسكت لساني . التقطت أنفاسي في قوة. لم لا . لقد حان الوقت . قلت وأنا أبتسم في الظلام : نعم آمنة. وأحطته بذراعي .

٧ ابريل

..يقول يعرب ان الطريق الساحلي مستبعد. بالمثل الطريق البري الذي يمتد من صلالة الى نزوى ثم مسقط والذي استعملته عند مجيئ لأول مرة . الاثنان تحت سيطرة الحكومة والقبائل الموالية لها. لم يبق إلا عبور الصحراء. أحضرخارطة قديمة للجزيرة العربية. تحتل الصحراء الجنوبية زهاء نصف مساحتها. تمتد لمسافة ألف وخمسمائة كم من حدود اليمن في الغرب إلى سفوح جبال عمانفي الشرق وثمانمائة كم من الساحل الجنوبي إلى الخليج العربي وحدود نجدفي الشمال.

الجزء الأكبر صحراء داخل صحراء هي الربع الخالي . لم يعبرها أحد سوى بعض المستشرقين الانجليز . برترام توماس في ١٩٣٠ من الجنوب الى الشمال ثم جون فيلبي في نفس السنة من الشمال الى الجنوب. وأخيرا ثيسجر في ١٩٤٦و١٩٤٩ . في رأى يعرب انه الطريق الأمثل أمامنا.

قال دهميش إن التفكير في عبورالربع الخالي هو الجنون بعينه . اقترح ان نذهب الى عدن ومنها بالطائرة الى بيروت ثم ندخل عمان عن طريق الإمارات. تراءت لي شوارع بيروت وشعرت بالحنين. توقعت أن يرحب يعرب بالفكرة لكنه فاجأني بمعارضة حادة لها. قال إن الأمر لم يعد كما كان في الستينيات. كل أجهزة الأمن في الخليج الآن تعرف بأمرنا ولديها صورنا . حتى العراقيين لا يمكن الاطمئنان اليهم بعد اتفاقهم مع الشاه.

٨ ابريل

.. احتددت على دهميش. سألته ماذا ينتظر ؟ أن تتسلل الي ظفار ونقوم بعلميات صغيرة بائسة مثل عملية صرفيت؟ نطلق عدة قذائف أو صواريخ ثم نجرى؟ هذا إذا تصورنا إمكانية التسلل نفسها. أو نبقى هنا نأكل ونشرب ونقوم بتدريبات في انتظار اليوم الموعود؟ نلقى المحاضرات بينما عددنا يتناقص والصعوبات تتزايد ؟ أم نذهب الى عدن لتعمل في مكتب توزع نشرات وبلاغات عن عمليات وهمية ؟ لقد وهبنا حياتنا لقضية ظفار وعمان وعلينا أن نواصل بالشكل المناسب .

.. أقر المؤتمر السادس للجبهة القومية في عدن نظامها الداخلي .تنص المادة السابعة عشر منه على احترام حقوق المرأة. تم الاتفاق على تكوين الحزب الواحد من التنظيم السياسي للجبهة والحزب الشيوعي وحزب الطليعة (البعثي). اعتبر المؤتمران الدعوة الحالية لوحدة اليمنين تمثل انتكاسا للثورة لأنها تغفل اختلاف المراحل . لو تحققت الآن ستؤدى الى تغليب أوضاع الشمال .

٩ ابريل

..عدنا الى مشروع الربع الخالي .شرح لنا يعرب أن الرحلة ستستغرق بين ثلاثة شهور وأربعة في أحسن الأحوال . هناك طريقان : الأول عبر جبال القرا شمال صلالةثم نتجه يمينا إزاء حافة الربع الخالي حتى ندخل السعودية في وادى موقشين المجاور لأرض جدة الحراسيس ثم رملة الغافة. لابد من دخول السعودية لتجنب

الرمال المتحركة .ثم ندور حول عروق الشيبة والسبخات. وعند واحة ليوا نعود الى الشرق وندخل عمان تحت نزوى . الطريق الثاني من حضرموت الى منوخ ويعبر مسافة ٦٠٠ كيلومترا تقريبا داخل الربع الخالي بلا ماء . قطعها ثيسجر في ١٦ يوما .بعدها نصبح في السعودية فنتجه شمالا ثم يمينا حتى أبوظبي .

واضح أن يعرب درس المشروع جيدا .دهميش ما زال مترددا . يقول إ الصحراء ليست سهلة .المياه الآسنة المرة. الرياح المحملة بالرمال. البرد القارس القيظ الملتهب. الوهج الذى يعمى الأبصار في أرض لا ظل فيها ولا غيوم. ث العزلة والمفاجآت.

.. هناك دائما مشاكل وتحالفات بين القبائل . وعداء تاريخي بين الرواش والدروع. كل القبائل بين حضرموت وعمان تنتمي الى احدي القشتين المتصارعتين . بعض القبائل تستضيف الغريب لثلاثة أيام ثم تضمن له يو اضافيا من الأمان . لكن هناك دائما حاجة الى ربيع أو مرافق من إحدى القبائ يكفل الحماية للمسافرين معه. المشكلة هي في العثورعلى من يقبل مرافقتنا ف هذه الظروف . ثم إننا نحتاج الى دليل خبير بأودية ودروب جبال القمرو القرا.

١٠ ابريل

.. وافق دهميش أخيرا على عبور الربع الخالي . اتفقنا على استبعاد طري حضرموت – منوخ لأنه يضعنا في يد السلطات السعودية التى لن ترحمنا. لم يـ إلا طريق موقشين. صحيح أننا سنخترق الأراضي السعودية لكن ذلك سيجرى ف مناطق غير مأهولة. وعلى العموم أقل ضررا .

.. يجب أن أتنكر. إما أن أصبح رجلا بشعرى القصير وأرتدى الفوطة بد من البنطلون الكاكي أو أتحول الى امرأة بدوية ترتدى قناعا من القماش الأسود فتحتين للعينين. قررت ان أكون الشخصيتين.

.. يعرب لا يستقر في مكان . دائم التجوال . يختفي أحيانا اليوم بطوله.

١١ ابريل

.. تبينا أننا أغفلنا شيئا هاما . المفروض أننا سننطلق من شيصر على حـ الربع الخالي ونقطع مائة وخمسين كم حتى موقشين. هذا الطريق مواز لطر صلالة – مسقط البرى ويبعد عنه بحوالي ثلاثين كيلومترا . صحيح أن المنط بعيدة عن العمليات العسكرية الا أن الطريق كله أصبح تحت سيطرة الحكومة .

يستبعد أن تكون به دوريات . كما أن موقشين نفسها تقع عليه ولا بد أن يكون بها موقع حكومي. لم يبد على يعرب أنه فوجئ بهذا الأكتشاف. أجمعنا أنا ودهميش على عدم المغامرة باجتيازه على عكس يعرب . قال إنه يوفر علينا السير في الربع الخالي مسافة مائة وخمسين كيلومترا. أصر على موقفه فلم نجد مفرا من الإذعان.

.. بدأنا استعداداتنا .

١٤ ابريل

.. هاجمت أمس ميليشيا الكتائب اللبنانية في بيروت باصا يقل عددا من الفلسطينيين واللبنانين . قتل في الهجوم ٢٩ راكب أغلبهم من الأطفال .

.. لدينا الآن مائتا رطل من الطحين وكمية كافية من الأرز وقليل من الذرة والسمن والقهوة والشاي والسكر والمعلبات (تونة، ماكريل، خضراوات، عصائر كمبوت) . هذه الكمية يجب أن تكفي مجموعة من خمسة أشخاص لمدة شهرين على الأقل .

.. يحتاج الفرد لربع جالون من الماء في اليوم بين شرب وطهي .لا بد أن يكون معنا في المرحلة الأولى ما يكفي لمدة شهر على الأقل .

١٧ ابريل

.. اتفقنا مع اثنين من الرفاق من بيت كثير. كانا معي أثناء الانسحاب من رخيوت. سيرافقانا حتى شيصر ثم يعودان الى الغيضةبعد أن يزورا قريتيهما. لم نصارحهما بوجهتنا الحقيقية . قلنا إننا ذاهبون الى المنطقة الشرقية لتنظيم المقاومة. تمكنت من تدبير رشاشات جديدة ما زالت في لفافاتها. تفقدتها ثم أعدت لفها في الورق المشحم الذي يحفظها من الرطوبة.

١٨ ابريل

..سألته ماذا يفعل عندما لا تكون معه امرأة . قال لاشيء . قلت إن هذا مستحيل . أصر على إجابته. أبديت عدم اقتناعي . تحداني : وانت ؟ قلت: يمكنني أن أقول لك. أنا لا أخجل من شئ طبيعي. قلت له فاحمر وجهه.

٢٠ ابريل

.. اذاعة بيروت الساعة ٥ مساء : الملك حسين يقول إنه تفقد في صلالة قواته التي تقوم بحراسة الطريق إلي تمريت .

.. أكملنا استعداداتنا . خيمتان صغيرتان . ذخيرة احتياطية. بطاطين.

كوفيات ثقيلة . بطاريات للراديو. كراسة فارغة. كتب لينين وماو. رواية الفولاذ سقيناه لاوستروفسكي. الهزيمة لفاديييف.الدون الهادئ لشولوخوف. صندوق أدوية صغير. حلتان للطبخ .خمس قرب ماء. حبل طويل. كرة خيطان. دزينة كبريت. مطواة. مصباح ببطارية .كمية من الريالات السعيدية في كيس خيش.

٢٢ ابريل

.. السادات في طهران .الساعة الخامسة والربع تعليق لإذاعة القاهرة يقول: «موقف ايران موقف مشرف من القضية العربية منذ ٦٧ ، وكان لها خط عربي واضح من اسرائيل .. ....و دور مشرف في حرب اكتوبر» . ياللعار ! نسوا كيف هرع الشاه لنجدة اسرائيل بالنفط في الأيام الأولى للحرب. السادات يسيل لعابه في حضرة الملوك والأباطرة .

.. دهميش في قرية مجاورة . يبحث عن نياق جيدة نشتريها أو نستأجرها. المفروض أن نستأجر الجمال من أهالي قرا ثم نستبدلها كلما اجتزنا واديا الى أخر لأن كل واد يملكه بطن مختلف من القبيلة.

٢٥ ابريل

.. استأجرنا خمس نياق من قبيلة المهرة . سنستبدلها في حبروت. اقترحت أن نبدأ السير في الحال كي لا يعوقنا موسم الأمطار. قال دهميش إننا سنكون ساعتها بموازاة السفوح الشمالية وقريبا من حافة الربع الخالي.وتكون القبائل في الكهوف والحركة محدودة. تخليت عن البنطلون الكاكي. تخلصت من السوتيان ولففت قطعة من القماش حول صدري وضغطتها بقوة لكي تخفي بروزه. وضعت معوزا كبيرا حول وسطي فغطاني حتى القدمين. ابتسم دهميش في خبث عندما اقتعدت الأرض وانحسر طرف المعوز كاشفا فخذىّ.

٢٦ ابريل

.. أشعر بالدوار والغثيان .أعتقد أني حامل .

أول مايو

.. استولت جبهة التحرير الفيتناميةعلى سايجون . أصبح النصر النهائي على الامبريالية الأمريكية على الأبواب .

.. أعددت كيسا من الجلد يتسع لدفاتر يومياتي .ثبت قميصي عند الخصر بزنار جلدي بحيث صنعت جيبا وضعت فيه الكيس. حملنا أسلحتنا. معي أيضا

مكاروف ٩ملم. تضم خزانته ثماني طلقات. فائدته قاصرة على الأهداف القريبة المحدودة العدد. انطلقنا في الفجرعلي أقدامنا الحافية خلف الجمال. سرنا ثلاث ساعات. النباتات الشوكية تلقي خيوطا من الظلال على الصخور. الجمال لا تسير دائما في خط مستقيم وإنما تنحرف في اتجاه موطنها. لا بد من توجيهها بالعصا. ناقتي مطيعة لكن خطواتها قصيرة. اخشوشنت الأرض فأمسك كل واحد بمقود ناقته. ربطت ناقتي في ذيل ناقة دهميش. اشتدت الحرارة فارتقى الجميع نياقهم. فضلت أنا المشي . في المساء توقفنا بجوار عين ماء صغيرة. طرحنا الأمتعة بين الأشواك والحجارة .أطلقنا النياق لترعى . اشتركنا في إعداد الأرز.شربنا الشاي بعد العشاء. نصبنا خيمة واحدة لي . فضل الرجال النوم في العراء. .قررنا أن نقتصد في تشغيل الراديو ونقصر الاستماع على الأخبار. رتبنا نوبات الحراسة. لجأت الى دفتري.

٣ مايو

.. يعرب غارق في التفكير. لا يتكلم كعادته.

.. أتحرق شوقا الى جسد دهميش. لكننا اتفقنا على أن نحرص على المظاهر أمام الرفيقين ويعرب.

٤ مايو

.. حبروت . عائلات كثيرة من المهرة تسقي نياقها من الآبار الضحلة بالقرب من بستان النخيل . النساء في هذا الجزء غير محجبات ويرتدين أثوابا زرقاء قاتمة .تضع واحدة خاتما فضيا في أنفها . أكل الأطفال معنا . قضينا المساء في تنظيف أسلحتنا.

.. انضممت أمس الى دهميش في نوبة حراسته . قضيت الوقت كله جالسة في حضنه.

٦ مايو

.. استبدلنا الجمال. وجدنا صعوبة في الحصول على ناقة احتياطية لتحل مكان أي ناقة تتعرض لحادث . يمكن أن نذبحها عند الضرورة ونأكلها.وجدنا ناقة سوداء اللون .اشتريناها بثمن بخس. القوم هنا لا يحبون اللون الأسود. الأفارقة مساكين حقا. الناقة صغيرة السن ذات خطوات طويلة جدا وحبلى في شهرها الرابع. تلد بعد ثمانية شهور أخرى .

.. قلت لدهميش إني أعتقد أني حامل . أنبني . كان يجب أن نحتاط. قلت إني لن أتمكن من التخلص منه في الصحراء. كنت اختبره. بهت وصاح بي: هل جننت؟. احتضنني وقبلني . سألد في نزوى أو الجبل الأخضر أومسقط. سنكون هناك بعد شهرين أو ثلاثة على الأكثر.

٧ مايو

.. ألح على أن أعتلي ناقتي .يبدي تحوي رقة شديدة . أناخها لي . ثم خفض رأس ناقته واعتلاها. ركع فوق السرج جالسا على بطن قدميه وسلاحه تحت ذراعه في موازاة الأرض. لم أتمكن من تقليد هذه الطريقة التي تعتمد على التوازن.

٩ مايو

..صعدنا من حبروت إلى منبسط حصوي . عدد من أبناء قبيلة المهرة يسقون الجمال . امرأة منهم صبغت وجهها باللون الأخضر . أخرى رسمت خطوطا زرقاء وخضراء على أنفها وذقنها .الهضاب فقدت خضرتها وكشف الجبل عن وجهه المتجهم.

.. لم أذكر شيئا عن الحمل ليعرب . ساورني شعور بأني يجب ألا أفعل.

١٠ مايو

..اعترضتنا جماعة من بيت جداد. طلبوا منا مالا ليسمحوا لنا بالمرور. رفضنا. قررنا أن نعود مسافة قصيرة ثم نسلك الطريق المحاذي للحدود. سنتجنب بذلك اختراق جبال القمر.سنعبر الحدود عند سفوحها الشمالية .

١٢ مايو

.. يسير الرفيقان في المقدمة يتبعهما يعرب. يحرص على الانفراد بنفسه . يتيح لنا هذا الترتيب أن نكون أنا ودهميش متجاورين . لا نكف عن الحديث . وجدت نفسي قادرة على التعبيرعن عن أفكار كنت أتهرب من صياغتها في كلمات أو البوح بها لأحد. قلت له: كنا نقول دائما إن القوتين المحركتين للثورة هما العمال والفلاحوين. لم نسأل أنفسنا أبدا أين هم العمال معتبرين أننا الطليعة ووجودنا نحن كاف.

١٣ مايو

.. حكيت له عن شهاب ومروان . كنت أرقب ملامح وجهه. أثارتني الغيرة التي بدت عليه.

١٤ مايو

.. مررنا بعدة نياق ترعاها امرأة عجوزمع صبي صغير . سألناها قليلا من الحليب فهتفت بالصبي: أسرع .أسرع . احضرينت السنتين. أهلا أهلا بالضيوف. قدمت لنا طاسة حليب تغطى سطحها بالرمل البني . جلسنا القرفصاء الواحد بعد الآخر. نفخنا الرغوة جانبا وشربنا .سألتنا عن وجهتنا. اجبناها اجابة غامضة مشيرين الى الجبال .قالت بحماس: الله ينصركم . هل تدرك هويتنا ؟ منذ سنة فقط كناستقول لها إننا من الثورة . أصرت أن تصب لنا حليبا في قربة صغيرة وقالت إننا نستطيع مزج القليل منه كل يوم مع مياه الشرب لتحسين طعمها. اكتشفنا أن إحدى قربنا ترشح فصبت بها قليلا من الحليب لوقف تسرب المياه.

١٥ مايو

.. اتجهنا يمينا نحو الشرق مقتفين أثر بعض الأودية التي تتخلل الهضاب.

.. سألني يعرب عما أكتب بالضبط كل ليلة . قلت له إني أحرص على تدوين يوميات الثورة .وإني تعودت على كتابة يومياتي من أيام بيروت . قال : هل تذكرين كل شيء؟ قلت : بقدر الامكان. فكر برهة ثم قال : هل تذكرين الأشخاص بأسمائهم ؟. قلت إن أغلب الاسماء مستعارة. تساءل عما اذا لم تكن هناك خطورة في ذلك. لم أجبه. كثيرا ما داعبني هذا الخاطر وتجاهلته.

١٦ مايو

.. قال لي اليوم : سنتزوج بمجرد وصولنا الى العمران . قلت : بدأت تفكر مثل البرجوازيين .نحن متزوجان فعلا ولا نحتاج الى ورقة تثبت ذلك . قال إننا مقبلون على مرحلة مختلفة تتطلب الحياة طبقا للقواعد القديمة .علينا أن نفكر في الجنين. ابتسم ابتسامته الماكرة التي أحبها. قال: المفروض حسب تقاليد بيت كثير ألا يكون الزواج في شهر صفر وأن يقوم أبوك بالإتفاق على الزفاف والإعداد له . رددت عليه انه حسب هذه التقاليد نفسها يجب عليه أن يقدم مهرا يذهب نصفه لأبي والنصف الآخر ليعرب.

٢١ مايو

.. شعرت بالغثيان في الصباح .لاحظت أن حلمتي صدري ملتهبتان وأن فخذي منتفخان.

٢٣ مايو

..عبرنا وادي غودون بعد أسبوعين من مغادرة حبروت.استرحنا ظهرا على مقربةمن بستان نخيل تقطفه قبائل بيت كثيرفي شهرسبتمبر . مر بنا عدد منهم مسلحون بالبنادق الانجليزية ٣٠٣ منهم اثنان يحملان رشاشين روسيين. زعيمهم عجوز قصير القامة بعينين براقتين وذقن تتدلى منها بضع شعيرات بيضاء . ممتلىء حيوية ويتحرك بخفة . من بيت موسان. تعرفوا على عائلة دهميش. انزويت داخل الخيمة وأعطيتهم ظهري. لم يبدوا أي فضول . سمعت دهميش يخبرهم بأننا ذاهبون الى المنطقة الشرقية . قالوا إن المعارك هدأت بها . تجنبوا أن يكشفوا عن موقفهم من الصراع لكن هذا في حد ذاته كان يعني أنهم في جانب السلطان. كان موعد صلاة المغرب قد أزف فتوضأوا وصلوا .كل واحد في مكانه بعد أن وضع سلاحه أمامه. قرأوا سورة الفاتحة التي لا تعرف أغلب القبائل غيرها. يكتفون بصلاة الفجر والمغرب ويهملون باقي الصلوات . يصلون وهم يتلفتون حولهم بالطبع كي لا يفاجؤهم الأعداء من القبائل الأخرى .واصلوا السير بعد الصلاة مباشرة. عندما امتطوا نياقهم تعمد زعيمهم أن يلتفت نحوي متفحصا. شعرت بالقلق.

٢٤ مايو

..انتقلنا شمالا ببطء متتبعين وادي غودون وهو واحد من خمسة مجاري نهرية جافة تنحدر من جبال القرا . كانت كتل الصخور المتساقطة من الجرف تملأ الجانبين فاضطررنا للسير بصعوبة في قعر المجرى .

٢٥ مايو

..قضينا الليلة لدى عائلة أحد الرفاق من بيت كثير تقيم أسفل شجرتين دون خيام. ذبحوا لنا عنزة رغم تواضع إمكاناتهم . الزوجة مكشوفة الوجه نحيفة جدا تسعل باستمرار. ممتلكاتهم : بضعة قدور وطاسة ماء وبعض القرب وكمية من سمك السردين منثورة على قميص ممزق وبعض الخرق. كيس من جلد الماعز ملئ الى منتصفه بالطحين. سألتهم عن الربع الخالي. تطلعوا الي في استغراب. قال الرفيق : تعنين الرمال؟. سألته : هل صحيح أنها خالية من البشر تماما ؟. قال إن ابن عمه سافر فيها مرة أربعين يوما دون أن يشاهد أحدا . سألته إذا كان من الممكن عبورها . قال ممكن ولكن لابد من وجود ربيع .احتد دهميش عليّ فيما

بعد . قال إن الأخبار تنتقل فى الصحراء بسرعة البرق. كلما التقى أعرابى بآخر كان السؤال الأول عن الأخبار والإجابة تشمل أى شئ والجميع ينصتون بانتباه ليعرفوا ماذا يجرى وأى القبائل تحركت من أماكنها وفى أى اتجاه.

٢٧ مايو

.. غادرنا الرفيقان على مشارف شيصر. خيمنا بعيدا عن طريق القوافل. عندما تأكدت من رحيلهما استبدلت ملابسى . تحولت الى بدوية فى رداء أسود سابغ. وضعت على وجهى قناعا أسود من الجلد لا تبدو منه غير العينين .انزويت فى خيمتى. مضى يعرب ودهميش يستكشفان القرية .هناك كهف يحتوى على تماثيل قديمة على شكل طيور، آثارحصن حجرى قديم. لابد من تحويل هذا المكان بعد النصرالى متحف . هناك أيضا بئرماء نقى على عمق ١٥ قدما بين الصخور. حمل كل منا قربة وذهبنا لملئها. الرجال والنساء يسحبون الحبال معا وهم يغنون. يفرغون الدلو المليء فى حوض جلدى كبيرفتتدافع النياق اليه. صفوف من القرب المليئة بالماء. عندما جاء دورنا كانت البئر قد جفت فانتقلنا الى أخرى على مقربة . تبادلنا الحديث فى اقتضاب مع الأهالي . فاجأونا بسؤال عن بقية جماعتنا. قالوا إنهم كانوا يتوقعوننا. مرت بهم جماعة بيت موسان التى التقيناها عندما عبرنا وادى غودون . حدثهم زعيمها عنا. قال لهم إننا أربعة رجال وامرأة. لم ينطل عليه تنكرى إذن . قلنا للأهالى إن رفيقينا تخلفا لمرضهما. سألنا عن الاتجاه الذى مضت فيه جماعة بيت موسان. قالوا إنهم اتجهوا الى موقشين. لم أسترح لهذه المعلومات.

.. أعربت عن رأى بضرورة تغيير طريقنا. قلت إن اهتمام جماعة بيت موسان بأمرنا مريب. قال يعرب إنها عادة القبائل. قلت إننا لن نخسر شيئا إذا أتخذنا الحيطة. عاد الى حجة المئة وخمسين كيلومترا التى يوفرها طريق موقشين. كررت الإشارة الى خطر الداوريات الحكومية . انضم دهميش إلىّ فى الرأى. اضطر يعرب الى الموافقة . قلت إننا لن نتمكن من إخفاء عزمنا على عبور الصحراء. لكننا نستطيع تضليل من يفكر فى مطاردتنا. سنذيع أننا ذاهبون الى موقشين ثم نغير طريقنا بمجرد خروجنا من شيصر.

.. بعد العشاء أعلنت أنى سأنام مع دهميش فى خيمة واحدة . لم يبد على يعرب أنه فوجئ .لكنه لم يكن سعيدا. رتبنا مواعيد الحراسة. اشتركنا أنا ودهميش

فى نوبتينا .عندما رقدنا عرى بطنى وأغرقها فى القبل .استسلمت للنوم ورأسى على صدره أشم رائحة عرقه النفاذة .

٢٨ مايو

.. ذهب دهميش يبحث عن ربيع، لزم يعرب الصمت واستغرق فى التفكير. هل هو غاضب منى؟ هل أحدثنا أصواتنا بالليل ؟

..عاد دهميش قبل الغروب يائسا. لا أحد يرغب فى عبورالرمال كما يسمونها. جماعات كثيرة ضلت طريقها فيها وهلكت. عددنا أيضا قليل ويمكن أن نقع وسط معارك بين القبائل أو نتعرض للاعتداء .

٢٩ مايو

.. اختفى يعرب طول اليوم . دهميش ما زال يبحث عن نياق وأدلاء. نحتاج الى أكثر من مرافق للدافع الأمان والدفاع .

٣١ مايو

..أحضريعرب دليلين : شابا فى الثامنة عشرة من عمره يدعى ابن تجم، شعر رأسه طويل وشفتاه مكتنزتان وأسنانه ناصعة البياض. يحمل بندقية انجليزية. الثانى خشعت أكبر منه فى السن والحجم . لم تعجبنى نظرات عينيه التى تحوم طول الوقت حول حاجياتنا. معه كلاشينكوف. سألته من أين حصل عليه . ضحك ولم يجب. ازداد نفورى منه. اتفقنا على أن نكمل استعداداتنا فى الغد وننطلق بعده.

أول يونيو

.. عوضنا النقص فى إمداداتنا . معنا من الماء ما يكفى لعشرين يوما إذا خصصنا ربع جالون فى اليوم للطهى والقهوة والشاى بالإضافة الى ربع آخر لكل واحد من أجل الشرب . هناك كمية أخرى ستتبخر أو ترشح . قررنا أن نعتمد على الرمال فى غسيل أيدينا أو تنظيف أجسامنا . سقينا النياق لآخر مرة. شرب كل جمل بين عشرة واثنى عشر جالونا من الماء . كلما توقفت الناقة عن الشرب نحك بين ساقيها الخلفيتين ونتحدث اليها مشجعين. عشرون يوما بلا ماء هو أقصى ما يمكن أن يتحمله الجمل بشرط توفر المراعى .وإلا فيومين أو ثلاثة .معنا أيضا صندوق تمر. انضم إلينا مرافقانا بناقتيهما وحاجياتهما البسيطة.

٢ يونيو

.. استيقظنا في الفجر .صباح قارس .رياح باردة تهب من الشمال الشرقي. ستمحى آثار أقدامنا إذا استمرت . أكلنابقايا الطعام المتبقي من أمس. شربنا الشاى والقهوة المرة . بدأ تحميل النياق .ثارت وعلارغاؤها. هل تشعر بأنها مقبلة على رحلة خطرة؟ كممنا أفواهها بلا فائدة . شد خشعت ناقته من عقالها إلي أسفل قائلا: خر.. خر. ناخت على ركبتيها. ربط ساقيها بنهاية عقالها لمنعها من النهوض أثناء التحميل . حددنا الاتجاه على البوصلة . هتف: توكلنا على الله. انطلقنا في اتجاه الصحراء. رددت نشيد دقت ساعة التحرير. انضم اليّ دهميش. فجأة ارتفع صوت مرافقينا بأغنية قبلية قديمة : «القبائل تهدر بالصوت العالي». أعادتنا الى أرض الواقع .

.. توقف خشعت بعد ساعة أمام كومة من الأحجار على يمين الطريق . أشار جهة اليمين وقال إنه الطريق المؤدى الىموقشين. أبلغناه بأننا لن نأخذه وسنتجه شمالا في خط مستقيم. كنت قلقة بشأن رد فعله فربما رفض لأننا لم نتفق معه على ذلك في البداية. دهشت لأنه لم يعترض. مشينا حوالي سبع ساعات. الأرض منبسطة وسهلة . حططنا الرحال عند الغروب بجواربعض الأعشاب. نصبنا الخيام وأشعلنا نارا. أنخنا النياق حولها. غرف خشعت رطلا من الدقيق أضاف اليه كميات قليلة من الماء ثم عجنها إلى أن أصبحت سميكة. قسم العجين إلى كتل متساوية رققها بيديه ثم وضعها على مفرش. تولى ابن نجم إشعال النار. استعان بطرف من كوفيته. صنع من بعض الجمرات موقدا متوهجا وضع عليه أقراص العجين . قلبها مرتين ثم دفنها في الرمل تحت الجمر ووضع الرمل والحجرفوقها . راقبنا الفقاقيع تخرج من طبقة الرمل والرماد إلى أن نضجت الأقراص . رفعها ونظفها من الرمال ووضعها جانبا لتبرد . كان طعمها كنشارة الخشب . بعد الأكل كان دوري في تنظيف الأواني. دعكتها جيدا بالرمال .ثم جلسنا حول النار. شربنا الشاي .استخرج خشعت تبغه من كيس جلدى صغير يحمله تحت قميصه . حشاه في غليون حجري ثم أشعله. سحب نفسين ثم قدمه إلى زميله. أنزلت سرج ناقتي وأنا أتأمل موضع قدمى في حذر خوفا من أن أدوس على عقرب أوأفعى من ذوات القرون . حملته الى خيمتي وبسطته فوق الرمال . استخدمت الخرج وسادة.

وضعت حزام الذخيرة تحته .والرشاش الى جانبي . حفرت مكانا في ركن الخيمة القريب يتسع لكيس دفاتري حتى الصباح.

٣ يونيو

.. ظل الرجال أمس يتحدثون ساعات طويلةوهم جلوس حول النار . مع ذلك سمعتهم في الفجر وأنا شبه نائمة ينقلون النياق من مكان رقودها وهى ترغي. استيقظت تماما عندما بدأ أحدهم يطحن البن في هاون نحاسي. ثم ارتفع صوت أحدهم بالأذان . أخرجت رأسي من الكيس فلمحتخشعت يتوضأ .قفزت من مرقدي عندما رأيته يغسل وجهه ويديه وقدميه بالمياه التى عانينا في ملئها وحملها.سألته لماذا لا يتيمم بالرمال كما هي العادة. قال من الأفضل أن نصلى على أن نشرب. بذلت مجهودا للسيطرة على غضبي.

.. مشينا على أقدامنا ساعتين . شعرت بالتعب فشددت رأس الناقة الى أسفل ووضعت قدمي على رقبتها.ارتفعت الى السرج . لم أتمكن من تقليدهم بفتح رجلي على السرج أو الركوع فوقه . لذلك كنت أشعر طول الوقت بطرف السرج يخز فخذى . بعد مسيرة قصيرة شاهدنا رمالالربع الخالي ممتدة أمامنا كحائط وردى . توقفنا مبهوتين نحدق في المشهد في رهبة . بدأنا السير في بطء . الرمال الناعمة عسيرة على الجمال بعكس السطح الصلب الممتلئ بالحصى الذى كنا نسير عليه حتى الآن. عند العصر نصبنا خيامنا بجوار بعض أشجارالغاف : شجرة كثيفة الأغصان عميقة الجذور. تبعثرت النياق ترعى. فجأة صاح واحد محذرا . لمحنا مجموعة من البدوتقترب منا بسرعة فوق نياقهم . بنادقهم في وضع الاستعداد . التقطنا أسلحتنا وانبطحنا أرضا. صاح خشعت أنهم ليسوا من دهم أو معر بسبب سروجهم ولا من العوامر بسبب ثيابهم . نهض واقفا وتقدم منهم ببطء ويده على زناد بندقيته . فجأة أرخى بندقيته بينما أسرع اليه واحد منهم. تعانقا. نهضنا واقفين ونحن نتنفس الصعداء. رحبنا بهم و قدمنا اليهم القهوة . قالوا إنهم بحثوا عنا في الطريق الى موقشين. سمعوا فيشيصر أننا ذاهبون في هذا الاتجاه . تبادلت النظرات مع دهميش . يريدون سفاد جملهم . كان الجمل متهيجا يجلد نفسه بذيله ويصر على أسنانه وينفخ من فمه فقاعات كبيرة ذات لون وردى ثم يمتصها مغرغرا .قدمنا اليهم ناقة صغيرة السن. أناخوها على الأرض وفرشحوها.

ركع أحدهم بجوارها ليساعد الجمل . الجمل لا يستطيع العثور على المكان الصحيح بمفرده .

.. سألني دهميش بالليل عندما انضم لي في فراشي : أتعرفين الفرق بين الإنسان والجمل ؟ . قلت: التفكير. قال إن الجمل يفكر أيضا. انقلب فوقي ثم أضاف هامسا: الفرق هو أن الانسان يعرف طريقه ولا يحتاج الى مساعدة. ابتسمت في الظلام وأنا أتذكر المرة الأولى.

٤ يونيو

.. شرح لي ابن نجم في الصباح كيف يتم التعرف على القبيلة التي ينتمي اليها الغريب في الصحراء : طريقة شد حزام الرصاص ، وضع الكوفية (مدلاة على الصدر أو ملفوفة حول الرأس)، قراب البندقية، النقوش التي تزين السرج، طريقة المشي والكلام . كان يقوم بتحميل النياق. وكان شعره الطويل ينسدل على عينيه فيدفعه الى الوراء بيديه .استقرت عيناي على صدره العاري . أبعدتهما بصعوبة. لمحني دهميش . رأى شيئا ما في عينيّ أغضبه. خاصمني .

.. لففنا أنفسنا بالعباءات وتلثمنا بالكوفيات بحيث لم يعد يظهر من وجوهنا سوى العيون. الملابس الاضافية تمنع العرق من التبخر فتشكل طبقة باردة من الهواء بين الجسم والملابس .

.. أتأمل التغيرات التي تحدث لجسدي. معجزة الحياة واستمرار النوع.

.. ليس هناك أروع من مشهد الصحراء ساعة الغروب عندما تكسوها الشمس بغلالة وردية.

٥ يونيو

.. عندما هجعنا بالأمس كان دهميش ما زال غاضبا. أعطاني ظهره. داعبته. استدار نحوي واحتضنني في عنف .شعرت في عناقه بشيء من الغضب . لماذا يفترض الرجل أن مشاعر المرأة يجب أن تقتصر عليه وحده دون غيره؟ اذا أعجبني جسد رجل أو شيء ما فيه فليس معنى هذا أني وقعت في غرامه أو أريد ان أنام معه. وحتى لو داعبني الخاطر. المعنى الوحيد هو أن جسدي وعواطفي حية ومتوقدة ومتوهجة . أني أحيا. لا بد من إعادة تثقيف دهميش في هذا المجال ..استمتعنا جيدا ببعضنا البعض . تمنيت لوكانت هناك بحيرة قريبة لأغطس فيها. . أليس ابن

نجم هو السبب بشكل ما في درجة المتعة التي حصلنا عليها؟ أمامنا وقت كاف نستكشف فيه كل المسارب اللذيذة الخفية لأحاسيسنا ورغباتنا ومتعتنا .

.. التقاط الإذاعات صعب بعض الشيء . نبأ جيد لرفاقنا في عدن : اعادة فتح قناة السويس للملاحة الدولية. نبأ آخر يبعث على الأسى: تكوين لجنة مصرية أمريكية لتنمية الاستثمارفي مصرتضم روكفلر ،رئيس بنك فيرست ناشيونال، رئيس موبيل أويل، رئيس يونيون كاربيد، فؤاد سلطان، زكي هاشم، عادل جزارين وغيرهم.

.. تحدثنا عن شخصية ستالين و عبادة الفرد . أبدى يعرب إعجابه بستالين. قال إنه استطاع أن يقود بلاده في فترة صعبة وواجه الغزو الألماني ووضع أساس البناء الاشتراكي. قلت إن جرائمه لا تغتفرفقد قضى على مئات الكوادر الحزبية والعسكرية المخلصة وزرع الخوف في نفوس أبناء الشعب . وهو المسئول عن قرارات المؤتمر التاسع للحزب السوفييتي الذي اعتبر أن إعلان موقف مخالف لمواقف القيادة يعتبر سلوكا انقساميا . اعترض دهميش على كلامي قائلا: ماذا يحدث لوأعلن فهد مثلا على الملأ معارضته لقرار مركزي بالدخول في معركة أو الانسحاب منها ؟. قلت إن هذه لحظات خاصة تخضع لمنطق العسكرية وهو منطق استبدادي مطلق بحكم الضرورة وغيرانساني . فكرت أن الموضوع أعمق من ذلك وله علاقة بالفلسفة . هل يمكن أن يحتكر أحد الحقيقة المطلقة ؟ المادية الجدلية تقول لا . العلم أيضا. لكن كيف يمكن اقناع مقاتل بأن يعرض صدره للموت إذا كانت القضية التي يحارب من أجلها ملتبسة أو تحتمل وجهتي نظر؟ وهل الموت في سبيل القضية أمرا ضروريا ؟

٦ يونيو

.. صادفنا بئرا صغيرة مطمورة . قضينا ساعتين في تطهيرها .الماء تتصاعد منه رائحة الكبريت الكريهة . عندما ذقناها بصقتها في الحال. رفضت النياق الشرب منها. كممناها وصببنا الماء في أفواهها بالقوة . كنت أتلهف على الاغتسال لأزيل لزوجة العرق. ملأنا قربة وحملناها بعيدا . بسط بطانية بين ذراعيه ليحجبني عن الأنظار. عندما أصبحت عارية أدار وجهه بعيدافي خجل.

.. سقط مني الكيس الذي احتفظ فيه بدفاتري. انحنيت واستعدته . عندما

اعتدلت لمحت خشعت يرقبني في تركيز. لم استرح لنظرة عينيه .اقترح عليّ يعرب ان أعهد اليه بدفتر يومياتي كل ليلة . ربما ظن خشعت ان الكيس به مال وحاول الاستيلاء عليه. قلت إني أعرف كيف أعتني بنفسي وبيومياتي.

٧ يونيو

.. قبيل الظهر لمحنا عاصفة ترابية تقترب منا من الجانب الأيمن . ثم تكشفت عن جماعة من البدو الراكبين يتجهون نحونا بسرعة. وضعنا أيدينا على أسلحتنا .أطلق خشعت طلقتين في الهواء. لوحوا بكوفياتهم وقفزأحدهم من فوق ناقته وقذف رملا في الهواء فاطمأننا. أوقفوا نياقهم على مبعدة وأناخوها بعصيهم. اقتربوا منا وهم يصيحون بالسلام. رددنا السلام. تبادلوا التحيات بلمس الأنوف.تقدم خشعت ودهميش منهم . أعددت لهم اناء كبيرا من القهوة . وضع دهميش صحنا من التمر أمامهم . بعد أن شربوا وأكلواالتمر قدمنا لهم القهوة مرة أخرى . ثم بدأ تبادل الأخبار: الزيجات والطلاقات والمواليد والوفيات . ثم سألونا عن سعر الطحين في صلالة .هل كانوا يستشفون هويتنا ؟كانوا يجلسون دون حركة وعيونهم السوداء اليقظة تدور في كل اتجاه تسجل كل شيء. قالوا إنهم في طريقهم الى شيصر دون أن يذكروا شيئا عما جاء بهم الى هذا المكان .مضوا في الطريق الذى جئنا منه. تابعناهم بنظراتنا حتى اختفوا . قال دهميش إن أحدهم كان يتطلع نحوي طول الوقت وإنه ليس من هذه الأنحاء. استدل بشكل قدميه. أقدام البدو لم تتعود صعود الجبال وتميل إلى التقوس من كثرة الركوب بينما الأقدام المائلة للخلف هي أقدام سكان المرتفعات الجبلية . كما أن البدو يمشون منتصبي القامة بخطى قصيرة . لكن صاحبنا كان يمشي مثل الجبالين بخطى طويلة منحنيا الى الوراء.

٨ يونيو

.. أضعنا اليوم عدة ساعات في البحث عن صيد . نريد أن نحتفل غدا بمرور عشر سنوات على اندلاع الثورة . اصطاد الربيع غزالا بمساعدة دهميش. شوينا نصفه .وضعنا الباقي فوق سطح خيمتنا لحمايته من الرمل. طهنا ابن نجم أرزا.

٩ يونيو

.. لم نجد اللحم عندما استيقظنا في الصباح . دلت آثارالأقدام على أن ثعلبا سرقه فحزنا. تتبع خشعت آثارالثعلب حتى وجد المكان الذى دفن فيه ما تبقى من اللحم . نظفناه من الرمال وسلقناه.

.. تذكرت شجرة اللُبان التي زرعتها في أول معسكر لنا وسط ظفارمنذ عشر سنوات.ستبدأ الآن في الإدرار. قلت لدهميش إنها رمز نجاحنا. ما خرجنا من أجله يتحقق جزء منه الآن. فهل خرجنا من أجل أنفسنا ؟ أم من أجل تحقيق حياة أفضل للجماهير؟ نحن منتصرون وسنواصل الكفاح بالوسائل المتاحة. داعبني بأن هناك شجرلا يعطي وإذا أعطى فبكميات ضئيلة ونوعية أقل جودة وهو الشجر الذكر الذى يقوم بعملية اللقاح و يسمونه التيس.

.. نجحنا في التقاط إرسال من عدن . أذاعوا عدة كلمات بهذه المناسبة من أبو اياد، جورج حبش، نايف حواتمة، أحمد جبريل، الحزب الشيوعي اللبناني، الجيش الأرمني السري ،الجبهة الشعبية في البحرين واريتريا والأهواز (عربستان)، منظمة فدائي الشعب الإيرانية ، جبهة تحرير بلوجستان الغربية ، منظمة مجاهدي الشعب الإيرانية، شعب الساقية الحمراء ووادى الذهب، الحزب الشيوعي الكوبي ،لجان التضامن الأفروأسيوى ،لجان المناصرة في أوروبا وكندا وأمريكا وغيرها. سعدت عندما قرأوا رسالة من ميشيل كامل باسم الحزب الشيوعي المصرى بعنوان «النهج الثورى في المنطقة يكتسب قوة متعاظمة والطبقة العاملة تنتزع استقلاليتها وتحقق نهضة عارمة والطاقات الكامنة للحركة الثورية العربية تنبئ بتحولات جذرية».

.. دارت بيننا مناقشة طويلة بدأها يعرب . قال إن ماركس تنبأ باندلا ع الثورة البروليتارية من أكثر البلدان تقدما في النظام الرأسمالي . ثم ابتدع لينين عشية اندلا ع ثورة اكتوبرمقولة انطلاق الثورة من أضعف الحلقات ليبرانطلاق الثورة من أطراف النظام الرأسمالي مثل روسيا المتخلفة اقتصاديا. تساءل عما إذا كانت التجارب قد أثبتت صحة هذا الرأى . قلت إن تروتسكى ساند عملية حرق المراحل وأكد أن البلد المتخلف ليس عليه بالضرورة أن يتبع نظاما متسلسلا كالذى سارت عليه البلدان الأكثر تقدما. بوسعه أن يتبنى الأشياء الجاهزة وأن يقفز بذلك عددا

من المراحل الوسطية. أعربت عن شكي في هذه المقولة. تذكرت عشرات المواقف التي بدت فيها صعوبة تقبل المجتمع القبلي القظفاري لأفكار الثورة. ضربت مثلامن واقع الخليج . فقد بدأنا نسمع عن مشروعات عمرانية ضخمة من أموال النفط بنظام تسليم المفتاح .تساءلت عن الآثار السلبية لمجتمع الخيمة عندما ينتقل فجأة الى مبنى عصرى لم يشيده بنفسه أى لم يأت من خلال تطور طبيعي لحياته.

١٠ يونيو

..توقفنا لنطعم الجمال من نبات يابس يسمي زهرة .قال خشعت إن قليلا من المطر سيحول هذا النبات الجاف في خلال شهر الى الخضرة ويغطى سيقانه بالزهور . لا تموت هذه النباتات بسهولة فجذورها طويلة جدا . فكرت أن الثورات أيضا كذلك .

.. الراديو لا يعمل . هل عبث به أحد ؟ هل تم تخريبه عن عمد؟

١١ يونيو

.. قال خشعت إنه اجتاز الصحراء منذ سنتين . وصف عروق الشيبة الهائلة فى أقصى الشمال الشرقى بأنها جبال متتابعة من الرمل تليها الرمال المتحركة فى الشرق . إذا استطعنا اجتيازها فإننا نصل بعدقرابة شهر من الآن الى واحات ليوا الغنية بالنخيل والتى تمتد مسيرة يومين على ظهور الجمال.أعرب عن قلقه بشأن الجمال . قال إنها فى حالة سيئة . لن تتمكن من اجتيازالعروق . سألته إذا كان هناك طريق حول هذه الرمال فقال لا إلا إذا ذهبنا بعيدا فى الغرب عن طريق دكاكة لأن الرمال هناك سهلة . سألته عن المسافة الى دكاكة. أنصت الى حكاية طويلة استغرقت حوالى نصف ساعة عن تجربته في عبورها. احتوت الحكاية على أسباب سفره والأماكن التي توقف فيها والولاة الذين صادفهم واسم الناقة التى كان يركبها وتاريخها وتاريخ أمها وممن اشتراها وأين هى الآن والسلاح الذى كان يحمله ساعتها و من أين جاء به والطعام الذى كان يأكله وكيف كان يخشى الالتقاء بأحد من قبيلة سعر القوية الملقبة بذئاب الصحراء والذين ينسبون أنفسهم الى النبى ولايصلون زاعمين أنه أعفاهم من الفرائض. لم نصل أبدا الى المسافة.

..نتجه شمالا الى رمال غانم . لاحظت أن مرافقينا يتباطآن فى السير . أمس قابلنا بعض العشب فتركا النياق ترعى . تكرر هذا عدة مرات . النتيجة اننا قطعنا

مسيرة ساعة فى يوم كامل . بدأت أشك في أنهما يتعمدان إطالة أمد الرحلة. هل يخشيان التوغل فى الصحراء أم هناك سبب آخر؟

١٢ يونيو

.. رأيت اليوم مهاة لأول مرة . لم أتصورها أبدا بهذا الجمال . كانت فى حجم غزال سمين ولها قرون طويلة وجسمها أبيض نقى . لكن أجمل ما فيها عينيها . أدركت لماذا تغنى بهما الشعراء القدامى . أراد يعرب أن يصيدها . منعته. لابد اننا قريبون من أراضى قبيلة الحراسيس. لهم لغتهم الخاصة غيرالمدونة وأدباء وشعراء. اكتسبهم قابوس الى صفه منذ ثلاث سنوات . اختار أرضهم لتكون محمية مساحتها ١٤ ألف كيلومتر مربع. أعيد توطين حيوان المها المنقرض فيها.

..قلت لدهميش إنى أتمنى بنتا بعينين مثل عيون المها . قطب حاجبيه ولم يعلق . ظل شاردا مدة طويلة . سألته عندما شرعنا فى إنزال حمولة النياق عما به . لم يجب .

١٣ يونيو

.. أظن أنى أفهم مشاعر دهميش. هو ببساطة يفكر فى الجنين على أنه ولد. ليس من السهل التخلص من ميراث قرون من تميز الذكر.

..بنت أم ولد ؟ سمعت مرة أن الحامل يمكنها أن تعرف على وجه اليقين. لو كان رأس الجنين فى الجانب الأيسر يكون ولدا ولو كان فى الجانب الأيمن فهو بنت . متى يتكون الرأس داخل الرحم ؟ لا أعرف شيئا تقريبا عن أروع عملية فى الوجود . لم يخطر الأمر على بالى من قبل . لم أتصور نفسى أما . لابد من الحصول فى أول فرصة على كتب حول الحمل والولادة والرضاعة والتربية .

.. مررنا بآثار غريبة فى الرمال . ارتبت فى أنها آثار أقدام حديثة شوهت الرياح معالمها. قال دهميش إنها آثار جمال فنفى خشعت ذلك بقوة . قال إنها لضبع .بدا يعرب مقتنعا بقول الربيع على العكس منى . قال دهميش إن البدو يعرفون من نظرة واحدة نوع الأثر . عمق أثر خف الجمل يدل على ما إذا كانت محملة وعماإذا كانت حاملا. من الروث يمكن تحديد المرعى الذى أكلت منه ومتى شربت آخر مرة .بالتالى من أين جاءت والى أين هى ذاهبة. وأين هى الآن.

..أشعر بالقلق .

١٤ يونيو

.. أشرفنا على كثبان قرميدية اللون ترتفع الى أكثر من مائة متر. اضطررنا للالتفاف حولها لصعوبة تسلقها على النياق . الكثبان التالية كانت سهلة فصعدتها. فوجئنا بمنحدر شديد عند النزول . ترددت الناقة السوداء وفجأة سقطت على جانبها. أسرعنا اليها. رفعنا عنها حمولتها . قامت بصعوبة على ركبتيها . بدأت تعرج . جهزنا بعض عروق الأغصان الصلبة وقومنا ساقها. جلسنا إلى جوارها نطرد الذباب عنها . قال خشعت إنها لم تعد بذات فائدة ولا يمكن أن نبقى الى جوارها . ذبحناها وقطعنا لحمها شرائح . ثبتنا بضعة عصى فى الرمال وعلقنا فوقها شرائح اللحم كى تجف .وضعنا عظام النخاع فى معدتها التى ربطناها بشريط من الجلد ودفناها فى الرمال .أشعلنا النار فوقها .

.. الصحراء مرعبة .يعتقد البدو أن الكثبان موئل للجان. يتلفت رفيقانا حولهما طول الوقت ويرددان أن الله وحده هو الدائم .

.. كنا نتحدث عن التدخل الإيرانى عندما ذكر دهميش أنها المرة الثانية خلال قرنين التى توجد فيها قوات ايرانية على أرضنا . فى الأولى نجح جد قابوس الأكبر فى طردهم . قال يعرب إن قابوس قلق بشأن أهداف الشاه . سألته كيف عرف . قال إن له علاقة بابن عم السلطان الذى يكره الانجليز ويحمل أفكارا تقدمية .وهو مرشح لأن يكون وليا للعهد. وأنه يطمح الى تجنيده لمبادئ الثورة. عندئذ يمكن أن يحل محل قابوس بسهولة . بذلك نحقق أهدافنا بضربة واحدة . استنكرت هذا القول . نحن ضد انقلابات القصور. الثورة عملية تتم من أسفل لابد أن يشترك فيها الناس ولا يمكن فرضها عليهم وإلا كانت العواقب وخيمة . لم يجادلنى.

.. العناكب منتشرة ويبلغ عرض الواحد منها عشرة سنتيمترات. أرجلها حمراء مكسوة بالشعر وليست مؤذية.

١٥ يونيو

.. نبشنا معدة الناقة . وجدنا مزيجا من الدم والدهن عائما بين العظام الفارغة. صبه خشعت فى قربة فارغة .تناولنا الطعام عند الغروب .أكلنا وشبعنا رغم أن اللحم كان كريه الرائحة وقاسيا للغاية .

.. قضيت ساعات طويلة أتخيل مصائر مختلفة لطفلتى . أفكر فى الجنين

دائما بصيغة المؤنث .هل هذه نرجسية منى؟ هل ستكون مناضلة ثورية مثلى؟ أم ستكون الحاجة لأمثالى قد تلاشت وحل محلنا المهنيون وأصحاب المهارات ؟ اتفقت مع دهميش على أن أسميها ثائرة وثائر إذا جاءت ولدا.

.. معنويات يعرب فى هبوط . يتحامل على نفسه . يتخلف عنا معظم الوقت . كأنما يبغى العودة ؟ اشتكى من ألم فى بطنه فنصحه خشعت بشرب بول الناقة. يغسل يديه ببولها عندما يهم بحلبها . يعتقدون أن الناقة يجف حليبها إذا حلبت بيد قذرة أو فى إناء ملوث.

.. حكى لنا خشعت عن قريب له قتلته قبيلة أخرى . حمله أبوه وركب بجثته إلى خيمة القاتل وجد بها صبيا فى الرابعة عشرة. حاول الصبى الفرار لكن الرجل لحق به . وضع الصبى إبهاميه فى فمه علامة الاستسلام .توسل الرأفة دون جدوى. ترجل الرجل واستل خنجره. غرزه بين أضلاع الطفل الذى سقط وهو يصرخ: يا أبى يا أبى . ظل الرجل واقفا فوقه الى أن لفظ أنفاسه .

.. قال خشعت إن النياق منهكة ولا بد من استبدالها . كيف ؟

١٦ يونيو

.. دار بيننا نقاش طويل حول الإصلاح أم الثورة فى تغيير المجتمع ؟ قلت إنه ليس من الضرورى وضع الاثنين فى مقابل بعضهما. الإصلاح يمكن أن يتراكم إلى أن يصل إلى درجة التغيير الجذرى بما يعنى الثورة . لينين كتب عن إمكانية التحول إلى الاشتراكية سلميا ولم يقل إطلاقا حتمية أن تصبح الثورة عملية عنف وصراع دموى .الصراع الدموى فى تاريخ الثورات بدأته القوى الرجعية. ليس من الضرورى أن تعنى الثورة العنف. (هل أنا الذى أقول ذلك؟) لكن ليس كل الإصلاحيين ثوريين .بعضهم يكتفى بعملية ترقيع ولا يبغى تغييرا جذريا. تطرقنا الى طبيعة التغيير الذى ننشده . قال يعرب إنه قطيعة تامة مع الماضى. لا أظن أنى أؤمن حقيقة بذلك. الماضى ليس سيئا كله. لينين قال إن النفى الجدلى لظاهرة ما لا يعنى إلغاءها كلية وإنما تطويرها والارتقاء بها الى وضعية جديدة تحتفظ بكل ما هو إيجابى فيها.

..سألنى دهميش عن طفولتى. لا أتذكر من بيتنا فى عُمان سوى سقوط سنة لبنية. ألقى بها أبى فى وجه الشمس قائلا : ياعين الشمس خذى سنة الحمار واعطينى سنة الغزال. أتذكر جيدا بيتنا فى صنعاء .بيت قديم فى حى برجُوازى

هادئ تظلله أشجار السرو. الدور متباعدة لكل منها بستان من الكروم والمشمش واللوز والخوخ والرمان. لايقطع الهدوء سوى صرير الآبار وعجلاتها وحبالها. في الحديقة بركة مربعة ونافورة أمامها حجرة المفرج أو قاعة الاستراحة. في الطابق الأسفل المظلم يسكن الخدم. الحريم في الطابق الأوسط. الحمام واسع مفروش بالبلاط المربع. فيه حوض وموقد فحم لتسخين الماء. في واجهة البيت فتحات صغيرة تنصرف منها المياه المستعملة إلى بالوعة الشارع. الحجرات مفروشة بالحصير وخالية من الأثاث. هناك رف يتسع لكل الأغراض. النوافذ تتيح للجالسين على الفرش والمساند النظر إلى الخارج. العقود الزجاجية الملونة تعكس ضوءا مبهجا.

١٧ يونيو

.. الماء يوشك على النفاد. قررنا استخدام المياه المرة بعد خلطها بالحليب. خفضنا نصيب كل واحد من الشرب الى النصف. قال خشمت إن الأمطار يمكن أن تسقط في أي وقت. وقد لا تسقط على الاطلاق. لا بد من سقي الجمال كل يومين أو ثلاثة إلا في الأودية. يمكنها أن تبقى اسبوعا دون ماء إذا اتيحت لها فرصة الاستظلال بالشجر. سألته عما اذا كان يعتقد أننا سنعثر على مراعي قال: علم الله. سمعنا عواء ذئب بالليل. الصوت مخيف في هذا الفضاء.

١٨ يونيو

.. هبت نسمات باردة عبر الصحراء حاملة معها قليلا من الرمال. النجوم ساطعة جدا. نبشنا بضع جذور جافة وأشعلنا نارا. بعد العشاء كنت لا أزال جائعة. طلبت من دهميش شايا. انهمكت في تنظيف رشاشي. انشغل يعرب بإعداد عصا جديدة للناقة. أخذ خشمت ينقب بطن قدمه الصلبة بطرف خنجره بحثا عن شوكة. يثرثر طول الوقت. تحدث عن كيفية مداواة جرب الجمال وعن غارات القبائل والفروق في أسعار الحاجيات بين العهد الحالي وأيام السلطان سعيد. وعن مشروعات آبار البترول في شرق جدة الحراسيس. شارك دهميش بقصة عن شيخ واحد من بيوت كثير المعروفين أصيب بطعنة خنجر في بطنه. قال إنه صرخ كالنساء. غضبت من التشبيه وخاصمته. فكرت وأنا أتطلع الى رأسه أنها مليئة بحيرات معقد تحتاج معالجته الى مدة طويلة. أول خصام بيننا.

١٩ يونيو

.. نمنا أمس منفصلين. أمكنني أن أتقلب كما أشاء. استغرقت في نوم عميق. لم يوقظني صحن البن كالعادة ولا حركة مرافقينا بين النياق. عندما أخرجت رأسي من تحت البطاطين في الصباح شعرت أن هناك شيئا غير عادي. قفزت واقفة. ناديت على دهميش. قام متثاقلا. لم نجد أثرا ليعرب والمرافقين ونياقهم. لم تكن هناك سوى ناقتينا. اختفى سلاحانا أيضا. أين ذهبوا؟ الآثار تتجه الى اليمين. الى جدة الحراسيس؟ هل يعرفون بئرا قريبة أو خرجوا يبحثون عن واحدة؟ لماذا إذن لم يقولوا أويتركوا إشارة ما؟ ولماذا يأخذون السلاح والمؤن؟ حتى الراديو العاطل؟ نسوا بعض التمر والشاي وحسب. هل اختطفوا يعرب؟ لم نجد أية آثارتشير الى عراك أومقاومة. نبشوا الأركان التي تعودت أن أدفن فيها دفاتري. لا بد أن أحدا منهم رآني وأناأفعل. لحسن الحظ أني وضعتها أمس تحت رأسي بدافع الكسل. هي والمكاروف والخنجر. لم يقتربوا منا خشية إيقاظنا. كان في وسعهم القضاء علينا. انتظرنا على أمل أن يعودوا. فكرنا أن نتتبع آثارهم. لكن على فرض أن الرياح لم تزلها فسنكون معرضين للضياع. أخذوا كل القرب عدا قربتي وبها مياه قليلة. هل نسوها أم تعمدوا تركها؟ لنبقى في مكاننا حتى يعودوا؟ لتر واحد من المياه المرة التي يتعين علينا الاكتفاء بها ...حتى متى؟

.. بقينا في مكاننا حتى بعد الظهر ثم واصلنا السير. حددنا لكل منا أربع بلحات ونصف كوب من الماء في اليوم. البلح يضاعف عطشي. عند الغروب نصبنا خيمتنا خلف جبل من الرمل. يحمينا قليلا من الرياح الشمالية الباردة. أشعر بالوحشة التامة مع تراجع ضوء النهار. الصحراء تمتد الى مالانهاية منذرة بالخطر.

.. لانكف عن مناقشة ما حدث. تذكرت عدة مواقف ليعرب. استعدت التفاصيل الخاصة باعتقالات مطرح. معقول؟ استيقظت شكوك دفينة. عبر دهميش عن اتجاه تفكيري بطريقته الخاصة. حكى لي قصة بطل أمهري في نجد. كان أعداؤه يبحثون عنه فدلهم أخو زوجته على خيمته. نجح في الفرار إلى مكان مرتفع. قتل عددا منهم بكرات من الرصاص. نفذت ذخيرته فصعدوا اليه. طعن أحدهم بخنجره الذي انكسر. أمسك بزعيمهم من خصره وقفز به من القمة

ليموت الاثنان. عرفت زوجته أن أخاها هو الخائن .بحثت عنه في معسكر الأعداء وقتله بمسدس .

.. قررنا أن نتناوب الحراسة بالليل .

٢٠ يونيو

.. خلال نوبتي بالليل غفوت . نهضت ناقتي فجأة فاستيقظت . لمست دهميش .انتصب واقفا في حركة واحدة وخنجره في يده . وقفنا ظهرا لظهر . درنا حول أنفسنا مدققين النظر. لم نر شيئا في الظلام .أو نسمع صوتا. هززنا عقال الناقة إلى أن ناخت .استلقينا ثانية . سيطرعلينا الخوف والتوتر .

.. عثرنا في الصباح على آثار ذئب بالقرب من خيمتنا. نقطع خمسة كيلومترات في الساعة أما في الرمال كثيرة الكثبان شديدة الانحدار فنقطع كيلومترا واحدا فقط.ربطنا ناقتي في ذيل ناقة دهميش وانضممت اليه فوق ناقته. كثيرا ما تمنيت أن نحب بعضنا فوق ظهرالجمل بايقاع حركته المتمهلة. لم يكن هذا ممكنا في وجود الأخرين. الآن نحن وحدنا في الكون الفسيح وأنا في حضنه فوق الجمل . مع ذلك لا توجد لدى رغبة. عند العصرشعرت بالجوع والغثيان. الكثبان العالية تبدو بالليل أعلى منها بالنهار. القمريضيء المنحدرات . الظلال في ثناياها حالكة السواد . ماذاسنفعل إذا لم نتمكن من الصعود بناقتينا فوقها؟ يمكن أن تنهارا في أى لحظة إذا لم نسقها في أقرب وقت. المسافة الباقية أكثر من التي قطعناها حتي الآن . بدأت أرتعش من البرد. تمنيت شرابا ساخنا. خيمنا. أشعلنا نارا صغيرة وتدفأنا عليها. لحسن الحظ أنهم لم يأخذوا الكبريت . ماذا يحدث لو مرض أحدنا أو أصيب بلدغة عقرب أو أى شيء ؟

٢١ يونيو

..أيقظني دهميش قرب الفجر. نهضت الناقتان وهما ترغيان . أكلنا بعض التمر وتجاهلنا الشاى والقهوة . اتجهنا نحو الكثبان . عندمااقتربنا منها كانت الشمس قد ألهبت الرمال .ارتعشت ناقتي بشدة . رفضت متابعة المسير. شعرت بالدوار. غاصت قدماى حتي الركبتين في الرمل. صعدت بصعوبة وأنا أجرها خلفي. بدأ قلبي يخفق وعطشي يزداد . وجدت صعوبة في الابتلاع. شعرت بانسداد أذني. أحاول إيجاد لعاب أرطب به فمي . أردت أن أستلقي على الرمل. ناداني دهميش. قلت في نفسي : لن نستطيع العودة وليس من مكان نلجأ اليه ولا

يمكن أن أصعد كثيبا آخر من هذه الكثبان المفزعة. لقد انتهينا .لو تهنا غربا وقعنا في يد السعوديين وشرقا في يد الحراسيس. وطول الوقت معرضان للوقوع في شباك قبيلة ما أو حيوان ما. هذا فضلا عن العطش. قال دهميش إننا يمكن أن نفعل مثل البدو. تضع عصى في حنجرة الجمل ونشرب قيئه. وربما صادفنا ناقة تائهة ما زالت تدر لبنا.

.. طول الوقت أشعر أننا مراقبان ؟؟

٢٢ يونيو

.. حلمت أمس بأني أفتح براد منزلي في بيروت . قفز منه قط متوحش .

درت الناقتان أقل من نصف لتر بدلا من اثنين في العادة .السبب هو الإجهاد وقلة الطعام. كانت الشمس شديدة الحرارة والتهبت الرمال . لم يتأثر باطنا قدمي اللذين تكونت عليهما قشرة شديدة الصلابة .لكن الجلد الناعم على الجانبين هوالذى كاد يحترق . امتطيت ناقتي.

..أحاول التغلب علي الجوع بالقراءة لكني أجد نفسي أفكر في الشاورمة واللبنة والحمص والطعمية والفول المدمس والكباب. أتذكربيت أبي في صنعاء. كنت أستيقظ قبل الفجر علي نداء المؤذن . عندما تشرق الشمس ينثر الخدم روث البهائم علي السلالم والممرات بدلا من نشارة الخشب حتى لا يثور الغبار أثناء الكنس . تنتشر رائحة قوية لكنهاغيركريهة إلى أن يتم الكنس بحزم من الأغصان . بعد الإفطارتقوم النساء بأعمال المنزل. ينفضن المفارش. يلمعن الأواني النحاسية بالليمون والرماد. يغسلن الملابس وينشرنها بعد ذلك في الشرفات وعلى السطح . يقمن بإعداد الطعام فوق فرن فخارتشعله أقراص السباخ . تضع عجوز العجينة على جدران التنور.تتولى أخرى تحضيرالشعيرية .ثالثة تسحق الخضرة فوق صخرة . رابعة تهز اللبن في الجرة لصنع اللبن الرائب . يأكل أبي بمفرده ثم يصعد إلى المفرج. فتجلس النساء مكانه. بعد الظهيرة يخرج الرجال إلي مجالس القات يحملون ربطها وصناديق التنباك تحت أكمامهم . تظهر النساء في الشوارع وقد تغطين كاملا بملاءات هندية متشابهة ذات ألوان حمراء وزرقاء وخضراء .علي الوجه حجاب أسود شفاف تزينه دوائربيضاء وحمراء فيبدو كرأس احدى الحشرات . تشد الأنيقة منهن الملاءة حول جسدها وتسير متهادية فوق أحذية ضخمة ذات كعب منبسط . أو يخلعن الأحذية ويضعنها علي رؤوسهن .

.. عند منتصف النهار استرحنا الى جوار كثيب .ظهر بدويان على كثيب بعيد وأخذا يراقباننا . تراوحت مشاعرنا بين الأمل والخوف . لوح لهما دهميش بيده فاختفيا . سرنا نحوهما . لم نجد لهما أثرا . هل هو سراب؟

٢٣ يوليو

.. استيقظت اليوم متلهفة على الأكل . استلقيت على معدتى وضغطت عليها فشعرت بشئ من الارتياح والدفء .في بيت صنعاء كان الإفطاريتكون من بيض وزبادى وخبز أو فطير بالعسل والسمن. شعرت بحركة أخرى فى بطنى. أمامنا سلسلة مشابهة للتى اجتزناها بالأمس لكن قممها أكثر انحدارا . سقنا الجمال المرتعشة المترددة إلى أعلى كثيب. سمعت فجأة أزيزا منخفضا ثم ازداد قوة الى أن بدا كصوت طائرة على ارتفاع منخفض .شدت الناقتان عقاليهما فى خوف. التفتتا الى الخلف .توقف الصوت عندما وصلنا الى أسفل.طمأننى دهميش أن الصوت ينتج عن انزلاق طبقات الرمل بعضها فوق بعض.

.. حتى الآن أراه متماسكا. لكن عندما لجأت الى دفترى سخرمنى. قلت له إن جيفارا كان حريصا على تدوين يومياته حتى اللحظة الأخيرة من حياته .لهذا نعرف ماذا حدث له بالضبط والعناصر التى وشت به ومن قتله . اليوميات هى الطريقة الوحيدة للمحافظة على الوقائع ودراستها واستخلاص الدروس منها. سلاحنا ضد الغدر والهزيمة. قال إنهاستفنى معنا. قلت إننا يجب أن نصونها بأى شكل . من سيحول دون يعرب واحداث مزيد من الأضرار؟ طلبت منه أن يعدنى بالمحافظة عليها إذا ما حدث لى شئ . قال مقلدا لهجتى : وإذا حدث شئ لنا نحن الاثنين؟. تطلعت حولى فى الصحراء الخالية . قلت إنى سأجد طريقة لإخفائها. خطر رشدى على بالى . يمكنه أن يصنع منهاشيئا مفيدا. هو أو عماد. أتمنى ألا تقع فى يد أحد غيرهما.

٢٤ يوليو

.. يوم مغبركئيب ومثقل بكتل من الغيوم . هل ستسقط الأمطارهنا أم على سفوح الجبال فى ظفار وحدها؟ غطيت وجهى بالكوفية . مشينا إلى جانب الناقتين بمعنويات واهنة. ماذا يحدث لو لم نقابل مراعى؟ لا الجوع ولا العطش يخيفان البدو . يستطيعون البقاء فوق ظهور الجمال سبعة أيام دون ماء أو طعام .ما يخيفهم هو انهيار الجمال نفسها . إذا حدث هذا كان الموت مؤكدا .شعرت أن ناقتينا لن تعيشا ليوم آخر.

17
صلالة
١٩٩٢

١٠٠

أقلنى السائق الباكستانى أو الهندى فى الصباح. كنت متوترا، عاجزا عن التركيز من قلة النوم، ومن ملاحقة عينىّ أبى عامر لحقيبة يدى وهو يودعنى. ولم أطمئن إلا عندما غادرت السيارة أمام الفندق.

أخذت مفتاحى من الاستقبال ولم أجد غير رسالة من خلف يطلب فيها أن أتصل به. صعدت إلى غرفتى متشوقا الى الفراش الذى ينتظرنى . وجدت عربة النظافة أمام بابها المفتوح وشابا هنديا فى ملابس عمال الفندق داخلها. وعندما شعر بى أسرع يغادر الغرفة وهو يتمتم معتذرا.

أغلقت الباب خلفه وثبّته بالسلسلة المعدنية . ألقيت بحقيبة يدى فوق الفراش ونظرت الى التليفون. قهوة أم شاى ؟

لمحت زجاجة بيرة فوق المكتب . بدت مثلجة يلتمع زجاجها وبجوارها كوب وفتّاحة. *بيرة فى الصباح ؟ولم لا؟* أزلت غطاءها وأنا أنزع حذائى بقدمىّ ورفعت الزجاجة إلى شفتى .عندما فتحت عينى ألفيتنى راقدا فوق الفراش بملابسى وصداع حاد يمزق رأسى.

نهضت بصعوبة وخلعت ملابسى وألقيت بها فوق الأرض. دخلت الحمام وملأت حوض الاستحمام بالمياه الدافئة وغطست فيها. أحسست بشئ من التحسن لكن الصداع ظل كما هو.

غادرت الحمام بعد أن جففت جسدى وطلبت قهوة من خدمة الغرف وكررت الطلب كى لا يأتينى عصير. ولم أكد أنتهى من ارتداء ملابسى حتى طرق الباب وفتحته لنادل هندى جديد يحمل القهوة التى طلبتها.

تناولت حقيبة يدى ورفعت غطاءها وأخرجت الكيس الذى أحتفظ فيه

بأدويتى . استخرجت حبة بنادول وأعدت الكيس مكانه . وهنا اكتشفت اختفاء الكراسة .

أفرغت محتويات الحقيبة فوق الفراش : قلمين، علبة مناديل ورقية، جواز السفر، مفكرة لأرقام التليفون، خريطة لعمان وأخرى لظفار وحدها، برنامج لشركة سياحية ، قطعة من اللبان المتحجر أخذتها من خلف، ورقة دونت بها بعض الملاحظات،كيس الأدوية. لاكراسة.

انتفضت واقفا وقلبت أغطية الفراش. نظرت تحته وفوق المكتب وفى أدراجه وفوق جهاز التليفزيون وتحته .

جلست على حافة الفراش أستعيد حركاتى منذ دخلت الغرفة. كانت الكراسة فى حقيبة يدى الى أن ألقيت بها فوق الفراش. تذكرت الكراسات الأخرى فأزحت المقعد ورفعت طرف السجادة فلم أجد أثرا لها.

وقفت وسط الغرفة حائرا ووقعت عيناى على المكتب . لم يكن هناك أثر لزجاجة البيرة التى شربتها ولا للكوب الذى كان الى جوارها. بحثت عنهما فى سلة المهملات القريبة وفى تلك الموجودة فى الحمام دون جدوى .

حلم؟

لكن الفتاحة التى استخدمتها فى فتح الزجاجة كانت فى مكانها فوق المائدة شاهدة على ما حدث.

نقلت البصر بين النافذة المواربة والباب. كانت السلسلة المعدنية مدلاة بجوارالقفل وتذكرت أنى ثبتها بمجرد دخولى. تذكرت أيضا أنى لم أنزعها عندما فتحت الباب للهندى . كانت مدلاة وقتها كما هى الآن.

اشتد صداع رأسى فأخذت حبة بنادولثانية واستلقيت فوق الفراش وأغمضت عينى.

دق جرس التليفون فلم أتحرك . استمر الرنين فرفعت السماعة . لم يرد أحد .

ألاعيب السيد زيد ؟

بقيت ممددا أحدق فى السقف ثم حانت منى نظرة الى الباب فرأيت ورقة صغيرة مطوية أسفل حافته .

أسرعت الى الباب وفتحته وتطلعت الى الممشى. لم يكن هناك أثر لإنسان أوحركة. من وضع الورقة لا بد فعل ذلك قبل فترة.

هل هوالنادل الجديد؟

أغلقت الباب وتناولت الورقة وبسطتها. كانت بتوقيع زيد.

* * ٢

ألقيت بالكنزة الصوفية فوق كتفى وهبطت الى البهو الشاغر فى الساعة السادسة. خرجت الى الحديقة واتجهت الى ملعب التنس فى خطوات متمهلة كأنى أتريض. مررت بحوض السباحة الذى انفردت به أسرة أوروبية تضم عدة أطفال. كان ملعب التنس خاليا فمضيت بجوار سياجه فى اتجاه الشاطئ ثم انحرفت الى اليمين وقمت بدورة واسعة لأتجنب شاليه الهندى.

عثرت على أجمة الأشجار الشوكية فنفذت بين أوراقها وخطوت فى حذر الى أن وجدت الفتحة المؤدية الى الطريق العام.

لم يكن هناك أحد من المارة بالطبع وبدا الطريق مهجورا. امتدت حدائق السلطان المسورة أمامى على الناحية الأخرى.وتطلعت جهة اليمين حيث يقبع مدخل الفندق على مبعدة مائتى متر. كان متواريا خلف الأشجارالتى حجبت عنى سيارات التاكسى الثلاث المتوقفة أمامه باستمرار كما حجبتنى أيضا عنها.

استدرت يسارا وانطلقت بنفس الخطوات المتمهلة حسب التعليمات.

ظهرت سيارة مرسيدس حديثة الطراز قادمة بسرعة من ناحية المدينة . لمحت داخلها رجلين يرتديان الملابس الأوروبية . تابعتها ببصرى حتى تلاشت فى الانحناءة المؤدية لمدخل الفندق.

ألقيت نظرة على ساعتى وواصلت السير . سمعت صوت موتور سيارة قادما من خلفى. غالبت نفسى كى لا أنظر ورائى واحتفظت بنفس إيقاعى حتى حاذتنى. وجدتها سيارة أجرة تقل زوجا أوروبيا. ومرت عشر دقائق قبل أن تظهر سيارة أجرة قادمة من المدينة تقل عدة رجال فى الدشداشات البيضاء. وعندما قاربونى تطلعوا الىّ فى دهشة واهتمام. بادلتهم النظر وظلوا ينظرون ناحيتى الى أن ابتعدوا فى اتجاه الفندق.

انتهى السور المقابل بناصية شارع . عبرت الطريق ومضيت على الرصيف الأيمن للشارع العمودى . رأيت سيارة قديمة من طراز فورد مركونة قرب الناصية التالية العمودية على شارع قابوس.

اقتربت من السيارة وأنا أدقق النظر الى سائقها . كان عُمانيا بحكم ملابسه وظفاريا بيشرته السمراء وملامحه الجبلية. تابعني في المرآة المعلقة فوق رأسه وعندما حاذيته تماما مد يده و فتح لي الباب الخلفي دون أن ينبس بكلمة.

كانت الخطوات تخرق كل القواعد. في العمل السياسي السرى لا يتم لقاء بين غريبين دون ثالث يتولى تعريف أحدهما بالآخر، و في قصص التجسس والمغامرات يتبادل الغريبان كلمات معينة – ساذجة للغاية–عن الجوّ أو يحمل أحدهما وردة حمراء في عروة سترته بينما يحمل الثاني صحيفة مطوية فإذا حاد أحدهما عن النص افتضح زيفه. وها أنا أركب سيارة مجهولة دون نص على الإطلاق.

أدار السائق الموتوربمجرد أن أغلقت الباب خلفي وانطلق نحو الناصية. كانت هناك لافتة تعلن ان امتداد الشارع طريق خاص. عبر التقاطع واستدار يسارا في شارع قابوس. تذكرت موقفا مشابها عرض لي منذ سبع وثلاثين سنة بالضبط. كان الموعد ليلا في ساحة نائية بأطراف حي العباسية. وعندما وصلت تبينت في الظلام سيارة فيات سوداء مركونة ومظلمة. وفجأة أضيئت أنوارها واستقركشافها المبهرعلى وجهي فأعماني بينما تقدمت مني وتوقفت الى جواري. وسمعت صوت قائدها الذى أعرفه يحييني ويناولني لفافة المنشورات التي سأتولى توزيعها.لم تكن هناك بالطبع حاجة الى كل هذه التصرفات المسرحية وعلى العكس فقد كان من شأنها أن تجذب إلينا الأنظار.

لم يفه سائقي بكلمة وقاد السيارة بسرعة عادية في الطريق المعهود الموازى للشاطئ. بلغنا محمية الطيور فخلت أننا ذاهبون الى صديق سالم المغرم بالنوادر والحكايات. لكنه انتقل الى طريق رئيسي واتجه يمينا ثم يسارا وبعد قليل بدأ الطريق يصعد الى أعلى وأدركت أننا نتجه الى الجبل.

خاطبته لأول مرة : الى أين ؟

لم يرد ولم يلتفت نحوى و ظل سؤالي معلقا في الهواء فلزمت الصمت.

أخذ الضوء يتلاشى وروائح الريف تتكاثر . تجاوزنا جدارا زراعيا ومررنا بقرى صغيرة. اضطجعت في مقعدى وقررت أن أستمتع بالهواء المنعش . وبعد عدة كيلومترات انحرف يمينا في درب وعر وسقطت أنوارالسيارة المبهرة على هضبة شديدة الانحدار. ارتقاها ببطء بعد أن انتقل الى السرعة الأولى . وأقبلنا على منعطف حاد فصنع دورة واسعة لأقصى ما استطاع. تمنيت ان يكون سائقا جيدا وأن يحتفظ بنفس سرعته ولا يقلل منها كي لا نسقط الى الوراء. وصلنا قمة الهضبة فقررت أن أحييه. خاطبته قائلا :

– أحسنت.

للمرة الثانية لم يرد .

أصم أم حكيم؟

أبطأ السير حتى توقفت السيارة . رفع الكابح اليدوى واستند بمرفقيه الى المقود متطلعا أمامه. ثم أطفأ النور المبهر وأوقف المحرّك وفتح الباب المجاور له وترجل. ودون أن يوجه الىّ كلمة عبر الطريق الى أجمة من الشجيرات واختفى خلفها.

قدرت أنه ربما يتبول و مرت دقائق تحولت الى ربع ساعة ثم نصف دون أن يظهر. فتحت بابي وترجلت ثم درت حول السيارة . كانت المفاتيح فى مكانها أسفل المقود. مددت يدى وضغطت البوق وأنا أتلفت حولى. ضغطته مرة أخرى وتركت يدى فوقه طويلا ثم وقفت أنتظر.

سئمت أخيرا من الانتظار ففتحت الباب وجلست أمام المقود. تأكدت من تحييد عصا السرعة وقبضت بأصابعي على مفتاح المحرّك.

تعودت أن أفعل شيئين متزامنين قبل أن أديرالمحرّك : تحييد عصا السرعة وإضاءة النورالدائرى. لكن النور الدائرى كان مضاء فعلا فحركت ذراع النور المبهر بشكل آلي. سقط الضوء المبهرفوق فضاء غير محدد المعالم على مبعدة. أدرت المحرك وحركت الذراع لأرى المسافة الأقرب قبل أن أقوم بتحرير الكابح اليدوى. وكانت هذه الحركة هي التي أنقذت حياتي.

فتحت الباب بيد مرتعشة و غادرت السيارة. وقفت الى جوارالإطار الأمامي أتأمل الهوة السحيقة التي كانت مقدرة لي والتي استقرت مقدمة الإطار فوق حافتها.

درت حول السيارة في حذر ثم ضغطت البوق مرة أخرى. فكرت أن أنادى على السائق واحترت ماذا أقول: هوه. انت . يا ريس ! أو ربما هالو كما في الافلام الأمريكية.

خطر لى أن أحاول قيادة السيارة الى الخلف ثم تراجعت عن هذه الفكرة. فلابد أن أخفض الكابح اليدوى أولا وفى هذه الحالة تتعرض السيارة للانزلاق أماما قبل أن أسيطر عليها.

أطفأت كشاف السيارة وأضأت النورالمتقطع ثم أوقفت المحرّك. تركت المفاتيح مكانها وأغلقت الباب. تلفت حولى دون أن أتبين أية معالم في الظلام المخيم .شعرت بلمسة برد خفيفة فالتقطت كنزتى ووضعتها فوق كتفى. أعانني الوهج المنبعث من ضوء السيارة على اقتفاء أثر السائق الى الأجمة ولم تلبث الشجيرات أن تحولت الى أشجار عالية وتلاشى أى أثر للضوء. تلمست طريقى في صعوبة بينها وهاجمنى البعوض بوحشية. كانت الروائح منعشة والأشجار متقاربة تكاد أغصانها تتعانق، وتموج بأصوات غامضة عجزت عن التمييز بينها. حاولت أن أتذكر الحيوانات التي ورد ذكرها في يوميات وردة ثم تذكرت الضبع الذى أراد أبو عامر أن يطعمنى لحمه. أسرعت السيروأنا أتلفت حولى. شعرت بالتعب بعد فترة فاستندت الى جذع شجرة ثم ابتعدت عنها عندما تذكرت الثعبان العظيم. ولم أجرؤ عل اقتعاد الأرض المعشوشبة . فكرت في العودة الى السيارة واكتشفت أنى لن أتمكن من العثور على مكانها . ثم ماذا سأفعل هناك؟ أنام بها حتى الصباح ؟وما يدريني أنها لن تنزلق بى فى الهوة دون أن أشعر.

قررت أن أواصل السير حتى أصل الى طريق عمومى أوقرية أوأصادف خيمة منعزلة. قابلتنى شبه تلة أو هضبة فارتقيتها. لمحت ضوءا خفيفا على مبعدة فاتجهت نحوه .مضيت من قمة إلى أخرى ومن سهل صغير إلى آخر دون أن تقصر المسافة التي تفصلني عنه. شعرت بالتعب فتوقفت وتبينت فجأة ان الضوء على يسارى بدلا من أن يكون على يمينى كما كان في البداية. واكتشفت أنى أمضى من نقطة لأعود إليها ثانية مهما اتجهت يمينا أويسارا بسبب تشابه الأرض والمرتفعات والمنحدرات.

شعرت بالعطش وتمنيت أن ألتقى جبليا يعطيني بعض الحليب. ثم فكرت

في الطعام والأشجار التي يمكن التغذى على أوراقها وتلك التي لا تصلح لذلك بسبب سميتها.

هل مرت وردة من هنا ؟

جرجرت أقدامى بصعوبة نحو هضبة مستوية وشممت رائحة روث حيوانات. أقبلت على عدة بيوت حجرية تكشفت عن حظائر للماشية. كانت خالية فواصلت السير وسط قش بلغ ارتفاعه خصرى أعقبه صف من الأشجارالعملاقة. أشرفت على كوخ صغير مهجور فولجته. كانت أرضه وجدرانه عارية بلا أثر للحياة . لا نيران تبعث الدفء أو وجبة دسمة من لحم الماعز أو حتى الجمل . ومع ذلك قررت أن أستريح به قليلا.

قفز جسم ما في الهواء واصطدم برأسى فتراجعت وكدت أقع. لم أتبين شيئا في الضوء الخفيف الغامض الذى أحاط بى. شعرت بحركة في أحد أركان الكوخ فأصخت السمع متوترا. فأر أو حيوان مشابه؟ ماذا لو كان عقربا أو الثعبان العظيم بنفسه؟ هل سيدور حول رقبتى ويغعصنى أم يعضنى ويمضى ؟ حاولت أن أتذكر ما أعرفه عن الحشرات والزواحف وكيفية التعامل معها، لكن ذهنى بدا عاجزا تماما عن العمل.

شعرت بالإعياء فاقتعدت الأرض فى الوسط مبتعدا عن الجدران. وجدتنى عرضة لتيارت الهواء فارتديت كنزتى وانتحيت جانبا. تقت الى كوب من الشاى الساخن يتصاعد منه البخار. هاجم البعوض وجهي ويدى فتسليت بمحاولة اصطياده ووجهت اللطمات الى صدغي وجبهتي دون جدوى .ثم شعرت بالقرصات الحادة تحت ملابسى. براغيث ؟ توترت حواسى وبدأت أتتبع التحركات الغامضة في أنحاء جسمى. ثم حاولت أن أشغل نفسى بأمرآخر ففكرت في وعد وما جرى لى معها.

دورفى فيلم سينمائى أم بحث عن بابا؟

عندما أيقظتنى أصوات الطيور فى الفجر وجدتنى منكمشا من البرد الى جوار الجدار. تحاملت على نفسى ووقفت . كان كل جزء فى جسمى يؤلمنى وخاصة ظهرى. استقبلتنى طيور بيضاء وملونة عندما غادرت الكوخ. ألفيتنى فوق هضبة مغطاة بالعشب والأدغال الخضراء ولمحت عدة أبقارعلى مبعدة فقررت أن أتجه

نحوها. لكن الضوء المتزايد كشف عن واد عميق يفصلني عنها. تطلعت حولي فلم ألمح أثرا للبحر الذى كان يتجلى لوردة من أى نقطة فى الجبل.

هل مرت من هنا؟

قررت ان أواصل السير ملتزما الأماكن المنحدرة الى أسفل كى أتجنب التوهان. ألقيت نظرة أخيرة حولى ثم بدأت رحلة العودة.

18

مسقط

ديسمبر ١٩٩٢ – يناير ١٩٩٣

** ١

قلت : رجعت ريمة لعادتها القديمة .

كنت أعلق على ملابس الحجاب التى استقبلتنى بها شفيقة.

لوحت بيدها فى ضيق وقالت : أهو ده اللى انت شاطر فيه.

وضعت حقيبتى بجوار الباب وقلت : ايه الحكاية؟

قالت : لا حكاية ولا رواية .

تناهى إلى صوت البيانو . فأومأت ناحية غرفة الأوركستر وقلت:

– بتهوفن يعمل ؟

كانت منهمكة فى وضع العشاء على المائدة . تركتها وذهبت إلى الحمام فاغتسلت ثم عدت إلى الصالة.

قلت : احكيلى .

قالت : هل سمعت بما حدث لسارة ؟

– سارة من ؟

– الخادمة الفليبينية التى قتلت مخدومها ب٣٤ طلقة عندما حاول اغتصابها. كانت المحكمة قد حكمت عليها بالسجن سبع سنوات ودفع مبلغ لعائلة المجنى عليه .

– وتظلم ابنه أمام محكمة أخرى طالبا إعدامها.

– تمام . المحكمة الجديدة حكمت عليها بالإعدام .

– على أى أساس ؟

– قالت إن واقعة الاغتصاب مختلقة.

– ألم يكن هناك تقرير طبى ؟

– نعم . استبعدته المحكمة الجديدة على أساس أن القتيل عمره ٨٥ عاما.

– هل سيعدمونها ؟

– الله أعلم .

توقف صوت الموسيقى وتعالى صوت فتحي ينادى على .

انطلقت إلى الغرفة ودفعت الباب . كان يجلس أمام البيانو .

عزف بضع ألحان وهو يتطلع إلى كأنما يتلمس رأيى . ثم أزاح يديه بعيدا وقال :

– لقد قررت اتباع نمط السوناتا كخطة للبناء. طبعا حضرتك مش فاهم. السوناتا هى أرقى الأشكال الموسيقية.

أطرقت برأسى مؤمنا على المرتبة الرفيعة التى تحتلها السوناتا.

استطرد دون أن يعبأ برد فعلى :

– السيمفونية التى أؤلفها تصويرية . لا علاقة لها بالشكل الكلاسيكى .ولا حتى بالكلاسيكية الحديثة. لم يكن من الممكن الاقتداء بأمثال سترافنسكى وشوينبرج وبارتوك الذين بدلوا النغم الصوتى بصورة كاملة. ولا كان بامكانى أن أستخدم النغمات شديدة التنافر.ومع ذلك لجأت فى بعض الفقرات إلى اسلوب تتعدد فيه النغمات.

شردت أفكر فى وعد وفى تهديها . وانتبهت عندما ساد الصمت بيننا وتبينت أنه شرد هو الآخر.

أشرت بإصبعى إلى الصالة : ما الذى أعادها إلى الجاهلية ؟

قال : لله فى خلقه شئون .

مر بأصابعه فوق مفاتيح البيانو بسرعة ثم أضاف :

– أخبرها مديرالإذاعة أمس أنهم لن يجددوا عقدها.

– لماذا؟

أجال البصر حوله فى حيرة ثم استقرت عيناه على وجهى. لمحت فيهما اتهاما فشعرت بانقباض.

استطرد: قيود العمل هنا صارمة ومن الصعب أن تحصل على عمل آخر بسرعة كما أن فرصه تقلصت بعد حرب الخليج . وأنا مازال أمامى سنة يمكن أن

تمتد الى سنتين . فإما أن تعود وحدها الى مصر أو تبقى معى بدون عمل وكلا الخيارين صعب .

قلت: لماذا ؟

قال : لن يحتمل أى منا الحياة بمفرده. ولوبقيت هنا بدون عمل ستجن. أنت تعرفها. وسأجن أنا أيضا. وهناك أيضا أقساط شاليه الساحل الشمالى وشقة هبة.

اغتصب ضحكة لكنى لم أستجب لها.

– وماذا ستفعل ؟

– سألجأ إلى الفندى . وإذا فشل فى مساعدتى سألجأ إلى السلطان نفسه . المشكلة فيما يجب دفعه من ثمن .

* * ٢

لم تكن هناك أخبار بارزة فى الصحيفة العمانية . ذكر أحد الوزراء أن أول إحصاء للسكان فى تاريخ عمان سيجرى فى نهاية العام وتوقع أن يتجاوزعددهم رقم المليونين ربعهم من الأجانب. وفى أسفل الصفحة وجدت إشارة إلى ال ٤١٥ فلسطينيا الذين أبعدتهم اسرائيل قبل تسعة أيام إلى الحدود اللبنانية وقد غطت الثلوج الخيام التى ما زالوا بها. ورفض رئيس الوزراء اللبنانى علاج المرضى والجرحى فى مستشفيات لبنان قائلا إن مسئولية علاجهم تقع على اسرائيل . وأعلنت حماس وعرفات التأييد لهذا الموقف وأن المبعدين يجب أن يبقوا فى أماكنهم إلى أن يعودوا إلى وطنهم.

أطل فتحي برأسه من فرجة الباب وأشار الى أن أنتظره لأنه لم ينته بعد من مشاغله. التفت الىّ سالم وهو يضع شريطا فى جهاز الفيديو وقال:

– سأريك رقصة عمانية تشبه الزار عندكم . تؤدى فى ساحة القرية للأشخاص الذين أصيبوا بلوثة ويريدون الشفاء .

ضغط زر التشغيل فظهرعلى شاشة التليفزيون صف من الرجال بجوار بضع نساء جالسات غطين رؤوسهن بطرحات سوداء شفافة. اعتمد أحد الرجال بيديه على طبل طويل يصل إلى منتصف صدره وعلق آخر طبلا أصغر فى رقبته بصورة

عرضية وراح يضربه بالكف من الناحيتين. ودار الطبالان حول الميدان بينما تقدم الرجال من النساء يدعوهن للرقص.

أدار الشريط إلى الأمام مسافة ثم أوقفه:

– هذه رقصة أخرى قد تهمك يلقى فيها الشاعر قصيدة ألفية يبدأ فيها كل مقطع شعرى بحرف من حروف الهجاء من الألف حتى الياء.

– من تأليفه ؟

– طبعا. كل شاعر وشطارته.

ظهرت على الشاشة دائرة كبيرة من رجال رفعوا سيوفا ذات نصال رفيعة وساروا خلف واحد منهم يحمل سيفه فى يده اليمنى. كان يلقى شعره أثناء السير وعند كل وقفة فى الإلقاء يهز السيف هزة مستعرضة فى رعشة مرعدة بينما يردد تابعوه : «الملك لله يدوم» ممددين حرف الألف في لفظ الجلالة.

لم أتبين لهجة الشاعر فردد لى سالم مايقوله : الألف ألفت الكلام، الباء بذكرك يا إله ، الثاء ثاروا للصدام ، الجيم عجبة فى الزمان ، الخاء خلقهم فى البلاد، الدال دايم كل دار ، الزاء زمانى اليوم عاد ، السين سنوا المرهفات، الشين شاعت لهم علوم ، الواو وردة لكل زمان.

أوقف الشريط وهو يقول :

– الفندى سيدعوك لسهرة رأس السنة.

قلت : أنت لم تحدثنى عنه أبدا.

قال : أنت لم تسأل .

سكت برهة ثم قال :

– هل تذكر تحقيقات الكونجرس الأميركي سنة ٧٧ التى كشفت دور شخصيات مثل الملك حسين فى خدمة المخابرات الأمريكية ؟ كانت هناك شركة تكرير للنفط تدعى اشلاند أويل وأقر رئيسها اتكينز أمام الكونجرس بأنها عملت واجهة للمخابرات الأمريكية فى عدة بلدان منها ايران. وبعد سقوط الشاه بدأت تبحث عن عقود نفط عربية وظهر فى الصورة ليبى يدعى يحى عمر وكندى له علاقات قوية فى مسقط والثالث هو صديقنا. والنتيجة عقد شراء نفط عمانى مقداره عشرون ألف برميل يوميا. كان نصيب الليبى من الصفقة ٥ مليون دولار. لك إذن أن تتخيل نصيب صاحبنا.

قلت : عادى.

أخذت أقلب صفحات الجريدة وتوقفت عند صفحة مخصصة للشعر. قرأت فى أعلاها حكمة بخط كوفى: ملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب.

– الشائعات رشحته أخيرا لرئاسة الوزارة ثم تردد أن ابن عم السلطان هو الذى سيتولاها. لو تحقق هذا سيتم تحجيم الفندى لأن المرشح الجديد صديق شخصى للحارث بن عيشة عدو صاحبنا اللدود.

– من هو؟

– بن عيشة؟ مستشار للسلطان يعمل من وراء ستار.

وضع شريطا جديدا فى الجهاز وقال دون أن يرفع عينيه عنه:

– هل علمت بما حدث بعد مغادرتك صلالة ؟

– ماذا حدث ؟

– عثروا على جثة فى الجبل لشخص عُمانى من أصول أفريقية.

بذلت جهدا خارقا لكى لا يبدو على وجهى شئ:

– مقتول؟

– الظاهر أنه سقط من ارتفاع كبير . فقد توازنه ربما.

سألت بعد لحظة : هل هناك أخبار عن زكريا ؟

أجاب دون أن يرفع رأسه : لا .

قلت: هناك أمور كثيرة لا أفهمها.

ابتسم وكرر كلمتى السابقة :

– عادى.

** ٣

كانت توقعاتى عن منزل الفندى رغم مظاهر ثرائه مستمدة من كل ما سمعته وشاهدته : موكيت ومروحة في السقف أو جهاز تكييف، حصير ملون، كولمان للماء البارد، دلاية القهوة المرة ، ترمس الشاى، إناء التمر، جلسة رجالية أو فى أحسن تقدير بمشاركة نسائية محدودة ومحجبة . لهذا لم أكن مستعدا بالمرة لما واجهنى.

وقفنا أمام بوابة حديدية فى سور حجرى مرتفع. فتح لنا خادم هندى واقتادنا عبر ممشى رصفت أرضيته بالرخام الفاخر يؤدى الى جاراج كبير. انتقلنا الى ممشى آخر بجوار حمام سباحة كبير الحجم. توقف الهندى أمام باب سميك من الخشب الثمين وفتحه بالريموت. ولجنا ردهة مزدحمة بمناضد صغيرة أنيقة محملة بالتحف وتشرف عليها ثريات ضخمة . صعدنا الدرج الى الطابق الأول ثم ولجنا قاعة واسعة دارت بها الأرائك الجلدية الوثيرة.

خطوت فوق طبقات سميكة من السجاد وجلست فى مقعد وجلست شقيقة بجوار فتحى فوق الأريكة الملاصقة.

همست وهى تتحسس السجاد بطرف حذائها :

– تبريزى.

استخرجت نظارتها الطبية الفاخرة التي أحضرتها خصيصا لهذه المناسبة فارتدتها ورفعت عينيها الى الثريا التى تعلونا مباشرة ثم أضافت بنفس الصوت الهامس:

– تشيكى .

أدارت عينيها فى أنحاء القاعة وبدت على وجهها علامات التقدير والإعجاب. كانت – للحق – تتمتع بذوق رفيع فى الملابس والأثاث والديكور المنزلى والأعمال الفنية من لوحات ومنحوتات وخلافه وتحتفظ بمجموعة قيمة منها بمنزلها فى القاهرة. دققت النظر حولى دون أن يخالجنى الشك فى رقة كل قطعة وفداحة ثمنها. لكنى لم أشاركها الشعور بجمالها . فقد كان هناك الكثير منها.

ظهرت عند المدخل فيليبينية عريضة البنيان تتحرك بثقة المعلّمة وقالت بانجليزية ركيكة إن المدام ستنزل بعد دقائق .

كانت الى جوارى خزانة من الخشب الثمين تكدست القطع الفنية داخلها وفوق سطحها. وجدت فرصة لأحدى التمارين التى أقوم بها بين الحين والآخر عندما أشعر بصدأ أدوات المهنة. بدأت أتأملها واحدة واحدة و أسعى الى إيجاد الكلمة المناسبة لتسميتها ووصفها. كان من السهل وصف حصان صغير من الذهب أوالنحاس (فلم أنجح أبدافى التمييز بين المعدنين) فى حجم قبضة اليد وصوانى من الفضة وبعض التحف الخزفية ذات النقوش اليابانية أو الصينية. لكنى لم

أتمكن من تحديد هوية المادة أو الأشكال التى صنعت منها قطع صغيرة الحجم استقرت فى أمان خلف المصراع الزجاجى المحكم.

أنقذنى ظهور المضيف وزوجته من شعور الإحباط. كان يرتدى دشداشة داكنة اللون وكمة من نفس اللون نجحتا فى إبراز بياض بشرته. وكانت زوجته سمراء أنيقة فى العقد الثالث من عمرها عصرية المظهر والملابس، منتصبة القامة فى اعتداد، ترتدى ثوبا أسود جميلا محلى بالورود ينتهى أسفل ركبتيها بقليل.

كانت السهرة شبه عائلية إذ اقتصرت علينا وعلى شقيقة صغرى للزوجة، فى حوالى الخامسة والعشرين، ترتدى بنطلون جينز، درست الهندسة وتعمل فى شركة أجنبية . ثم انضمت الينا فتاة عراقية أكبرسنا تدعى سعاد ابنة صديق للفندى الذى أوجد لها عملا فى شركة النفط . كانت ترتدى ثوبا خفيفا مشجرا بنصف كم يتألف أعلاه من شقين منفصلين يتداخ أحدهما فوق الآخر دون زراير أو كباسين محتضنين صدرا ممتلئا.

سألتنا خديجة، زوجة الفندى، عمانريد أن نشرب. طلبت شفيقة على الفور عصير البرتقال. تساءلت فى تردد عن الخيارات المتاحة. فقالت خديجة :

– كل شئ موجود.

قال زوجها : خذ جين تونيك إذا كنت تريد لونج درينك.

وجهت شفيقة نظرة صارمة الى فتحى فتردد . خففت الى نجدته قائلا:

– خذ كأسا من الويسكى . شفيقة يمكنها أن تقود السيارة.

أومأ موافقا وهو يتجنب النظر اليها. وشاركه المضيفان الاختياربينما انضمت الفتاتان إلى جانب شفيقة.

أحضرت المعلّمة الفليبينية مائدة صغيرة عليها صحون الفستق الإيرانى والزيتون الأخضر والروبيان المسلوق والبذر السورى. ثم مرت علينا بكؤوس الشراب التى أعدّتها فى الصالة الخارجية.

تناولت كأسى الذى زينته قطعة ليمون معلقة فوق حافته وقلّبت محتوياته بعصا بلاستيكية ثم رفعته الى شفتى وأنا أنظر الى شفيقة من فوق حافته شامتا.

شعرت أنى مدعو للقيام بقليل من المسامرة فأبديت إعجابى بالمنزل وتركت لصاحبيه أن يشرحا لى مميزاته وكيف أنه يطل على البحرمن ناحية وعلى

الجبال من الناحية الأخرى. وعندما استهلكنا الموضوع عاجلته بسؤال عن الكيفية التى يبدأ بها يومه. وجد متعة فى الإجابة: عند الاستيقاظ كأس مياه معدنية مستوردة من عيون ماء سويسرية لتنظيف الكلى ثم تمارين سويدية فى حجرة الألعاب مع الأجهزة الضرورية يعقبهاالاستلقاء فى حمام جوكوزى بفقاعاته الدافئة المعطرة وعشردقائق فى حمام السونا تليها أخرى فى حمام البخار، ثم جلسة تدليك خفيفة يعقبها حمام بارد. وأخيرا يرتدى روبا قطنيا ويشرب كاسا من عصيرالبرتقال ثم يسترخى فى مقعد الحلاقة لتتولى فيليبينيتان حلاقة لحيته وقص أظافره وتضميخ وجهه بالعطور. أغرته عملية الجرد بأن يستعيد ذكرى البدايات :

– كان أبى صائد سمك من الباطنة .أما أمى فلا أذكرها لأنها ماتت بالسل وأنا طفل . كنا نعيش فى كوخ من السعف .يوقظنى أبى فى الفجر لنتناول مزودة التمر وجرة الماء ثم أسير خلفه الى الشاطئ وأعاونه فى دفع الزورق الى البحر. فى الليل نتعشى سمكا مغليا من بقايا صيد الصباح. ثم مرض أبى ولزم بستانه الصغير وعاونته فيه أيضا. كنت أقوم فى الفجر وأذهب الى البستان لأملأ حوضه بالماء مستعينا بثورهزيل.

قاطعته متسائلا: متى إذن كنت تجد الوقت للمدرسة؟

– مدرسة ؟ لم يكن فى القرية كلها من يعرف القراءة والكتابة. والأطفال حفاة وشبه عراة. لاطبيب ولامستشفى. والجميع يموتون صغارا من سوء التغذية والأمراض. أين كنا؟ آه . اضطر أبى الى رهن بستانه لدى أحد التجار بمبلغ مائتى قرش وقبل أن تنقضى المدة مات بالسل. ووجدت صعوبة فى بيع القت والبطيخ والخيار ولم أجد مفرا من بيع البستان فأخذه التاجر بمائة قرش خصم منها ما تبقى من الرهن ومقداره عشرون قرشا. وأخذ القاضى عشرة قروش مقابل كتابة صك نقل الملكية.

فرغت محتويات كأسى فأشرت الى الفليبينية الواقفة عند المدخل أن تحضر لى واحدا ثانيا.

استطرد : كان شبان آخرون قد نجحوا فى التسلل إلى السعودية والكويت . وسمعنا أن بهما مدارس ومستشفيات تعالج الناس مجانا. خرجت ليلا فى حذردون أن أخبر أحد خوفا من عيون الوالى لأن الحكومة تسجن كل من يفكر فى الهروب من البلاد. وضعت نقودى فى الهيمان تحت أثوابى. يممت شطر الحدود وفى

مدينة شناص التقيت بصديق يركب حمارا. قال إنه يمكن الحصول على جواز سفر من عجمان أو الفجيرة. قضينا الليلة على مشارف الفجيرة وعند الصباح دخلناها بعد أداء الصلاة. التجأنا إلى أحد المساجد وبعد ثلاثة أيام بعنا حمارينا واشترينا جوازين بمائتى روبية. الجواز مجرد ورقة تحمل شعار إمارة الفجيرة. اشترينا تذكرتى سفر فى باخرة قادمة من الهند ومتجهة إلى الكويت ثم البصرة. وصلنا الكويت بعد أسبوع حيث شاهدنا لأول مرة مدينة تعج بالناس والبنايات وسيارات تقطع الشوارع بسرعة جنونية ويتكلم أهلها لهجة مختلفة لم نفهم منها شيئا. فى الأحمدى سألنا عن مساكن العمانيين واستضافنا واحد منهم .

رفع كأسه وابتسم ثم قال : لا زلت أذكر طعم عصير البرتقال الذى قدمه لناوشربته لأول مرة فى حياتى .قدم لنا اللحم أيضا وهو ما لم نكن نذوقه فى القريةإلا فى عيد الأضحى . قال لنا إن هناك ستين ألف عمانيا يقومون بالأعمال الحقيرة مثل حفرالقبور وكنس الشوارع. والمحظوظون يلتحقون عمالا فى شركة النفط. نادرا ما تجد حضرميا أو مهريا أو فلسطينيا أو مصريا يقوم بهذه الأعمال. هؤلاء متعلمون منهم المهندس والطبيب ويشتغلون فى مكاتب الحكومة والشركات ويسكنون فى منازل محترمة وعندهم سيارات.

لحظت أن الفتاتين – خولة، شقيقة المضيفة، وسعاد – تنصتان فى وجوم فاستنتجت أنهما تحفظان قصة المسيرة عن ظهر قلب. وسرعان ما كانتا مشتبكتين فى حديث نسوى مع شقيقة. وخرجت خديجة عن النص اذ تابعت حديث زوجها فى اهتمام رغم ثقتى فى أنهاسبق أن سمعته أكثر من مرة.

وجد الشاب عملافي شركة النفط. وانضم إلى مدرسة محو الأمية المسائية فى فصل من أربعين شابا عمانيا، يعلمهم مدرس مصرى صبور يعتقد أنه يؤدى واجبا قوميا . بعد سبع سنوات حصل على الثانوية . تعود خلال ذلك على لبس النعال. لكنه لم يتقبل المعاملة السيئة والمهينة الممثلة فى عبارة ملعونة هى : تكرم عمانى. اتصل بالسفارة العراقية عن طريق معارفه من البعثيين وتمكن من السفر الى بغداد لدراسة العلوم الاقتصادية بجامعتها. وعاد إلى الكويت بعد تخرجه فالتحق بشركة النفط. ثم قام قابوس بالتغيير وطلب من العمانيين فى الخارج العودة للمساهمة فى بناء البلاد فاستجاب .

كان يتحدث ببساطة دون شعور بالحرج مستمتعا بعملية الجرد . ولم يكد ينتهى حتى جاء دور زوجته فأدركت السر فى طول صبرها.

– كنت أول طالبة تلتحق بكلية التربية فى جامعة السلطان قابوس. ومن صغرى أحب عالم البيزنيس. أبى يملك شركة استيراد فطلبت منه أن أكون معه فى الشركة بعد الظهر. وافق على أنها نزوة ستنتهى لكن بعد التخرج وضعت قدمى فى الشركة . عملت تحت رئاسة مدير انجليزى ثم حللت مكانه. كنت فتاة هادئة جدا لكن نقطة التحول فى حياتى كانت بعد عامين من دخولى مجال العمل حيث بدأت أكتشف فى نفسى قدرات لم أعهدها من قبل . نجحت فى إدارة مول يقوم على الطريقة الأمريكية وهو استثمار كويتى بخمسة ملايين ريال وأنوى إقامة فندق الى جواره ومستشفى لعلاج الأطفال من مرض السرطان .

أبديت اعجابى بمسيرتها فقالت فى اعتزاز:

– المرأة العمانية لها تاريخ حافل فى العمل العام . هل تعرف أن امرأة تدعى غالية بنت ناصر حكمت عمان فى القرن الخامس عشر الميلادى ؟ ليس هذا فقط بل كانت تقود الجيوش وانتصرت فى عدة حروب .

أضاف زوجها: وضع المرأة يتحسن الآن بسرعة . أول أمس أعلن بنك عمان التجارى أنه سيقدم خدمات خاصة للسيدات.

ولابد ان وجهى ظهر عليه تعبير ما لأنه سارع يقول:

– هذه مجرد بداية فنحن نواجه معارضة قوية من الشيوخ والمجتمع القديم.

قطعت علينا الحديث طفلة سمراء جميلة فى حوالى السادسة من عمرها اقتحمت الغرفة وارتمت فى حضن خديجة وشدت ساعدها فى الحاح . سألتها عما تريد فغمغمت ببضع كلمات فى دلال.

قالت لها : ضعى فى الفيديو كارتون توم وجيرى.

هتفت الطفلة فى سخط:

– ماما . مللته.

– أوكى . ضعى البينك بانثر.

– لا يعجبنى .

– عندك سلاحف النينجا.

– لا أحبه.

– إذن العبى بالقطار.

لم تعترض الطفلة على الاقتراح الأخيرفنادت أمها على ميليسيا. وحضرت على الفور فتاة فيليبينية مليحة الوجه فى حوالى العشرين ترتدى بلوزة وبنطلونا من الجينز وحذاء ريبوك . طلبت منها الأم فى رقة بالأنجليزية إحضار القطار.

التفتت الينا و قالت : ميليسيا خادمتى الخاصة . عندنا منذ شهر وبنت ممتازة.

سألت الفندى عن الخادم الفليبينى ذى القرط.

قال وهو يتابع مليسيا بنظراته : طردناه .

شرحت خديجة السبب : فى يوم أجازته عاد بالليل متأخرا ساعة ومخمورا. وضعناه فى الصباح على الطائرة إلى بلاده.

ظهر فى مدخل الغرفة طفل وسيم فى حوالى السنتين من عمره يضع إصبعه فى فمه. تهللت أساريرالفندى وهتف به : بوش. تعال.

استدار الطفل فى حياء واستقرفى أحضان خادمة هندية أوسيريلانكية انحنت لالتقاطه.

قال لى الفندى: جاءنا فى أعقاب تحريرالكويت فأسميناه على اسم الرئيس الأمريكى.

وضعت ميليسيا قطارا كهربائيا على الأرض قرب الباب وركعت على ركبتيها لتقوم بتشغيله . كان ظهرها لنا وحانت منى نظرة الى الفندى فوجدت عينيه مثبتتين على مؤخرتها. نقلت البصر الى زوجته فوجدت عينيها على نفس المكان.

انتهت الفتاة من تشغيل القطار وبدأ يجرى على القضبان وأسفل الجسور وأمام المحطات. استلقت على الأرض الى جوار الطفلة تشاركها اللعب وفجأة اختلست النظر الى سيديها واعتدلت جالسة. وهمت بالنهوض لكن سيدتها أشارت اليها فاقتربت من مقعدها وركعت الى جواره فوق ركبتيها بحيث صار رأسها فى مستوى مسنده.

وضعت خديجة يدها فوق رأس ميليسيا وأخذت تتحسس شعرها وهى تحكى لشفيقة عن زياراتها المتعددة للعاصمة الانجليزية. ورأيت الأخيرة تحدق فيها

بانبهار. لم تكن فكرة التردد على لندن هى التى أثارت انبهار شفيقة وانما قول خديجة أنها لا تجد فى ذلك أى متعة :

– فى الصباح الإفطار ثم طبيب الأسنان من الواحدة حتى السابعة مساء وبعد ذلك أبحث عن مطعم لا أتعرض فيه لمعاكسات أو رذالات فأستقل تاكسى وأمر على كل المطاعم حتى أستقر على واحد يفتح لى أبوابه خصوصيا . وبعد ذلك إلى الشقة وحيدة مع التليفزيون .

أدرك الفندى السؤال الذى تكوّن على لسان شفيقة فقال:

– أنا أفضل سنغافورة فهى أقرب من لندن بساعتين.

أعلنت المعلمة الفليبينية أن الطعام جاهزفنهضنا. وصدرت عن سعاد آهة وهى تضع يدها علَى صدرها الذى أوشك أن يقفز من الثوب المنفلت . أسرعت خولة تبحث لها عن دبابيس تثبت بها صدر الثوب وانتقلنا الى قاعة مجاورة احتلتها مائدة مستديرة تغطى سطحها بصنوف الطعام من لحوم وأسماك وطيورومشويات ومحشيات. ملأنا صحوننا وعدنا الى أماكننا وجلسنا نأكل فى صمت ونحن نستمع الى موسيقى غربية خفيفة.

عندما انتهينا كانت الساعة قد أشرفت على منتصف الليل. تبادلنا التهانى والأمنيات بينما يد سعاد لا تفارق صدرها. واقترح الفندى أن نشرب الشاى فى قاعة أخرى.

تبعناه الى قاعة واسعة تناثرت فى جنباتها الوسائد العريضة الموشاة بالقصب وامتلأت جدرانها بلوحات المستشرقين. واكتملت الصورة بمصطبة فى أقصاها أحاطت بها الستائر الشفافة فبدت أشبه بكهف أوكوشة عرس . أزاح الفندى الستائر وجلس معتمدا بمرفقه على الوسائد ثانيا ساقه اليسرى الى أعلى. دعانى لأن أجلس الى جواره فاضطجعت معتمدا على مرفقىّ الاثنين مادا ساقىّ أمامى.

جلست شفيقة فى حذر وهى تثنى ساقيها بصعوبة. وجاورتها سعاد وهى تجذب خولة فى حجرها. ومالت خولة على شفيقة قائلة :

– لولمست رداءها فى أى مكان ستنكشف حلمة صدرها.

جاءنا الشاى فى صوانى من الفضة. وأدارت خديجة شريطا لبشناق ثم استبدلته بآخر لوردة الجزائرية يضم أغنية «أتونس بيك».

قالت : ياللا يا سعاد.

شرعت تصفق وقلدناها فى حماس. وتدللت سعاد قليلا ثم تحججت بثوبها الذى سيكشف صدرها فعرضت عليها خديجة أن تبدله بآخر ثم أحضرت لها مشبكا معدنيا ولفاعة حريرية لفتها حول وسطها.

استسلمت سعاد أخيرا ونهضت ثم خطت وسط القاعة وما زالت يدها عل صدرها وبدأت تهتز مع أغنية وردة وهى تنظر الى الأرض فى خجل. ولم تلبث أن اندمجت فى الرقص وأخذت تهز وسطها ببراعة تامة ونسيت أمر صدرها فأبعدت يدها عنه ولم تكترث عندما سقط أحد الدبابيس وانحسر الثوب عن أعلى نهديها.

قال لى الفندى وهو ينهض واقفا : تعال معى . أريد أن أريك شيئا.

غادرنا القاعة وصعدنا الدرج إلى الطابق الثالث. ولجنا غرفة مكتب أنيقة ازدانت جدرانها بمجلدات الكتب داخل خزائن مغلقة. وتصدرها جهاز تليفزيون ضخم يحمل جهازا للفيديو.

أشار لى أن أجلس فوق أريكة مقابلة وفتح إحدى الخزائن وتناول منها شريطا وضعه فى الجهاز ثم جلس بالقرب منى وضغط زرالريموت.

لم تكن هناك أية مقدمات أو عناوين. احتلت الشاشة لقطة مهزوزة قليلا لطاولة مستطيلة يجلس ثلاثة أشخاص بالقرب من أحد طرفيها. كان أحدهم قصير القامة، ممتلئ الجسم، أصلع الرأس ، عصبى القسمات. وتحولت الكاميرا الى باب دلف منه رجال آخرون يحملون حقائب يد جلدية توزعوا حول الطاولة. كانت ملامحهم عربية أو شرق أوسطية. وبدا أن شيئا من الألفة يجمع بينهم رغم التوتر الظاهر على وجوههم. ثم دخل القاعة حارس مسلح بمدفع رشاش يحمل حقيبة واتجه الى رأس الطاولة. وتبعه آخر يحمل ترموس شاى. وضع الأول الحقيبة على الأرض قرب المقعد الفارغ الذى يتصدرالطاولة . بينما وضع الثانى ترموس الشاى أمامه. وخطا الأول نحو الباب ثم استدار فجأة رافعا رشاشه الى أعلى وصوبه الى ظهرالرجل الأصلع وأطلق عليه النارمن أعلى إلى أسفل. وكان الحارس الثانى قد بدأ يطلق النارمن رشاشه بينما انتقلت الكاميرا الى الجالسين الذين هبطوا أسفل الطاولة وهم يسحبون مسدساتهم ويطلقون النار على الحارسين.

انتهى الفيلم فجأة كما بدأ دون أن تتجاوز مدة العرض دقائق معدودة. بقيت

أتطلع الى الشاشة الفارغة فى بلاهة. *لقطة من فيلم عن المافيا ؟ تدريب على عملية إرهابية ؟* استعدت مشهد المذبحة وقدرت أنه أقرب الى التمثيل منه الى تسجيل واقعة حقيقية.

سألنى: لم تعرف بعد ؟

هززت رأسى نفيا.

قال : ألم تسمع عن مذبحة المكتب السياسى ؟

نبشت فى ذاكرتى عبثا فأضاف:

– عدن ٨٦.

تحركت بعض الذكريات التى قُبرت فى عنف.

استطرد: نسيت أوتتناسى؟ واحد مثقف مثلك يجب ألا تغيب عنه هذه الصفحة الدموية.

– لكن من الذى قام بالتصوير ؟ كاميرا خفية ؟

ضحك ولم يجب . أغلق الجهاز بالريموت وهب واقفا . استخرج الشريط وأعاده الى مكانه فى الخزانة وأغلقها بالمفتاح . وجذب مصراعى الخزانة المجاورة وانتقى ثلاثة مجلدات قدمها الى قائلا:

– اقرأها لتنعش ذاكرتك.

أضاف عندما تناولتها :

– هل عثرت على صديقيك؟

أليس فى هذا البلد أسرار؟

أجبت بالنفى .

قال وهو يتقدمنى الى الباب :

– يمكننى أن أساعدك. سأعرض عليك صفقة . ما رأيك؟

التفت الى ووضع يده على ذراعى فتطلعت اليه فى حيرة.

قلت : ليست لدى خبرة بالأعمال التجارية .

ضحك: المسألة لا تحتاج الى خبرة . هناك قاعدة واحدة : خذ وهات.

العقل والقلب أم اليوميات التى لم تعد معى ؟

استدار ناحية الدرج وبدأ يهبط وأنا فى أعقابه .وجدت شفيقة وفتحى يهمان بالوقوف معربين عن رغبتهما فى الانصراف.

رافقنا صاحبا البيت حتى الباب الخارجى . وقادت شفيقة السيارة فى براعة عبر الطرقات المهجورة وهى تعلق على السهرة :

– بنات مساكين . تعرف ماذا قالت لى أخت خديجة ؟ سألتنى إذا كنت أخلع النظارة عندما .. عندما...

عابثتها قائلا : تقصدين عند ممارسة الجنس ؟

– حاذر فى الكلام .. يبدو أنك شربت كثيرا ..

صمتت غاضبة وضاعفت السرعة ثم اضطرت الى الإبطاء عندما أشرفنا على ميدان انتشرت فيه حلقات صغيرة من الهنود .

كنا فى الثانية صباحا. سألت : ايه الحكاية ؟ مظاهرة؟

– أبدا. انهم يقضون السهرة وقوفا ليقتصدوا الريال الذى سيتكلفه كوب شاى فى أى مقهى . الواحد منهم يتقاضى خمسين ريالا ويحاول الحياة بالحد الأدنى ليتمكن من إرسال نقود الى أهله.

أضاف بعد لحظة : مساكين. يعيشون أربعين فى غرفة. ولا يتمتعون بأى حقوق ولو أقاموا هنا خمسين سنة. وفى أى لحظة يمكن أن يجدوا أنفسهم على طائرة .

خرجت شفيقة عن صمتها وقالت:

– هل سمعت التصريح الذى أدلى به السفير الهندى فى الأمارات عندما سُئل عن مشكلة التفاهم بين العرب والهنود؟ قال إنه لا توجد أى مشكلة لأن أكثرية الشارع – ٦٠ بالمائة– تتكلم الأوردية .

عادت شفيقة بعد قليل الى سهرة الليلة :

– ميليسيا مستغربة وقلقة . حاولت طمأنتها فقلت لها أن المدام تحبها . تعرف ماذا قالت ؟

كان فتحى مدربا على اسلوب الحوار مع زوجته فجاراها قائلا: لا . ماذا قالت ؟

– سألتنى : ولماذا تحبنى المدام ؟ المسكينة تحب ولدا من بلدها وهو هنا فى مسقط لكن المدام منعتها من رؤيته . قالت لى إنها تحلم باليوم الذى تعود فيه إلى بلدها. وهى مذهولة من مظاهر الثراء هنا. ذهبت مرة مع اسرة الفندى إلى

عرس فى أحد الفنادق تكلف ١٦٠ ألف ريال والمغنى وحده أخذ ٣٠ ألف ريال. ثم سألتنى : لو معك فلوس تنفقيها هكذا؟

جاء دورى فسألتها : صحيح .. لو معك فلوس كيف تنفقينها ؟

قالت بلهجة حالمة : أذهب إلى لندن ببطاقة وان واى.

* * ٤

استيقظت فجأة مبللا بالعرق. أضأت مصباح الغرفة من زرقريب وتناولت كوب ماء من فوق منضدة صغيرة بجوارى. ثم نهضت ومضيت إلى النافذة وأخذت أتأمل الجبال الموحشة الجاثمة خلفها .استعدت المشهد الدموى الذى لم يدم عل الشاشة أكثر من دقائق معدودة لكنه نكأ جراحا نزفت عدة سنوات.

عدت الى الأريكة فجلست و تناولت إحدى المجلدات التى أعطانيها الفندى وعكفت على قراءتها طيلة الأيام الأربعة الماضية. كانت تعكس وجهات نـظر متباينة وتستند الى شهادات متناقضة. ومع ذلك كان من شأنها تحريك الذكريات الراكدة وإعادة تكوين الخطوط العامة للمشهد المأساوى.

فمنذ البداية عانت عدن من صعوبات اقتصادية جمة لكن قادتها كانوا ما زالوا يؤمنون بقدرة نهجهم الثورى على إحداث تغيير جذرى فى منطقة الخليج والجزيرة ولهذا ساندوا الجبهات المتعددة وعلى رأسها جبهة ظفار. ولابد أنهم تلقوا ضربة قاصمة عندما أعلن السلطان قابوس دحر الثوار فى ١١ ديسمبر ٧٥ أمام خمسين ألف مواطن. وتلا ذلك إعلان العفو العام فاستسلم حوالى ألفين من الثوار وانتفع الأهالى بـ «مكرمات» السلطان من التليفزيون الملون فى الأماكن العامة الى البومبون الذى ألقته عليهم طائرات سلاح الجو السلطانى .ولم تمض ثلاثة شهور حتى حدثت المعجزة ووقع السلطان اتفاقية هدنة مع اليمن الجنوبى. وتردد فى هذا الصدد أن السعودية قدمت مساهمة مالية كبرى لعدن ووعدت بتمويل إنشاء مصفاة للنفط بها.

والواقع أن عدن كانت فى أمس الحاجة للمساعدة وهو الأمر الذى عزز داخلها التناقض المألوف بين الدولة والثورة . وخطا النظام مسافة بعيدة عن الأيام

الحافلة قبل ثلاث سنوات عندما اجتاحتها حمى التأميمات لحوانيت الفواكه والخضار والأسماك واللحوم، وسارت الجماهير تهتف: «يا سالمين لا تنسى / باقى الدكاكين والتاكسى». لكن شعبية الرئيس سالمين لم تتأثر بالصعوبات وهى التى استندت الى بساطته وحرصه على التواجد مع الناس وحل مشاكلها وخبرته الطويلة فى التحكيم بين القبائل وضيقه بالبيروقراطية وغرامه بالالتفاف حولها بقرارات مباشرة. ومن ناحية أخرى أدى ذلك الى تعزيز سلطاته وإثارة حفيظة القادة الآخرين وتوجساتهم، فتكتلوا فى سبتمبر ٧٦ ونجحوا فى إقناع أغلبية اللجنة المركزية باتخاذ قرارات تحد من سلطاته ، لكنها لم تكن كافية لانتزاع فتيل الصراع .

ففى الصيف التالى عاد على عنتر من موسكوبعد أن اجتازدورة عسكرية أكاديمية (وكان قد تعلم مبادئ القراءة والكتابة حديثا) ليجد الخلافات على أشدها بين سالمين وغالبية أعضاء المكتب السياسى بما فيهم على ناصر ومجموعته بزعامة عبد الفتاح اسماعيل. وبادر هؤلاء بترشيح على عنتر لمنصب وزير الدفاع فاعترض سالمين بشدة خوفا من أن يصبح الجيش فى يد خصومه. وكان على عنتر معروفا بالسذاجة والعصابية. وتردد أن سالمين قال فى حضوره : على عنتر مجنون ومثل تشومبى وسيعمل بلبلة. وتردد أيضا أن على عنتر – الذى كان يحب سالمين ومسحورا بشخصه– رد عليه قائلا : «أنا أو أنت فى البلد» .

استمر الصراع بين الجانبين وفسره كثير من المراقبين بأنه صراع فكرى تارة بين القوى الموالية للسوفييت بزعامة عبد الفتاح إسماعيل (الذى كان يعتبر نفسه منظرا ويحيط نفسه بهالة لينينية) وبين القوى الموالية للصين بزعامة سالمين (الذى لم يكن يخفى اعجابه بالنموذج الصينى) وتارة أخرى بين الثوريين وبين الذين يسعون للارتماء فى أحضان الرجعية العربية.لكن الأحداث أثبتت خطأ كل هذه التفسيرات. فالسياسة الخارجية لم تكن أبدا محل خلاف حقيقى.

وبالمثل كان الموقف من قضية الوحدة اليمنية التى كانت مطلب كل اليمنيين فى الشمال والجنوب. فقد رأت قيادة عدن التريث فى أمرها كى لا تتم لصالح القوى الرجعية فى الشمال. لكن الانقلاب الذى قام به المقدم الحمدى فى يونيو ٧٤ أفرزمعطيات جديدة . اذ كان الحمدى متنورامعاديا للإقطاع والقبلية

عرس في أحد الفنادق تكلف ١٦٠ ألف ريال والمغنى وحده أخذ ٣٠ ألف ريال.
ثم سألتني : لو معك فلوس تنفقيها هكذا؟

جاء دورى فسألتها : صحيح .. لو معك فلوس كيف تنفقينها ؟

قالت بلهجة حالمة : أذهب إلى لندن ببطاقة وان واى.

* * ٤

استيقظت فجأة مبللا بالعرق . أضأت مصباح الغرفة من زرقريب وتناولت كوب ماء من فوق منضدة صغيرة بجوارى. ثم نهضت ومضيت إلى النافذة وأخذت أتأمل الجبال الموحشة الجاثمة خلفها .استعدت المشهد الدموى الذى لم يدم على الشاشة أكثر من دقائق معدودة لكنه نكأ جراحا نزفت عدة سنوات.

عدت الى الأريكة فجلست و تناولت إحدى المجلدات التى أعطانيها الفندى وعكفت على قراءتها طيلة الأيام الأربعة الماضية. كانت تعكس وجهات نظر متباينة وتستند الى شهادات متناقضة. ومع ذلك كان من شأنها تحريك الذكريات الراكدة وإعادة تكوين الخطوط العامة للمشهد المأساوى.

فمنذ البداية عانت عدن من صعوبات اقتصادية جمة لكن قادتها كانوا ما زالوا يؤمنون بقدرة نهجهم الثورى على إحداث تغيير جذرى فى منطقة الخليج والجزيرة ولهذا ساندوا الجبهات المتعددة وعلى رأسها جبهة ظفار. ولابد أنهم تلقوا ضربة قاصمة عندما أعلن السلطان قابوس دحر الثوار فى ١١ ديسمبر ٧٥ أمام خمسين ألف مواطن. وتلا ذلك إعلان العفو العام فاستسلم حوالى ألفين من الثوار وانتفع الأهالى بـ «مكرمات» السلطان من التليفزيون الملون فى الأماكن العامة الى البومبون الذى ألقته عليهم طائرات سلاح الجو السلطانى .ولم تمض ثلاثة شهور حتى حدثت المعجزة ووقع السلطان اتفاقية هدنة مع اليمن الجنوبى. وتردد فى هذا الصدد أن السعودية قدمت مساهمة مالية كبرى لعدن ووعدت بتمويل إنشاء مصفاة للنفط بها.

والواقع أن عدن كانت فى أمس الحاجة للمساعدة وهو الأمر الذى عزز داخلها التناقض المألوف بين الدولة والثورة . وخطا النظام مسافة بعيدة عن الأيام

الحافلة قبل ثلاث سنوات عندما اجتاحتها حمى التأميمات لحوانيت الفواكه والخضار والأسماك واللحوم، وسارت الجماهير تهتف: «يا سالمين لا تنسى / باقى الدكاكين والتاكسى». لكن شعبية الرئيس سالمين لم تتأثر بالصعوبات وهى التى استندت الى بساطته وحرصه على التواجد مع الناس وحل مشاكلها وخبرته الطويلة فى التحكيم بين القبائل وضيقه بالبيروقراطية وغرامه بالالتفاف حولها بقرارات مباشرة. ومن ناحية أخرى أدى ذلك الى تعزيز سلطاته وإثارة حفيظة القادة الآخرين وتوجساتهم، فتكتلوا فى سبتمبر ٧٦ ونجحوا فى إقناع أغلبية اللجنة المركزية باتخاذ قرارات تحد من سلطاته ، لكنها لم تكن كافية لانتزاع فتيل الصراع .

ففى الصيف التالى عاد على عنتر من موسكوبعد أن اجتازدورة عسكرية أكاديمية (وكان قد تعلم مبادئ القراءة والكتابة حديثا) ليجد الخلافات على أشدها بين سالمين وغالبية أعضاء المكتب السياسى بما فيهم على ناصر ومجموعته بزعامة عبد الفتاح اسماعيل. وبادر هؤلاء بترشيح على عنتر لمنصب وزير الدفاع فاعترض سالمين بشدة خوفا من أن يصبح الجيش فى يد خصومه. وكان على عنتر معروفا بالسذاجة والعصابية. وتردد أن سالمين قال فى حضوره : على عنتر مجنون ومثل تشومبى وسيعمل بلبلة. وتردد أيضا أن على عنتر – الذى كان يحب سالمين ومسحورا بشخصه– رد عليه قائلا : «أنا أو أنت فى البلد» .

استمر الصراع بين الجانبين وفسره كثير من المراقبين بأنه صراع فكرى تارة بين القوى الموالية للسوفييت بزعامة عبد الفتاح إسماعيل (الذى كان يعتبر نفسه منظرا ويحيط نفسه بهالة لينينية) وبين القوى الموالية للصين بزعامة سالمين (الذى لم يكن يخفى اعجابه بالنموذج الصينى) وتارة أخرى بين الثوريين وبين الذين يسعون للارتماء فى أحضان الرجعية العربية.لكن الأحداث أثبتت خطأ كل هذه التفسيرات. فالسياسة الخارجية لم تكن أبدا محل خلاف حقيقى.

وبالمثل كان الموقف من قضية الوحدة اليمنية التى كانت مطلب كل اليمنيين فى الشمال والجنوب. فقد رأت قيادة عدن التريث فى أمرها كى لا تتم لصالح القوى الرجعية فى الشمال. لكن الانقلاب الذى قام به المقدم الحمدى فى يونيو ٧٤ أفرزمعطيات جديدة . اذ كان الحمدى متنورامعاديا للإقطاع والقبلية

كما كانت تربطه بسالمين علاقة قديمة منذ الخلايا الأولى لتنظيمات القوميين العرب. ووجد الاثنان في الوحدة بين الشطرين حلا لمشاكلهما : فمن شأنها أن تعزز موقف الأول ضد غلاة الرجعيين والقبائل المدعومة من السعودية وتدعم موقف الثاني في مواجهة خصومه.

تعددت تصريحات الرئيسين بشأن الوحدة وبدا تحقيقها أمرا قريب المنال مما أثار قلق عواصم كثيرة في الجزيرة وخارجها وخاصة بعد تصريح للحمدي عن ضرورة تأمين البحرالأحمر وإبعاده عن سيطرة القوى الاستعمارية والرجعية . وبلغ القلق أوجه عندما قرر زيارة عدن في ١١ اكتوبر ٧٧ ليعلن عن خطوات جديدة في طريق الوحدة .وهي زيارة لم يقدرلها أن تتم .

ففي العاشر من اكتوبر٧٧ دعاه نائبه العقيد الغشمي الى منزله. وعندما وصل الحمدي في سيارته الخاصة الفولكس فاجن التي قادها بنفسه فوجيء بأخيه مقتولا ولم يلبث ان لحق به . وقيل فيما بعد إن الزيارة كانت ترويحية اشتملت على لقاء بفتاتين فرنسيتين عثر على جثتيهما . وتردد أيضا أن اغتيال الحمدي تم في حضور الملحق العسكري لأحد البلدان العربية المجاورة فضلا عن قائد أحد الألوية اليمنية الذي صار شخصية مرموقة فيما بعد. وقع ذلك قبل شهرمن الزيارة المشئومة التي قام بها أنور السادات الى القدس وقلبت كثيرا من الموازين وغطت أنباؤها على كل حدث آخر. هكذا انزوى الحادث الدموي وتولى العقيد الغشمي رئاسة اليمن الشمالي في هدوء. ولم تمض شهور قليلة حتى كان وزير الدفاع الأميركي يتفق في السعودية على تزويد اليمن الشمالي بدبابات أمريكية و نفاثات ف - ٥ مع خبراء أمريكيين بمبلغ ٣٠٠ مليون دولار تدفعها المملكة .

وفي ٢١ يونيو ٧٨ اتصل سالمين بالغشمي وقال له إنه سيعيد إليه بعد ثلاثة أيام عددا من شيوخ القبائل المختطفين على متن طائرة خاصة يرافقهم مندوب سيعرض عليه وثائق هامة .

وفي يوم ٢٤ يونيو وصلت الطائرة التي تقل شيوخ القبائل ومندوب الرئيس اليمني الجنوبي الذي حمل حقيبة خاصة أصر على أن يسلمها بيده للرئيس الغشمي . اقتيد المندوب إلى مقر الرئيس حيث سلمه الحقيبة . وعندما هم الأخير بفتحها انفجرت فيه وأودت بحياة الاثنين.

اتهمت صنعاء على الفور سالمين بأنه وراء الأغتيال بدافع الإنتقام لمقتل صديقه. وردت حكومة عدن على لسان رئيسها على ناصر محمد بشجب الاغتيال.

وفي اليوم التالي ذهب فضل الله محسن عضو المكتب السياسي (وشقيق زوجة عبد الفتاح اسماعيل) مع اثنين من رفاقه إلى صالح مصلح وزير الداخلية لإقناعه بتحديد موقف ضد سالمين . جرى اللقاء في جو شديد التوتر وكل طرف يرقب حركة يد الآخر حتى لا تصل إلى المسدس قبله. وقال له فضل الله : لن أخرج من هنا لنت أونحن أحياء قبل الاتفاق على موقف. وحاول صالح أن يفدي سالمين بحياته فقال إنه هو الذي قتل الغشمي من أجل تحقيق الوحدة اليمنية. وإنه انتقى واحدا من قدامى الفدائيين (مهدى الذي عرف باسم الحاج تفاريش أي رفيق بالروسية بسبب الدورة الدراسية التي قام بها في الاتحاد السوفيتي) وعهد اليه بالحقيبة الملغومة بعد ان أقنعه بالاستشهاد من أجل الهدف النبيل. وأقيم للفدائي حفل خاص تم تصويره بالفيديو تقديرا لصلابته وتفانيه.

توجه فضل الله محسن على الفور الى قصر الرئاسة بصحبة على عنتر ومطيع وعرضوا على سالمين الاستقالة حقنا للدماء. ونجحوا في إقناعه بعد أن تعهدوا له بأن يتم خروجه من السلطة والبلاد بشكل مشرف.-واجتمعت اللجنة المركزية لتعيد تشكيل مجلس الرئاسة ليضم على ناصرمحمد رئيسا مع عبد الفتاح إسماعيل ومحمد صالح مطيع وعلى عنتر وعلى باذيب (ممثل الشيوعيين). وأصدرت اللجنة قرارا بتجريد الرئيس سالمين من كافة مناصبه الحزبية والرسمية وتكليف على عنتر وصالح مصلح وصالح مطيع بوداعه في المطار.

وفيما بعد قيل إن على صالح عباد (مقبل)، الذى دبر مع سالمين انتفاضة ٦٨ ضد قحطان الشعبي، غادر الاجتماع واتصل بسالمين وأبلغه أن الفرصة مواتية لضرب اللجنة المركزية والتخلص من كافة خصومه دفعة واحدة. كما قيل من ناحية أخرى إن ضابطا في الحرس الرئاسي يدعى أم زربة غضب لقرار تجريد سالمين فأشعل الصدام الدموي بمبادرة فردية منه.

ففي أعقاب انتهاء اجتماع اللجنة المركزية انصرف الجميع إلى بيوتهم وتوجه عبد الفتاح إسماعيل وعلى ناصر وصالح مصلح وعلى عنتر ومحمد صالح

مطيع وفضل الله محسن إلى منزل على ناصر للاحتفال بالانتصار على سالمين. فلم تكن تنحيته بالأمر السهل كما أنها قدمت حلا للمشكلة مع الشمال التي فجرها اغتيال الغشمي .

وبينما هم يتبادلون الأنخاب أطلقت النيران والمدافع فى الساعة الثانية من فجر ٢٦ فأصدروا أوامرهم للطيران والبحرية بضرب قصر الرئاسة واستمرالقصف حتى السادسة مساء عندما أخمدت كل مقاومة وحوصر القصر. وجرى توجيه نداء إلى الرئيس بالميكرفون بالاستسلام فخرج و معه عضو فى المكتب السياسى وآخرمن اللجنة المركزية ونقل الثلاثة إلى مقر المكتب السياسى حيث حوكموا بسرعة وأعدموا معا. وأعلنت اللجنة المركزية فى بيان للشعب نبأ احباط محاولة انقلابية قام بها سالمين . واختتمت البيان بالشعارالتقليدى : «عاشت القيادة الجماعية ولتسقط وإلى الأبد النزعة الفردية» .أما صالح مصلح فلم يحاكم أو يتعرض للمسائلة. ووضع بقية أنصارسالم ربيع فى السجن وعلى رأسهم على صالح عباد (مقبل) الذى بقى خمس سنوات وراء القضبان.

تلا ذلك انعقاد المؤتمر التأسيسى الأول للحزب الاشتراكى اليمنى الذى قرر بإقتراح من على ناصر محمد أن يتولى أمينه العام عبد الفتاح إسماعيل رئاسة الدولة، من أجل تعزيز سلطة الحزب، على الطريقة السوفييتية. وتشكل مكتب سياسى من عبد الفتاح إسماعيل، على ناصر محمد، محمد صالح مطيع، صالح مصلح، على سالم البيض، محسن، وآخرين . أما رئاسة الوزارة فقد عهد بها إلى على ناصر. ودحضا لما تردد عن الخلافات الأيديولوجية بشأن السياسة الخارجية أقر المؤتمر التعايش السلمى مع الدول الخليجية . وخرج على ناصر محمد فى وضع الرجل الثانى فى الدولة .

لكن الصراع لم ينته فقد شهدت الشهور التالية استعدادات محمومة من كافة الأطراف، المحلية والخارجى، لجولة جديدة ، استخدمت فيها كافة الوسائل من الذهب إلى العصبية القبلية والمناطقية . ودارت المواجهة الأولى حول جهاز المخابرات العسكرية : هل يتبع وزارة الدفاع (على عنتر) أم أمن الدولة (محسن) ؟ ويبدو أن على ناصر أفهم على عنتر أن محسن يعمل من أجل السيطرة على الجيش بايعاز من عبد الفتاح إسماعيل، وأبلغه أنه يقف إلى جانبه كما أبلغ محسن بأنه

يؤيده ويقف إلى جانبه . وحلت الأزمة بتشكيل لجنة لأمن الدولة تتبع رئيس الوزراء على ناصر الذى أصبح له نتيجة ذلك وجود مباشر داخل الجيش.

ترددت من جديد الشائعات حول الصراع الدائر واضطر عبد الفتاح إسماعيل لأن يعلن فى مارس ١٩٨٠ : «إن قراراتنا تتخذ دائما بشكل جماعى. والذين ينتظرون جولة صراع قادمة على السلطة فى عدن سيطول انتظارهم» .

لكن الانتظار لم يطل، وكان عبد الفتاح اسماعيل نفسه هو ضحية الجولة الجديدة.

فقد نجح على ناصر فى إقناعه بأن عددا من قادة الحزب لم يعودوا مؤهلين لتحمل أعباء مهام المرحلة القادمة مثل على عنتر وصالح مصلح، اللذين وصفهما بأنهما قتلة متوحشين. وفى نفس الوقت كان يردد أمامهما أن عبد الفتاح رجل مثقف ومنظر وشاعر وأديب يعيش فى برج عاجى ولايصلح كرجل دولة أو زعيم حزب وأنه محاط بالمثقفين والأدباء وينظر إلى قادة الحزب القدامى على أنهم متوحشون .

وفى مطلع شهر أبريل أبلغ على ناصر عبد الفتاح اسماعيل بأن هناك تكتلا فى المكتب السياسى يهدف إلى ابعاده– أى اسماعيل– وإحلاله هو مكانه لكنه، أى على ناصر، لا يشرفه أن يتحمل المسئولية من بعده ولهذا قررأن يستقيل. وتبين عبد الفتاح من ذلك أن أحدا لم يعد يقف الى صفه فى المكتب السياسى فقرر الاستقالة وطلب من على ناصر أن يحل محله.

وفى ٢٠ أبريل ١٩٨٠ عقدت اللجنة المركزية اجتماعا منع عبد الفتاح اسماعيل قسرا من حضوره . وفى جو من الإرهاب والتلويح باستخدام العنف قاده على عنتر تقرر قبول استقالة عبد الفتاح إسماعيل لأسباب صحية من منصبى الأمين العام للحزب ورئيس الدولة. وعهد بالمنصبين إلى على ناصر محمد إلى جانب رئاسة الوزراء. واستحدث منصب جديد لعبد الفتاح، على الطريقة العراقية، هو رئيس الحزب. وفى احتفال خاص قلده على ناصر وسام ثورة ١٤ أكتوبر. وعلى الطريقة العراقية أيضا شيع فى إجلال إلى المطارومنه إلى المنفى فى موسكو. وأصبح الرجل الثانى فى الحزب هو محمد صالح مطيع وزير الخارجية المثقف، الدبلوماسى، وأحد أبرز الفدائيين فى حرب التحرير، الذى تحمس لتنحية سالمين ثم عبد الفتاح .

حصل علي ناصر محمد أخيرا على السلطة الكاملة لكنه لم يشعر بالاطمئنان لوجود محمد صالح مطيع إلى جواره فأبلغ المكتب السياسي بعد أربعة شهور بوجود مؤامرة بينه ودولة إجنبية لإحداث انقلاب فتم اعتقاله بالرغم من دفاع علي عنتر عنه.

لكن قدامى القادة من أعضاء المكتب السياسي ظلوا شوكة في الحلق. وسعى علي ناصر إلي التخلص منهم فدعا إلي مؤتمر إستثنائي للحزب بعد شهرين . وعمل بدهاء على أن تأتي انتخابات المندوبين للمؤتمرمن أنصاره. وعندما انعقد المؤتمر قال لأعضاء المكتب السياسي إن نتائج إنتخابات المندوبين عبرت عن رأى القاعدة وكشفت عن تراجع الثقة فيهم وإن الجماهير لم تعد تطمئن لهم. وطلب الكلمة عبد العزيز عبد الولي الذى عرف بمثاليته وطيبته وسذاجته فقال : «سيادة الأمين العام أنا شخصيا أتخلى عن عضوية المكتب السياسي وأقترح أن نعطى نحن القدامى الفرصة لوجوه جديدة». أقر الآخرون الإقتراح وتشكل مكتب جديد ليس به من القدامى سوى علي ناصر وعلي عنتر.

لم تشفع مبادرة عبد العزيز عبد الولي له . فلدى تفتيش مسافرإلى دمشق عثرعلى رسالة منه إلى صديقه السفير العدني في سوريا قال فيها إن بين أعضاء المكتب السياسي الجديد من تعتبر البصقة في وجوههم خسارة. وقرر المكتب السياسي على الفور عزله من منصبه الوزارى وإبعاده إلى برلين الشرقية ليتابع دراساته الأكاديمية العليا حيث مات مسمما في ١٩٨٣ .

ولم تمض سبعة شهور حتى حل دور علي سالم البيض. فقد وجهت إليه تهمة انتهاك قانون الأسرة الذى يجرم تعدد الزوجات. وأبعد عن اللجنة المركزية والحكومة التى كان يشغل فيها منصب نائب لرئيس الوزراء.

وفي الشهر التالي ، انتهازا لفرصة وجود علي عنترفي الهند ، أعدم محمد صالح مطيع دون محاكمة . وثارعلي عنترعند عودته وبدأ يهاجم محاولة انفراد علي ناصر بالسلطة وتحدث أمام عدد من الضباط عن الحاجة إلى إجراء حركة تصحيحية تعيد إلى القيادة الجماعية معناها.

بلغت الأنباء علي ناصر فعمل على إبعاد علي عنتر عن الجيش فتم تعيينه (على طريقة الرفس إلى أعلى) نائبا لرئيس الوزراء و وزيرا لشئون الحكم المحلي

وأسند الدفاع لصالح مصلح قاسم الذى عرف عنه الانضباط الشديد ورفض حل الخلافات خارج الأطر الشرعية والحرص على القيام بدورحمامة سلام بين التيارات والأطراف المتنازعة.

ثم وقع ما دفع بالأمور الى المواجهة. إذ قبض علي حسين قماطة القائد العام السابق لقوات المليشيا وعضو اللجنة المركزية للحزب ووجهت إليه عدة تهم لم تنشر. وقبل أن يحاكم قتل داخل سجنه. وشعرخصوم علي ناصر بالخطرفبدأوا يتجمعون ويتصلون بعبد الفتاح اسماعيل في موسكو. ورد علي ناصر بمحاولة استمالة علي عنتر فعمل على تعيينه نائبا لرئيس الدولة كما عين علي سالم البيض وزيرا للإدارة المحلية دون اعتبار لقانون الأسرة.

تكونت تحالفات وتوازنات جديدة استخدمت فيها الانتماءات القبلية والمناطقية بل والأغطية الأيديولجية إذ وجهت إلي علي ناصر نفس الاتهامات التى سبق توجيهها لسالمين بشأن سياسة المهادنة للأنظمة الخليجية. وكانت هناك مؤشرات تشجع هذه الاتهامات إذ ظهرت في الأسواق سلع بتمويل سعودى على رأسها التفاح الأمريكي وسفن أب (تماما كما حدث في مصر في بداية الانفتاح) وأصدرعلي ناصر أمرا بمنع تفتيش الحقائب القادمة من الشمال فانهمرت الأجهزة الكهربائية والتليفزيونات بل وحقائب النقود. وفي خريف ١٩٨٣ هرع علي عنترإلى موسكو لينتقد نفسه أمام عبد الفتاح إسماعيل وتبعه صالح مصلح في العام التالي . وأراد علي ناصر أن يقطع عليهما الطريق فطارهو أيضا الي موسكو وعرض على عبد الفتاح اسماعيل العودة، في محاولة لإقامة تحالف معه .

أسفرت هذه الاتصالات عن قرار للمكتب السياسي في فبراير ١٩٨٥ بعودة عبد الفتاح إسماعيل إلى منصب متواضع في سكرتارية اللجنة المركزية وبضم أعضاء جددا للمكتب السياسي يجعل لخصوم الرئيس علي ناصر أغلبية. وانتخب حيدرأبوبكرالعطاس (من أنصارعبد الفتاح) لرئاسة الوزارة بدلا من علي ناصر الذى شغلها لمدة ١٤ سنة متواصلة وأعلنت استقالته كي يتفرغ لقيادة الحزب والدولة.

لم تنجح هذه الترتيبات في إزالة التوتر السائد بين الغرماء . وعقدت جلسات حوار مطولة، شارك في بعضها جورج حبش ونايف حواتمة، استعدادا لانتخابات المؤتمر العام للحزب، أقرت اقتراحا من علي ناصر بمركزة عملية الانتخابات

ووضع ضوابط لها على الطريقة السوفييتية بالاتفاق المسبق على الأسماء وعدم السماح بسقوط أى منها حتى ولو اعترضت الغالبية .

جرت انتخابات مندوبى المؤتمركما هو مقرربطريقة توفيقية وصورية سمحت لطرفى الصراع بترتيب النتائج كل لصالحه . وكانت النتيجة النهائية هى تعميق الصراع بدلا من حله أو تخفيفه. ولاح شبح المواجهة الحاسمة فى الأفق. وتوافدت وفود الأحزاب الشيوعية واليسارية العربية للتوسط، وشاركت فى هذه المحاولات السفارة السوفييتية التى لزمت الحياد التام بين الجانبين .

وفى ٩ يناير ١٩٨٦ اجتمع المكتب السياسى ليناقش اقتراحا من أنصار عبد الفتاح باسناد الدائرة التنظيمية له بحيث يصبح الشخص الثانى فى الحزب ولم يتم التوصل إلى اتفاق فأرجئ الاجتماع إلى الساعة العاشرة من صباح الإثنين ١٣ يناير.

توافد أعضاء المكتب السياسى على مقر اللجنة المركزية فى الموعد المحدد . وعندما وصل على سالم البيض وجد فى القاعة عبد الفتاح إسماعيل وعلى عنتر وصالح مصلح وسالم صالح وعلى شايع هادى، أى جميع الأعضاء المناوئين للرئيس على ناصر (عدا حيدرالعطاس الذى كان فى الهند) دون أحد من أنصاره. ولم ينتبه الحضورالى مغزى الأمر لأنهم شاهدوا لدى وصولهم الى ساحة المبنى سيارة على ناصر وأفراد حراسته كما أن سكرتيرته أبلغتهم بوجوده وأنه سينضم اليهم بعد الانتهاء من اجتماع هام.

بعد قليل دخل القاعة حسان، أحد حراس على ناصر، وهو يحمل حقيبة الأمين العام حيث وضعها على الأرض قرب المقعد المخصص له. ثم استدار ووجه مدفعه الرشاش إلى ظهرعلى عنتر وأطلق عليه النار من أعلى إلى أسفل. هبط أعضاء المكتب السياسى الآخرون على الفور تحت الطاولة بعد أن سحب كل واحد منهم مسدسه وأخذوا يطلقون النار على حسان وعلى حارس آخر كان قد دخل القاعة ليضع ترموس شاى أمام مقعد على ناصر وشارك فى إطلاق النار على الحاضرين.

إلتجأ الأعضاء الأحياء و هم عبد الفتاح إسماعيل وعلى سالم البيض وسالم صالح إلى غرفة خلفية ومزقوا ستائر نافذتها ثم عقدوها على صورة حبل ودلوها إلى أحد حراس عبد الفتاح وحصلوا منه على رشاشين .

خلال ذلك تمت تصفية الجزء الأغلب من أفراد حراسات أعضاء المكتب السياسى فى ساحة المبنى بشكل جماعى . وفى نفس الوقت كانت تجرى مذبحة جماعية أخرى بنفس الطريقة فى إجتماعات عقدت على كافة المستويات الحزبية والعسكرية وخاصة فى وزارات الدفاع والداخلية وأمن الدولة بزعم بحث احتمال وقوع عدوان إسرائيلى على عدن. وتمركزت القوات الموالية لعلى ناصر فى مفارق الطرق وسيطرت على العاصمة وأخذت تعتقل وتقتل غير الموالين . وقامت قطع البحرية والمدفعية بقصف منازل البارزين منهم ودكت بيت عبد الفتاح اسماعيل.

انعقدت السيطرة على عدن للقوات الموالية للرئيس على ناصر، فشرع فى المرحلة الثانية من خطته. لف أحد ذراعيه بضماد طبى ليبدو كأنه أصيب فى تبادل لإطلاق النار، واستقل سيارته إلى محافظته أبين بينما أذيع فى الثالثة بعد الظهر بيان باسم المكتب السياسى أعلن إحباط محاولة انقلابية إستهدفت اغتيال الرئيس والانقلاب ضد الشرعية الحزبية والدستورية التى يمثلها. كما أعلن أنه قدتم تنفيذ حكم الإعدام فى كل من عبد الفتاح إسماعيل، على عنتر، على سالم البيض، على شايع هادى .

وفيما بعد ذكر على سالم البيض أن عبد الفتاح إسماعيل هرب فى مدرعة من مقراللجنة المركزية واحترق داخلها عندما تعرضت للقصف . أما هوفقد استقل مدرعة أخرى وتركها بعد أن سارت به ثلاثين مترا وظل متخفيا فى نفس المنطقة مساء الإثنين ويوم الثلاثاء حتى فجر الأربعاء يجرى الإتصالات الهاتفية برفاقه ويوجه عمليات المقاومة ! فبينما انحازت أغلب القطع البحرية إلى جانب على ناصر، انضمت المدرعات إلى خصومه. وفى مرحلة من المراحل أصبح القتال يدور بشكل رئيسى بين الدبابات التى نجحت فى دخول عدن وبين القطع البحرية المرابطة فى عرض البحر.

استمر القتال تسعة أيام سقط خلالها وفقا للإحصاءات الرسمية ٤٣٣٠ قتيلا وقدرت الخسائر المادية ب ٦ ، ٣٩ مليون دينار، وأسفرعن فقدان على ناصر للسيطرة على العاصمة. وعندما أيقن بالهزيمة فر إلى صنعاء بصحبة على صالح عباد (مقبل) ومنها إلى أثيوبيا.

وما إن استتب الأمر لمن بقي على قيد الحياة من خصومه الأيديولوجيين بزعامة على سالم البيض حتى أعلنوا التزامهم بنفس السياسة الخارجية التى سارعليها كل من على ناصر وسالم ربيع من قبل. فأكد البلاغ الصحفى الصادر عن رئاسة الدولة «...حرص بلادنا على مواصلة جهودها لتعزيز علاقاتها مع جارتها السعودية على أساس مبادئ الأخوة وحسن الجوار والإحترام المتبادل وعدم التدخل.. وكذلك تعزيز علاقاتها الأخوية مع سلطنة عمان على أساس اتفاق المبادئ الموقع عليه من قبل الحكومتين..».

٥ **

عاد فتحي من المركز قبل الظهر ليصحبني الى المستشفى السلطانى بعد أن اشتدت آلام ظهرى وحالت بينى وبين النوم طول الليل. تعاون هو وجوهر على مساعدتى فى الانتقال من المصعد الى السيارة وربط حزام الأمان.

قال ونحن نخرج الى شارع قابوس:

– قابلت القنصل في الصباح وكلمته في موضوع شفيقة. قال لي إن الأمر خرج من يده. عبارة غريبة. أليس كذلك ؟

تجاهلت ملاحظته وقلت : وماذا ستفعل الآن؟

قال فى وجوم : سألجأ الى السلطان.

كان المستشفى في مبنى حديث رحب مكتظ بالمرضى الذين يبدو عليهم العناء وتوحى ملابسهم وقسماتهم ونظراتهم المتوجسة بأنهم قدموا من أماكن نائية. مشيت بحرص عبر قاعات تكدست بها أحدث الأجهزة وأقلنا المصعد الى الطابق الثالث. استقبلنى طبيب مالايزى بدا ضيقا بى ولم نتمكن من التفاهم بالانجليزية التى يتكلمها كل منا بلهجة مختلفة. طلب منى أن أتعرى ثم فحصنى فى عجلة وأحالنى لعمل أشعة. وعدت بها اليه فألقى عليها نظرة سريعة وكتب لى أقراص فولتارين وعدة جلسات من العلاج الطبيعي. طلبت منه أن يشرح لي حالتى فتمتم ببضع كلمات لم أفهم منها شيئا واحتد على عندما نبهته الى أنه أخطأ فى كتابة اسمى.

صحبنى فتحى الى جناح العلاج الطبيعي وتركنى ليرى أحد معارفه. جلست فى ممر قصير أنتظر دورى وتسليت بقراءة صحيفة اليوم. لم يكن بها جديد: مذابح عرقية بين الهندوس والمسلمين فى الهند، وبين الصرب والبوسنيين فى يوغوسلافيا، ومازال الفلسطينيون المبعدون فى موقعهم على الحدود اللبنانية. وكانت هناك إشارة الى تقرير أمام الجامعة العربية بشأن١٢ ألف طفل فلسطينى أصيبوا بالإعاقة على يد القوات الاسرائيلية، بينهم ٦٠٠٠ طفل تقل أعمارهم عن ١٦ سنة فقدوا أطرافهم وحواسهم من جراء الرصاص المطاطى وقنابل الغاز وبعضهم أصيبوا داخل أرحام أمهاتهم.

قلبت الصفحات فاستوقفنى إعلان احتل مساحة بارزة :

«دانهيل تقدم يونايتد بيت، حفلة عارمة من الرقص والموسيقى، بيبسى بالتعاون مع فندق الفلج، الساعة الثامنة والنصف مساء ببركة السباحة المطرب والراقص العالمي الشهير شيامك دافار، التذاكر فى بيتزا هت ومركز التزلج على الجليد وأماكن أخرى».

سمعت نداء على اسمى بلهجة أجنبية وظهرت فى مدخل إحدى الغرف طبيبة هندية. كانت سمراء متوسطة القامة والعمر والجمال ذات وجه مستدير تزينه النقطة الحمراء التقليدية في منتصف الجبهة. لكن قسماته خلت من الحيوية وأنبأتنى بأن صاحبته فى المكان الذى أعرفه جيدا. وعندما تبينت جنسيتى تجلت فى عينيها ومضة اهتمام سرعان ما خبت.

قادتنى الى قمرة صغيرة محاطة بالستائر ومددتنى فوق وسادة من الجلد أوصلتها بأحد الأجهزة وتركتنى. وسرعان ما بدأت استمتع بانتشار الحرارة فى أنحاء ظهرى.

لمحت من فرجة فى الستائر الحائط الملاصق لمكتبها. كانت تتوسطه صورة حديثة للسلطان ثبتت تحتها بالدبابيس عدة رسومات طفولية لأشجار وبيوت وسيارات. اقتربت منى بعد دقائق وعدلت فى صمامات الجهاز. سألتها عن الرسومات المعلقة فأشرق وجهها وقالت إنها لطفلتها. وعلمت أن الطفلة في عامها الثاني بالمدرسة الابتدائية فى بومباى. تجنبت المزيد من الأسئلة كي لا أنكأ جراحا نطقت بها عيناها.

أرادت أن تعطيني موعدا لجلسة ثانية في بداية الأسبوع القادم فقلت لها إني سأسافر خلال أيام. نصحتني بأن أقضي الوقت من الآن وحتى سفري راقدا فوق سطح صلب وان أواصل العلاج الطبيعي في أقرب وقت.

أهديتها قلما للحبر الجاف نقشت عليه رموزفرعونية فأخذته في فرح الأطفال. طلبت مني أن أكتب لها عنواني في مصر. وكتبت لي عنوانها في كل من مسقط وبومباي.

صرفنا الدواء مجانا وعدنا الى المنزل فبسط لي فتحيبطانية مطوية فوق السجادة وتمددت على ظهري. وضع الى جواري عدة كتب وصحيفة اليوم وأراد أن يعد لي غداء فرفضت قائلا إني سأنتظر عودة شفيقة . أحضر لي جهاز راديو وعاد الى عمله.

كانت الفكرة أن يبقى رأسي على نفس المستوى مع بقية ظهري وبالتالي لم أستخدم وسادة . وبدت القراءة صعبة في هذا الوضع فأدرت الراديو. تنقلت بين المحطات الى أن عثرت على برنامج من أغاني عبد الوهاب القديمة .

إذا كانت البيرة ومضاعفاتها من محظورات شفيقة فإن موسيقى وأغانيعبد الوهاب هي محظورات زوجها الوحيدة . فعبد الوهاب – في رأي فتحي – هو الذي خرّب الموسيقى العربية وحولها الى مسخ مقطوع النسب مستعينا بأفضل أنغام الموسيقى الغربية، الكلاسيكية والخفيفة. أما أنا فكنت في مراهقتي قد توحدت مع بكائياته التي اشتهر بها في الأربعينيات والخمسينيات وتغنت بالشكوى من النسيان والهجران حينا واستعذابهما حينا آخر. وعندما تقدم بي العمر والنضج هجرتها الى أغانيه الأولى التي تتميز بعذوبة الكلمات والألحان وبساطتهما فضلا عن عنفوان الصوت ونقاوته. وأعطاني غياب فتحي فرصة الاستمتاع بساعة منها بدأت بأحبها الى قلبي وهي أغاني فيلم «الوردة البيضاء».

عادت شفيقة من الإذاعة عند العصر. ناديت عليها فأطلت على برأسها المحجب. وعندما رأتني مستلقيا على الأرض سألتني عما فعلت في المستشفى.

قلت : طلبوا مني الرقاد هكذا لمدة شهر.

بدت عليها البغتة فضحكت . قلت :

– اطمأني . سأسافر في موعدي .

أعددت خمسة ريالات عُمانية ضريبة المغادرة وودعت فتحي. وضعت حقيبتيّ في جهاز الكشف الأمني وعبرت البوابة الألكترونية ثم استعدت حقيبة اليد وتلفت حولي بحثا عن طريقة لنقل الحقيبة الأخرى. أغناني ضابط الجمرك عن الجهد إذ دفعها جانبا ورفعها الى منضدة مستطيلة ثم عكف على تفتيش محتوياتها بدقة متناهية. أبدى نفس العناية بحقيبة يدي. وأولى اهتماما خاصا لما بها من أوراق. ثم قادني الى قمرة خشبية فأجرى يديه فوق صدري وظهري وبين فخذي.

أُفرج عني أخيرا فسرت خلف عامل أسيوى حمل حقيبتي ووضعها فوق الميزان. قدمت بطاقتي ثم اتجهت الي مكتب الجوازات واتخذت مكاني في طابور متعدد الجنسيات. جاء دوري سريعا فأعطيت جوازي لضابط تصفحه في دقة ثم غادرمقعده دون أن يخاطبني واختفى.

شعرت بالأنظار تتجه ناحيتي فتشاغلت بتقليبِ صحيفة هندية تركها أحد المسافرين فوق مقعد . كان هناك مربع خاص بأنباء عمان تضمن تصريحا لوزير الخارجية بأنه على استعداد لدعم أى عمل يهدف إلي انهاء المقاطعة الاقتصادية العربية لإسرائيل .وكان هناك نبأ عن مداولات بين عمان وبريطانيا بشأن صفقة أسلحة قيمتها ٢٢٧ مليون دولار وصفتها الصحيفة بأنها دفعة هامة للصناعات العسكرية البريطانية وتنقذ وظائف ١٨٠٠ بريطاني .

وعلى صفحة كاملة نشرت الصحيفة حلقة من مذكرات الجنرال بيتربيليير، الذي قاد القوات البريطانية خلال حرب الخليج ، صدرتها بموجز للمراحل الهامة في حياته.

كان تاريخه حافلا بحق فقد كان دائما في المكان المناسب في الوقت المناسب : قناة السويس والأردن في ٥٦ ، جبل عمان الأخضر في ٥٩، عدن في ٦٤، ظفار من ٦٩ حتى ٧٤، السودان في ٧٧ وعندما تقاعد بعد حرب الخليج تفرغ لادارة شركة لتوظيف الأموال . لا للآثار!!

عاد ضابط الجوازات وخاطبني في تحفظ طالبا مني أن أتبعه. علقت حقيبة يدي في كتفي وسرت خلفه في ممر هادئ مضاء بمصابيح الفلورسنت

الطويلة على الجانبين . توقف أمام باب لا يحمل أية لافتة وطرقه فى رفق . ثم أدار مقبضه ودفعه الى الداخل وتنحى لى جانبا.

كانت الغرفة صغيرة يتصدرها مكتب معدنى أمامه مقعدان متقابلان وتضيؤها أنوار قوية من مربع زجاجى فى منتصف السقف. وكانت الجدران عارية إلا من واجهة جهاز تكييف وصورتين لسلطان البلاد، واحدة فى إطار مستقل وأخرى فى نتيجة حائط فاخرة. لم تكن بها خزانة للملفات أو دلالة ما على هوية شاغلها ووظيفته. كانت غرفة بلا هوية مثل غرف التحقيق أوتلك المخصصة لزيارة السجناء.

أغلق الضابط الباب خلفى وانصرف ووقفت أتطلع الى الرجل الجالس خلف المكتب منهمكا فى تصفح جوازى. كان يرتدى دشداشة بيضاء ويغطى رأسه بمصرة من نفس اللون وعينيه بنظارة داكنة تكاد تكون سوداء. لكنى عرفته من حاجبيه وشاربه الناصعى البياض.

أشار لى بالجلوس دون أن يرفع رأسه عن الجواز. وضعت حقيبة يدى على الأرض وجلست فى حرص خوفا من آلام الظهر. لمحت مقبض خنجربارزا من نطاق موشى بالقصب حول خصره. وشعرت أن عينيه مسلطتان على وجهى رغم تظاهره بفحص الجواز.

ألقى بالجواز فوق سطح المكتب الى جوار جهاز أسود صغير للاستدعاء. ورفع يده الى نظارته فخلعها ووضعها الى جوار الجهاز.

كانت دقات قلبى قد بدأت تتسارع منذ اللحظة التى دخلت فيها إذ اجتاحتنى الهواجس والتوقعات . لكنها كادت تتوقف تماما الآن. ودوى طنين جهاز التكييف عاليا فى أذنى .

تصوروا!

اختفت الحركات الهوجاء والمارلبورو والكتب وحل محلها الخنجر والمصرة وحجر أحمر اللون فى خاتم ثقيل من الذهب .

كنت عاجزا عن الكلام وصبر على هو لحظة ثم ابتسم ابتسامة خفيفة :

– لم تتوقعنى ؟

لم أحر جوابا فاستطرد:

– سمعت أنك تبحث عنى.

كانت هناك غضون كثيرة حول عينيه ونظرة باردة حاسبة فيهما. استطرد عندما لزمت الصمت :

– أربعة وثلاثون عاما منذ آخر لقاء بيننا ؟ عمر، أليس كذلك؟ لم تتغير كثيرا.

وجدت لسانى أخيرا : وأنت صرت الحارث بن عيشة.

تراجع الى الوراء وبسط راحتيه فوق سطح المكتب :

– الحارث أحد أجدادى . كان شيخ قبيلة. وعيشة هو اسم والدتى . لعلك لا تعرف أن البدو...

قاطعته : أعرف . قرأت موسوعة السلطان .

انفجر فى الضحك وشعرت أنه متوتر مثلى.

قلت : لكن لماذا ؟

قال بنبرة تهكم خفيفة :

– عملية تصحيح ! متطلبات مرحلة جديدة.

كان يبدو واثقا من نفسه.

استطرد: قل لى . لماذا كنت تبحث عنى؟

قلت : كنت أريد أن أعرف ما حدث لك ول... وردة .

– وعرفت الآن؟ أنت قرأت يومياتها.

استجمعت نفسى وقلت : ما زالت هناك بضعة أمور غامضة.

تراجع بجسده كله الى الوراء : آه .. مثل ؟

اجتاحتنى موجة غضب مفاجئة :

– مثل ماذا حدث لها بالضبط ولماذا تخليت عنها فى الصحراء.

تأملنى فى إمعان ثم قال فى بطء :

– ماذا تعتقد أنت ؟

– إما أنك خفت على نفسك أو أنك ذهبت تستكشف الطريق فتهت . أنا أستبعد ذلك إذ كان من الممكن أن تخطرهما بنيتك. الاحتمال الأغلب أن الأمر كله كان مدبرا منذ البداية.

ضاقت عيناه لكنه لم يعلق .

استطردت : متي بدأت علاقتك بالسلطة ؟ عندما قبض عليك أول مرة في مطرح ؟

لم يجب .

واصلت دون أن أعبأ : كنت عازما على التخلص منها. وفي اللحظة الأخيرة ترددت. ربما أشفقت عليها أو اكتشفت أنها حامل أو كنت أكثر دهاء .قررت أن تتركها في الصحراء للذئاب والقبائل.

قال بهدوء قاتل : أنت تتحدث عن أختي.

– أعرف أنك كنت تحبها . ربما أكثر مما يجب. ومع ذلك أو بسبب ذلك تركتها. ولا بد أن إحدى القبائل أوتها هي ودهميش الي أن وضعت ابنتها. أسمتها وعد بدلا من ثائرة كما كانت تنوى. لتحميها أولتذكر القبيلة بتعهد انتزعته منهم بأن يسلموا الطفلة الى أهل أبيها. لا أعرف طبعا ما حدث بعد ذلك. ربما وقع لهما حادث في الصحراء أو توصلت اليهماالسلطة. الأغلب أن القبيلة نفسها تخلت عنهما واحتفظت بالطفلة. ثم وفوا بوعدهم بعد قليل وسلموها لعمها الذي تكتم على الأمر كله. ما رأيك ؟

– لا بأس . أكمل .

– المهم أنك قمت بدورك . وكان يمكن أن يمضى كل شئ على مايرام لولا أن ظهرت اليوميات. عثر عليها أحد أو أراد ابناء القبيلة استغلالها لمكسب ما. كان لابد أن تعرف ما جاء بها بشأنك.

جذب درج المكتب واستخرج الكراسة الأخيرة ذات الغلاف الأسود. رفعها في الهواء ولوح بها في وجهي :

– الجميع كانوا يسعون خلفها . أصحابك مثلا وهم منقسمون كالعادة ويتسابق كل قسم لاستغلالها ضد الآخر. أصحابي أيضا . .. أنت قابلت الفندى. ثم هناك الشيوخ والمطوعون . هناك أيضا جيراننا وجيران جيراننا .تعرف لماذا ؟ هل صدقت أن الرغبة في معرفة مصير وردة هي السبب؟

انحنى نحوى : أنا هو السبب .

قلت : لماذا الآن؟

سيطر على أعصابه واستعاد هدوئه.

استطردت : ألأن صديقك ابن عم السلطان سيصبح رئيسا للوزارة؟ لا أعتقد.

كانت النظرة التي تجلت في عينيه هي التى أعانتني على الفهم .

قلت في بطء : أنت تعد لشئ أكبر من هذا.

حانت منه نظرة خاطفة الى جهاز الاستدعاء. وتأكد لى أن للجهاز وظيفة أخرى. كما تأكدت أن السهم ملك قصده.

وفجأة أمسك بالكراسة بيديه الاثنتين وأخذ يمزقها الى قطع صغيرة. واستقرت عيوننا على القصاصات وهي تتكوم فوق سطح المكتب في خليط من اللونين الأبيض والأسود.

قال : لم يعد بوسع أحد استغلالها.

قلت : إلا إذا كانت هناك صورة منها .

تجمدت يداه فوق قطع الورق و دقق النظر الى عينيّ :

– لا توجد معك ورقة واحدة منها. التفتيش كان كاملا. كما أنك لم تقترب من أى جهاز للتصوير من لحظة وصولك الى السلطنة .

مال على المكتب وهو يتأملني متفحصا :

– أين؟

– مع وعد.

ثار فجأة : القحبة.

قلت : هي لا تريد غير شئ واحد .

– ما هو؟

– أن تدخل الجامعة . هنا أو في الخارج.

– وأنت ؟

– زوجة ابن عمي.

– مالها؟

– يريدون إنهاء عقدها. لا بد أنك تعرف. لا تريد أكثر من سنتين أخريين حتى ينتهي زوجها من عمله.

أخذ يدق بإصبعه على سطح المكتب دون أن يرفع عينيه عن وجهي :

– سنتان إذن. ولا كلمة منك.

أطرقت برأسي.

سنتان وحسب. ثم نرى.

تطلعت الى جواز سفرى فاتجه اليه ببصره وتأمله برهة ثم مد يده فالتقطه وقدمه الى . تناولت الجواز وجذبت حقيبتى ونهضت واقفا.

ثم استدرت وغادرت الغرفة .

تذييل

فى مطلع عام ١٩٩٠ أعلن على سالم البيض باسم قيادة جمهورية اليمن الجنوبى رد الاعتبار لسالم ربيع (سالمين). وفى٢٢ مايو ١٩٩٠ توحد اليمنان وصار على سالم البيض نائبا للرئيس إلى جوار رئاسته للحزب الاشتراكى اليمنى . وبعد سلسلة من الاغتيالات لقادة الحزب إتهم فيها عناصرمن الشمال، اعتصم على سالم البيض بمقره فى عدن ورفض الذهاب إلى صنعاء . وتطورت الأمور إلى اشتباكات مسلحة بين الجانبين فى ٢٧ أبريل ١٩٩٤ تحولت الى حرب حقيقية. وأعلنت عدن فى ٢١ مايو ٩٤، إعادة تشكيل جمهورية اليمن الديموقراطى. استمرت الحرب شهرين وانتهت بانتصار الشمال وقدر عدد الضحايا بعشرة آلاف قتيل كما قدرت الخسائر ب ١١ مليار دولار. والتجأ البيض إلى سلطنة عمان ومازال بها حتى الآن. أما على ناصرمحمد فيقيم فى دمشق. وتولى على صالح عباد(مقبل) رئاسة الحزب الاشتراكى اليمنى. وفى عام ١٩٩٩ نسبت الكاتبة الفرنسية M. Tabachnik فى كتابها (Les Circles de L' enfer , Flammarion) الى أسامة بن لادن ، السعودى من أصل يمنى ، أنه اعترف بمسئوليته عن اغتيال ١٥٨ من كوادر الحزب الاشتراكى اليمنى فى عدن بين عامى ٩٠ و ٩٤.

مايو ٢٠٠٠

شكر واجب

للأصدقاء العُمانيين الذين فتحوا لى قلوبهم قبل بيوتهم واتاحوا لى قبسا من حضارتهم العريقة ،

ولمن لم يبخلوا بمعلوماتهم :

مارك بلاس Mark Pellas ورفاقه الفرنسيين الذين ناصروا قضايا الشعوب العربية وحافظوا على تراث نضالها،

جار الله عمر، عضو المكتب السياسي للحزب الاشتراكي اليمنى،

حيدرابراهيم، مدير مركز الدراسات السودانية بالقاهرة،

هانيا سرور التى أتاحت لى فرصة مشاهدة فيلمها «دقت ساعة التحرير»،

فوازطرابلسى الذى وضع مقالاته ومسودات كتبه رهن تصرفى،

آمين رضوان، على محسن، حسين موسى، صلاح زكى مراد ، حسناء مكداشى ، ابراهيم فرغلى ، فريال غزول ، وليد قزحية ، نبيل درويش ،

ولمن لم يبخلوا بالعون:

محى الدين اللباد، صلاح حزين، أحمد القصير، Ann Harlow ، وائل عبد الفتاح.

وكالعادة كان لملاحظات **ليلى عويس ونادية محمد الجندى** على المخطوطة الفضل فى اكتشاف التناقضات واجراء الصقل الضرورى.

الشكر أيضا لأسرة دار **المستقبل العربى** بالقاهرة ، **ولعبد المنعم سعودى** الذى راجع الأخطاء اللغوية وبوأ الهمزة عرشها الصحيح !!

أهم المصادر

* **حصاد ندوة الدراسات العمانية**، المجلد السابع ، وزارة التراث القومى والثقافة، سلطنة عُمان، ١٩٨٠
* **وثائق الجبهة الشعبية الديموقراطية العُمانية.**
* **من فنون عمان التقليدية**، وزارة الاعلام، سلطنة عُمان، ١٩٩٠
* **مجلة نوفيل أوبزرفاتور ١٩٧٥، ١٩٩٥**
* **الرمال العربية** ، ويلفرد ثيسجر، ترجمة ابراهيم مرعى، موتيف ايت، أبوظبى ، ١٩٩٢
* **الأعمال الكاملة** ، أرنستو جيفارا، دار الفارابى ودار دمشق ، ١٩٨٢
* **كنت طبيبة فى اليمن**، كلود دى فايان، دار الكلمة ، صنعاء ١٩٨٥
* **مناضل من عمان** ، حسين درويش ، ١٩٩٠
* **البلاد السعيدة** ، برترام توماس، عمان ، ١٩٨٤
* **صورة الفتى بالأحمر**، فواز طرابلسى، رياض الريس ، ١٩٩٧
* **وعود عدن** ، فواز طرابلسى رياض الريس، يناير ٢٠٠٠
* **الصراع على الخليج العربى**، عبد الرحمن النعيمى ، دار الكنوز الأدبية، بيروت ١٩٩٤
* **حرب الشعب فى عمان**، على فياض، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، ١٩٧٥
* **الحزب الشيوعى السودانى وانقلاب ٥ مايو** ، محمد سعيد القدال ، الخرطوم ١٩٨٦
* **الصراع فى عدن** ، شاكر الجوهرى ، مكتبة مدبولى ، ١٩٩٢
* **الصبح الدامى فى عدن** ، حميدة نعنع ، دار المستقبل العربى بالقاهرة ١٩٩٨
* **الواقع التاريخى والحضارى لسلطنة عمان** ، خالد يحى العربى ، ١٩٨٥
* **دولارات الارهاب** ، سعيد اللاوندى ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ٢٠٠٠

* The Secret War . D. Arkless, 1988.
* Nomads in the Sultanate of Oman, Jorg Janzen , westview press ;1986.
* Ernesto che Guevara, I. Lavretsky, progress, Moscow, 1985.
* Looking for trouble , General Peter de la Billiere, Harper Collins,94
* Water and Power, Miriam R. Lowi, Cambridge university 1995.
* Oman & its Renaissance, Donald Hawley, Stacey International, London 1984.
* The Journal of Oman Studies, V.6, part 2, Ministry of National Heritage, 1983.

للمؤلف

روايات :

تلك الرائحة : أولى ، فبراير ١٩٦٦ ، مكتب يوليو ، القاهرة، ثالثة ، دار شهدى ، الخرطوم ١٩٨٦ .

تلك الرائحة وقصص أخرى : عيون ، الدار البيضاء ، ١٩٨٦ دار شهدى ، القاهرة، ١٩٨٦ ،دار المستقبل، الأسكندرية ١٩٩٣ .

نجمة أغسطس : أولى ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٧٤ ، خامسة ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ١٩٨٧ .

اللجنة : أولى ، دار الكلمة ، بيروت ١٩٨١ ، سابعة دار المستقبل العربى، القاهرة ١٩٩٨ .

بيروت.. بيروت ، دار المستقبل العربى، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ١٩٨٨ ، ٢٠٠٠ .

ذات : دار المستقبل العربى، ١٩٩٢ ، ثالثة ١٩٩٨ .

شرف: دار الهلال، ١٩٩٧ ، ٢٠٠٠ .

رحلات :

إنسان السد العالى ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٩٦٧

*CAIRO FROM EDGE TO EDGE photos by Jean Piere Ribierre,Translated by Samia Mehrez, AUC,1999.

تـرجـمة :

العدو، جيمس دروت، أولى دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٧٥ ، ثانية الفنك، الدار البيضاء، ١٩٩٣ .

الحمار ، جونتر دى برون ، دار ابن رشد ، بيروت ١٩٧٧ ، ثانية ١٩٨٣ .

معونة أم استعمار جديد ، أرنولد أوخكين ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٨٠ .

ولد لا يعرف الخوف ، الأخوان جريم ، الورشة التجريبية لكتب الأطفال ، القاهرة والمؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، ١٩٨١

التجربة الأنثوية ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ، ١٩٩٤ .

الروايات العلمية :

عندما جلست العنكبوت تنتظر، دار الفتى العربى، بيروت ، ١٩٨٠ ، ١٩٨٣ ، ١٩٨٦ .

اليرقات فى دائرة مستمرة، دار الفتى العربى، بيروت ، ١٩٨٠ ، ١٩٨٣ ، ١٩٨٦ .

يوم عادت الملكة القديمة، دار الفتى العربى، بيروت ، ١٩٨٠ ، ١٩٨٣ ، ١٩٨٦ .

زعنفة الظهر يقابل الفك المفترس، دار الفتى العربى، بيروت ، ١٩٨٣ ، ١٩٨٦ .

الدلفين يأتى عند الغروب، دار الفتى العربى، بيروت ، ١٩٨٣ ، ١٩٨٦ .

الحياة و الموت فى بحر ملون ، دار الفتى العربى، بيروت ، ١٩٨٣ ، ١٩٨٦ .

الحكايات العلمية للصغار (دار الفتى العربى ١٩٨٩ ، ١٩٩٠)

الصقر الأسود يتلقى إنذارا

أبو العيد فى يوم مجيد

ثعلب الصحراء فى خطر

المرجان يستعين بالصواريخ

الحصان ينتقم لرفيقه

قصص تاريخية مصورة

رحلة السندباد الثامنة (رسوم نبيل تاج)، دار الفتى العربى، بيروت ، ١٩٨٩ .